

تجريد الأخاني

تأليف
ابن واصل الحموي

المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

محقق

الدكتور طه حسين و إبراهيم الأبياري

الطبعة الأولى

مطبعة دار الفكر في بيروت
٤٠ شارع نازك (ساحة شارع الدون)

١٩٥٥ - ١٣٧٤

تجريد الأخاف

تأليف
ابن واصل الحموي
المتوفى سنة ٦٩٧ هـ

الجزء الثاني

الفصل الأول

تحقيق

الدكتور طه حسين و
أبراهيم الأبياري

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

١٩٥٥ - ١٣٧٤

أخبار أبي العتاهية

وهو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان ، مولى عزة . وكُنيتُه اسمه ولقبه وكُنيتُه أبو إسحاق . وأمه أم زيد بنت زياد ، مولى بنى زهرة . وأبو العتاهية لقبٌ غلب عليه . وفيه يقول أبو قابوس النّصراني ، وقد بلغه أنّه فضّل عليه العتّابي :

قل للمُكَنّي نفسه مُتخيّرًا بعتاهية
والمُرسلِ الكلامِ القبيحِ ح وعنه أذن وإليه
فعليك لعنة ذى الجلا ل وأُمّ زيد زانية

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملة المُخنّثين . ثم كان يبيع الفخّار بالكوفة . ثم قال الشعر ، فبرع فيه وتقدّم .

ويقال : أطبع الناس بشار ، والسيد الحميري ، وأبو العتاهية . وما قدر أحد قطّ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة بأسره لكثرة . وكان أبو العتاهية مع ذلك كثير السّقط والمردول ، وأكثر شعره في الزّهد والأمثال . ونُسب مع ذلك إلى الزّندقة وإنكار البعث . وكان أبخل النّاس مع يساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

وقد قيل : إنّ أباه كان حجّامًا ، وفي ذلك يقول أبو العتاهية :

ألا إنّما النّقى هو العزُّ والكرّم وحُبُّك للدُّنيا هو الفقر ^(١) والنّدم
وليست على عبدٍ تقى نقيصة إذا صحّح النّقى وإن حالك أوحجم

وقد قيل : إنه كان يتشيع ويرى رأى الزّيدية والبترية ^(٢) ، لا يتنقص أحدًا

عقيدته وما كان بينه وبين ثمانية في حضرة المأمون

(١) في بعض أصول الأغاني : « والعدم » مكان « الندم » .

(٢) الزيدية : فرقة نسبت إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، تقصر الإمامة على أولاد فاطمة ، ولا تجيز الإمامة في غيرهم . والبترية : طائفة منهم ، أصحاب كثير الأثر . توقفوا في أمر عثمان ، أهو مؤمن أم كافر ، وفضلوا عليًا على جميع الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولا يرى الخروج على السلطان . وكان جَبَرِيًّا^(١) . فذكر أنه قال أبو العتاهية
ثمامة بن أشرس بين يدي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه في الإجمار : أسألك
عن مسألة ؟ فقال المأمون : عليك شعرك . فقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن
لى فى مسألتى ويأمره بإجابتى ! فقال : أجبه إذا سألك . فقال له : أنا أقول :
كُلُّ ما فعله العباد من خير وشر فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرك
يدى هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يُحرِّكُها . فقال له ثمامة : حرَّكها من أمه زانية .
فقال : شتني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماص بظر أمه والله
يا أمير المؤمنين ! فضحك المأمون وقال : ألم أمرك أن تشغل بشرك وتدع ما ليس
من عملك . قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال : ما أغناك الجواب عن السفة ؟
فقلت : إن من أتم الكلام ما قطع الحجة ، وعاقب على الإساءة ، وشفى من
الغيظ ، وأتصر من الجاهل .

وقيل : إنه لما نسك وترهد أخذ نفسه بحجامة اليتامى والفقراء للسبيل ،
وقال : إن غرضه بذلك التواضع . فقال بعضهم : ألم يكن يبيع الجرار ! فقيل له :
بلى . فقال : أما فى بيع الجرار من الذل ما يكفيه ويستغنى به عن الحجامة !
وقيل : كان أبو العتاهية قَصِيْفًا^(٢) أبيض اللون أسود الشعر ، له وفرة جعدة
وهيئة حسنة وخصافة ولباقة ، وكان له عبيد من السودان ، ولأخيه زيد أيضاً
عبيد منهم يعملون الخزف فى أثون لهم ، فإذا اجتمع منه شيء ألقوه على أجير لهم
يقال له : أبو عباد اليزيدى ، كوفى ، فبيعه على يديه ويرد فضله إليهم .

وحكى عن مصعب بن عبد الله الزبيرى أنه قال : أبو العتاهية أشعر الناس .
فقيل له : بأى شيء أستحق ذلك عندك ؟ فقال : بقوله :

بعضهم فيه حين
أخذ نفسه بالحجامة

من وصفه وشيء
عن صناعته

رأى مصعب فى
شعره

(١) الجبرى ، بالتحريك : المنسوب إلى الجبر ، وهو القول بأن الله يجبر العباد على

الذنوب ، أى يكرههم عليها . (٢) القصيف : الدقيق العظيم القليل اللحم .

تَلَقَّيْتُ بِأَمَالٍ طَوَالَ أَيَّ أَمَالٍ
وَأَقْبَلْتُ عَلَى الدُّنْيَا مِلْحًا أَيَّ إِقْبَالٍ
أَيَّا هَذَا تَجَهَّزَ لَـ فَرَاقَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ
وَلَا بُدَّ مِنَ الْمَوْتِ عَلَى حَالٍ مِنَ الْحَالِ

ثم قال مُصْعَبُ : هذا كلام حسن سهل لا نقصان فيه ، يعرفه العاقل ويُقَرِّبُهُ الجاهل .

للأصمعي في شعره

وكان الأصمعيُّ يَسْتَحْسِنُ قولَ أبي العتاهية :

أَنْتَ مَا اسْتَفْنَيْتَ عَنْ صَا حَبِكَ الدَّهْرَ أَخُوهُ
فَإِذَا أَحْتَجَّتْ إِلَيْهِ سَاعَةٌ تَجَّكَ فُوهُ

وحكى صالح الشَّهْرَزُورِيُّ قال : أَتَيْتُ سَلَمًا الْخَاسِرَ فَقُلْتُ لَهُ : أَنْشُدْنِي لِنَفْسِكَ . بين الشهرزوري وسلم في شعره فقال : لا ، وَلَكِنْ أَنْشُدْكَ لِأَشْعَرِ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ ، لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ . ثم أنشدني له :

سَكَنُ يَبْقَى لَهُ سَكَنُ مَا بِهِذَا يُؤْذَنُ الزَّمَنُ
نَحْنُ فِي دَارٍ يُخْبِرُنَا بَسَلَاهَا نَاطِقُ لَسِنِ
دَارُ سَوْءٍ لَمْ يَدْمُ فَرَحُ لَأَمْرٍ فِيهَا وَلَا حَزَنُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفُسُنَا كُلُّنَا لِلْمَوْتِ مُرْتَهِنُ
كُلُّ نَفْسٍ عِنْدَ مِيتَتِهَا حَظُّهَا مِنْ مَالِهَا الْكَفَنُ
إِنْ مَالُ الْمَرْءِ لَيْسَ لَهُ مِنْهُ إِلَّا ذِكْرُهُ الْحَسَنُ

وقيل لداود بن زيد بن رزين : من أشعر أهل زماننا ؟ فقال : أبو نواس . رأى ابن رزين فيه فقلت : ما تقول في أبي العتاهية ؟ قال : أبو العتاهية أشعر الجن والإنس .

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قطُّ إلا مثل لي ، فأقول له في قوله الشعر ما أريد وأترك ما أريد .

وكان يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كله شعراً لفعلتُ .

هو و بشار وأشجع
في حضرة المهدي

وذكر أن المهدي جلس للشعراء يوماً ، وفيهم بشار بن برد ، وأشجع — وكان
أشجع يأخذ عن بشار ويعظمه — وغير هذين . وكان في القوم أبو العتاهية . قال
أشجع : فلما سمع بشار بن برد كلامه ، قال : يا أخا سليم ، أهذا ذاك الكوفي الملقب ؟
فقلت : نعم . فقال : لا جزى الله خيراً من جمعنا معه ! ثم قال له المهدي : أنشد .
فقال لي بشار : ويحك ! ويُسْتَشَدُّ فيُشَدُّ قبلنا أيضاً ! فقلت : قد ترى . فأنشد :

ألا ما لسيّدتى ما لها أدلاً فأجمل إدلالها
وإلا فقيم تجنّت وما جنيت سقى الله أطلالها
ألا إن جاريةً للإمام قد أسكن الحسن^(١) سرّ بالها
مشت بين حورٍ قصارٍ أخطا تجاذب في المشى أكفالها
وقد أتعب الله نفسه بها وأتعب بالأمم عذالها

قال أشجع : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أدري من أي أمرٍ به
أعجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، يُسمعه^(٢) ذلك بأذنه !
حتى أتى على قوله :

أتته الخليفة مُنْقَادَةً إليه تجرّ أذيالها
ولم تك تَصْلُحْ إلا له ولا يك يصلح إلا لها
ولورامها أحدٌ غيرُهُ لزلزلت الأرض زلزالها
ولولم تطمه بنات^(٣) القلوب لما قبل الله أعمالها
وإن الخليفة من بغض « لا » إليه ليُبغض مَنْ قالها

(١) في بعض أصول الأغاني : « الحب » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « يسمع » .

(٣) بنات القلوب : النيات .

فقال له بشار ، وقد اهتز طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أترى الخليفة لم يطّر
عن فرشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي !

وحكى الخليلُ بي أسد قال :

شعره في التوحيد
وقد اتهم بالزندقة

جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعم الناسُ أني زنديق ، والله ما ديني
إلا التوحيد . فقلنا : قل شيئاً نتحدث به عنك . فقال :

ألا إنا كلنا بائدٌ وأنى بنى آدمٍ خالدٌ
وبدؤهم كان من ربهم وكلُّ إلى ربّه عائدٌ
فيا عجباً كيف يُعفى الإل هـ أم كيف ينجده الجاحد
وفى كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

ولأبي العتاهية مُزدوجة طويلة بديعة ، قد اشتملت على غرائب الحكم
والأمثال ، يقال إنها اشتملت على أربعة آلاف مثل . وقد ذكرت جميع ما أورده
أبو الفرج في كتابه :

حَسْبُكَ مَا تَبْتَغِيهِ الْقُوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقُوْتَ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكَفَافَا مَنْ أَتَقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا
هِيَ الْمَقَادِيرُ فَلَمْ تُنِ أَوْ فَذَرِ إِنْ كُنْتَ أَخْطَأْتُ فَمَا أَخْطَأَ الْقَدَرُ
لِكُلِّ مَا يُوْذِي وَإِنْ قَلَّ أَلَمَ مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَمَّ
مَا أَنْتَفَعَ الْمَرْءُ بِمَثَلِ عَقْلِهِ وَخَيْرُ ذُخْرِ الْمَرْءِ حُسْنُ فِعْلِهِ
إِنَّ الْفَسَادَ ضِدُّهُ الصَّلَاحُ وَرُبَّ جِدِّ جَرَّهِ الْمِزَاحُ
مَنْ جَعَلَ النَّمَامَ عَيْنًا هَلَكَا مُبْلَغُكَ الشَّرَّ كِبَاغِيهِ لَكَ
إِنَّ الشَّبَابَ وَالْفَرَاغَ وَالْجِدَّةَ مَفْسَدَةٌ لِلْمَرْءِ أَى مَفْسَدَةٍ
يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ قَبِيحٍ تَرْكُهُ يَرْتَهِنُ الرَّأْيَ الْأَصِيلَ شَكُّهُ

ما عيشُ من آفته بقاءهُ نَفَسُ عيشاً كَلَهُ^(١) فِياؤُهُ
 يارُبِّ مَنْ أسخطنا بِجَهْدِهِ قد سَرَّنا اللهُ بِغَيْرِ حَمْدِهِ
 ما تَطْلُعُ الشمسُ ولا تَغِيبُ إِلَّا لِأَمْرِ شَأْنِهِ عَجِيبُ
 لِكُلِّ شَيْءٍ مَعْدَنٌ^(٢) وَجَوْهَرُ وَأَوْسَطُ وَأَصْفَرُ وَأَكْبَرُ
 فَكُلُّ شَيْءٍ لَاحِقٌ بِجَوْهَرِهِ أَصْفَرُهُ مَتَّصِلٌ بِأَكْبَرِهِ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَكُلُّهُ مُتَزَجٌ وسائِسُ فِي الصَّدْرِ مِنْكَ تَعْتَلِجُ
 ما زالت الدُّنيا لنا داراً أذى ممزوجة الصَّفْوِ بِالْوَانِ الْقَذَى
 الخَيْرُ والشرُّ بها أَزْواجُ لَذا نِتاجُ ولَذا نِتاجُ
 مَنْ لَكَ بِالْمَحْضِ وَلَيْسَ مَحْضُ يَخْبُثُ بَعْضُ وَيَطِيبُ بَعْضُ
 لِكُلِّ إِنْسَانٍ طَبِيعَتَانِ خَيْرٌ وَشَرٌّ وَهما ضِدَّانِ
 والخَيْرُ والشرُّ إِذا ما عُدَّا بَيْنَهما بَوْنٌ بَعِيدٌ جَدًّا
 إِنَّكَ لو تَسْتَنشِقُ الشَّجِيحَا وَجَدْتَهُ أَنتَنَ شَيْءَ رِيحَا
 عَجِبْتُ حَتَّى غَمَنِي الشُّكُوتُ صِرْتُ كَأَنِّي حائِزٌ مَبْهُوتُ
 كَذا قَضَى اللهُ فَكَيْفَ أَضْمَعُ والصمتُ إِن ضاقَ الكلامُ أَوْسَعُ

وقيل : شاور رجلُ أبا العتاهية فيما ينقش على خاتمه . فقال : أنقش عليه :
 « لعنة الله على الناس » . ثم أنشد :

هو ورجل ساءه
 ما ينقشه على خاتمه

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَافِهِم فَصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بِالْوُحْدَةِ
 ما أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وما أَقْلَهُمُ فِي حَاصِلِ الْعِدَّةِ

وذُكِرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْعَلَاءِ ، مَوْلَى عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ صَاحِبَ الْمُهْدَى ، كَانَ
 مُمَدِّحًا ، فَدَحَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . فَأَمَرَ لَهُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَأَنْكَرَ ذَلِكَ بَعْضُ
 أَهْلِ الْعَلَاءِ وَبَعْضُ
 مَنْ عَابَ عَلَيْهِ
 صَلَتهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ

(١) فِي الدِّيوانِ : « طَبِيا » مَكَانُ « كَلَهُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « قَدَرُ » مَكَانُ « مَعْدَنُ » .

الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفي ! وأى شيء مقدار شعره ! فبلغه ذلك . فأحضر الرجل وقال له : والله إن الواحد منكم ليدور على المعنى فلا يصيبه ، ويتعاطاه فلا يحسنه ، يشبب بخمسين بيتاً ثم يدحنا ببعضها . وهذا كأن المعاني تتجمع له ، مدحني فقصر التشبيب وقال :

إني أمنتُ من الزمان ورَّيبه لما علقتُ من الأمير حبالاً
لو يستطيع الناسُ من إجلاله لحدَّوا له حرَّ الوجوه نعالاً
إنَّ المطايا تشكيك لأثَّها قطعتُ إليك سباسباً ورمالاً
فإذا ورَدْن بنا ورَدْن (١) مُحفَّةً وإذا رجعن بنا رجعن ثقالاً
أخذ هذا المعنى من قول نصيب :

فماجؤوا فأنثوا بالذي أنت أهله ولوسكتوا أثنت عليك الحقائق

وكان الأصمعي يقول :

شعر أبي العتاهية مثل كساحة (٢) الملوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى .

شعره للرَّشيد في مرضه

وقيل : حمَّ الرشيد ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برقة فيها :

لو علم الناسُ كيف أنت لهم ماتوا إذا ما أملت أجمعهم
خليفة الله أنت ترجح بالناس إذا ما ورنَّت أنت وهم
قد علم الناسُ أن وجهك يس تنغي إذا ما رآه معدمهم

فأنشدها الفضل بن الربيع للرَّشيد . فأمر بإحضار أبي العتاهية . فما زال يسامره ويحدثه إلى أن برى ، ووصل إليه بذلك السبب مال جليل .

(١) مخفة : قليلة الحمل .

(٢) الكساحة : الكناسة . والذي في بعض أصول الأغاني : « العتاهية كساحة » .

بين ابن الاعراب
وبعضهم في شعر
أبي العتاهية

وذكر أن ابن الأعرابي حدث بهذا الحديث . فقال له رجل في مجلسه :
ما هذا الشعر بمُستحق لما قلت ! قال : ولم ؟ قال : لأنه شعر ضعيف . فقال
ابن الأعرابي : الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية ! الأبي العتاهية تقول :
إنه ضعيف الشعر ! فوالله ما رأيتُ شاعراً قطُّ أطيعَ ولا أقدرَ على بيت شعر منه ،
وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السَّحر . ثم أنشد له :

قَطَعْتُ مِنْكَ جِوَانِلَ الْأَمَالِ	وَحَطَطْتُ عَنْ ظَهْرِ الْمَطَى رِجَالِي
وَوَجَدْتُ بَرْدَ الْيَأْسِ بَيْنَ جَوَانِحِي	فَأَرَحْتُ مِنْ حِلٍّ وَمِنْ تَرْحَالِ
فَالآنَ يَا دُنْيَا عَرَفْتُكَ فَأَذْهَبِي	يَا دَارَ كُلِّ تَنْقُلٍ وَزَوَالِ
يَأْيِهَا الْبَطَرُ الَّذِي هُوَ مِنْ غَدٍ	فِي قَبْرِهِ مَتَمَزَّقُ الْأَوْصَالِ
حَذَفَ الْمُنَى عَنْهُ الْمُشَمَّرُ فِي الْمُدَى	وَأَرَى مُنَاكَ طَوِيلَةَ الْأَذْيَالِ
حِيلَ ابْنِ آدَمَ فِي الْأُمُورِ كَثِيرَةٌ	وَالْمَوْتُ يَقْطَعُ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
قَسْتُ السُّؤَالَ فَكَانَ أَعْظَمَ قِيمَةٍ	مِنْ كُلِّ عَارِفَةٍ جَرَتْ بِسُؤَالِ
فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بَيِّدَ وَجْهِكَ سَائِلًا	فَابْذُلْهُ لِلْمُتَكَرِّمِ الْمِفْضَالِ
وَإِذَا خَشِيتَ تَعَدُّرًا فِي بَلَدَةٍ	فَاشْدُدْ يَدَيْكَ بِعَاجِلِ التَّرْحَالِ
وَأَصْبِرْ عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ فَإِنَّمَا	فَرَجُ الشَّدَائِدِ مِثْلُ حَلٍّ عِقَالِ

ثم قال للرجل : أتعرف أن أحداً يقول مثل هذا الشعر ؟ فقال له الرجل :
يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداك ، إنِّي لم أَرُدُّ عليك ما قلت ، ولكن الزُّهد
مذهب أبي العتاهية ، وشعره في المديح ليس كشعره في الزُّهد . قال : أفليس
الذي يقول في المديح :

وَهَارُونَ مَاءَ الْمَزْنِ يُشْفِي بِهِ الصَّدَى	إِذَا مَا الصَّدَى بِالرِّيقِ غَصَّتْ حَنَاجِرُهُ
وَأَوْسَطُ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ لَبِيتُهُ	وَأَوَّلُ عِزٍّ فِي قُرَيْشٍ وَآخِرُهُ
وَزَحْفٌ لَهُ تَحْكِي الْبُرُوقَ سُيُوفُهُ	وَتَحْكِي الرُّعُودَ الْقَاصِفَاتِ حَوَافِرُهُ

إذا حَمِيتُ شمسُ النَّهارِ تَصَاحَكَتْ إلى الشَّمْسِ فِيهِ بَيِّضُهُ (١) وَمَغَاوَرُهُ
إذا نَكَبَ الإسلامُ يوماً بَنَكِبَهُ فها رُونَ مِنْ بَيْنِ البرِيَةِ نَائِرُهُ
وَمَنْ ذَا يَفُوتُ المَوْتَ والمَوْتُ مُدْرِكُ كذا لَمْ يَفُتْ هَارُونَ ضِدُّ يَنافَرُهُ
فَخَلَصَ الرَّجُلُ مِنْ شَرِّ أبنِ الأَعْرَابِي بِأَن قالَ لَهُ : القَوْلُ كما قُلْتَ ، وما كُنْتُ
سَمِعْتُ لَهُ بِمِثْلِ هَذَيْنِ الشَّعْرَيْنِ ، وَكُتِبَ لهما عَنْهُ .

بينه وبين ثمامة
في البخل

وحكى ثمامة بن أشرس قال : أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يُعْتَقْ مِنَ المَالِ نَفْسُهُ تَمَلَّكَ المَالُ الَّذِي هُوَ مالِكُهُ
أَلَّا إِنْما مالِي الَّذِي أنا مُنْفِقُ وَلَيْسَ لِي المَالُ الَّذِي أنا تارِكُهُ
إذا كُنْتُ ذا مالٍ فَبادِرْ بِهِ الَّذِي يَحِقُّ وَإِلَّا اسْتَهْلَكْتَهُ مَهالِكُهُ

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته ، أو لبيت فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت . فقلت له : أتؤمن أن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه الحق ؟ قال : نعم . قلت : فلم تجلس عندك سبعاً وعشرين بَدْرَةً (٢) في دارك ، لا تأكل منها ولا تشرب ولا تتركى ، ولا تُقدِّمها ذُخْراً لِيَوْمِ فَقْرِكَ وفانك ؟ فقال : يا أبا معن ، والله إن ما قلتَ لهُوَ الحقُّ ، ولكنى أخافُ الْفَقْرَ والحاجة إلى الناس . قلتُ : وبِمِ تَزِيدُ حالُ من أفقر على حالك ، وأنت دائمُ الحرص دائمُ الجمع ، تَضَنُّ على نَفْسِكَ ، لا تَشْتَرِي اللحمَ إِلَّا مِنْ عِيدٍ إلى عِيدٍ ! فترك جواب كلامي ثم قال : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتوايلته وما يتبعه بخمسة دراهم . فلما قال لي هذا القول أضحكني حتى أذهلني عن جوابه ومعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمتُ أنه ليس ممن شرح الله صدره للإسلام .

(١) البيض : جمع بيضة ، وهي الخوذة .

(٢) البدرة : عشرة آلاف درهم .

وحكى بعضهم قال :

هو وسائل
وقف على أبي العتاهية سائل من العيارين^(١) الظرفاء ، وجماعة من جيرانه
حواليه ، فسأله من بين الجيران ، فقال : صنع الله لك . فأعاد السؤال . فرد عليه .
فأعاد عليه ثالثة . فرد عليه مثل ذلك . فعضب وقال له : ألسنت الذي تقول :
كل حي عند ميتته حظه من ماله الكفن ؟

قال : نعم . قال : فبالله عليك ، أتريد أن تعد مالك كله لمن كفنك ؟ قال :
لا . قال : فبالله كم قدرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : هي إذا حظك
من مالك ؟ قال : نعم . قال : فتصدق على من غير حظك بدرهم واحد . قال :
لو تصدقت عليك لكان حظي . قال : فأعمل على أن ديناراً من الخمسة الدنانير
وضيعة^(٢) قيراط ، وأدفع إلى قيراطاً واحداً ، وإلا فواحدة أخرى . قال :
وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأقيم لك كفيلاً باني
أحفر لك قبرك به متى مت ، وتربح درهمين لم يكونا في حسابك ، فإن لم أحفر
رددتك على ورثتك ، أو رده كفيلي عليهم . فخرج أبو العتاهية وقال : أعزب
لنك الله وغضب عليك ! وضحك جميع من كان حاضراً . ومَرَّ السائل
يضحك . وألقت إلينا أبو العتاهية ، وقد أغتاط ، فقال : من أجل هذا وأمثاله
حرمت الصدقة . فقلنا له : ومن حرّمها ؟ ومتى حرمت ؟ فما رأيت أحداً قبله
ولا بعده أدعى أن الصدقة حرمت .

وداعه لأبي غزية وقال أبو غزية :

كان أبو العتاهية إذا قدم المدينة يجلس إلى ، فأراد مرة الخروج من المدينة ،
فودّعني ثم قال :

(١) العيار : الذي يتردد بلا عمل .

(٢) الضيعة : الخليفة .

إِنْ نَعِشْ نَجْتَمِعُ وَإِلَّا فَمَا أَشَدُّ خَلَّ مَنْ مَاتَ عَنْ جَمِيعِ الْأَنْامِ

وقيل :

بينه وبين غلام
لبعض التجار
طالبه بمال

كان لبعض التجار من أهل باب الطاق^(١) على أبي العتاهية ثمن ثياب أخذها منه، فمر به يوماً، فقال صاحب الدُّكان لُغلام: مَن كان يخدمه حسن الوجه: أدرك أبا العتاهية ولا تُفارقهُ حتى تأخذَ منه مالنا عليه. فأدركه على رأس الجسر، فأخذ بعنانِ جِماره ووقفه. فقال له: ما حاجتُك يا غلام؟ قال: أنا رسول فلان بمعنى إليك لأخذَ ما له عليك. فأمسك عنه أبو العتاهية، وكان كُلُّ مَنْ رأى الغلام متعلقاً به وقف ينظر، حتى رضى أبو العتاهية بجمع الناس وحفلهم، ثم أنشأ يقول:

واللهِ رَبِّي^(٢) إِنِّي لأَجِلُّ وجهك عن فِعَالِكِ
لو كان وجهك مثلَ فِفِّ^(٣) لك^(٣) كنتُ مكثفياً بذلك

فخجل الغلام، ورجع إلى صاحبه وقال: بعثتني إلى شيطان، جمع على الناس وقال في الشعر حتى أخرجني، فهربتُ منه.

شعره لابن مسعدة
وكان قد حجب
عنه

وذُكر أن أبا العتاهية كان يختلف إلى عمرو بن مسعدة، لوذَّ كان بينه وبين أخيه مجاشع، فاستأذن عليه يوماً، فحُجِبَ عنه، فلزم منزله. وأستبطأه عمرو. فكتب إليه: إنَّ الكسلَ منَعني من لقائك. وكتب في أسفل رُقعته:

كَسَلَنِي الْيَأْسُ مِنْكَ عَنْكَ فَمَا أَرْفَعُ طَرْفِي إِلَيْكَ مِنْ كَسَلٍ
أَيَّ أَمْرٍ لَمْ يَكُنْ أَخَا^(٤) ثِقَةٍ قَطَعْتُ مِنْهُ حَبَائِلَ الْأَمَلِ

(١) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي.

(٢) في بعض أصول الأغاني: «ربك».

(٣) في بعض أصول الأغاني: «لو كان فمك مثل وجهك».

(٤) في بعض أصول الأغاني: «إني إذا لم يكن أخى».

وقيل : إنه كتب إليه مرة :
 مالك قد حلت عن إخائك وأس
 تبدلت يا عمرو شيمة كدرة
 إني إذا الباب تاه حاجبه
 لم يك عندي في هجره نظره
 لستم ترجون للوفاء^(١) ولا
 يوم تكون السماء منفردة
 لكن لدنيا كالظل بهجتها
 سريعة الانقضاء منشره
 قد كان وجهي لديك معرفة
 فاليوم أخى حرقاً من النكره
 وقيل :

مجاوزه جارية
 كان يهاها

كان أبو العتاهية يهوى في حديثه امرأة نائمة من أهل الحيرة ، لها حسن
 ودماثة ، يقال لها : سعدى . وكان عبد الله بن معن بن زائدة الشيباني ، المكنى
 بأبي الفضل ، يهاها أيضاً ، وكانت مولاة لهم ، ثم أتهمها أبو العتاهية بالنساء ،
 فقال فيها :

ألا يا ذوات السحق في الغرب والشرق أفقن فإن النيك أشقى من السحق
 أفقن فإن الخبز بالأدم يشتهى وليس يسوغ الخبز بالخبز في الحلق
 أراكن ترقعن الخروق بمثلها وأى ليب يرقع الخرق بالخرق
 وهل يصلح المهراس^(٢) إلا بعوده إذا أحتيج منه ذات يوم إلى الدق
 وتهدد عبد الله بن معن بن زائدة أبا العتاهية وخوفه ، ونهاه أن يعرض
 لمولاته سعدى . فقال أبو العتاهية يهجوهم :

مجاوزه لابن معن

لقد بلغت ما قالاً فما باليت ما قالاً
 فلو كان من الأسد لما صال ولا هالا
 فصغ من حلية السيف الذي ألبست^(٣) خلخالاً

(١) في بعض أصول الأغاني : « للحساب » مكان « للوفاء » . (٢) المهراس : الهاون .

(٣) رواية البيت في بعض أصول الأغاني :

فصغ ما كنت حليت به سيفك خلخالاً
 وهذه الرواية أعاد ابن واصل البيت بعد قليل .

فما تصنع بالسَّيف إذا لم تكُ قتَّالا
فلومَدَّ إلى أذُنَيْهِ كَفَيْهِ لما نالا
قَصِيرُ الطُّولِ والطَّيْلَةُ^(١) لا شَبَّ ولا طالا

وقال فيه يهجوهُ :

يا صاحِبِي رَحْلِي لَا تُكْثِرَا
سُبْحَانَ مَنْ خَصَّ أَبْنُ مَعْنٍ بِمَا
قالَ ابْنُ مَعْنٍ وَجَلَّ نَفْسُهُ
أنا فتاة الحَيِّ من وائلٍ
وَيْلِي وَيَاهُنْفِي عَلَى أُمْرِدٍ
صاحِثُهُ يَوْمًا عَلَى خَلْوَةٍ
أُخْتُ بَنِي شَيْبَانَ مَرَّتْ بِنَا
تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ فَيَا مَنْ رَأَى
قد نَقَطْتَ فِي وَجْهِهَا نَقْطَةً
إِنْ زُرْتُمُوهَا قالَ حُجَّابُهَا
مولاتُنَا مشغولةٌ عندها
يا بِنْتَ مَعْنٍ الْخَيْرُ لَا تَجْهَلِي
أَتَجْلِدُ النَّاسَ وَأَنْتِ أُمْرُو
ما يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يَنْسُبُوا
يَبْذُلُ ما يَمْنَعُ أَهْلُ النَّدَى

فِي شَتَمِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ عَذْلٍ
أَرَى بِهِ مِنْ قِلَّةِ الْعَقْلِ
عَلَى مَنْ الْجَلْوَةُ يَا أَهْلِي
فِي الشَّرَفِ الشَّامِخِ وَالثَّنْبِلِ
يُنْصِقُ مِنِّي الْقُرْطَ^(٢) بِالْحِجْلِ
فَقَالَ دَعْ كَفِّي وَخُذْ رِجْلِي
مَمْشُوطَةً كُورًا^(٣) عَلَى بَعْلِ
جَارِيَةٍ تُكْنِي أَبَا الْفَضْلِ
نَخَافَةُ الْعَيْنِ مِنَ الْكُحْلِ
نَحْنُ عَنْ الزُّوَّارِ فِي شُغْلٍ
بَعْلٌ وَلَا إِذْنَ عَلَى الْبَعْلِ
وَأَيْنَ تَقْصِيرُ^(٤) عَنِ الْجَهْلِ
تُجْلِدُ فِي دُبْرِكَ^(٥) بِالْفَسْلِ
مَنْ كَانَ ذَا جُودٍ إِلَى الْبُخْلِ
هَذَا لَعَمْرِي مُنْتَهَى الْبَذْلِ

(١) الطيلة : العمر . (٢) الحجل : الخلل . (٣) الكور : الرجل .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « إقصار » مكان « تقصير » .

(٥) الرواية في بعض أصول الأغاني : * تجلد في الدبر وفي القبل *

والفصل : قضبان الكرم . يورى .

ما قلتُ هذا فيك إلا وقد جفّت به الأعلام من قبلي
 قيل : فاحتال عبدُ الله بن مَعْن على أبي العتاهية حتى أخذَه في مكان فضربه .
 مائة سوط ضرباً ليس بالمُبْرَح غيظاً عليه . وإنما لم يُعْتَف به في الضرب خوفاً من
 كثرة مَنْ يُعْنى به . فقال أبو العتاهية يهجوهُ :

جَلَدْتَنِي بِكَفِّهَا بِنْتُ مَعْنِ بْنِ زَائِدَةٍ
 جَلَدْتَنِي فَأَوْجَعْتُ بِأَبِي أَنْتِ^(١) جَالِدَه
 جَلَدْتَنِي وَبَالَغْتُ مائَةً غَيْرَ وَاحِدَه
 أَجْلَدِي أَجْلَدِي^(٢) أَجْلَدِي إِنَّمَا أَنْتِ وَالِدَه

وغضب من ذلك يزيدُ بن مَعْن أخو عبدُ الله وتوعدُ أبا العتاهية . فقال
 أبو العتاهية يهجوهُ ، من قصيدة أولها :

بَنَى مَعْنٌ وَيَهْدِمُهُ يَزِيدُ كَذَاكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ
 فَمَعْنٌ كَانَ لِلْحُسَّادِ غَيْظًا وَهَذَا قَدْ يُسَرُّ بِهِ الْحُسُودُ

وقيل : إن عبد الله بن مَعْن أحضر أبا العتاهية ودعا بغلمان له ، ثم أمرهم أن
 يَفْسُقُوا به . ففعلوا . ثم أجلسه وقال : قد جازيتُك على قولك ، فهل لك بعد هذا
 في الصُّلح ومعه مَرَكَبٌ وعشرة آلاف درهم ، أو تقيم على الحرب وما ترى ؟
 قال : بل الصُّلح . قال : فأسمعي ما تقوله في معنى الصُّلح . فقال :

مَالُكَ ذَالِي وَمَالِي أَمْرُونِي بِالضَّلَالِ
 عَذْلُونِي فِي اغْتِفَارِي لِأَبْنِ مَعْنٍ وَأَحْتِمَالِي
 إِنْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْهُ فَيَجْرُمِي وَفِعَالِي

(١) في بعض أصول الأغاني : « تلك » مكان « أنت » .

(٢) رواية هذا الشطر في بعض أصول الأغاني :

* اجلديني واجلدني *

أنا منه كنت أسوا عشرة في كل حال
 قل لمن يعجب من حسن رجوعي ومقالي
 رب صفح بعد^(١) جرم وهوى بعد^(٢) تقالي
 قد رأيـناك كبيراً جائزاً^(٣) بين الرجال
 إنما كانت يميني لطمت مني شمالي

وقيل : إن عبد الله بن معن لما قال فيه أبو العتاهية :

فصنع ما كنت حليت به سيفك خلخالاً
 فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالاً

قال : والله ما لبست سيفي قط ، فرأيت إنساناً يلحنني إلا خلننته يحفظ قول
 أبي العتاهية في ذلك ، فأخجل .

تمثل الرشيد ببيت
 له عند رؤيته
 ابن معن

وكان الرشيد إذا رأى عبد الله بن معن تمثل ببيت أبي العتاهية :

أخت بني شيبان مرت بنا ممشوطة كوراً^(٤) على بقل

وقيل :

بينه وبين مسلم
 ابن الوليد

اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد صريع الغواني ، فجرى بينهما كلام . فقال
 له مسلم : والله لو كنت أرضى مثل قولك :

الحمد والنعم لك والملك لا شريك لك
 ليك إن الملك لك

(١) في بعض أصول الأغاني : « صد » مكان « جرم » .

(٢) التقال : التباغض .

(٣) الرواية في بعض أصول الأغاني :

* قد رأيـناك كثيراً * جارياً *

(٤) الكور : الرجل .

لقلتُ اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّي أقول :

مُوفٍ على مُهَجٍّ في يوم ذى رَهَجٍ كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ
يَنالُ بالرِّقِّ ما يَمِيا الرِّجَالُ به كالموتِ مُسْتَعْجِلًا يَأْتِي على مَهْلٍ
يَكسو السُّيُوفَ نُفُوسَ النَّاكِثِينَ به ويجعلُ الهَامَ تِيْجَانَ القَنَا الذُّبُلِ
لله من هاشمٍ في أرضه جَبَلٌ وأنتِ وأبْنُكَ رُكْنًا ذاك الجَبَلِ
فقال أبو العتاهية : يا بُنْ أَخِي ، قلْ مثلَ قولي :

* الحمدُ والنَّعمة لك *

حتى أقول مثل قولك :

* كأنه أَجَلٌ يَسْعَى إلى أَمَلٍ *

وقيل : قال بشار لأبي العتاهية : أنا والله أَسْتَحْسِنُ اعتذارَكَ من دَمْعِكَ
بينه وبين بشار
حيث تقول :

كم من صَدِيقٍ لي أَسَا رقه البُكَاءُ من الحِياءِ
وإذا تَأَمَّلَ لَأَمَنِي فأقول ما بي من بُكَاءِ
لكنْ ذَهَبْتُ لَأَرْتَدِي فطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرَّدَاءِ

فقال له أبو العتاهية : يا أبا مُعَاذٍ ، ما لَذْتُ إِلَّا بِمَعْنَاكَ ، ولا أَجْتَنِيْتُ إِلَّا مِنْ
غَرَسِكَ ، حيث تقول :

شَكَوتُ إلى العَوَانِي ما أَلَاقِي فقلتُ لهن ما يَوْمِي بَعِيدُ
فَقُلْنَ بِكِتَ قَلْتُ لهن كَلَّا وقد يَبْكِي مِنَ الشَّوْقِ الجَلِيدُ
ولكنّي أَصَابَ سَوَادَ عَيْنِي عُويْدُ قَدَى لَهُ طَرَفُ حَدِيدِ
وذَكَرَ الفضلُ بنُ الرِّبِيعِ قال :

بينه وبين الرشيد
وقد وجد عليه

وَجَدَ الرَّشِيدُ ، وهو بالرِّقَّةِ ، على أَبِي العتاهية في شيء ، وأبو العتاهية بمدينة

السَّلام . وكان أبو العتاهية يرجو أن أتكلّم في أمره . فأبطأتُ عليه بذلك .
فكتب إليه أبو العتاهية :

أَجْفَوْتَنِي فِيمَنْ جَفَانِي وَجَعَلْتَ شَأْنَكَ غَيْرَ شَانِي
وَلَطَالَمَا أُمْتَنَنِي مِمَّا أَرَى كُلَّ الْأَمَانِ
حَتَّى إِذَا أَقْلَبَ الزَّمَانُ نُ عَلَى صِرْتٍ مَعَ الزَّمَانِ

فكلّمتُ الرشيدَ فيه ، فرضى عنه . وأرسلتُ إليه أمره بالشَّخص وأذكر له
أن أمير المؤمنين قد رضى عنه . فشخص إلى بالرَّقة . فلما دَخَلَ إلى أنشدني
قوله فيه :

قَدْ دَعَوَانَا نَائِغًا فَوَجَدْنَا عَلَى نَائِيهِ قَرِيبًا سَمِيعًا
فَادْخَلْتُهُ إِلَى الرَّشِيدِ . فَرَجَعَ إِلَى حَالَتِهِ الْأُولَى .
وَحَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ قَالَ :

بينه وبين عبد الله
ابن الحسن

جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أما
يصعبُ عليك شيء من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ
الناس من يقول الشعر ، أو إلى لفظ مُستكره ؟ فقال : لا . فقلت له : إني أحسب
ذلك من كثرة ركوبك القوافي السهلة . قال : فأعرض عليّ ما شئت من القوافي
الصعبة . فقلت : قلْ أبياتًا على مثل « البلاغ » . فقال من ساعته :

أَيُّ عَيْشٍ يَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ عَيْدٍ شِ كِفَافٍ قُوْتٍ بِقَدْرِ الْبَلَاغِ
صَاحِبُ الْبَغْيِ لَيْسَ يَسْلَمُ مِنْهُ وَعَلَى نَفْسِهِ بَغْيٌ كُلُّ بَاغِي
رُبَّ ذِي نِعْمَةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا حَائِلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَسَاغِ
أَبْلَغَ الدَّهْرِ فِي مَوَاعِظِهِ بَلْ زَادَ فِيهِمْ لِي عَلَى الْإِبْلَاغِ
عَبَّئْتُ الْأَيَّامُ عَقْلِي وَمَالِي وَشَبَابِي وَصِحَّتِي وَفِرَاقِي

صلة الرشيد له من بين الشعراء
وقيل : أجمعت الشعراء بباب الرشيد ، فأذن لهم فدخلوا وأنشدوا ،
وأنشد أبو العتاهية :

يا من تَبَقَّى (١) زمنًا صالحًا صلاحُ هارونَ صلاحُ الزَّمنِ
كلُّ لسانٍ هو في مُلكه بالشُّكر في إحسانه مُرتهن
فاهتز الرشيدُ وقال : أحسنتَ والله ! وما خرج في ذلك اليوم أحدٌ من
الشعراء بصلة غيره .

رثاؤه لابن ثابت قيل :

وكان عليّ بن ثابت صديقًا لأبي العتاهية ، وبينهما مجاوبات كثيرة في الرُّهد
والحكمة ، فتوفّي ابن ثابت قبله ، فقال يرثيه :

مونسٌ كان لي هَلَكُ والسبيلُ التي سَلَكُ
يا عليّ بن ثابتٍ غفر الله لي ولكِ
كلُّ حيٍّ مُملَكٍ سوف يَفْقَى وما مَلَكُ

وحضر أبو العتاهية عليّ بن ثابت وهو يُجود بنفسه ، فلم يزل يكتزمه ويبكى
حتى فاظ . فلما شدَّ الحياه بكى طويلاً ، ثم أنشأ يقول :

يا شريكى فى الخير قَرَبَكَ اللهُ فَنِعْمَ الشَّرِيكُ فى الخير كُنْتَا
قد لعمرى حَكَيْتَ لى غُصَصِ المَوْتِ فخرَّ كُنْتى لها وسَكُنْتَا
ولما دُفِنَ وقف على قبره يبكى بأحرَّ بكاء ويردّد هذه الأبيات :

أَلَا مَنْ لى بِأُنْسِكَ يا أُخِيَا وَمَنْ لى أَنْ أَبُشِّكَ ما لَدِيَا
طَوْتُكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نَشْرِ كَذَاكَ خُطوبُهُ نَشْرًا وَطِيَا

(١) تبني : تطلب .

كفى حزنًا بفقدك ثم إنى نفضتُ ترابَ قبرك من يديّ
بكيتك يا علىّ بدمع عيني فما أغنى البكاء عليك شيئاً
وكانت في حياتك لى عظامي فأنت اليوم أوعظُ منك حيّاً

وهذه الكلمات أخذها أبو العتاهية من الحكماء الذى حضروا تابوت الإسكندر
ذى القرنين بن فيلبس لما مات . فقال أحدهم : كان الملك أمس أهيبَ منه
اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس .

وقال آخر : سكنتُ حركة الملك فى لذاته ، وقد حرّكنا اليوم بسكونه
جزعاً لفقده .

وقيل :

هو وفتيان قاهرهم
على قول الشعر

اجتاز أبو العتاهية فى أول أمره ، وعلى ظهره قفصٌ فيه فخّار يدور به بالكوفة
ويبيع منه ، يفتيان جُلوس يتذاكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص
عن ظهره ، ثم قال لهم : يا فتیان، أراكم تتذاكرون الشعر وتقولونه ، أفأقول شيئاً منه
وتجيزونه ، فإن فعلتم فلکم على عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؟
فجزّوا منه وسخروا وقالوا : نعم ، لا بد أن يشتري بأحد القمّرين رطب يؤكل ، فإنه
قمر^(١) حاصل . وجعل رهنه على يد أحدهم^(٢) . ففعلوا . فقال : أحيزوا :

* ساكنى الأجداث أنتم *

وجعل بينه وبينهم وقتاً وعلامة فى ذلك الموضع إذا بلغته الشمس ولم يجيزوا
اليث ، وجب القمّر عليهم . فلم يأتوا بشيء . فأخذ الدراهم ، وجعل يهزأ منهم وتمّهم :

مثلنا بالأمس كنتم
ليت شعري ما صنعتم أرجمتم أم خسرتم

(١) فى بعض أصول الأغاني : « القمارين . . . قمار » .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « تحت يد أحدهم » .

وهي قصيدة طويلة من شعره .

وقيل :

جائزة المأمون له
على بيتين

وقعت رقعة في عسكر المأمون ، فحى بها إلى مجاشع بن مسعدة ، فقال :
هذا الكلام لأبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنها للأمير
الفضل بن سهل . فبعثوا بها إليه ، فقرأها فقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ
خبرها المأمون ، فقال : هذه لي ، وأنا أعرف العلامة . والبيتان :

ما على ذا كنّا اتفقنا^(١) بسندا وما هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهتدة اليب ض على غدرهم وتنسى الوفاء
فبعث إليه المأمون بمال .

وقيل :

أطلقه الرشيد من
الحبس لشعر
سمعه له

حبس الرشيد أبا العتاهية ليرجع إلى قول الغزل ، وكان تركه وأقتصر على
الزهديات ، ولما لجّ في امتناعه ضربه وحبسه ووكل به صاحب خبر يكتب
إليه بكل ما يسمعه منه . فكتب إليه : إنه سمعه يُنشد :

أما والله إن الظلم لوم وما زال المسيء هو الظلوم
إلى ديّان يوم الدين تمضي وعند الله تجتمع الخصوم
فبكى الرشيد وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه .

وقال بعضهم :

إجابته لبعضهم
وقد سأله عن أحسن
ما قال

قلت لأبي العتاهية : في أيّ شرك أنت أشعر ؟ قال : قولي :

الناس في غفلاتهم ورحى المنية تطحن
ما دون دائرة الردى حصن لمن يتحصن

(١) سندان : مدينة ملاصقة للسند . والرواية في بعض أصول الأغاني : « افترقنا بسندان » .

شعر له في الموت
أنشده المأمون

وذكر المَعْلَى بن أيوب قال :

دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبل على شيخ حسن اللحية خَضيبٍ شديد
بياض الثياب، على رأسه لاطئة^(١)، فقلت للحسن بن أبي سعيد — وهو ابنه خالة
المَعْلَى بن أيوب ، وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامة — : من هذا ؟ فقال :
أوما تعرفه ؟ فقلت : لو عرفته ما سألتك عنه . قال : هذا أبو العتاهية . فسمعتُ
المأمون يقول : أنشدني ما قلت في الموت . فأنشده :

أنساك مَحْيَاك المَمَاتَا	فطلبتُ في الدنيا الثَبَاتَا
أوثقتُ بالدُّنْيَا وأذ	ت ترى جماعتها شَتَاتَا
وعزمتُ منك على الحيا	ة وطولها عَزْمًا بَتَاتَا
يا من رأى أبويه في	من قد رأى كانا فَمَاتَا
هل فيهما لك عِبرة	أم خِلتُ أن لك أنفلاتَا
ومن الذي طلب التفلُّ	ت من منيته فَمَاتَا
كلُّ تَصَبَّحه المنى	ة أو تُبَيَّتْهُ بَيَاتَا

فلما نهض تبعته ، فقبضتُ عليه في الصَّحن ، أو في الدَّهْلِيز ، فكتبتُها عنه .

وقيل :

أخذ عليه الرشياد
معنى في شعره فقه
فأجاد فجازاه

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا وإقبالها	إذا أطاع الله من نالها
من لم يواسِ الناس في فضله	عرَّض للإدبار إقبالها

فقال له المأمون : ما أجودَ البيت الأول ! وأما الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً ،
الدُّنْيَا مُدْبِرَةٌ عَمَّنْ واسى بها أو ضنَّ منها ، وإنما تُوجب السَّماحةَ بها الأجرَ ، والضمُّ

(١) اللاطئة : قلنسوة صغيرة تُلطَّأ بالرأس .

بها الوزر . فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل ، وأهل النقص أولى بالنقص . فقال المأمون : يا ثابت ، أدفع إليه عشرة آلاف درهم لأعترافه بالحق . فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت لم يأخذ الأبهة للفت
من لم تزل نعمته قبله زال عن النعمة بالموت

فقال له المأمون : الآن أحسنت وطبقت^(١) المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

لم يبعث إليه
المأمون على هديته
فكتب إليه شعراً

وقيل :
كان أبو العتاهية يحج في كل سنة ، فإذا قدم أهدى إلى المأمون برداً ومطرراً
ومساويك أراك ونعلاً سوداء ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . فأهدى إليه سنة
كما كان يهدى ، فلم يبعث إليه شيئاً . فكتب إليه :

خبروني أن من ضرب السنه جُداً بيضاً وصُفراً حسنه
أحدثت لكنني لم أرها مثل ما كنت أرى كل سنه
فأمر المأمون بحمل العشرين ألف إليه . وقال : أغفلناه حتى أذكركنا .

تهنئته الهادي بمولود

وقيل :
وُلد لمُوسى الهادي ولد في أول يومٍ ولى فيه الخلافة ، فدخل عليه أبو العتاهية
فأنشده :

أكثر موسى غيظاً حساده وزين الأرض بأولاده
وجاءنا من صلبه سيد أضيد في تقطيع أجداده
وأكتست الأرض به بهجة وأستبشر الملك بميلاده

(١) في بعض أصول الاغانى : « طبقت » .

وَأَبْسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرَحَةٍ (١) بِقَوْمٍ صِدْقٍ فَوْقَ أَعْوَادِهِ
كَأَتَتْ بِعَدْقٍ لِيْلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
فِي جَحْفَلٍ (٢) تَحْقِيقَ رَايَاتِهِ قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
فَأَمَرَ لَهُ الْهَادِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ لِأَقْطَاعِهِ إِلَى أَخِيهِ هَارُونَ
الرَّشِيدِ فِي أَيَّامِ أَبِيهِمَا الْمَهْدِيِّ ، وَرَضِيَ عَنْهُ .

تعقيب لابن واصل
في عهد المهدي
لأولاده

قلت : كَانَ الْمَهْدِيُّ قَدْ جَعَلَ وَلَايَةَ عَهْدِهِ إِلَى ابْنِهِ مُوسَى الْهَادِي ، ثُمَّ بَعْدَهُ
لِابْنِهِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . فَلَمَّا مَاتَ الْمَهْدِيُّ تَقَلَّدَ مُوسَى الْهَادِي الْأَمْرَ وَتَغَيَّرَ لِأَخِيهِ
هَارُونَ الرَّشِيدِ وَعَزَمَ عَلَى خَلْعِهِ مِنْ وَلَايَةِ عَهْدِهِ ، وَنَقَلَ ذَلِكَ إِلَى وَلَدِهِ جَعْفَرِ بْنِ
الْهَادِي . فَلَمْ تَطُلْ أَيَّامُهُ إِلَّا سَنَةً وَشَهْرًا وَأَيَّامًا . ثُمَّ مَاتَ الْهَادِي وَصَفَتْ الْخِلَافَةُ
لِهَارُونَ الرَّشِيدِ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ . وَلَمْ يَلِ الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ هُوَ مِنْ عَقِبِهِ إِلَى يَوْمِنَا
هَذَا ، وَلَمْ يَقْدِرْ اللَّهُ لِلْهَادِي إِتِمَامَ مَا نَوَاهُ مِنَ الْغَدْرِ .
وقيل :

أنشد المهدي
في غضبه على
أبي عبيد الله

دَخَلَ أَبُو بَيْدِ اللَّهِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، وَقَدْ وَجَدَ عَلَيْهِ فِي أَمْرِ بُلْغِهِ عَنْهُ ، وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ
حَاضِرٌ الْمَجْلِسَ ، فَجَلَّ الْمَهْدِيُّ يَشْتُمُ أَبَا عُبَيْدِ اللَّهِ وَيَتَغَيِّظُ عَلَيْهِ ، فَجَرَّ بِرِجْلِهِ
وَحُبْسَ . ثُمَّ أَطْرَقَ الْمَهْدِيُّ طَوِيلًا ، فَلَمَّا سَكَنَ أَنْشَدَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

أَرَى الدُّنْيَا لِمَنْ هِيَ فِي يَدَيْهِ عَذْبًا كُلَّمَا كَثُرَتْ لَدَيْهِ
شُهَيْنَ الْمُكْرَمِينَ لَهَا (٣) بِصَغْرِ وَتُكْرَمُ كُلٌّ مِنْ هَانَتْ عَلَيْهِ
إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ شَيْءٍ قَدَّاهُ وَخُذْ مَا أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ

فَتَبَسَّمَ الْمَهْدِيُّ وَقَالَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ : أَحْسَنْتَ ! فَقَامَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ

(١) رواية هذا العجز في بعض أصول الأغاني :

* علت به ذروة أعواده *

(٢) في بعض أصول الأغاني : « في محفل » .

(٣) الصغر : الضيم والذل .

يا أمير المؤمنين ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدُّنيا ولا أصونَ لها ولا أضنَّ بها
ولا أشحَّ عليها من هذا الذي جُرَّ برجله الساعة ، ولقد دخلتُ على أمير المؤمنين
إذ دخل ، وهو أعز الناس ، فما برحتُ حتى رأيته أذلَّ الناس ، ولورضى من
الدُّنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسم المهديُّ ودعا بأبي عبيد الله
ورضى عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

قلت : كان أبو عبيد الله وزير المهدي في أيام أبيه أبي جعفر المنصور ، فلما
أفضت إليه الخلافة غلب عليه وصارت الأمور كلها إليه ، ثم تغيرت أحواله عنده
وأستوزر يعقوب بن داود بن طهمان ، الذي تقدم ذكره في أخبار هشام ، ثم غضب
عليه المهديُّ وأودعه المطبق . فلم يزل فيه لا يفرق بين الليل والنهار حتى أفضت
أيام المهديِّ وأيام موسى الهادي وصدرًا من خلافة هارون الرشيد ، فأخرجه
وأطلقه ، فتوجه إلى مكة فأقام بها حتى مات .

تعقيب لابن واصل
عن أبي عبيد الله
وموته

تفضيل ابن منذر
وحكى مسعود بن بشر المازني قال :

لقيتُ ابن منذر بمكة فقلت له : من أشعر أهل الإسلام ؟ قال : من إذا شئتَ
هزل ، وإذا شئتَ جد . قلت : من ؟ قال : مثل جرير حيث يقول في النسيب :

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال مَعِينَا
غِيضُ مَنْ عِبْرَاتِهِمْ وَقُلْنِ لِي ماذا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا
ثم قال حين جد :

إن الذي حرم المكارم تغلباً جعل التوبة والخلافة فينا
مُضَرَّ أَبِي وَأَبُو الْمُلُوكِ فَوَيْلَ لَكُمْ يا خُزَرُ^(١) تغلب من أب كائنا
هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئتُ ساقكم إلى^(٢) قَطِينَا

(١) في بعض أصول الأغاني : « يا آل » مكان « يا خزر » .

(٢) القطين : الخدم والأتباع .

ومن المحدثين هذا الخبيث الذي يتناول شعره من كفه . فقلت : من ؟
قال : أبو العتاهية . قلت : فماذا ؟ قال : في قوله :

اللهُ بيني وبين مَـوَلَاتِي أبَدْتُ لَنَا الصَّـدَّ وَالْمَلَالَاتِ
لَا تَغْفِرُ الذَّنْبَ إِنْ أَسَأْتُ وَلَا تَقْبَلُ عُذْرِي وَلَا مُوَاتَاتِي
مَنْحَتَهَا مُهَجَّتِي وَذَالِصَتِي فَكَانَ هِجْرَانُهَا مُكَافَاتِي
أَقْلَقْنِي حُبُّهَا وَصَبَّرْنِي أَحْدُوثةً فِي جَمِيعِ^(١) حَلَاقِي
ثم قال حين جدَّ :

وَمَهْمِهِ قَدْ قَطَعْتُ^(٢) طَامِسَهُ قَفَرٍ عَلَى الْهَوْلِ وَالْمَخَامَةِ
بُحْرَةٍ جَسْرَةٍ عُذَافِرَةٍ خَوْصَاءَ عَيْرَانَةٍ^(٣) مَلْنَدَاةٍ
تُبَادِرُ الشَّمْسَ كُلَّمَا طَلَعَتْ بِالسَّيْرِ تَبْعِي بِذَلِكَ مَرْضَاتِي
يَا نَاقُ خُبِّي بِنَا وَلَا تَعِدِي نَفْسَكَ مِمَّا تَرَيْنِ رَاحَاتِي
حَتَّى تُنَاحِي بِنَا إِلَى مَلِكٍ تَوَجَّهَ اللَّهُ بِالْمَهَابَاتِ
عَلَيْهِ تَاجَانِ فَوْقَ مَقَرِّهِ تَاجُ جَلَالٍ وَتَاجُ^(٤) إِخْبَاتِ
يَقُولُ لِلرَّيِّحِ كُلَّمَا عَصَفَتْ هَلْ لَكَ يَارِيحُ فِي مُبَارَاتِي
مَنْ مِثْلُ مَنْ عَمَّهُ الرَّسُولُ وَمَنْ أَخُوَالَهُ أَكْرَمُ الْخَوُولَاتِ

وقيل :

كانت مرتبة أبي العتاهية مع مرتبة الفضل بن الربيع في موضع واحد في دار

تمثل الفضل
بشعره

(١) في بعض أصول الأغاني : « جاراتي » مكان « حلاقي » .

(٢) الطامس : البعيد الذي لا مسلك فيه .

(٣) الحرة : الناقة العتيقة . والحسرة : العظيمة . والمذافرة : الشديدة . والخوصاء : الضيقة

العينين . والعيرانة : النشيطة . والملنداة : الطويلة .

(٤) الإخبات : الخضوع .

المأمون ، فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسن بيتين لك
وأصدقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك :

ما الناس إلا للكثير المال أو لمسلط ما زال في سلطانهِ
فإذا الزمان رماها ^(١) بلمة كان الثقات هناك من أعوانه

يعنى : من أعوان الزمان . وإنما تمثل الفضل بن الربيع بهذين البيتين
لأنحطاط مرتبته في دار المأمون . وكان المأمون أمر بذلك لتحجيزه العداوة له مع
أخيه محمد الأمين .

وحكى محمد بن أبي العتاهية قال :

تنسك فحبسه
الرشيد ثم أطلقه

كان أبي لا يقارق الرشيد في سفر ولا حضر إلا في طريق الحج ، وكان
يمجرى عليه في كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون . فلما قدم الرشيد
الرقعة لبس أبي الصوف وتزهّد وترك حضور المنادمة والقول في الغزل . فأمر
الرشيد بحبسه ، فحبس . فكتب إليه من حبسه :

أنا اليوم لى والحمد لله أشهر يروح على الهمة منكم ويبتكر
تذكر أمين الله حقى وحرمتى وما كنت تولينى ^(٢) كذلك يذكر
ليالى تدنى منك بالقرب تجلسى ووجهك من ماء الباشا يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة إلى بها - نفسى فداؤك - تنظر

قال : فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه :
أرقت وطار عن عيني النعاس ونام الساهرون ^(٣) ولم يؤاسوا

(١) في بعض أصول الأغاني : « بلية » مكان « بلمة » .

(٢) الرواية في الديوان : « لملك تذكر » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « السامرون » .

أَمِينَ اللَّهِ أَمْنُكَ خَيْرٌ^(١) أَمِنْ عَلَيْهِ مِنَ التَّقَى فِيهِ لِبَاسٌ
تُسَاسُ مِنَ السَّمَاءِ بِكُلِّ بَرٍّ وَأَنْتَ بِهِ تَسُوسُ كَمَا تُسَاسُ
كَأَنَّ الْخَلْقَ رُكِبَ فِيهِ رُوحٌ لَهُ جَسَدٌ وَأَنْتَ عَلَيْهِ رَاسٌ
أَمِينَ اللَّهِ إِنَّ الْحَبْسَ بِأَسْ وَقَدْ وَقَعَتْ^(٢) : لَيْسَ عَلَيْكَ بَاسٌ
فَأَمْرٌ بِإِطْلَاقِهِ .

وقيل :

إجازة الرشيد
والفضل له

ورد على الرشيد مالٌ عظيم من جهة الموصل ، فأمر بصرفه أجمع إلى بعض
جواريه ، وأستعظم الناس ذلك وتحدثوا به . فرأى أبو العتاهية وقد أخذه شبه
الجنون . فقيل له : مالك ؟ ويلك ! قال : سبحان الله ! أيدفع هذا المال الجليل
إلى امرأة ولا يتعلق بكفى منه شيء ! ثم دخل على الرشيد بعد أيام وأنشده :

الله هوّن عندك الدنيا وبغضها إليك
فأيت إلا أن تصغر كلّ شيء في يديكا
ما هانت الدنيا على أحد كما هانت عليك

فقال الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مدحت الخلفاء بأصدق من هذا
المدح . فقال : يا فضل ، أعطه عشرين ألف درهم . ففدا أبو العتاهية على الفضل
فأنشده :

إذا ما كنت متخذاً خيلاً فمثل الفضل فأتخذ الخيلاً
يرى الشكر القليل له عظيماً ويعطى من مواهبه الجليلاً
أراني حيناً يممت طرفي وجدت على مكارمه دليلاً

(١) الرواية في بعض الأصول : « أمرك خير أمر » .

(٢) في بعض الأصول : « وقد أرسلت » .

فقال له الفضل : والله لولا أنى أكره أن أساوى أمير المؤمنين لأعطيتك مثلها ، ولكنى سأوصلها إليك فى دَفَعَات . ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد وزاده خمسة آلاف درهم من عنده .

وذكر أن أبا العتاهية كتب إلى الرشيد لما حبسه لأمتائه من قول الغزل ، وكان قد لبس كساء صوف ودُرَاعَة صوف :

حبس الرشيد له
لامتناعه عن قول
الغزل ثم إطلاقه
إياه

يَا بُنَّ عَمَّ النَّبَى سَمْعًا وَطَاعَةً قَدْ خَلَعْنَا الْكِسَاءَ وَالذَّرَاعَةَ
وَرَجَعْنَا إِلَى الصَّنَاعَةِ لَمَّا كَانَ سُخْطُ الْإِمَامِ تَرَكَّ الصَّنَاعَةَ
وقيل : لم يزل الرشيد مُتَوَانِيًا فى إخراجهِ إلى أن قال :

لَأَمْرٍ مَا تَصَرَّفَ اللَّيَالَى وَأَمْرٍ مَا تَقَلَّبَتِ النُّجُومُ
تَمُوتُ غَدًا وَأَنْتَ قَرِيرُ عَيْنٍ مِنَ الْغَفَلَاتِ فِي لُجْجِ تَعُومُ
تَنَامُ وَلَمْ تَمَّ عَنْكَ الْمَنَايَا تَنْبَهْ لِلْمَنِيَّةِ يَا نُوُومُ
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أُمِّ تَقَضَّتْ سُبْحَكَ الْمَعَالِمَ وَالرُّسُومُ
تَرُومُ الْخُلْدَ فِي دَارِ الْمَنَايَا وَكَمْ قَدْ رَامَ قَبْلَكَ ^(١) مَا تَرُومُ
أَلَا يَأْيُهَا الْمَلِكُ الْمُرْجَى عَلَيْهِ نَوَاهِضُ الدُّنْيَا تَحُومُ
أَقْلَنِي زَلَّةً لَمْ أَجْرِ فِيهَا إِلَى لَوِيٍّ وَمَا مَثَلِي مَلُومُ
وَخَلَصْنِي مُخْلَصَ يَوْمٍ بَعَثَ إِذَا لِلنَّاسِ بُرَزَتْ الْجَحِيمُ
فارق له وأمر بإطلاقه .

وحكى ابنُ أبي الأبيض قال :

هو وابن أبي الأبيض
وأبو نواس

أَتَيْتُ أبا العتاهية فقلت له : إني رجل أقول الشعر فى الزُّهْد ، ولى فيه أشعار كثيرة ، وهو مذهبٌ أرجو ألا آثم فيه ، وقد سمعتُ شعرك فى هذا المعنى

(١) فى بعض الأصول : « غيرك » مكان « قبلك » .

وأحببتُ أن أستزيد منه ، فأحب أن تُنشدني من جيد ما قلت . فقال : أعلم أن أكثر ما قلته ردى . قلت : وكيف ! قال : لأن الشعر ينبغي أن يكون مثل أشعار الفحول المتقدمين ، أو مثل شعر بشار أو ابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظه مالا تنحفي على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيما الأشعار التي في الزهد ، فإن الزهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رواة الشعر وطلاب الغريب ، وهو مذهب أشغف الناس به الزهاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرأي^(١) والعامة ، فأعجب الأشياء إليهم ما فهموه . فقلت : صدقت . ثم أنشدني قصيدته التي يقول فيها :

لِدُوا لِلدَّوْتِ وَأَبْنُوا لِلْخَرَابِ فَكَلِّكُمْ يَصِيرُ إِلَى^(٢) ذَهَابِ
أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرْ مِنْكَ بُدًّا أَتَيْتَ وَمَا تَخَافُ^(٣) وَمَا تُحَابِي
كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشِيبِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي

قال : فصرتُ إلى أبي نواس فأعلمته ما دار بيننا . فقال : والله ما أحسب في شعره^(٤) بعد ما أنشدك بيتاً آخر . فصرتُ إليه فأخبرته بقول أبي نواس . فأنشدني قصيدته التي يقول فيها :

طُولُ التَّعَاشُرِ بَيْنَ النَّاسِ مَمْلُوءُ مَا لِبْنِ آدَمَ إِنْ كَشَفَتْ^(٥) مَقْعُولُ
يَا رَاعِيَ النَّفْسِ لَا تَغْفِلِ رِعَايَتَهَا فَأَنْتَ عَنْ كُلِّ مَا اسْتَرْعَيْتَ مَسْئُولُ
إِنِّي لَفِي مَنْزِلٍ مَا زِلْتُ أَعْمُرُهُ عَلَى يَقِينٍ بَأْتَى عَنْهُ مَنَقُولُ
وَلَيْسَ مِنْ مَوْضِعٍ يَأْتِيهِ ذُو نَفْسٍ إِلَّا وَلِلْمَوْتِ سَيْفٌ فِيهِ مَسْئُولُ

(١) في بعض الأصول : « الرياء » .

(٢) في بعض الأصول : « تباب » ، وهو الهلاك .

(٣) في بعض الأصول : « وما تخاف » .

(٤) في بعض الأصول : « مثل ما » مكان « بعد ما » .

(٥) في بعض الأصول والديوان : « فتشت » مكان « كشفت » .

لم يُشغَل الموتُ عَنَّا مُذْ أُعِدَّ لَنَا وَكُنَّا عَنْهُ بِاللَّذَاتِ مَشْغُولِ
وَمَنْ يَمُتْ فَهُوَ مَقْطُوعٌ وَمُجْتَنَبٌ وَالْحَيُّ مَا عَاشَ مَغْشَى وَمَوْصُولِ
كُلُّ مَا بَدَاكَ فَالْآجَالُ فَانِيَةٌ وَكُلُّ ذِي أَكْلٍ لَا بُدَّ مَا كُولِ
ثم أنشدني عِدَّة قصائد، ما هي بدون هذه . فصرتُ إلى أبي نُوَاس فأخبرته .
فتغير لونه، وقال : لم خَبرته بما قلتُ ! قد والله أجاد ! ولم يقل فيه سوءاً .

وحكى أبو العتاهية قال :

هو والمهدى وقد
ماتت له بنت

ماتت بنتُ المهدى فحزن عليها حُزناً شديداً حتى أمتنع من الطعام . فقلت
أبياتاً أعزّيه فيها ، فوافيته وقد سَلا وَضَحِكَ وأكل وهو يقول : لا بُدَّ من
الصَّبر على ما لا بُدَّ منه ، ولئن سَلَوْنَا عَنْ فَقْدِنَاهُ لَيَسْلُونَّ عَنَّا مِنْ يَفْقَدُنَا ، وما يَأْتِي
الليلُ والنهار على شيء إلا أبلياه . فلما سمعتُ هذا منه ، قلت : يا أمير المؤمنين ،
أتأذن لي أن أنشدك ؟ قال : هات . فأنشدته :

مَا لِجَدِيدَيْنِ لَا يَبْلَى اخْتِلَافُهُمَا وَكُلُّ غَضٍّ جَدِيدٍ فِيهِمَا بَالِي
يَا مَنْ سَلا عَنْ حَبِيبٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ كَمْ بَعْدَ مَوْتِكَ أَيْضاً مِنْ فَتَى سَالِي
كَانَ كُلُّ نَعِيمٍ أَنْتَ ذَائِقُهُ مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ يَحْكِي لُذَّةَ الْآلِ
لَا تَلْعَبَنَّ بِكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَرَى مَا شَتَّ مِنْ غَيْرٍ فِيهَا وَأَمْثَالِ
مَا حِيلَةُ الْمَرْءِ إِلَّا كُلُّ صَالِحَةٍ أَوْ لَا فَمَا حِيلَةٌ فِيهِ لِحُتَالِ

فقال لي : أحسنت ! ويحك ! وأصبتَ ما في نفسي ووعظتَ فأوجزت ! ثم
أمر لي لكل بيت ألف درهم .

وقيل :

شعر له في سلم
سمعه المأمون

أنشد المأمون يتي^(١) أبي العتاهية مخاطباً سَلماً الخاسر :

(١) في بعض أصول الأغاني : « بيت » بالإفراد : ولم يرد فيها غير الأول من البيتين .

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذل الحرصُ أعناق الرجال
 هب الدنيا تساق إليك جمعاً أليس مصيرُ ذاك إلى زوال
 فقال المأمون : إن الحرصَ لفسدةٌ للدين والروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ
 قط حِرْصاً ولا شَرْهاً فرأيتُ فيه مُصْطنعاً . فبلغ ذلك سلماً ، فقال : ويلي على
 الخنث الخزاف الزنديق ! جمع الأموال فكثرتها ، وعباً^(١) البدر في بيته ، ثم
 ترهد مرآةً ونفاقاً ، وأخذ يهتف بي إذا أنا تصدّيت للطلب .

هو والجماز في
 حضرة قثم

وحكى بعضهم قال :

كنت عند قثم بن جعفر بن سليمان ، وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ،
 فقال : اطلب الساعة الجمارَ حيث كان ، ولك عندي ما شئت . فطلبته فوجدته
 عند ركن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجب الأمير . فقام حتى أتى قثم ،
 وجلس في ناحية مجلسه ، وأبو العتاهية يُنشد . فأنشأ الجمار يقول :

ما أفتح التزهيد من واعظٍ يزهد الناس ولا يزهدُ
 لو كان في تزهيده صادقاً أضى وأمسى بيئته المسجد
 يخاف أن تنفد أرزاقه والرزق عند الله لا ينفد
 والرزق مقسوم على من ترى يناله الأبيض والأسود

فالتفت أبو العتاهية وقال : من هذا ؟ قالوا : هذا الجمار ، وهو ابن أخت سلم
 الخاسر ، أقتصن لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ! إني لم أذهب حيث
 ظننت ولا حيث ظن خالك ، ولا أردت أن أهتف به ، وإنما خاطبته كما يخاطب
 الرجل صديقه ، والله يغفر لكما . ثم قام وخرج .

(١) البدر : جمع بدرة . وهي كيس فيه ألف ، أو عشرة آلاف درهم .
 ٢ - ٣٢ - ج ٢ - ق ١ تجريد الأغاني

أهدى الفضل نعلًا
فأهداها للأمين
فجأزاه

وقيل :

لما دخل عَوْنٌ، حاجب الفضل بن الربيع، على الفضل، وقد عَزَمَ على الرُّكوب
إلى محمد بن زُبَيْدَةَ الأَمِين، فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلِّمُ عليك وقد قَدِمَ من مكة.
فقال : أَعَفَى منه، فالساعة يشغلني عن ركوبي . فخرج إليه عَوْنٌ فقال : إنه
على الرُّكوب إلى أمير المؤمنين . فأخرج من كُفِّه نعلًا على شِرا كها كتابٌ . فأمر
بقراءته ، فإذا هو :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسها قدَمَ^(١) بها تمشي إلى المَجْدِ
لو كان يَصْلُحُ^(٢) أن أُشَرَّ كها خَدَى جعلتُ شِرا كها خَدَى

فقال لحاجبه عَوْنٌ : أحمِلها معنا . فلمَّا دخل بها على الأَمِين ، قال له :
يا عَبَّاسِي ، ما هذه النعل ؟ قال : أهداها إلى أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ،
وكان أمير المؤمنين أولى بلبسها لِمَا وُصِفَ به لابُسها . فقال : وما هما ؟ فقراها
عليه . فقال : أجاد والله ! ما سَبَقَه إلى هذا المعنى أحد ، هَبْوا له عشرة آلاف
درهم . فأخرجت إليه في بَذرة وهو راكِبٌ على حماره . فقُبِضَها وأنصرف .

وقيل : كتب بكر بن المَعْتَمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضيق القَيْدِ وعَمِّ
الجَبَسِ ، فكتب إليه أبو العتاهية :

هي الأيام والغِيرُ وأمر الله^(٣) مُنْتَظِرُ
أتياسُ أن ترى فرجًا فأين الله والقَدَرُ

وقيل :

هو وأعرابي مر به
في الحج

حَجَّ أبو العتاهية فرأى أعرابيًا في ظِلِّ مِيلٍ^(٤) وعليه شَمْلَةٌ ، إذا غَطَّى

(١) في بعض الأصول : « قرم » وهو السيد .

(٢) أشركها : أجعل لها شراكا .

(٣) في بعض الأصول : « والعبر ... ينتظر » مكان « والغير منتظر » .

(٤) الميل : مئذنين للمسافرين في مرتفع من الأرض .

بها رأسه بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وإذا غَطَّى بها رِجْلَيْهِ بدا رأسُهُ . فقال : مِنْ أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشر الحاجِّ ، تمرُّون بنا فننال من فضولكم ، وتنصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنما تمرُّ وتنصرف في وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم في سائر السَّنَةِ ؟ فقال الأعْرَابِيُّ : لا أدري ما أقول ، إلا أنا نُرزق من حيث لا نحْتَسِبُ أكثر مما نُرزق من حيث نحْتَسِبُ . فوَلَّى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدُّنْيَا دَعِ الدُّنْيَا لِشَانِكَ
وما تصنع بالدُّنْيَا وظِلِّ المِيلِ يَكْفِيكَ

وقيل :

إعجابه بشعر ابن
أبي أمية

حَضَرَ أبو العتاهية عند جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك ، فقال لجعفر : جعلني الله فداك ! معكم شاعر يُعرف بابن أبي أمية ، أحب أن أسمعهُ يُنشد . فقال له جعفر : هو أقرب الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على محمد بن أبي أمية ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشدَه . فأنشدَه لنفسه :

رُبَّ وعْدٍ منك لا أنساه لي أوْجِبَ الشُّكْرَ وإن لم تَفْعَلِ
أقطع الدهرَ بوعْدٍ حَسَنٍ وأجَلِّ غَمْرَةً ما تَنَجَّلِي
كلُّنا أَمَلْتُ يوماً صالِحاً عَرَضَ المَكْرُوهَ لي^(١) في أَمَلِي
وأرى الأيامَ لا تُدْني الذي أرتجى منك وتُدْني أَجَلِي

فأقبل أبو العتاهية يردِّد البيت الأخير ويَقْبِلُ رأس ابن أبي أمية ، وقال : وَدِدْتُ والله أنه لي بكثيرٍ من شِعْرى .

وقيل :

بنساء وإياؤه
ترويح إحداهما
لابن المهدي

كان لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداهما « الله » والأخرى « بالله » . فخطب

(١) في بعض الأصول : « دون الأمل » مكان « لي في أمل » .

مَنْصُورِ بْنِ الْمَهْدِيِّ «لِلَّهِ»، فَلَمْ يَرْوِجْهُ، وَقَالَ: إِنَّمَا طَلَبَهَا لِأَنَّهَا بِنْتُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ،
وَكُلَّيْ بِهَا قَدْ مَلَّهَا، فَلَمْ يَكُنْ لِي إِلَى الْإِتِّصَافِ مِنْهُ سَبِيلٌ، وَمَا كُنْتُ أَرْوِّجُهَا
إِلَّا بِيَانِ خَزَفٍ وَجِرَارٍ، وَلَكِنِّي أَخْتَارُهُ لَهَا مُوسِرًا.

وَكَانَ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ ابْنٌ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ، وَكَانَ شَاعِرًا، وَهُوَ الْقَاتِلُ:

ابنه محمد

قَدْ أَفْلَحَ السَّلَامُ الصَّمُوتُ كَلَامُ رَاعِي الْكَلَامِ قُوتُ
مَا كُلُّ نَظْمٍ لَهُ جَوَابُ جَوَابُ مَا يُكْرَهُ الشُّكُوتُ
يَا عَجَبًا لِأَمْرِي ظُلُومٍ مُسْتَيْقِنٍ أَنَّهُ يَمُوتُ

وَحَكَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ بْنُ سَهْلٍ الْكَاتِبُ قَالَ:

استنشد ابن
الحسن الكاتب

قُلْتُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ: أَنْشِدْنِي مِنْ شِعْرِكَ مَا تَسْتَحْسِنُ. فَأَنْشَدَنِي:

مَا أَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ وَأَسْرَعَ الْأَشْهُرَ فِي الْعُمُرِ
لَيْسَ لَهَا لَيْسَتْ لَهُ حِيلَةٌ مَوْجُودَةٌ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ
فَاخْطُ مَعَ الدَّهْرِ إِذَا مَا خَطَا وَأَجِرْ مَعَ الدَّهْرِ كَمَا يَجْرَى
مَنْ سَابَقَ الدَّهْرَ كَمَا كَبُوتَةٌ لَمْ يَسْتَقِلْهَا آخِرَ الْعُمُرِ

وَلَوْ كَرَّ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ قَالَ:

أنشد الفضل في
البرامكة فتغير له

مَا زَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ مِنْ أَمِيلِ النَّاسِ إِلَى، فَلَمَّا رَجَعَ مِنْ خُرَاسَانَ بَعْدَ

مَوْتِ الرَّشِيدِ دَخَلَتْ إِلَيْهِ، فَأَسْتَشْدَنِي فَأَنْشَدْتُهُ:

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ إِدْبَارًا وَإِقْبَالًا تَبَغَّى الْبَنِينَ وَتَبَغَّى الْأَهْلَ وَالْمَالَا
الْمَوْتُ هَوْلٌ فَكُنْ مَا عِشْتَ مُلْتَمَسًا مِنْ هَوْلِهِ حِيلَةٌ إِنْ كُنْتَ مُحْتَالَا
أَلَمْ تَرَ لِلْمَلِكِ الْأُمْسَى حِينَ مَضَى هَلْ نَالَ حَيْثُ مِنَ الدُّنْيَا كَمَا نَالَا
أَغْنَاهُ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُغْنِي الْقُرُونُ فَقَدْ أَخْبَى فَأَصْبَحَ عَنْهُ الْمَلِكُ قَدْ زَالَا
كَمْ مِنْ مُلُوكٍ مَضَى رَبِيبُ الزَّمَانِ بِهِمْ قَدْ أَصْبَحُوا عِبْرًا فِينَا وَأَمَالَا

فأستحسنها وقال : أنت تعرف شغلي ، فعد إلي وقت فراغي أقعد معك وأنس بك . فلم أزل أراقب أيامه حتى كان يوم فراغه ، فصرت إليه ، فيينا هو مُقبل عليّ يستنشدني فأنشده ، ويسألني فأحدثه ، إذ أنشدته :

وَلِيَ الشَّبَابُ فَمَالَهُ مِنْ حِيلَةٍ وَكَسَا ذُؤَابَتِي الْمَشِيبُ خِمَارًا
أَيْنَ الْبِرَامِكَةِ الَّذِينَ عَهَدْتُهُمْ بِالْأَمْسِ أَعْظَمَ أَهْلَهَا أخطارًا
فَلَمَّا سَمِعَ ذَكَرَ الْبِرَامِكَةَ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَرَأَيْتُ الْكَرَاهِيَةَ فِي وَجْهِهِ . فَمَا رَأَيْتُ مِنْهُ خَيْرًا بَعْدَ ذَلِكَ .

وكان أبو العتاهية يحدث بهذا الحديث أبا محمد بن سهل ، فقال له : لئن كان ذلك ضررك عند الفضل بن الربيع لقد نفعتك عندنا . ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، وأجرى له كل شهر ثلاثة آلاف درهم . فلم يزل يقبضها دارة حتى مات .

قلت :

تمقيب لابن واصل
عن الفضل بن
الربيع

وكان الفضل بن الربيع عدوًا للبرامكة بسبب تقدمهم عليه وأستيلائهم على الرشيد ، وما زال يضرب عليهم عند الرشيد ، ويسعى في إفساد أمرهم . فلما أوقع بهم الرشيد ، وقتل جعفر بن يحيى ، استقل الفضل بأمر الرشيد في آخر أيامه . ثم قام بأمر محمد بن الأمين وأفسد بينه وبين أخيه المأمون . فلما ظهر المأمون استخفى الفضل ، ثم أتمته المأمون ، وكان عنده نازل الرتبة .

وحكى أبو العتاهية قال :

حَبَسَنِي الرَّشِيدُ لَمَّا تَرَكْتُ قَوْلَ الشَّعْرِ ، فَادْخَلْتُ السَّجْنَ وَأَغْلَقَ الْبَابَ عَلَيَّ .
فَدَهَشْتُ كَمَا يَدْهَشُ غَيْرِي لِتِلْكَ الْحَالِ ، فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ جَالِسٍ فِي جَانِبِ الْحَبْسِ ،
فَجَعَلْتُ أَنْظُرَ إِلَيْهِ سَاعَةً وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

مع داعية عيسى بن
زيد في السجن

تَعَوَّدْتُ مَسَّ الضَّرِّ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَأَسَامَنِي حُسْنَ الْعِزَاءِ إِلَى الصَّبْرِ
وَضَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ النَّاسِ رَاجِيًا لِحُسْنِ صَنِيعِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

فقلت له : أعد ، أعزك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلك يا أبا العتاهية !
ما أسوأ أدبك ، وأقل عقلك ! دخلت على الحبس فما سمعت تسليم المسلم على
المسلم ، ولا سألت مسألة الحر للحر ، ولا توجعت توجع المبتلى للمبتلى ، حتى إذا
سمعت بيتين من الشعر ، الذي لا فضل فيك غيره ، لم تصبر عن استعادتهما ، ولم
تقدم قبل مسألتك عنهما عذراً في طلبهما . فقلت : يا أخي ، إنني دهشت لهذه
الحال ، فلا تعذلي وأعذري متفضلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدهش والخيرة ،
لأنك حبست في أن تقول شعراً به ارتفعت وبلغت ، فإذا قلت أمنت ، وأنا
مأخوذ بأن أدل على ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتل أو أقتل دونه ، والله
لا أدل عليه أبداً ، والساعة يدعى بي فأقتل ، فأينا أحق بالدهش ! فقلت : أنت
والله ! سلمك الله وكفاك ! ولو علمت أن هذه حالك ما سألتك . فقال :
فلا نبخل عليك إذن . ثم أعاد البيتين حتى حفظتهما . قال . فسألته : من هو ؟
فقال : أنا داعية عيسى بن زيد وأبنة أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوت الأفيال .
فقام فسكب عليه ماء كان عنده في جرة ، ولبس ثوباً نظيفاً . ودخل الحرس
والجند ومعهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقدم إلى الرشيد قبلي ، فسأله عن أحمد
ابن عيسى ، فقال : لا تسألني عنه وأصنع ما أنت صانع ، فلو أنه تحت ثوبي هذا
ما كشفت عنه . فأمر بضرب عنقه . ثم قال : أظنك قد أرغعت يسماعيل ؟
فقلت : دون ما رأيته تسيل النفوس منه . فقال : ردوه إلى محبسه . فرددت
وأتحت البيتين ، وزدت فيهما :

إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما تكرهت منه طال عتبي على الدهر

وقيل :

تمثل المعتصم
ببيتين له

لما أحسن المعتصم بالله أبو إسحاق بن الرّشيد بالموت ، قال لأبْنِه الوائق :
ذهب والله أبوك يا هارون ! لله دَرُّ أبي العتاهية حيث يقول :

الموتُ بين الخلق مُشْتَرِكُ لا سُوقَةٌ يَبْقَى ولا مَلَكُ
ما ضَرَّ أَصْحَابُ القليل وما أَغْنَى عن الأملاك ما مَلَكُوا

وقيل :

فضله أبو تمام
بخمسة أبيات

قال أبو تمام الطائي الشاعر : لأبي العتاهية خمسة أبيات ما يَشْرِكُه فيها
أحد ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا مُتَأَخِّر ، وهى قوله :

الناسُ فى غَفَلاتهم وَرَحَى المنيّة تَطْحَنُ

وقوله فى موسى الهادى :

ولما أَسْتَقْلُوا بِأَقْلالهم وَقَدْ أَرْمَعُوا بِالَّذى أَرْمَعُوا
قَوْنَتْ التَّفاقى بِأَثَرهم وَأَتَبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً تَدْمَعُ

وقوله لأحمد بن يوسف :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الفَقْرَ يُرْجى لَهُ العِغَى وَأَنَّ العِغَى يُخْشى عَلَيْهِ مِنَ الفَقْرِ

وقوله :

هَبِ الدُّنيا تَصيرُ إِلَيْكَ عَفْواً أليس مَصيرُ ذاكِ إلى زوالِ

وقيل :

عزّاه لبغدادى
فى أخيه

مات شيخ ببغداد ، فلما دُفِنَ أَقبل الناس على أخيه يُعزّونه . فجاء أبو العتاهية

إليه وبه جزع شديد ، فعزّاه ثم أنشده :

لا تَأْمِنِ الدَّهْرَ وَالْبَسَ لِكُلِّ حينِ لِبَاساً
لَيَـدْفِنَنَّا أناسٌ كما دَفِنّا أناساً

فأنصرف الناس وما حفظوا غير قول أبي العتاهية .

وقيل :

جائزة ابن مزيد
له وقد أنشده

قال أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مزيد فأنشدته قصيدتي التي

أقول فيها :

وما ذاك إلا أنني واثق بما لديك وأنت عالم بوفائك
كأنك في صدرى إذا جئت زائراً تُقدِّر فيه حاجتى بأبتدائك
وإن أمير المؤمنين وغيره ليَعْلَم في الهجاء فضل غنائكا
كأنك عند الكرم في الحرب إنما تفر من السلم الذي من ورائكا
فأآفة الأملاك غيرك في الوغى ولا آفة الأموال غير حباكا
قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ودابة بسرجهما ولجامها .

وقيل :

راهب يعظ بشمره

مرَّ عابد براهب في صومعة ، فقال : عظمي . فقال : أعظك وعليكم نزل القرآن ،
ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قريب العهد بكم ! قلت : نعم . قال : فأتعظ بييت
من شعر شاعركم أبي العتاهية حيث يقول :

تجرّد من الدنيا فإنك إنما وقعت إلى الدنيا وأنت تجرّد

وقيل :

بينه وبين إبراهيم
ابن المهدي وقد
رماه بالزندقة

بلغ أبا العتاهية أن إبراهيم بن المهدي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ،
فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، فأدّى إليه إسحاق
الرسالة . فكتب إليه إبراهيم أياتاً منها :

إني رأيتك مظهرًا لزهادية تحتاج منك لها إلى أشباه
ما الزهد من رجل ألدّ مكذب بالبعث غير ضلالة وسفاه

وأرى المقالة غير صالحة وإن
 إن كان بُسِ الصُّوف حُجَّتْكَ التي
 أرجو فدَعَا فإنتى لك ناهي
 منك السَّريرة غيرُ حَبيل واهي
 لا شيء يُقْبَل منك إلا ما به
 والأمر بعدُ عليك ويحك واسع
 أظهرت سَمْتَ الصَّالح الأَوَّاه
 حَكَمْتُ عَلَيْكَ نَوَاطِقُ الأَفْوَاه
 ما لم تَكُنْ يَلاهِياً بِاللَّاهِي

وقيل :

شعره الذي غنى
 فيه الملاحون
 الرشيد

كان الرَّشِيدُ يَعْجِبُهُ غِنَاءُ الْمَلَّاحِينَ فِي الزَّلَّالَاتِ^(١) إِذَا رَكِبَهَا ، وَكَانَ يَتَأَذَى
 بِفَسَادِ كَلَامِهِمْ وَخَلْمِهِمْ . فَقَالَ : قُولُوا لِمَنْ مَعَنَا مِنَ الشُّعْرَاءِ يَعْمَلُ لِهَوْلَاءِ شِعْراً
 يَغْنُثُونَ فِيهِ . فَقِيلَ لَهُ : لَيْسَ أَحَدٌ أَقْدَرَ عَلَى هَذَا مِنْ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ ، وَهُوَ فِي الْخَبْسِ .
 فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ : قُلْ شِعْراً حَتَّى أَسْمِعَهُ مِنْهُمْ . قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : وَلَمْ يَأْمُرْ
 بِإِطْلَاقِي ، فَعَاطَلَنِي ذَلِكَ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَقُولُ شِعْراً يَحْزَنُهُ وَلَا يَسْرُهُ . فَعَمَلْتُ فِيهِ
 شِعْراً وَدَفَعْتُهُ إِلَى مَنْ حَفَظَهُ مِنَ الْمَلَّاحِينَ . فَلَمَّا رَكِبَ سَمِعَهُ ، وَهُوَ :

خَانَكَ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ أَيُّهَا الْقَلْبُ الْجُمُوحُ
 لِدَوَاعِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ دُنُوءٌ وَنُزُوحُ
 هَلْ لَطْلُوبٌ بِذَنْبٍ تَوْبَةٌ مِنْهُ نَصُوحُ
 كَيْفَ إِصْلَاحُ قُلُوبٍ إِنَّمَا هُنَّ قُرُوحُ
 أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ انْخَطَايَا لَا تَفُوحُ
 فَإِذَا الْمُسْتُورُ مِّنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ نُصُوحُ
 كَمْ رَأَيْنَا مِنْ عَزِيزٍ طُوِيَ عَنْهُ الْكُشُوحُ
 صَاحٍ مِنْهُ بِرَحِيلٍ صَاحٍ الدَّهْرُ الصَّدُوحُ

(١) الزَّلَّالَاتُ : نَوْعٌ مِنَ السَّفِينِ .

موتُ بعض الناس في الأر ض على قوم فتوح
سيصير المرء يوماً جسداً ما فيه روح
بين عيني كلِّ حيِّ عَلمُ الموت يلوح
كلُّنا في غفلةٍ وال موتُ يَفْدُو ويرُوح
لبنى الدنيا من الدُّنْ يا غَبوقُ وصَبوح
رُحْن في الوشَى وأصبح من عليهنَّ السُّوح
كلُّ نَطَّاح من الدَّه ر له يومُ نَطُّوح
نُحْ على نَفْسك يا مِسْ بَكِينُ إن كنت تنوح
لتموتنَّ ولو عُمَّ رتَ ما عُمر نُوح

فلما سمعها الرشيدُ جعل يبكي ويَلْتَحِب، وكان الرّشيد من أغزر الناس دموعاً
في وقت الموعظة ، وأشدّهم عَسْفاً في وقت الغضب والعِلْظة . فلما رأى الفضلُ
ابن الرّبيع كثرة بُكائه أوماً إلى الملاحين أن يسكتوا .

وقيل :

شعره حين عقد
الرشيد ولاية العهد
لأبنائه

لما عقد الرشيدُ ولاية العهد بعده لمحمد الأمين ، وعبد الله المأمون ، والقاسم
المؤمن ، قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الرّبع المُخيل قَعودي إلى ذى زُحوفٍ ^(١) جَمَّة وجُنود
وراعٍ يُراعى اللّيل في حِفْظ أُمَّة يُدافع عنها الشرَّ غير رَقود
بألوية جبريل يُقدِّم أهلها ورايات نصرٍ حوله وبُنود
تُجافى عن الدُّنيا وأيقن أنها مُفارقةٌ ليست بدار خلود
وشدَّ غرى الإسلام منه بِفِتية ثلاثة أملاكٍ وُلاة عُهُود

(١) زحوف : جمع زحف ، وهو الجيش .

هُمْ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ مَضَتْ وَجُودُ
 بَنُو الْمُصْطَفَى هَارُونَ حَوْلَ سَرِيرِهِ فَخَيْرُ قِيَامٍ حَوْلَهُ وَقُعُودُ
 تُقَلِّبُ الْحَاطِظَ الْمَهَابَةَ بَيْنَهُمْ عِيُونُ ظِبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدُ
 فوصله الرشيد صلةً ما وصل بها شاعراً قط .

تعقيب لابن واصل
 في ولاية عهد
 الرشيد

قلت : إنَّ الرشيد جعل الأمر بعده لهؤلاء الثلاثة على الترتيب ، وقسم الدنيا
 بينهم ، وأخذ عليهم الموائيق والعهود ألا ينكثوا ولا ينقضوا ما عقده . وأنزل
 المأمون بخراسان وضمَّ إليه جنوداً كثيرة . فلما بويع محمد الأمين بالخلافة أغراه
 الفضل بن الربيع بنقض عهد المأمون وتحويل العهد إلى ابنه موسى ، ولقبه الناطق ،
 وسير محمد الأمين عسكرياً كبيراً لقتال أخيه المأمون ، وقدم عليهم علي بن عيسى
 ابن ماهان . فسير المأمون للقاء علي طاهر بن الحسين ، فقتل علي ، واحتوى
 طاهر على عسكريه . وبايع المأمون أهل خراسان بالخلافة وخلعوا الأمين . فقدم
 طاهر العراق وحاصر الأمين حتى ظفر به وقتله وبعث برأسه إلى المأمون ، وصفت
 الدنيا للمأمون .

طلب ملك الروم
 له

وقيل :

قدم رسول ملك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية ، فلقبه
 أبو العتاهية . فأنشده شيئاً من شعره ، وكان يحسن العربية ، فمضى إلى بلاد الروم
 وذكره للملك . فكتب ملك الروم إلى الرشيد يسأله أن يوجه إليه بأبي العتاهية
 ويأخذ فيه رهائن من أراد ، وألح في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في هذا .
 فاستغنى منه وأباه . وأتصل بالرشيد أن ملك الروم أمر أن يكتب بيتان من
 شعر أبي العتاهية على أبواب مجالسه وباب مدينته ، وهما :

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في الفلك
 إلا لنقل السلطان عن ملك قد أنقض ملكه إلى ملك

بينه وبين الرشيد
وقيل : بعد ما أطلقه

إِنَّ الرَّشِيدَ لَمَّا أَطْلَقَ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ مِنَ الْحَبْسِ لَزِمَ بَيْتَهُ وَقَطَعَ النَّاسَ عَنْهُ .
فَذَكَرَهُ الرَّشِيدُ فَعَرَّفَ خَبْرَهُ . فَقَالَ : قُولُوا لَهُ : صِرْتُ زِيرَ نِسَاءٍ وَحِلْسٍ^(١)
بَيْت . فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَبُو الْعَتَاهِيَةَ :

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وَأَخْلَقَهُمْ فَصِرْتُ أَسْتَأْنَسُ بِالْوُحْدَةِ
مَا أَكْثَرَ النَّاسَ لَعَمْرَى وَمَا أَقْلَهُمْ فِي حَاصِلِ^(٢) الْعِدَّةِ
ثُمَّ قَالَ : لَا يَمُضِي^(٣) شَعْرٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَيْسَ فِيهِ مَدْحٌ لَهُ . فَقَرَنَ هَذَيْنِ
بِأَرْبَعَةِ آيَاتٍ مَدَحَهُ بِهَا ، وَهِيَ :

عَادَلِي مِنْ ذِكْرِهَا نَصَبُ فِدْمُوعِ الْعَيْنِ تَذَنُّبُ
وَكَذَلِكَ الْحُبُّ صَاحِبُهُ يَعْتَرِيهِ الْهَمُّ وَالْوَصَبُ
خَيْرٌ مَا يُرْجَى وَمَنْ يَهَبُ مَلِكٌ دَانَتْ لَهُ الْعَرَبُ
وَحَقِيقٌ أَنْ يُدَانَ لَهُ مِنْ أَبْوَةِ النَّبِيِّ أَبُ

بينه وبين الرشيد
وقد استوعظه

وقيل : قَالَ الرَّشِيدُ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةَ : عِظْنِي . فَقَالَ لَهُ : أَخْفَاكَ . فَقَالَ : أَنْتَ آمِنٌ .
فَأَنشَدَهُ :

لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرْفٍ وَلَا نَفْسٍ إِذَا تَسَلَّتْ بِالْأَبْوَابِ وَالْحَرَسِ
وَأَعْلَمُ بِأَنْ سِيَهَامَ الْمَوْتُ قَاصِدَةً لِكُلِّ مُدَرِّجٍ مَنَا وَمُتَّسِ
تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَا تَسْلُكُ^(٤) مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ

(١) حلس بيت : أى ملازمه . وهو مما يذم به الرجل .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « فى منتهى » .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « لا ينبغي أن يمضى » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « طريقها » مكان « مسالكها » .

فبكى الرشيدُ حتى بلَّ كُمَّهُ .

وقيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ قال : أشتهى أن يمحيءُ مخارق ^{مثل عند الموت} عما يشبهه فأجاب ^{فيمضيه} فيضع فمه على أذني فيغنييني :

سِعْرَضُ عَنْ ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ
إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مُدَّتِي فَإِنَّ غَنَاءَ الْبَاكِيَاتِ قَلِيلُ
وقيل :

شعره في مرضه
الأخير

إن آخر شعر أبي العتاهية الذي قاله في مرضه الذي مات فيه هو :

إلهي لَا تُعَذِّبْنِي فَإِنِّي مُقَرَّرٌ بِالَّذِي قَدْ كَانَ مِنِّي
فَمَا لِي حِيلَةٌ إِلَّا رَجَائِي لِعَفْوِكَ فَاحْطِطِ الْأَوْرَارَ^(١) عَنِّي
وَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الْخَطَايَا وَأَنْتَ عَلَيَّ ذُو فَضْلٍ وَمَنْ
إِذَا فَكَّرْتُ فِي نَدَمِي عَلَيْهَا عَضَضْتُ أَنْامِلِي وَقَرَعْتُ سَنِّي
أُجِنُّ بَرْهَرَةَ الدُّنْيَا جُنُونًا وَأَقْطَعُ طَوْلَ عُمرِي فِي الْمَتْنِي
وَلَوْ أَنَّي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عَنْهَا قَلْبْتُ لِأَهْلِهَا ظَهَرَ الْمَجْنُّ
يُظَنُّ النَّاسُ بِي خَيْرًا وَإِنِّي لَشَرُّ النَّاسِ إِنْ لَمْ تَعْفَ عَنِّي

شعره الذي نذبه
به ابنته

وقيل :

قال أبو العتاهية لأبنته رُقَيْيَةَ فِي عِلَّتِهِ الَّتِي مَاتَ فِيهَا : يَا بَنِيَّةُ ، أُرْثِي أَبَاكَ
وَأُنْدِيهِ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ . فَنَدَبَتْهُ يَقُولُهُ :

لَعِبَ الْبَلْبَى بِمَعَالِمِي وَرُسُومِي وَقَبِرْتُ حَيَاتِي تَحْتَ رَدَمِ هُمُومِي
لَزِمَ الْبَلْبَى جِسْمِي فَأَوْهَنَ قُوَّتِي إِنَّ الْبَلْبَى لَمَوْكَلٌ بِلُزُومِي

(١) رواية هذا الشطر في بعض الأصول : « لعفوك إن عفوت وحسن ظني » .

وأمر أن يكتب على قبره :

ما أمر أن يكتب
به على قبره من
شعره

أُذِنَ حَيَّ تَسْمَعِي : أَسْمَعِي ثُمَّ عِي وَعِي
أَنَا رَهْنٌ بِمَضْجَعِي فَاحْذَرُوا مِثْلَ (١) مَضْرَعِي
عَشْتُ (٢) تِسْعِينَ حِجَّةً أَسْلَمْتُ لِمَضْجَعِي
كَمْ تَرَى الْحَقَّ ثَابِتًا فِي دِيَارِ (٣) التَزَعْرُوعِ
لَيْسَ زَادٌ سِوَى التَّقَى فَخُذِي مِنْهُ أَوْ دَعِي

ورثاء محمد أبنته بقوله :

رثاء أبنته له

رَحِمَ اللَّهُ مَضْرَعَكَ بَرَدَ اللَّهُ مَضْجَعَكَ

والآيات التي فيها الغناء، وأفتح بها أبو الفرج أخبار أبي العتاهية :

آياته التي فيها
الغناء

يَا وَنِجْ قَلْبِي لَوْ أَنَّهُ (٣) أَقْصَرَ مَا كَانَ عَيْشُ مَا (٤) أَرَى أَكْذَرَ
يَا مَنْ عَذِيرِي مَنْ كَلِفْتُ بِهِ يَشْهَدُ قَلْبِي بِأَنَّهُ يَسْجَرُ
يَا رَبِّ يَوْمٍ رَأَيْتُنِي مَرِحًا أَخُوضُ (٥) فِي اللَّهِو مُسْبِلَ الْمِزْرِ
بَيْنَ نَدَامَى تَحْتُ كَأَسْمِهِمْ عَلَيْهِمْ كَفُّ شَادِنِ أَحْوَرِ

وقد أفرد أبو الفرج لأبي العتاهية أخباراً مع عتبة صاحبه فأوردها في

موضع آخر .

(١) في بعض أصول الأغاني : « فاحذري » مكان « فاحذروا » .

(٢) الرواية في بعض أصول الأغاني :

عشت تسعين حجة في ديار التزعزع

(٣) أقصر : كف وانتهى .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « عيش كا » مكان « عيش ما » .

(٥) في بعض الأصول : « آخذ » مكان « أخوض » .

أخبار زُيَيدة

قال أبو الفرج :

هما اثنتان لهما صنعة : إحداها ، وهي الكبرى ، وكانت مولدة ، نشأت الكبرى والصغرى بالحجاز ثم وقعت إلى آل الربيع فعلمت الغناء في دورهم ، ثم صارت إلى البرامكة ، ثم إلى الأمين بن زُبَيْدة ، وماتت بعده .

وأما الأخرى فكانت للوائق ، ثم صارت إلى أخيه المتوكل . وكانت من الموصوفات المحسنات ، وكانت حسنة الوجه ، حادة الفطنة والفهم .

وحكى محمد بن الحارث قال :

حديث ابن الحارث
عن قصتها مع
الوائق وغيرته من
المتوكل

كانت لي نوبة في خدمة الوائق في كل جمعة ، إذا حضرت ركبْتُ إلى الدار ، فإن نشط إلى الشراب أقمتُ عنده ، وإن لم ينشط أنصرفتُ . وكان رَسْمنا ألا يحضر أحدٌ منا إلَّا في يوم نوبته . فإني لفي منزلي في غير نوبتي ، وإذا برُسل الخليفة قد هَجَموا على وقالوا : احضر . فقلتُ : أَلخَيْرُ؟ قالوا : خير . قلتُ : إنَّ هذا يومٌ لم يحضرني فيه أميرُ المؤمنين ، ولعلكم غَلِطَتم . فقالوا : الله المستعان . قم^(١) وبادر ، فقد أمرنا ألا ندعَكَ تستقرَّ على الأرض . فدَخَلَنِي فزَعٌ شديدٌ ، وخِفْتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بليَّةٌ قد حدثت في رأى الخليفة علي . فتقدمتُ بما أردتُ وركبتُ حتى وافيتُ الدار ، فذهبتُ لأدخل على رَسْمي من حيث كنتُ أدخل ، فمَنَعْتُ وأخذ بيدي الخدم فعدلوا بي إلى مِمْرَاتٍ لا أعرفها ، فزاد ذلك في جَزَعِي وغَمِّي . ثم لم يزل الخدم يُسلمونني من خادم إلى خادم حتى

(١) في بعض الأصول : « لا تطل » .

أفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحن ، مُلبَّسة الحِيطان بالوشى المنسوج بالذهب ، ثم
أفضيتُ إلى رِواقٍ أرضه وحيطانه مُلبَّسة بمثل ذلك ، وإذا الوائقُ في صدره على
سَرِيرٍ مُرَصَّعٍ بالجوهر ، وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدةٌ جاريته
عليها مثلُ ثيابه ، في حجرها عُود . فلما رآني قال : جَوَدْتُ^(١) والله يا محمد إلينا !
فقبلتُ الأرضَ ثم قلتُ : يا أمير المؤمنين ، خيراً ، قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ
والله ثالثاً يُونسنا فلم أرَ أحقَّ بذلك منك ، فبِحيايِ بادرُ فكلُّ شيئاً وبادرُ إلينا .
فقلتُ : قد والله يا أمير المؤمنين أكلتُ وشربتُ أيضاً . قال : أجلس . فجلستُ .
وقال : هاتوا لمحمد رطلاً في قدح . فأحضرتُ ذلك . ثم أندفعتُ فريدةً تُغنى :

أهابك إجلالاً وما بك قُدرةٌ على ولكن ملِّ نفسي^(٢) حبيبها
وما هجرتك النفسُ يا ليلَ أنها قلنك ولا أن قلَّ منك نصيبها
ولكنهم يا أحسنَ الناس أولعوا بقولٍ إذا ما جئت : هذا حبيبها

فجاءتُ والله بالسَّحر ، وجعل الوائقُ يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تُغنى الصوتُ بعد
الصوت . وأغنى أنا خلال غنائها . فمرَّ لنا يومٌ أحسنُ ما مرَّ لأحد . فإنا لكذلك
إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريدةً ضربةً تدرجتُ منها من أعلى السرير إلى
الأرض ، وتفتت عُودُها ، ومَرَّتْ تعدو ، وتَصيحُ وبقيتُ كالمنزوع الروح ، ولم أشكَّ
في أنَّ عَيْنه وقعتْ عليها وقد نظرتُ إلى أو نظرتُ إليها ، فأطرق ساعةً إلى الأرض
مُتَحَيِّراً ، وأطرقتُ أتوقعُ ضَرْبَ العُنق . فإني لكذلك إذ قال : يا محمد . فوثبتُ
قائماً . فقال : ويحك ! أرايتَ أعجبَ مما تهَيَّأ علينا ! فقلتُ : يا سيدي ، الساعةُ
والله تخرج رُوحى ، فعلى مَنْ أصابنا بعينِ لعنة الله ! فما كان السببُ ؟ أَلذنبُ ؟
قال : لا والله ، ولكن فكرتُ في أن جعفرًا يقعدُ هذا المقعد وتقعُد معه كما هي

(١) جودت : أسرعت .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « عين » مكان « نفسي » .

قاعدة معي ، فلم أطق الصبر ، وخامرني ما أخرجني إلى ما رأيت . فسُرِّي عني وقلت : بل يقتل الله جعفرًا ويحيا أمير المؤمنين أبدًا ، وقبّلت الأرض وقلت : يا سيدي ، الله الله ! أرجمها ومُرِّ بَرَدَهَا . فقال لبعض الخدم الوقوف من يحيي بها . فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها ، فلما رآها جذبها إليه وعانقها . فبكت ، وجعل يبكي ، وأندفعت أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ؟ وبأي شيء أستوجب هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي . فقالت : سألتك بالله يا أمير المؤمنين ألا ضربت عني الساعة وأرحتني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهم بي . وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسح عينيَّهما ، ثم رجعت إلى الغناء . وأومأ إلى خدام وقوف بشيء لا أعرفه . فمضوا وأحضروا أكياسًا فيها عَيْنٌ وورق^(١) ورزماً فيها ثياب كثيرة . وجاء خادمٌ بدُرَجٍ ، ففتحه وأخرج منه عقدًا ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه ، فألبسه إياها ، وأحضرت بَدْرَةَ فيها عشرة آلاف درهم فحلت بين يدي ، وخمسة تُخوت فيها ثياب ، وعُدْنَا إلى أمرنا وإلى أحسن ما كُنَّا . فلم نزل كذلك إلى الليل ، ثم تفرقنا ، وضرب الدهر ضرباته وتوفى الواثق وتقلد المتوكل الخلافة . فوالله إنني لفي منزلي في غير نوبتي إذ هجم عليَّ رسل الخليفة ، فما أمهلوني حتى ركبْتُ وصرتُ إلى الدار ، فأدخلت والله الحجرة بعينها ، وإذا المتوكل في الموضع الذي كان فيه الواثق وعلى السرير بعينه ، وإلى جانبه فريدة . فلما رآني قال لي : ويحك ! أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوة أطلبها بأن تُغني ، فتأبى ذلك . فقلت : سبحان الله ! أتخالفين سيدك وسيدنا وسيد البشر ! بحياته غني . فضربت والله ثم أندفعت تُغني :

مقيم بالجازة من قنوني وأهلك بالأجيفر^(٢) فالتماد

(١) العين : الذهب . والورق : الفضة . (٢) المجازة : من منازل طريق مكة .

وقنوني : واد من جهة مكة . والأجيفر : موضع في بلاد قيس . والتماد : موضع في ديار بني تميم .

فلا تَبْعَدُ فكلُّ فتى سيأتى عليه الموتُ يطرق أو يُغادى

ثم ضربت بالعود الأرض ورمت بنفسها عن السرير ، ثم مرّت تعدو
وتصيح : وا سيداه ! فقال لى : ويحك ! ماهذا ؟ فقلت : لا أدرى والله يا سيدي .
قال : فما ترى ؟ قلت : أرى والله يا سيدي أن أنصرف وتحضر هذه ومعها
غيرها ، فإن الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فأنصرف في حفظ الله .
فانصرفت ولم أدر ما كانت القصة ^(١) .

(١) ساق ابن واصل بعد الحديث عن « فريدة » أخبار « ذى الطمحان القيى » وموضعها في الجزء
الحادى عشر من المطبوع . وهذا مكانها في المخطوطات أيضاً . فآثرنا ما عليه الكثرة وأخرنا هذه الترجمة
إلى مكانها .

أخبار أمية بن أبي الصلت

وأسم أبي الصلت عبد الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عذرة بن عذرة
أبن قسي ، وهو ثقيف بن منبه بن بكر بن هوازن . وأمه آمنة بنت عبد شمس
أبن عبد مناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يمدح سيف بن ذي يزن بقوله :
لِيَطْلُبِ النَّارَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزَنِ فِي الْبَحْرِ خَيْمٌ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالًا
على ما يذكر في موضعه .

وكان أمية شاعراً مجيداً ، لأنه لقراءته الكتب المنزلة كان يأتي في شعره
بأشياء لا تعرفها العرب ، فلذلك العلماء لا يحتجون بشعره . وكان قد نظر
في الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبداً ، وأكثر من ذكر إبراهيم وإسماعيل
والحنيفية ، وحرّم الخمر ، وألتمس الدين وطمع في النبوة ، لأنه قرأ في الكتب
أن نبياً يبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكون هو ، فلما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم قيل له : هذا الذي كنت تنتظر وتقول فيه . فحسده عدو الله وقال :
إنما كنت أرجو أن أكونه . فأُنزل الله تعالى فيه : (واتل عليهم نبأ الذي
آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا) .
وأمية الذي يقول :

كُلَّ دِينٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا دِينَ الْحَنِيفَةِ زُورٌ

ولما أوقع النبي صلى الله عليه وسلم بالمشركين بيدر ، وقتل من قتل وأسر
من أسر ، قال عدو الله أمية يرثيهم بقصيدة ، منها :

شعره في رثاء
مشركي بدر

مَنْذًا يَسْدِرُ وَالْعَقْنُ قَلَّ مِنْ مَرَاذِبِهِ جَجَاجِحٌ^(١)

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية هذه القصيدة .

ثم كان أمية بعد وقعة بدر يحرض المشركين بالنبي صلى الله عليه وسلم .

وقيل :

طمعه في النبوة

إن أمية بن أبي الصلت كان خرج في بعض أسفاره إلى الشام ، فرّب بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أمية : إن لي حاجة في هذه الكنيسة فأنتظروني . فدخل الكنيسة فأبطأ ، ثم رجع كاسفاً متغيراً ، فرمى بنفسه . فأقاموا عليه حتى تسرى عنه . ثم مضوا وقضوا حوائجهم ، ثم رجعوا . فلما صاروا إلى الكنيسة قال : انتظروني ، ودخل أيضاً ، فأبطأ ثم خرج إليهم بأسوأ من حاله الأولى . فقال له أبو سفيان بن حرب : قد شققت على رُفقاءك . فقال : خلوني فأني أرتاد لنفسي وأنظر لمأدى ، إن هاهنا راهباً عالماً أخبرني أنه يكون بعد عيسى ابن مريم ست رجعات ، وقد مضت منها خمس و بقيت واحدة ، فخرجت وأنا أطمع في النبوة وأخاف أن تُخطئني ، فأصابني ما رأيت ، فلما رجعت أتيتك فقال لي : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيُّ العرب ، فأُيست من النبوة ، فأصابني ما رأيت ، إذ فاتني ما كنت أطمع فيه .

وقيل :

خرج أمية بن أبي الصلت في سفر فنزلوا منزلاً ، فأَمَّ أمية وجهاً وصعد في كتيب ، فرفعت له كنيسة فأنتهى إليها ، فإذا شيخ جالس ، فقال لأمية حين رآه : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتيك رثيك^(٢) ؟ قال : من شقِّ الأيسر .

(١) العقتل : كتيب رمل بدير . ومراذبة : جمع مرزبان ، وهو الفارس الشجاع . مغرب . وججاجح : جمع جججح ، وهو السيد المسارع في المكارم . والرواية في أكثر أصول الأغاني : « ماذا » . مكان « منذا » .

(٢) الرثي : جنى ، زعمت العرب أنه كان يلهم صاحبه الكهانة والطب ويلقى عليه الشعر .

قال : فأى الثياب أحب إليه أن يأتيك فيها ؟ قال : السَّواد . قال : كِدْتُ والله تكون نبيَّ العرب ، ولستَ هو ، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بملك ، فإن نبيَّ العرب صاحبَ هذا الأمرِ يأتيه من شِقِّه الأيمن ، وأحبَّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياض .

وأتى أميةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِيَ الخبرُ ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا . قال : قد وجدتهُ يخرجُ العامَ .

وذكر أن أمية بن أبي الصَّلْت كان جالساً ومعه قومٌ ، فمرَّت بهم غنمٌ ^(١) فثَنَتْ ، زعمه في شاة ثَغَتْ شاة . فقال لقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا : لا . قال : إنها قالت لَسَخَلْتُها : مرَّي لا يجيئ الذَّئبُ فيأكلُك كما أكل أخنك عام أول في هذا الموضع . فقام بعضُ القومِ إلى الرَّاعِي فقال : أخبرنا عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ، ألها سَخَلَةٌ ؟ قال : نعم ، هذه سَخَلْتُها . قالوا : فكان لها عام أول سَخَلَةٌ ؟ قال : نعم ، وأكلها الذَّئبُ في هذا الموضع .

حديث توقيه من
عظاية

وقيل :

خَرَجَ رَكْبٌ مِنْ ثَقِيفٍ إِلَى الشَّامِ ، وَفِيهِمْ أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ ، فَلَمَّا قَفَلُوا رَاجِعِينَ نَزَلُوا مَنْزِلًا لِيَتَعَشَّوْا ، إِذْ قَدْ أَقْبَلَتْ عَظَايَةُ ^(٢) حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ ، فَحَصَبَهَا بَعْضُهُمْ بِشَيْءٍ فِي وَجْهِهَا فَرَجَعَتْ ، وَكَفَتُوا سُفْرَتَهُمْ ^(٣) ، ثُمَّ قَامُوا يَرَحِلُونَ مُتَمَسِّينَ . فَطَلَعَتْ عَلَيْهِمْ عَجُوزٌ مِنْ وَرَاءِ كَثِيبٍ مُقَابِلَ لَمْ تَتَوَكَّأْ عَلَى عَصَا ، فَقَالَتْ : مَا مَنَعَكُمْ أَنْ تُطْعَمُوا رَحِيمَةَ ، الْجَارِيَةِ الْيَتِيمَةِ ، الَّتِي جَاءَتْكُمْ عَتِيمَةً ^(٤) ؟ فَقَالُوا : وَمَا أَنْتَ ؟ قَالَتْ : أَنَا أُمُّ الْعَوَامِ ، إِمْتُ ^(٥) مِنْذُ أَعْوَامٍ ؛ أَمَا وَرَبَّ الْعِبَادِ ، لَتَفْتَرِقَنَّ فِي الْبِلَادِ .

(١) ثَغَتْ : صاحت وصوتت . (٢) العظاية : دويبة ملساء تشبه سام أبرص .

(٣) كفَتُوا : ضموا . والسفرة : ما يسط تحت الحوان من جلد أو غيره .

(٤) عتيمة ، تصغير : عتمة ، وهي ثلث الليل الأول . والذي في أكثر أصول الأغاني :

« عشية » . (٥) إمت المرأة : فقدت زوجها .

وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : أطلّي إياهم ، ونفّري ركبهم . فوثبت الإبلُ كأن على ذروة كل بعير شيطاناً ، فلم يملك منها شيء حتى أفرقت في الوادي . فجمعناها آخر النهار ومن غدٍ فلم نكد . فلما أنخناها لنزحلها طلعت علينا العجوز بعصاها وقالت كقولها بالأمس . ففعلت الإبل كفعلها بالأمس . فلم تجمعها إلا الغد عشيّاً ، فلما أنخناها لنزحلها أقبلت العجوز فقالت كقولها في اليومين ، وتفرقت الإبل . فقلت لأمية : أين ما كنت تُخبرنا عن نفسك ؟ فقال : أذهبوا أتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجه إلى الكئيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه ، وهبط منه إلى وادٍ فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجل مضطجع معترض على بابها ، وإذا آخر أبيض الرأس واللحية ، فلما رأى أمية قال : إنك لمتبوع ، فمن أين يأتي صاحبك ؟ وجرى بينهما في ذلك ما تقدم ذكره^(١) . ثم قال : ما حاجتُك ؟ فحدثه بحديث العجوز . فقال : صدقتُ وليست بصادقة ، هي امرأة يهودية من الجنّ هلك زوجها منذ أعوام ، وإنها لا تزال تصنع بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت . فقال أمية : وما الحيلة ؟ قال : أجمعوا ظهركم^(٢) ، فإذا جاءكم ففعلت كما كانت تفعل ، فقولوا : سبعٌ من فوق وسبعٌ من أسفل ، بأسمك اللهم . فلن تضركم . فرجع أمية إليهم وقد جمعوا الظهر . فلما أقبلت العجوز . قال لها ما أمر به الشيخ ، فلم تضركم . فلما رأت الإبل لم تتحرك ، قالت : قد عرفتُ صاحبكم ، ليبيضنّ أعلاه ، وليسودنّ أسفله . فأصبح أمية وقد برص في عذاريه وأسودّ أسفله . فلما قدّموا مكة ذكروا لهم الحديث . فكان ذلك أول ما كتب أهل مكة « بأسمك اللهم » .

حديث شق صدره وقيل :

دخل أمية بن أبي الصلت على أخته ، وهي تهيئ أدماً لها ، فنام على سرير

(١) انظر (ص ٤٩٩) من هذا الجزء . (٢) الظهر : ما يحمل عليه من الإبل .

في ناحية البيت، فأَنشَقَ جانبُ من السقف، فإذا بطائرَيْن، فوقع أحدهما على صدره فشقه وأخرج قلبه، ووقف الآخر مكانه . فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . فردَّ الطائرُ قلبه في موضعه ثم نهض . فأتبعه أمية طرفه وقال :

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَا أَنَذَا لَدَيْكَ

لا برى، فأعترد، ولا ذو عَشيرة فانتصر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه، ثم أخرج قلبه فشقه . فقال الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . فنهض . فأتبعهما أمية طرفه وقال :

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَا أَنَذَا لَدَيْكَ

تحفوف بالنعم، محفوظ من الريب . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقه . فقال الأعلى : أوعى ؟ قال : وعى . قال : أقبل ؟ قال : أبى . ونهض . فأتبعهما أمية طرفه فقال :

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ هَا أَنَذَا لَدَيْكَ

إِن تَغْفِرَ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا^(١)

قالت أخته: ثم أنطبق السقف وجلس أمية يمسح صدره . فقلت : يا أخى، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا، ولكنى أجد حرًّا فى صدرى . ثم أنشأ يقول :

لِيتَنَى كُنْتُ قَبْلَ مَا قَدَّ بَدَا لِي فِي رُءُوسِ الْجِبَالِ أَرْعَى الْوُعُولَا
أَجْعَلِ الْمَوْتَ^(٢) بَيْنَ عَيْنَيْكَ وَأَحْذَرُ غَوَلَةَ الدَّهْرِ إِنِّ لِلدَّهْرِ غَوَلَا

وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدَّق أمية فى قوله :

(١) ألم : وقع فى اللحم، وهو صغار الذنوب .

(٢) فى بعض أصول الأغاني :- « نصب » مكان « بين » .

رَجُلٌ وَثُورٌ^(١) تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْآخَرِى وَلَيْثٌ مُرْصِدٌ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : صَدَقَ .

وقيل :

النبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره

أَنَشَدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُمَسَّانَا وَمُصَبِّحَنَا بِالْخَيْرِ صَبَّحَنَا رَبِّي وَمَسَّانَا
رَبُّ الْحَنِيفَةِ لَمْ^(٢) تَنْفِدْ خَزَائِنَهَا تَمْلُوءُ طَبَقَ الْآفَاقِ سُلْطَانَا
أَلَا نَبِيٌّ لَنَا مَتَا فَيُخْبِرُنَا مَا بَعْدَ غَايَتِنَا مِنْ رَأْسِ مَحْيَانَا
بَيْنَا يُرَبِّبُنَا أَبَاؤُنَا هَلَكُوا وَبَيْنَا نَقْتَنِي الْأَوْلَادَ أَفْنَانَا
وَقَدْ عَلِمْنَا لَوْ أَنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنَا أَنْ سَوْفَ يَلْحَقُ أَوْلَانَا بِأَخْرَانَا

فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنْ كَادَ أُمِيَّةٌ لَيْسُلُ .

وقيل :

شعره يمتدح على ابن له

إِنْ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ عَتَبَ عَلَى ابْنٍ لَهُ ، فَقَالَ :

غَدَوْتُكَ مَوْلُودًا وَعُلْتُكَ يَافَعًا تَعَلُّ بِمَا أَجْنَى عَلَيْكَ^(٣) وَتَهْتَلُ
إِذَا لَيْلَةٌ نَابَتْكَ بِالشَّكْوَمِ أَبَتْ لَشَكْوَاكَ إِلَّا سَاهِرًا أَتَمَلُّ
كَأَنِّي أَنَا الْمَطْرُوقُ دُونَكَ بِالَّذِي طُرِقْتُ بِهِ دُونِي فَعِنِّي تَهْمَلُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عَلَيْكَ وَإِنَّهَا لَتَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ حَتْمٌ^(٤) مُوَجَّلُ
فَلَمَّا بَلَغْتَ السَّنَّ وَالْغَايَةَ الَّتِي إِلَيْهَا مَدَى مَا كُنْتَ مِنْكَ أَوْمَلُ
جَعَلْتَ جَزَائِي غِلْظَةً وَفَظَاطَةً كَأَنَّكَ أَنْتَ الْمُتَنَمِّضُ
وَسَمَّيْتَنِي^(٥) بِأَسْمِ الْمُفَنَّدِ رَأْيُهُ وَقَلْتُ وَلَمْ تَصْدُقْ أَنَا نَسْكَ أَفْضَلُ

(١) في التجريد : « أسد ونسر » .

(٢) في التجريد : « لم يفتت خواتمها » مكان : « لم تنفذ خزائنها » .

(٣) أجنى ، عليك ، أى أكسب لك . (٤) في التجريد : « وقت » مكان « حتم » .

(٥) لم تذكر أصول الأغاني هذا البيت والبيتين بعده .

فليتَكَ إذ لم تَرُع حقَّ أبوتى كما يفعل الجارُ المجاور تفعل
تراه مُعدًّا للخلاف كأنه برغمى على ريب الزمان موكل

وقيل :

حديث مرقه

إنه لما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أمية بن أبي الصلت أبنيه وهرب بهما إلى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف . فبينما هو يشرب مع إخوان له في قصر غيلان^(١) بالطائف إذ سقط غراب على شُرْفَةِ القصر ، فنعب نعباً ، فقال أمية : بفيك الكَثْكَث - وهو التراب - فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : إنه يقول : إذا شربت الكأس التي بيدك متَّ . فقلت له : بفيك الكَثْكَث . ثم نعب نعباً أخرى . فقال أمية نحو ذلك . فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زعم أنه يقع على هذه المزبلة أسفل القصر فيستثير عظماً فيبتلعه فيموت ، فقلت له نحو ذلك . فوقع الغراب أسفل القصر فأثار العظم فأبتلعه وشجى به فمات . فانكسر أمية ووضع الكأس من يده وتغيَّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلاً ، وألحَّثوا عليه حتى شرب الكأس . فقال في شِقِّ وأغنى عليه ، ثم أفاق فقال : لا برى ، فأعْتَذِر ، ولا قوى فأَتَصَر . ثم خرجت نفسه .

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب ، أعجب به كسرى حين وفد عليه فبني له هذا القصر .

أَخْبَارُ حَسَّانَ

نسبه هو حَسَّان بن ثابت بن المنذر بن حَرَام بن عمرو بن زَيْد مَنَاة بن عَدِي بن عمرو ابن مالك بن النَجَّار . وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العنقاء — وإنما سُمي العنقاء لطول عنقه — ابن عمرو ، وهو مُزَيْقياء ، ابن عامر بن ماء السماء بن حارثة الفطريف بن أُمريء القيس البَطْرِيْق بن ثعلبة البُهلول بن مازن بن الأزْد ، وهو دِرْع^(١) — وقيل : دِرَاء ، ممدود — بن الغوث ابن نَبْت بن مالك بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان .

وبنو عمرو بن عَدِي بن النَجَّار يُسَمُّون بنِي مَعَالَة . ومَعَالَة أُمهم ، وهى أُمْرَاء من التَّيْمَن ، وإليها كانوا يُنسَبون . وأم حَسَّان بن ثابت الفُرَيْعَة بنت خالد بن قيس بن لَوْذَان بن عبد وَدِّ بن زَيْد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كَعْب ابن الخزرج .

وكان أَسَم النَجَّار تَيْم اللات ، فجعله رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم « تَيْم الله » لثلاث يكون فى أنساب الأنصار « تَيْم اللات » .

فحل من المعمرين وحَسَّان بن ثابت فَحَل من فُحُول الشُّعْرَاء . وقد قيل : إنه أشعر أهل المَدْر ، وكان من المعمرين ، عُمُر مائة وعشرين سنة ، سَتَيْن فى الجاهلية وسَتَيْن فى الإسلام .

عمره ورُوى عن حَسَّان بن ثابت قال : إِنِّى لَغُلام يَفْع ابن سَبْع سنين أو ثمان ،

(١) فى بعض أصول الأغاني : « ذَرِي » بالذال . تصحيف .

إذا يهودى يثرب يصرُخ ذات ليلة : يا معشر يهود . فلما اجتمعوا قالوا : ويالك مالك ؟ قال : طلع نجم أحمد الذى وُلد به فى هذه الليلة . وأدركه ولم يؤمن به . وهذا يدلُّ أنه عُمِّرَ فى الجاهلية ستين سنة ، لأنه ذَكَرَ أنه أدرك ليلة وُلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله يومئذ ثمانى سنين ، والنبي صلى الله عليه وسلم بُعثَ وله أربعون سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وقدم المدينة ولحسان يومئذ ، على ما ذَكَرَ ، ستون سنة ، أو إحدى وستون سنة . وحينئذ أسلم .

وكان يَخْضِبُ شاربه وعَنْقَتَهُ^(١) بِالْحَنَاءِ ، ولا يَخْضِبُ سائرَ لحيته . خضابه

وكان يُفَضِّلُ حَسَانَ على الشعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار فى الجاهلية ، فضله على الشعراء وشاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النبوة ، وشاعر اليمين كلها فى الإسلام .

استشهاده
بأبى هريرة

وقيل :

جاء حَسَّان إلى نفرٍ منهم أبو هريرة رضى الله عنه ، فقال : أنشدك الله ! أسمعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أَجِبْ عَنِّي . ثم قال : اللهم أيده بروح القدس ؟ فقال أبو هريرة : اللهم نعم .

وقيل :

من الثلاثة الذين
عارضوا شعراء
قريش

كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة رَهْط من قريش : عبدُ الله ابن الزُّبَيْرِ ، وأبو سُفْيَان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعمرو بن العاص . فقال قائل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : اهْجِ عَنَّا القوم الذين هَجَوْنَا . فقال على رضى الله عنه . إن أذن لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَعَلْتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، إينذ لعلى كما يهجو عَنَّا هؤلاء القوم الذين هَجَوْنَا . فقال : ليس هناك ، أو ليس عنده ذاك . ثم قال للأنصار : ما يمنع الذين نصرُوا رسولَ الله

(١) العنقة : شعرات بين الشفة السفلى والذقن .

بسلّاحهم أن ينصّروه بالسّتهم؟ فقال حسان بن ثابت: أنا لها، وأخذ بطرف لسانه وقال: والله ما يسرّني به مقول من بضري وصنّعاء. فقال: كيف تهجوهم وأنا منهم؟ فقال: إني أسلك منهم كما تسلك الشعرة من العجين. فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة. فساكن حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر، ويعتيرانهم بالثالب. وكان عبد الله بن رواحة يعيرهم بالكفر، ويعلم أنه ليس فيهم شر من الكفر. وكان في ذلك الزمان أشدّ القول على الكفار قول حسان بن ثابت، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة. فلما أسلموا وتفقهوا في الإسلام كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة.

وقيل:

استدأه النبي
صلّى الله عليه وسلم
في هجائه
أبا سفيان

قام حسان بن ثابت فقال: يا رسول الله، إيدن لي فيه — يعني أبا سفيان ابن الحارث — وأخرج لساناً أسود، وقال: يا رسول الله، لو شئت لفريت به المزداد^(١)، إيدن لي فيه. فقال: أذهب إلى أبي بكر ليحدثك بحديث القوم وأيامهم وأحسابهم، ثم أهجهم وجبريل معك. فأتى أبا بكر رضي الله عنه فأعلمه بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: كفّ عن فلانة وأذكر فلانة. فقال حسان:

هجو محمد فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

أتهجوهم ولست له بكف فشر كما خيركم الفداء

وقيل:

لما أنشدت قريش شعر حسان بن ثابت قالت: إن هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قحافة.

(١) المزداد: جمع مزادة، وهي التي يحمل فيها الماء.

وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أيام خلافته نهى الناس أن يُنشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومُشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم للحجّ والميت وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . فقدم المدينة عبد الله بن الزُّبَيْري السَّهمي ، وضرار بن الخطاب الفهري ثم المحاربي ، فزلاً على أحمد بن جحش وقالوا : نُحب أن تُرسل إلى حسان بن ثابت حتى يأتيك فنُنشده ويُنشدنا ما قلناه وما قاله . فأرسل إليه فجاء . فقال : يا أبا الوليد ، هذان أخواك : ابن الزُّبَيْري ، وضرار ، وقد أحبا أن يُسمعاك وتُسمعهما ما قالَا لك وقلت لهما . فقال ابن الزُّبَيْري ، وضرار : نعم يا أبا الوليد ، إن شعرك كان يُحتمل في الإسلام ولا يُحتمل شعرنا ، وقد أحبنا أن نُسمعك وتُسمعنا . فقال حسان : أفتبدآن أم أبداً ؟ قالوا : نبدأ نحن . قال : أنشدا . فأنشده حتى فار فصار كالمرجل غضباً ، ثم استويا على راحلتيهما يُريدان مكة . فخرج حسان حتى دخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقَصَّ عليه قصتهما وقصته . فقال له عمر : لن يذهبَا عنك بشيء إن شاء الله ، وأرسل من يُردِّهما ، وقال له عمر : إن لم تُدركما إلا بمكة فأرددْهما عليّ . وخرجا ، فلما كان بالروحاء^(١) رجع ضرار إلى صاحبه وقال له : يا ابن الزُّبَيْري ، أنا أعرف عمر وذُبحه عن الإسلام وأهله ، وأعرف حسان وقلة صبره على ما فعلنا به . وكأني به قد جاء وشكا إليّ ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لم تلحقهما إلا بمكة فأرددْهما عليّ ، فأرْبَح بنا ترك العناء وأقيم بنا في مكاننا هذا ، فإن كان الذي ظننتُ فالرجوع من الروحاء أمهلُ منه من أبعَدَ منها ، وإن أخطأ ظنّي فذلك الذي نُحب ونحن من وراء المُضي . فقال ابن الزُّبَيْري : نعم ما رأيت . فأقاما بالروحاء ، فما كان إلا كمر طائر حتى وافاها رسولُ عمر بن الخطاب ، فرجعا إليه^(٢) . فدعا لهما بحسان ، وعمر في جماعة من

(١) الروحاء : موضع بين مكة والمدينة على نحو ثلاثين ميلاً من المدينة .

(٢) في بعض الأصول : « فردّها إليه » .

أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لحسان : أنشدتها ما قلت لهما . فأنشدتها حتى فرغ مما قال لهما . فقال عمر : أفرغت ؟ قال : نعم . قال : أنشدك في الخلاء وأنشدتهما في الملأ . وقال لهما عمر : إن شئكما فأقيا وإن شئكما فأنصرفا . وقال لمن حضره من الأنصار : إني قد نهيتكم أن تدكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئا دفعا للتضاغن عنكم ، وبث القبيح فيما بينكم . فأما إذا أبوا فاكْتُبوه وأحفظوه . فدوّنوا ذلك عنهم ^(١) .

من هجائه لأبي
سفيان بن الحارث

ومما قاله حسان في أبي سفيان بن الحارث يهجوهُ :

وإن سناء ^(٢) المجد من آل هاشم بنو بنت مخزوم ^(٣) والدك العبد
ومن ولدت أبناء زهرة منهم كرام ولم يبلغ عجايزك ^(٤) المجد
وإن أمرا كانت سمية ^(٥) أمه وسمره ^(٦) مغلوب إذا بلغ الجهد
وأنت هجين ^(٧) نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
فقال العباس رضى الله : مالى أنا وحسان ! يعنى في ذكره نتيقة ^(٨) أمه .

فقال حسان فيها :

ولست كعباس ولا كأبن أمه ولكن هجين ليس يورى له زند

- (١) في بعض الأصول : « عندهم » . (٢) في أصول الأغاني : « سناء » .
(٣) بنت مخزوم ، هى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ، وهى أم عبد الله ،
أبي النبي صلى الله عليه وسلم ، والزيير ، وأبي طالب ، أبناء عبد المطلب . و « والدك العبد » : يريد به :
الحارث ابن عبد المطلب ، وهو ابن أبي سفيان المهجو ، وكانت أمه أم ولد .
(٤) يمدح آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم ، وهالة أم حزة ، وصفية ، وكلتاها زهرية .
و « لم يلحق عجايزك المجد » يهجو أبا سفيان بأن أمهاته لسن أحرارا ، فأما أبي سفيان أم ولد ، وأم
أبيه كذلك أم ولد .
(٥) سمية : هى أم الحارث بن عبد المطلب . والنزى فى الأصل : « نتيقة » تعريف .
(٦) سمره : أم أبي سفيان . (٧) الهجين : من أبوه عربى وأمه ليست عربية .
(٨) هى نتيقة بنت كليب بن مالك بن جناب ، أم العباس وضرار ، ابنتى عبد المطلب .

وقيل :

حداؤه بين يدي
رسول الله صلى
الله عليه وسلم

قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو في سفر : أين حسان بن ثابت ؟ فقال حسان : لبيك يا رسول الله وسعديك . قال : أأحد . فجعل ينشد ويصفي إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستمع ، فما زال يسمع إليه وهو سائق راحلته حتى كاد رأس راحلته يمس الورك ، حتى فرغ من نشيده . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لهذا أشد عليهم من وقع النبيل .

وقيل :

مجاوبته شاعر
وفد تميم

لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم ، وهم سبعون رجلاً ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر ، وعطار بن حاجب ، وقيس ابن عاصم ، وعمرو بن الأهم ، وانطلق معهم عيينة بن حصن ، فقدموا المدينة فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، نادوا بصوت عالٍ جافٍ : أخرج يا محمد ، فقد جئنا لنفاخرك ، وجئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس . فقام الأقرع بن حابس فقال : والله إن مدحى لزيين ، وإن ذمى لشين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك الله . فقالوا : إنا لأكرم العرب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكرم منكم يوسف بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم . فقالوا : إيذن لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس وجلس معه الناس . فقام عطار بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا بهدايته ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أعز أهل الشرق^(١) ، وأتانا أموالاً عظماً نفعل فيها المعروف ، وليس في الدنيا مثلاً ، أو لساناً يرؤوس الناس وذوى فضلهم ! فنفاخرنا فليعد علينا مثل ما وعدناه ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكننا نستحي من الإكثار فيما حوّلنا الله وأعطانا . أقول قولي هذا

(١) في بعض أصول الأغاني : « المشرق » .

فَأَتُوا بِقَوْلٍ أَفْضَلَ مِنْ قَوْلِنَا ، أَوْ أَمْرٍ أَكْرَمَ مِنْ أَمْرِنَا . ثُمَّ جَلَسَ . فَقَامَ ثَابِتُ
 ابْنُ شِمَاسٍ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ خَلَقَهُ ، قَضَى فِيهِنَّ أَمْرَهُ ،
 وَوَسَّعَ كُرْسِيَّهِ عَالَمَهُ ، وَلَا يَقْضَى شَيْئًا إِلَّا مِنْ فَضْلِهِ وَقُدْرَتِهِ ، وَكَانَ مِنْ قُدْرَتِهِ
 أَنْ أَصْطَفَى لَنَا رَسُولًا أَكْرَمَهُمْ حَسَبًا ، وَأَصْدَقَهُمْ حَدِيثًا ، وَأَحْسَنَهُمْ رَأْيًا . وَأَنْزَلَ
 عَلَيْهِ كِتَابًا ، وَأَثَمَنَهُ عَلَى خَلْقِهِ ، وَكَانَ خَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْعَالَمِينَ . ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْإِيمَانِ ، فَأَجَابَهُ مِنْ قَوْمِهِ وَذَوِي رَحْمَةِ الْمُهَاجِرُونَ ، أَكْرَمُ
 النَّاسِ أَنْسَابًا ، وَأَصْبَحُ النَّاسِ وَجُوهًا ، وَأَفْضَلُ النَّاسِ أَعْمَالًا . ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ
 أَتَبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْعَرَبِ وَأَسْتَجَابَ لَهُ نَحْنُ مَعْشَرُ الْأَنْصَارِ .
 فَنَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ وَوُزَرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نُقَاتِلُ النَّاسَ حَتَّى يُؤْمِنُوا
 أَوْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . فَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ مَنَعَ مِنْهُ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَمَنْ كَفَرَ
 جَاهَدْنَاهُ فِي اللَّهِ وَكَانَ جِهَادُهُ عَلَيْنَا يَسِيرًا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِلْمُؤْمِنِينَ
 وَالْمُؤْمِنَاتِ . فَقَامَ الزُّبَيْرَانُ فَقَالَ :

نَحْنُ الْمُلُوكُ فَلَا شَيْءَ (١) يَقَارِبُنَا	مِنَّا الْمُلُوكُ وَفِينَا يُؤْخَذُ (٢) الرَّبْعُ
وَنَنْحَرُ الْكُومَ (٣) عُبْطًا فِي مَنَازِلِنَا	لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا اسْتَطَعْمُوا شَبِعُوا
وَنَحْنُ نَطْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَا أَكَلُوا	مِنَ الْعَبِيطِ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ (٤) الْقَرْعُ
تِلْكَ الْمَكَارِمُ حُزْنَاهَا مُقَارَعَةٌ	إِذَا الْكَرَامُ عَلَى أَمْشَالِهَا اقْتَرَعُوا
كَمْ قَدْ قَسَرْنَا (٥) مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ	عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعَزِّ يَتَّبِعُ
وَتُبْصِرُ النَّاسَ تَأْتِينَا (٦) سَرَائِهِمْ	فِي كُلِّ أَمْرٍ فَنَمْضِي ثُمَّ نَنْتَبِعُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « قَلَّاص » .

(٢) كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّئِيسُ رُبْعَ الْغَنِيمَةِ خَالِصًا دُونَ أَصْحَابِهِ .

(٣) الْكُومُ : جَمْعُ أَكُومٍ ، وَهُوَ الْبَعِيرُ الضَّخْمُ . وَالْأَنْثَى : كِبْوَاءٌ . وَالْعَبِيطُ ، بَضْمَتَيْنِ ، وَقَدْ تَسَكَّنَ عَيْنَهُ : جَمْعُ عَبِيطَةٍ ، وَهِيَ النَّاقَةُ تَنْحَرُ عَنْ غَيْرِ دَاءٍ .

(٤) الْقَرْعُ : السَّحَابُ . يُشِيرُ إِلَى إِطْعَامِهِمْ أَيَّامَ الْحُلِّ .

(٥) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « نَشْدُنَا » . (٦) رَوَايَةُ أَصُولِ الْأَغَانِي :

* وَتُبْصِرُ النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ *

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حسان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يحياه . فقال حسان :

إِنَّ الذَّوَابَّ مِنْ فَهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ قَدْ بَيَّنَّنَا سُنَّةً لِلنَّاسِ تَنْبَعُ
يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سِرِيرَتُهُ تَقْوَى إِلَهِهَ وَالْأَمْرَ الَّذِي شَرَعُوا
قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ أَوْ حَاولُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
سَجِيَّةُ تِلْكَ فِيهِمْ غَيْرُ مُحَدَّثَةٍ إِنْ اِتَّخَلَّتْ فَاَعْلَمَ شَرُّهَا الْبِدْعُ
لَا يَرَقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوهُونَ مَا رَقَعُوا
إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ فَكُلُّ سَبْقٍ لَأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبَعُ
أَعْفَى ذُكْرَتْ فِي الْوَحْيِ عِفَّتُهُمْ لَا يَطْبَعُونَ^(١) وَلَا يَزُرِي بِهِمْ طَبَعُ
وَلَا يَصْنَعُونَ عَنْ جَارٍ بِفَضْلِهِمْ وَلَا يَمْسُهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَمَعُ
يَسْمُونَ لِلْحَرْبِ تَبَدُّوْهُ وَهِيَ كَالْحَةِ إِذَا الزَّعَافُ^(٢) مِنْ أَطْفَارِهَا حَشَعُوا
لَا يَفْرَحُونَ إِذَا نَالُوا عَدُوَّهُمْ وَإِنْ أُصِيبُوا فَلَا خُورٌ وَلَا جُرْعُ
كَانَتْهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتُ مُكْتَنَعُ أُسُودُ بَيْشَةٍ فِي أَرْسَافِهَا^(٣) فَدَعُ
خُذْ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوَاً وَمَا^(٤) غَضِبُوا فَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا
فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ فَاتَرَكْ عَدَاوَتِهِمْ مُمَّا عَلَيْهِ يَخَاضُ الصَّابُ^(٥) وَالسَّلْعُ
أَكْرَمَ بِقَوْمٍ رَسُولُ اللَّهِ قَائِدُهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَى قَلْبٍ يُؤَاوِرُهُ فِيمَا أَرَادَ لِسَانٌ حَازِقٌ^(٦) صَنَعُ

(١) لا يطبعون ، أى لا يأتون ما يدنسهم ويعيبهم ويشينهم . والطبع : الدنس والعيب والشين .

(٢) الزعائف : أرذال الناس .

(٣) مكتنع : قريب . وبيشة : من أعمال مكة عما يلي اليمن ، كثيرة الأسد . والفدع :

اعوجاج في الرسخ .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « خذ منهم ما آتى عفواً وإن » .

(٥) يخاض : يخلط . والصاب والسليق : من الأشجار المرة .

(٦) في بعض أصول الأغاني : « حائك » .

وإنهم^(١) أفضل الأحياء كلهم إن جدَّ بالناس جدُّ القول^(٢) أو شمعوا

فقام عطار بن حاجب فقال :

أتيناك كما يعلم الناس فضلنا إذا اجتمعوا وقت احتضار المواقم
بأننا فروع الناس في كل موطن وأن ليس في أرض الحجاز^(٣) كدارم

فقام حسان فقال :

منعنا رسول الله من غصب له على أنفٍ راضٍ من معدٍ وراغم
هل المجد إلا السوددُ الفرد^(٤) والندى وجاءه^(٥) الملوك وأحتمل العظام

فقال الأقرع بن حابس : والله إن هذا الرجل لمؤتَّى له^(٦) ، والله لشاعره
أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا . فنزل قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ . وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ
إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) . ثم إن القوم أسلموا وأقاموا عند
النبي صلى الله عليه وسلم يتعلمون القرآن ويتفقهون في الدين ، ثم أرادوا الخروج
إلى بيوتهم ، فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقال : أما بقي منكم
أحد ؟ وكان عمرو بن الأهم في ركبهم . فقال قيس بن عاصم ، وكان من رهطه
وكان مُشاحناً له : لم يبق إلا غلام حديث السن في ركبنا . فأعطاه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطاهم . فبلغ عمرو ما قال قيس . فقال عمرو لقيس :
ظَلَلَتْ مُفْتَرَشَ الْهَلْبَاءِ^(٧) تَشْتَمُنِي عند الرسول فلم تصدق ولم تُصِب

(١) في الديوان : « فإنهم » .

(٢) شمعوا : مزحوا .

(٣) دارم : أبوحى من تميم .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « العود » وهو القديم .

(٥) في الأصل : « وجار » .

(٦) مؤتَّى له : ميسر له مسهل .

(٧) الهلباء : الاست .

إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَصْلُكُمْ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
فَإِنَّ سُودَدَنَا عَوْدٌ وَسُودَدَكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ ^(١) وَالذَّنْبُ

وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما غزا بني المصطلق ^(٢) من خزاعة،
كان في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلٌ من بني غفار يقال له: جهجاه،
فخرج بفرسٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرسٍ له يومئذٍ يسقيهما، فأوردهما الماء،
فوجد على الماء فتيةً من الأنصار، فتنازعوا عليه فأقتتلوا، فقال عبد الله
ابن أبي بن سلول المنافق: هذا ما جزونا به، آويناهم ثم هم يقتتلونا!

قلت: وفي هذه الواقعة يقول عبد الله بن أبي - لعنه الله - : (لَنْ رَجَعْنَا إِلَى
الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ). وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم،
فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب
عُنُق عبد الله، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال أبو الفرج:

و بلغ حسان بن ثابت الذي جرى بين جهجاه والفتية من الأنصار فغضب
وقال، وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ومنهم صفوان بن معطل السلمي:

أَمْسى الجَلَالِيْبُ قَدْ عَزَّوْا وَقَدْ كَثُرُوا وَأَبْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسى بِيضَةً ^(٣) الْبَلَدِ

(١) العجب: أصل الذنب.

(٢) اسمه جذيمة بن سعد. ولقب المصطلق لحسن صوته.

(٣) الجلابيب: سفلة الناس. وكان المنافقون يسمون المهاجرين: الجلابيب. وابن الفريعة،
هو حسان بن ثابت. وبيضة البلد، كما يراد بها المدح يراد بها الذم. فعل الأولى فالمراد بها بيضة
الظلم لأنه يحضنها ويقها وفيها فرخه. وعلى الثاني، فالمراد بها البيضة المنبوذة بالمرء التي لا حائط لها.
وقيل: إذا كانت النسبة إلى مثل المدينة ومكة فيبيضة البلد مدح، وإذا نسب إلى بلد أهلها على ضعة،
فهو على الذم.

يَرْمُونُ بِالْقَوْلِ سِرًّا فِي مُهَادَنَةٍ
 قَدْ ثَكِلَتْ أُمُّهُ مَنْ كُنْتُ صَاحِبَهُ
 مَا لِلْقَتِيلِ الَّذِي أَتَمُّوْا فَاقْتُلُهُ
 مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهْبُ الرِّيحُ شَامِيَةً
 يَوْمًا بِأَبْلَغٍ (١) مَنِّي حِينَ تُبْصِرُنِي
 أَمَّا قُرَيْشٌ فَإِنِّي لَسْتُ تَارِكُهُمْ
 وَيَتَرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْرَلَةٍ
 وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَ الرَّسُولُ لَهُمْ
 أَبْلَغُ بَنِي بَأْيٍّ قَدْ تَرَكْتُ لَهُمْ
 الدَّارَ وَاسْطَةً وَالتَّخْلَ شَارِعَةً
 فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا حَسَّانُ ، نَفِسْتَ عَلَيَّ إِسْلَامَ قَوْمِي !
 وَأَغْضَبَهُ كَلَامُهُ .

وحسان أحد أهل الإفك الذين رموا عائشة رضي الله عنها .

قلت : كانت قصة الإفك في هذه الغزاة ، وكانت عائشة رضي الله عنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، وكان قد وقع عقد لها فذهبت تطلبه ، فرحل الجيش وحملها الذي عليه هودجها وظن أنها فيه . فلما وجدت العقد جاءت تطلب هودجها فوجدته قد ذهب ، ووجدتها صفوان بن المطلب السلمي ، فأناخ لها بجمه وأدار وجهه عنها حتى ركبته ولحق بها الجيش . فقال أهل الإفك ما قالوا من

تمقيب لابن واصل
 عن الإفك

(١) يغطل : يركب بعضه بعضا . والعبر : الساحل .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « بأغلب »

(٣) السد : التقصد .

(٤) القسي : ثياب من كتان مخلوط بحرير ، منسوبة إلى قرية كانت على ساحل البحر قريبة من

تنيس ، بمصر .

الإفك . والذي تولى كِبْرَهُ منهم عبدُ الله بن أبي . فأنزل الله سبحانه براءتها من السماء بآياتٍ من القرآن ، وهي (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ) الآيات . ففَضِبَ صَفْوَانُ لَمَّا قَذَفَهُ بِهِ حَسَّان ، ولهذا الأبيات .

قال أبو الفرج :

غضب الرسول
على حسان ثم
رضاه عنه

فَعَدَا ^(١) صَفْوَانُ بْنُ الْمُعْطَلِ عَلَى حَسَّانٍ فَضْرَبَهُ بِالسَّيْفِ . وقال صفوان :

تَلَقَّ دُبابَ السَّيْفِ عَنِّي ^(٢) فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ

فوثب قومُ حَسَّانٍ عَلَى صَفْوَانَ فحَبَسُوهُ ، ثم جاءوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بْنَ دُلَيْمٍ ابْنَ حَارِثَةَ بْنَ أَبِي حَزِيمَةَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ طَرِيفِ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ ابْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنَ عمرو بن عامر ، فذكروا له ما فعل حَسَّانُ وَفَعَلُوا بِهِ . فقال لهم : أَشَعَرْتُمْ ^(٣) بِذَلِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قالوا : لا . فَعَدَّ إِلَى الْأَرْضِ وَقَالَ : وَأَنْتَ طَاعَ ظَهْرَاهُ ! تَأْخُذُونَ بِأَيْدِيكُمْ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ ! ودعا بَصَفْوَانَ ، فَأَتَى بِهِ ، فَكَسَاهُ وَخَلَّاهُ . فجاء صفوان إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقيل : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ الْمَسْجِدَ لِيُصَلِّيَ فَرَأَاهُ فَقَالَ : مَنْ كَسَاكَ كَسَاهُ اللَّهُ مِنْ ثِيَابِ الْجَنَّةِ ! وقال حَسَّانُ لِأَصْحَابِهِ : أَهْلُونِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَرْضَاهُ . ففَعَلُوا . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَدَّوهُ . ثم سألهم ، فحَمَلُوهُ ثَانِيَةً . فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَأَنْصَرَفُوا بِهِ . ثم قال لهم : عُودُوا بِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقالوا : جِئْنَا بِكَ مَرَّتَيْنِ ، كُلُّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَنْكَ ، فَلَا نُبْرِمُهُ بِكَ . فقال : أَهْلُونِي

(١) في بعض أصول الأغاني : « فعدا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « عنك » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « أشاورتم في ذلك » .

إليه هذه المرة . فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :
يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ! أحفظ قولي :

هجوتُ مُجداً فأجبتُ عنه . وعند الله في ذلك الجزاء
فإن أباي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

فرضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووهب له سيرين القبطية ، أخت
مارية ، أم إبراهيم ، ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم . فولدت سيرين لحسان
عبد الرحمن بن حسان .

قلت : إن مارية وأختها سيرين أهداهما المقوقس جريج بن مقي صاحب
مصر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه إلى الإسلام ، وأهدى معهما له حمارة « يَمَقُور » وبغلته « دُلْدُل » .

تعقيب لابن
واصل

قال أبو الفرج :

لعائشة عن صفوان

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : لقد سُئِلَ عن صفوان بن المعطل فوجدوه
رجلاً حصوراً ما يأتي النساء ، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً .

وقال حسان يعتذر من الذي قاله في عائشة رضي الله عنها :

لسان يعتذر عن
قوله في عائشة

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ وَتُصْبِحُ غَرْنِي مِنْ حُلُومِ الْغَوَافِلِ
فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفْعَ سَوْطِي إِلَى أَنْامِلِي
وَكَيْفَ وَوُدِّي مَا حَيَّتْ وَنُصِرْتِي لِأَلِ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَحَافِلِ
وَإِنَّ الَّذِي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلَايِطٍ وَلَكِنَّهُ قَوْلُ أَمْرِي بِ^(١) مَا حِلِ

وحكى عروة بن الرزير قال :

بين عروة وعائشة
وقد مرت جنازة
حسان

كنت قاعداً عند عائشة فمرَّ بجنازة حسان بن ثابت فقلتُ منه . فقالت :

مهلاً . قُلتُ : أليس الذى يقول فيكِ ويقول ! قالت : فكيف بقوله :

فإنَّ أبى ووالده وعرضى لعرض محمد منكم وقاه

وروى عنها رضى الله عنها أنها كانت تقول : إني لأرجو أن يدخله الله الجنة

بقوله هذا .

وقيل :

صفية وحسان
في يهودى أطف
بالحصن

كانت صفية بنت عبد المطلب في فارع ، حصن حسان بن ثابت ، يوم
الخنندق . قالت صفية رضى الله عنها : وكان حسان معنا فيه مع النساء والصبيان ،
فمر بنا رجل من اليهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت
ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينه أحد يدفع عنا ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا
عنهم ، إذ أتانا آت . قالت : قُلتُ : يا حسان ، إن هذا اليهودى كما ترى
يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يذل على عوراتنا من وراءنا من اليهود ،
وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى وأصحابه ، فأُنزل إليه فأقتله .
فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت :
فلما قال ذلك ، ولم أر عنده شيئاً ، اعتجرت^(١) ثم أخذتُ عوداً ثم نزلتُ من
الحصن إليه ، فضربتُه بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن
قُلتُ : يا حسان ، أنزل إليه فاسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . فقال :
مالى بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب .

وحدث عبد الله بن الزبير بن العوام أنه كان في فارع ، أطم حسان بن ثابت
يوم الخندق ، ومعهم عمر بن أبي سلمة . قال ابن الزبير : ومعنا حسان بن ثابت

(١) الاعتجار : لف الثوب على الرأس من غير إدارة تحت الحنك .

ضارباً وتِدّاً في ناحية الأطم ، فإذا حمل أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين حمل على الوتدِ فصر به بالسيف ، فإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتدِ حتى كأنه يُقاتل قِرْنًا له ، كأنه يرى أنه يُجاهد حين جَبَن .

قال ابن الزبير وابن أبي سلمة يوم الخندق : قال ابن الزبير : وإني لأظلمُ ابن أبي سلمة وهو أكبر مني بسنتين ، فأقول له : تحمّلني على عنقك حتى أنظر ، فإني أحملك إذا نزلت . فإذا حملني وسألني أن يركب قلت : هذه المرة أيضاً .

تمقيب لابن واصل : قلت : كان سنّ ابن الزبير يومئذٍ نحو خمس سنين ، لأن مولده بعد الهجرة ، وكانت غزوة الخندق سنة خمس .

قال أبو الفرج :

قال ابن الزبير : وإني لا أنظرُ إلى أبي مُعلماً بصُفرة ، فأخبرتها أبي بعد ، فقال : أين كنت حينئذٍ ؟ فقلت : على عنق ابن أبي سلمة يحمّلني . فقال : أما والذي نفسى بيده ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع لي أبويه ^(١) .

قال ابن الزبير : وجاءنا يهودى يرتقى إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطني السيف . فأعطاه . فلما ارتقى ضربته حتى قتلتها ، ثم أخذت رأسه وقالت : طوّح به ، فإن الرجل أشدّ من المرأة ، تريد أن تُرعبَ به أصحابه .

وقيل : أنشد حسانُ بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ضحك الرسول
صلى الله عليه وسلم
وقد أنشده حسان

لقد غدوتُ أمّ القوم ^(٢) مُنطلقاً بصارمٍ مثل لون الملح قطعاً
يميط عني نجاد السيفِ سابعةً فضفاضةً مثل لون النهى ^(٣) بالقاع

(١) يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لي : فذاك أبي وأمي .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « منتطقاً » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « يدفع » مكان « يميّط » . والسابعة : الدرع . والنهى : الغدير .

فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فظنَّ حسانُ أنه يَضْحَك من صِفته نفسه مع جُبْنه .

وقيل :

بين الخطيئة
وحسان

وقف الخطيئة على حسان بن ثابت ، وحسان يُنشد من شعره ، فقال له حسانُ ، وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابي ؟ قال الخطيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسان وقال : أسمعوا إلى كلام الأعرابي ! ما كُنيتك ؟ قال : أبو مُليكة . قال حسان : ما كنت قطُّ أهونَ علىَّ منك حين أكتنيت بأمرأة ! فما أسمك ؟ قال : الخطيئة : قال أمضِ بسلام .

شعر حسان الذي
فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء وأفتتح به أبو الفرج أخبار حسان ، هو :
تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ ^(١) خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ
كَلِمَسْكَ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ أَوْعَاتِي ^(٢) كَدَمِ الذَّيْحِ مَدَامِ
وهذه القصيدة يقولها حسان بن ثابت في وقعة بدر ، ويفخر بها ، ويُعير الحارث ابن هشام المخزومي بفراره عن أخيه أبي جهل بن هشام :

تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ ^(٣) وَلِجَامِ
فَأَجَابَهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى عَلَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرِ ^(٤) مُزْبِدِ
وَشَمَمْتُ رِيحَ الْمَوْتِ مِنْ تِلْقَائِهِمْ فِي مَأْزِقٍ وَالْخَيْلُ لَمْ تَتَبَدَّدْ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أَقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَضُرُّ عَدُوِّي مَشْهَدِي

ثم استطرد أبو الفرج بذكر غزوة بدر ، فنذكرها على سياقتها ، لما فيها من الفوائد .

(١) تبت : أسقمت . والخريفة : الحية .

(٢) عاتق ، أي خمر قديمة .

(٣) الطمرة : الأنثى من الجياد المستفزة للوثب والعدو .

(٤) الأشقر : الدم صار علقا .

غزوة بدر

كانت في رمضان يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان ، سنة اثنتين من الهجرة ، وهي أول حرب حضرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الغزاة التي أعز الله بها الدين وأعلى كلمة المؤمنين .

قيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان صخر بن حرب مقبلاً من الشام بعير عظيم ، فتدب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين إليها ، وقال : هذه عير قریش فيها أموالهم ، فأخرجوا إليها فلعن الله أن يفلكوها^(١) . فأتدب الناس ، فحفت بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي حرباً .

وكان أبو سفيان استنفر^(٢) حين دنا من الحجاز ، وجعل يتجسس الأخبار ويسأل من أتى من الركب أن تخوفاً على أموال الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الركب أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك ، فجد عند ذلك وأستأجر ضمضم بن عمرو الففاري ، فبعث به إلى مكة وأمره أن يأتي قریشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه . وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت قبل قدوم ضمضم رؤيا أفزعها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب وقالت : يا أخي ، قد رأيت الليلة والله رؤيا قد أفزعني وتخوفت أن يدخل بها على قومك شرّاً أو مصيبة ، فاکتم على ما أحدثك . قال لها : ما رأيت ؟ قالت : رأيت راكباً قد أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ، ثم صرخ بأعلى صوته : أن

(١) يفلكوها : يجعلها لكم غنيمه .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « استنفر » .

أنفروا يا آل غُدر^(١) إلى مصارعكم، في ثلاث. وأرى الناس قد اجتمعوا إليه. ثم دخل المسجد الحرام، والناس يتبعونه، فبينما هم حوله إذ مثل به بعيره على ظهر الكعبة، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها: أنفروا يا آل غُدر إلى مصارعكم، في ثلاث. ثم مثل به بعيره على أبي قبيس، فصرخ بمثلها، ثم أخذ صخرة فأرسلها، فأقبلت حتى إذا كانت بأسفل الجبل أرفضت^(٢) تهوى، فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلته منها فلذة^(٣). قال العباس: إن هذه لرؤيا عجيبة، فأنت فاكتمها ولا تظهرها لأحد. ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة، وكان صديقاً له، فذكرها له وأمسكتمه أيها. فذكرها الوليد لأبيه عتبة. فقشا الحديث حتى تحدثت به قريش. قال العباس: فغدوت أطوف بالبيت، وأبو جهل بن هشام ورهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآني أبو جهل قال: يا أبا الفضل، إذا فرغت من طوافك فأقبل إلي. فلما فرغت أقبلت إليه حتى جلست معهم. فقال لي أبو جهل: يا بني عبد المطلب، متى حدثت فيكم هذه النبئة؟ قال: قلت: وما ذلك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة. قال: قلت: وما رأت؟ قال: يا بني عبد المطلب، أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تنبأت نساؤكم! وقد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال: أنفروا، في ثلاث. فسنتربص بكم هذه الثلاث، فإن يك حقاً ما قالت فسيكون، وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب بيت في العرب. قال العباس: فوالله ما كان مني إليه نكير، إلا أنني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً. ثم تفرقنا، فما بقيت امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقالت: أقررتم لهذا الفاسق الخبيث

(١) غدر: من غادر، للمبالغة، وأكثر ما يستعمل في النداء في الشتم. تقول للمفرد: يا غدر.

والجمع: يا آل غدر.

(٢) أرفضت: تكسرت وتفرقت.

(٣) في بعض أصول الأغاني: «فلقة».

أن يقع في رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ، ثم لم يكن عندك غيره لما تسمع ! قال : قد والله فعلت ما كان مني إليه من نكر^(١) ، وأيم الله لأتعرضن له ، فإن عاد لأكفيكموه^(٢) . قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مفضب أرى أن قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه منه . فدخلت المسجد فرأيت . فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع^(٣) به ، وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتد ، فقلت : ما له لعنه الله ! أكل هذا فرقاً مني أن أشاته ! فإذا هو قد سمع ما لم أسمع : صوت ضمضم الغفاري وهو يصرخ ببطن الوادي : يا معشر قریش ، اللطيمة^(٤) ! اللطيمة ! أموالكم ! أموالكم ! قد تعرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ! الغوث ! الغوث ! قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فنفر الناس سراعاً وقالوا : لا يظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي^(٥) ! كلا والله ! ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج أو باعث . وأوعبت قریش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبو لهب بن عبد المطلب ، فبعث مكانه العاص بن هشام . وكان أمية بن خلف قد أجمع القعود ، وكان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عتبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهراني قومه ، بمجمرة فيها نار ونحمر^(٦) حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجمر فإنما أنت من النساء . ولما أجمعت قریش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر^(٧) ، فكاد

(١) في بعض أصول الأغاني : « كبير » .

(٢) في السيرة : « لأكفيكنه » . والكلام يتجه بهذا وذلك . فعلى رواية الأغاني فالمراد : آل عبد المطلب رجالاً ونساء . وعلى رواية السيرة فالخطاب للنساء اللاتي جئن .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « فأوقع به » . (٤) اللطيمة : العير عليها الطيب والتجارة .

(٥) هو عمرو بن الحضرمي . (٦) المحمر : العود يتبخر به .

(٧) كانت الحرب بين قریش وبين بني بكر بن عبد مناة في ابن لخص بن الأخيف ، أحد بني معيص بن عامر بن لؤي . قتله بثوب بكر ، بإيعاز من سيدهم عامر بن يزيد . فثار للبلاد أخوه مكرز بن عامر ابن يزيد ، قتله ثم أتى الكعبة فعلق السياف بأستارها . فلما أصبحت قریش ورأت السياف عرفت أنه سيف مكرز .

ذلك أن يُثَبِّطَهُمْ ، فتبدَّى لهم إبليسُ في صورة سُرَاقَةِ الدَّجِي ، وكان من أشراف كنانة ، فقال : إني جازِلُكم أن تأتِيكم كنانةُ بشيء تكرهونه .

وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر : المهاجرون منهم سبعة وسبعون رجلاً ، والأنصار مائتان وستة وثلاثون رجلاً . وصاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وصاحب راية الأنصار سعد بن عُبادة . وعلى الساقة قيس بن أبي صَعصعة ، أخو بني مازن بن النَجَّار . وكان خُروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة لليل مضت من شهر رمضان . فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة ، وعدى بن أبي الزَّغَباء ، حليف بني النَجَّار ، إلى بدر . يتحسَّسان له الأخبار . ثم أرتحل وقد قدَّمهما . فلما أُستقبل الصَّفراء ، وهي قرية بين جبَلين ، فسأل عن جبليهما : ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما : مُسْلِح ، وللآخر : مُخْرِي . وسأل عن أهلهما ، فقالوا : بنو النَّار ، وبنو حُرَاق — بَطْنان من بني غِفَار — فكرههما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والُرور بينهما^(١) تفاؤلاً باسميهما وأسماء أهليهما ، فتركهما والصفراء ييسار ، وسلك ذات اليمين على وادٍ يقال له : ذِفْران^(٢) . فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نَزَلَ . وأتاه الخبرُ عن قریش بمسيرهم لينعوا عيرهم . فاستشار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قریش . فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عمر رضي الله عنه فقال فأحسن . ثم المقداد بن عمرو رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، أمضِ لِمَا أَمَرَكَ الله ، فوالله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ، ولكن اذهب أنت و ربك فقاتلا

(١) التفاؤل ، فيما يحسن ويسوء .

(٢) الذفران : وادٍ قرب الصفراء .

إنا معكم مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغاد — يعني مدينة الحبشة — لجالدنا معك من دونه حتى تبُلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد الأنصار . وذلك لأنهم كانوا عدد الناس ، ولأنهم حين يبعوه على العقبة قالوا : يا رسول الله إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا ننمُك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهم المدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو في غير بلادهم . فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ ، رضى الله عنه : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فإننا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة . فأمض بنا يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ، وإننا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ، لعل الله أن يرريك ما تقر به عينك ، فسير بنا على بركة الله . فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه ذلك القول ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم الآن . ثم أرتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك ثنايا يقال لها : الأصافر^(١) ، ثم انتهى به السير إلى قريب من بدر ، فنزل وركب هو ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من القرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تُخبراني من أتما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا

(١) الأصافر : جبال قرب الجحفة .

أخبرناك. قال : أوداك بذاك ؟ قال : نعم . قال الشيخ : فإنه بلغنى أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقتى فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن قرئشاً خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان الذى أخبرنى صدقتى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، يعنى المكان الذى به قرئش . فلما فرغ من خبره قال : من أتما ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء . ثم أنصرف عنه . قال : يقول الشيخ : ما من ماء ! أم من ماء بالعراق ؟

ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، فلما أمسى بعث على ابن أبي طالب رضى الله عنه ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، فى نفر من أصحابه إلى بدر يكشفون له الخبر ، فأصابوا راوية^(١) لقرئش ، فيها أسلم ، غلام بنى الحجاج ، وعريض بن يسار^(٢) ، غلام بنى العاص بن سعيد ، فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالا : نحن سقاة لقرئش . فضر بهما ، فلما^(٣) أذلقوها قالا : نحن لأبى سفيان . فتركوهما . فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد ، ثم سلم فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ! وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقاكم والله إنيهما لقرئش ! أخبرانى : أين قرئش ؟ قالا : هم وراء الكئيب الذى ترى بالعدوة القصوى - والكئيب : العنقل - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كم القوم ؟ قالا : كثير . قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندري . قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فن فيهم من قرئش ؟ قالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختري بن هشام ،

(١) الراوية : القوم الذين يستقون الماء على اللواب .

(٢) فى السيرة لابن هشام والطبرى : «عريض أبويسار» . (٣) أذلقته : أضعفه وأقلقه .

وحَكِيم بن حِزَام، وتَوَفَّل بن خُوَيْلِد، والحَارِث بن عَامِر بن نُوْفَل، وطُعَيْمَة بن عَدَى، والنَّضْر بن الحَارِث، وزَمْعَة بن الْأَسُود، وأَبُو جَهْل بن هِشَام، وأُمِيَّة ابن خَلْف، ونُبَيْه ومُنَبَّه، ابنا الْحِجَاج، ومُهَيْل بن عَمْرُو، وعَمْرُو بن عَبْدِوَد. فأَقْبَل رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَتَيْتُ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحًا كَيْدَهَا! وَقَدْ كَانَ بَسْبَسُ بْنُ عَمْرُو، وَعَدَى بْنُ أَبِي الزَّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى نَزَلَا بَدْرًا، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ، ثُمَّ أَخَذَا شَنًّا^(١) يَسْتَقِيَانِ فِيهِ، وَعَلَيْهِ مَجْدَى ابْنِ عَمْرُو الْجُهَنِيِّ، فَسَمِعَ عَدَىَّ وَبَسْبَسَ جَارِيَتَيْنِ مِنْ جَوَارِي الْحَاضِرِ وَهُمَا تَتَلَاذِمَانِ^(٢) عَلَى الْمَاءِ، وَالْمَلْزُومَةُ تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهَا: إِنَّمَا تَأْتِي الْعِيرَ غَدًا أَوْ بَعْدَهُ، وَأَعْمَلْ لَهَا ثُمَّ أَقْضِيكَ الَّذِي لَكَ. قَالَ مَجْدَى: صَدَقَتْ. ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهَا. وَسَمِعَ ذَلِكَ بَسْبَسٌ وَصَاحِبُهُ فَجَلَسَا عَلَى بَعِيرِهِمَا، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَاهُ بِمَا سَمِعَا. وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانٍ يَقْدُمُ الْعِيرَ حَذَرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ. فَقَالَ لِمَجْدَى بْنِ عَمْرُو: هَلْ أَحْسَسْتَ أَحَدًا؟ قَالَ: لَا، مَا رَأَيْتُ أَحَدًا، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ رَاكِبَيْنِ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنٍّْ لَهَا ثُمَّ انْطَلَقَا. فَاتَى أَبُو سُفْيَانٍ مُنَاخَهُمَا فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرِيهَا فَفَتَّهَ فَإِذَا فِيهِ نَوَى. فَقَالَ: هَذِهِ وَاللَّهِ عَلَانْفُ يَثْرَبُ! وَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا. فَضَرَبَ وَجْهَ عِيرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ، وَتَرَكَ بَدْرًا يَسَارًا، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى أَسْرَعَ. وَأَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ، فَلَمَّا نَزَلُوا الْجُحْفَةَ رَأَى جُهِيمُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ بْنِ مَحْرَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ رُؤْيَا، فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ، وَإِنِّي لِبَيْنِ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ، إِذْ نَظَرْتُ إِلَى رَجُلٍ أَقْبَلَ عَلَى فَرَسٍ حَتَّى وَقَفَ وَمَعَهُ بَعِيرٌ لَهُ ثُمَّ قَالَ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو الْحَكَمِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمِيَّةُ بْنُ خَلْفٍ، وَفُلَانٌ وَفُلَانٌ، يَعْدُدُّ رَجُلًا مِمَّنْ قُتِلَ

(١) الشن: القرية الخلق الصغيرة.

(٢) أى تملقت إحداهما بالآخرى.

يومئذ من أشراف قُريش . ورأيتُه قد ضَرب في لَبَّة^(١) بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقى خِياباً من أخبية العسكر إلا وأصابه نَضْحٌ من دمه . وبلغت أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخر من بني عبد المطلب ! سيعلم غداً من المقتول إن نحن ألتقيناه ! فلما رأى أبو سُفْيَان أنه قد أحرز عِيره ، أرسل إلى قُريش : أنتم إنما خرجتم لَتَمْنَعُوا عِيرَكُمْ وَرِحَالَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، وقد نَجَّاهَا اللهُ ، فأرجعوا . فقال أبو جهل ، لعنه الله : والله لا نرجع حتى نَرَدَ بدرًا - وكانت بَدْرٌ موسماً من مواسم العرب تجتمع فيها في كُلِّ سنة - نُقِيمُ عليها ثلاثاً ونَنَحِرُ الإبل ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونَسْقِي الخمر ، ونَعْرِفُ علينا القِيَان وتَسْمَعُ بنا العرب ، فلا يزالون يهابُوننا ، فامضُوا . فقال الأخنس بن شَرِيق بن عمرو البَتَقِي ، وكان حليفاً في بني زُهرة ، وهم بالْجَحْفَةِ : يا بني زُهرة ، قد تَجَيَّ اللهُ عِيرَكُمْ وَخَلَّصَ لَكُمْ صَاحِبَكُمْ مَخْرَمَةَ بن نَوْفَل ، وإنما خَرَجْتُمْ لَتَمْنَعُوهُ وَمَالَهُ ، فأرجعوا فلا حاجةَ لكم في أن تَخْرُجُوا في غير ضَيْعَةٍ لما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ، فلم يَشْهَدْها زُهْرِيٌّ واحد . وكان فيهم مُطَاعَا ، فرجعتْ بنو زُهرة مع الأخنس . ولم يَشْهَدْها من بني عَدِيٍّ إلا رجل واحد . وأما سائر البطون فخرَجَ من كُلِّ بَطْنٍ ناسٌ ، وطالبُ بن أبي طالب أخو عليّ رضي الله عنه ، قيل : إنه رَجَعَ ، وقيل : إنه شَهِدَهَا مُكْرَهًا ، وعُدم يومئذ فلم يُوجد في القتلى ولا الأسرى ولا رَجَعَ إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول :

يَا رَبَّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبٌ فِي مِقْنَبٍ^(٢) مِنْ هَذِهِ الْمَنَانِبِ
فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ

ونزلت قُريش بالْعُدُوَّةِ الْقُصُوى ، وَبَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ السَّمَاءِ ، وكان الوادي دَهْسًا^(٣) . فَأَصَابَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَبَدَ لَهُمُ الْأَرْضَ فلم يَمْنَعَهُمْ

(١) اللبّة : المنحر . (٢) المِقْنَب : الجماعة من الخيل والفرسان .

(٣) الدَّهْس : الأرض السهلة يثقل فيها المشي .

المسير . وأصاب قريشاً منه ما لم يقدرُوا معه على المسير . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُبَادِرُهُم إلى الماء، حتى إذا حاذى أدنى ماء من بَدْرٍ نَزَلَ فيه . فقتل الحُباب ابن المنذر بن الجوح : يا رسول الله ، أَرَأَيْتَ هذا المنزل ؟ أَمَنْزِلٌ أَنْزَلَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ وليس لنا أن نتقدَّمه ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأى فى الحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى فى الحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله ، إن هذا ليس بمنزل ، فأنهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فتنزله . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . ونهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم ، فنزلوا عليه . ثم أمر بالقلب فُعُورَت^(١) ، وبني حَوْضًا على القلب الذى نزل عليه فُمِلَى ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية . وقال سعد ابن معاذ رضى الله : يا رسول الله ، أنبئنى لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونُعدُّ لك ركائبك ثم نلتقى عدوَّنا ، فإن نحن أعزَّنا اللهُ وأظهرنا على عدوِّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا ؟ فقد تخلف عنك أقوامٌ يا نبيَّ الله ما نحن بأشدَّ حُباً لك منهم ، ولو ظنُّوا أنك تلتقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يَمْنَعُكَ اللهُ بهم فيُناصحونك ويجاهدون معك . فأتى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له بخير . ثم بُنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ فكان فيه . وقد أرتحلت قريش حتى أصبحت وأقبلت ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تصوَّب من العقنقل — وهو الكتيب الذى منه جاءوا — إلى الوادى ، قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادِّثُكَ وتكذِّبُ نبيَّكَ ورُسُلَكَ ، اللهم فنصرك الذى وعدتني ، اللهم فأخِهم^(٢) الغداة . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وقد رأى عُتبة بن ربيعة مع

(١) القلب : الآبار . الواحد : قلب . وعورت : ردمت وطمرت .

(٢) أخهم : أهلكهم .

القوم على جمل له أحر: إن يكن عند أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الآخر، إن يطيعوه يرشدوا. فلما نزل أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم حكيم بن حزام على فرس له. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعوهم. فما شرب منهم رجل إلا قتل يومئذ، إلا حكيم بن حزام فإنه لم يقتل، نجا على فرس له يقال له: الوجيه، وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه. وكان إذا اجتهد في يمينه قال: والذي نجاتي يوم بدر. ولما أطمأن القوم بعثوا حمير بن وهب الجمحي فقالوا له: أحرز^(١) لنا أصحاب محمد. فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إلى القوم، فقال: ثلثانة رجل، يزيدون قليلاً أو ينقصونه. ولكن أمهلوني حتى أنظر: هل للقوم كمين أو مدد؟ ففُضِرَ في الوادي حتى أمعن فلم ير شيئاً، فرجع إلى القوم وقال: إني لم أر مدداً، ولكني يا معشر قريش قد رأيتُ الولاي^(٢) تحمل المنايا، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع، قوم ليس لهم تخلص ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى رجلاً منهم يقتل حتى يقتل رجلاً منكم! فما خير العيش بعد ذلك!

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فقال: يا أبا الوليد، إنك كبير قريش الليلة وسيدها والمطاع فيها، هل لك إلى أمر لا تزال تذكر منه بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ترجع بالناس وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي. قال: قد فعلت، أنت على بذلك شهيد. إنما هو حليف فعلي عقه^(٣)، وما أصيب من ماله، فأت ابن الحنظلية فإني لا أخشى أن يفسد أمر الناس غيره، يعني أبا جهل بن هشام. ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً

(١) الحزر: التخمين والتقدير.

(٢) الولاي: البراذع. الواحدة: ولية.

(٣) العقل: الدية.

فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، ولئن أصبتموه فلا يزال الرجل ينظر في وجه الرجل يكره النظر إليه ، رجل قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب ، فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفتهم ولم تعدوا منه ما تريدون . قال حكيم بن حزام : فأنطلقت أومّ أبا جهل بن هشام ، فوجدته قد نثل^(١) درعاً من جرابها وهو يهيئها ، فقلت له : أبا الحكم ، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا . قال : أنتفخ والله سحره حين رأى محمداً وأصحابه ، وما بعثة ما قال ، ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلة جزور^(٢) ، وفيهم ابنه ، فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت تأرك بعينك ، قم وأنشد خفرتك^(٣) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فأكتشف^(٤) ثم صاح : واعمره ! واعمره ! فخيبت الحرب وحقب^(٥) أمر الناس وأستوسقوا^(٦) على ما هم عليه من الشر . وأفسد أبو جهل على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة . فلما بلغ عتبة قول أبي جهل ، قال : سيعلم مصفر أسته من أنتفخ سحره ، أنا أم هو ؟ ثم أتمس بيضة يدخلها في رأسه ، فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم رأسه . فلما رأى ذلك اعتجر^(٧) على رأسه ببرد ، ثم خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي ، وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمته أو لأموتن دونه . فلما خرج عرض له حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فلما ألتقيا ضربه حمزة فأطن^(٨) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب رجله دماً . ثم حبا إلى الحوض

(١) نثل : أخرج . (٢) يريد أنهم قلة تكفيهم جزور واحدة لطعامهم .
(٣) الخفرة : الذمة والعهد . (٤) اكتشف ، أى أشرف على مرتفع حتى بان للناس وظهر .
(٥) حقب : فسد . (٦) استوسقوا : اجتمعوا .
(٧) الاعتجار : لف العمامة على الرأس . (٨) أطن : قطع .

حتى أقتحم فيه يريد أن يُبرِّئَ يمينه ، وأتبعه حمزة فضر به حتى قتله في الحوض . ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وأبنة الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر ، منهم : عوف ومعوذ ، أبنا الحارث - وأمهما عفرأ - ورجل آخر يقال له : عبد الله ابن رواحة . فقالوا : من أتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم من حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب . فلما قاموا ودنوا منهم قالوا : من أتم ؟ قال عبيدة : عبيدة . وقال حمزة : حمزة . وقال علي : علي . فقالوا : نعم ، أكفأ كرام . فبارز عبيدة - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبة بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة . فأما حمزة فلم يمهل شيبة أن قتله . وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله . وأختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت^(١) صاحبه ، فكرر علي وحمزة بأسيا فهما على عتبة ققتلاه ، وأحتملا صاحبهما عبيدة ، فجاء به إلى أصحابه ، وقد قطعت رجله فخضها يسيل . فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لست شهيداً يا رسول الله ؟ قال : بلى . فقال أبو عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق بما قال منه حيث يقول :

وَنُسِّلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

ثم تراحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا يحملوا حتى يأمرهم ، وقال : إن أكتفكم القوم فأنضحوهم عنكم بالنبل . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد أستقبل القبلة يدعو ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

(١) أثبت صاحبه : أثخنه بالجراح .

لا تُعْبِدُ فِي الْأَرْضِ . فلم يزل كذلك حتى سَقَطَ رِداؤُهُ . فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ثم قال له : كفاك يا نبيَّ الله ! بأبي أنت وأُمِّي ! بعضُ مُنَاشِدَتِكَ لِرَبِّكَ ، فإنه سَيُنْجِزُ مَا وَعَدَكَ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) . وَخَفَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَفَقَةً وَهُوَ فِي الْعَرِيشِ ثُمَّ أَتَبَهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرَ ، أَنْتَكَ نَصْرُ اللَّهِ ، هَذَا جِبْرِيلُ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ يَقُودُهُ وَعَلَى ثَنَائِيهِ النَّقْعُ ^(١) . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّاسِ فَحَرَّضَهُمْ ، وَنَفَلَ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَصَابَ ، وَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يُقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ يُقَاتِلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ الْخَطَمِ ، أَخُو بَنِي سَلَمَةَ ، وَفِي يَدِهِ تَمَرَاتٌ يَا كُلُّهَا : نَخِ نَخِ ! أَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخَلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ . ثُمَّ قَذَفَ التَّمَرَاتِ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ ، وَهُوَ يَقُولُ :

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بغير زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرَ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ غُرْضَةُ النَّفَادِ

وقال عوفُ بن الحارث ، وهو ابنُ عَفْرَاءَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ ؟ قَالَ : تَحْمُسُهُ يَدُهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فَتَزَعُ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ فَقَذَفَهَا ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

وَمَا التَّقَى النَّاسُ وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا لِلرَّحِمِ وَأَتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ فَأَحْنَهُ الْعَدَاةَ . فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ) الْآيَةُ .

ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ حَفَنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ فَأَسْتَقْبَلَ بِهَا

قُرَيْشًا ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ! ثُمَّ نَفَحَهُمْ بِهَا . فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) . ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : شُدُّوا . فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ . فَحَقَّلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ ، وَأَسْرَ مَنْ أَسْرَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مَتَوَشِّحُ السَّيْفِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ ، فَقَالَ : كَأَنَّكَ كَرِهْتَ مَا يُصْنَعُ بِالْمُشْرِكِينَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَانَ الْإِنْتِحَانُ فِي الْقَتْلِ أَعْجَبَ إِلَىَّ مِنْ أَسْتَبْقَاءِ الرِّجَالِ .

وَقَاتَلَتِ الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ بَدْرٍ . فَحَكَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي غِفَارٍ قَالَ : أَقْبَلْتُ أَنَا وَأَبْنُ عَمٍّ لِي حَتَّى أَصْعَدَنَا فِي جَبَلٍ يُشْرَفُ بِنَا عَلَى بَدْرٍ ، وَنَحْنُ مُشْرِكَانِ نَنْتَظِرُ الْوَقْعَةَ عَلَى مَنْ تَكُونُ الدَّبْرَةُ ^(١) فَفَنَهَبَ مَعِي مِنْ يَنْهَبُ . فَبَيْنَا نَحْنُ فِي الْجَبَلِ إِذْ دَنَتْ مِنَّا سَحَابَةٌ فَسَمِعْنَا فِيهَا حَمِيمَةَ الْخَلِيلِ ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ : أَقْدَمَ حَيَزُومَ ^(٢) ! فَأَمَّا ابْنُ عَمِّي فَاِنْكَشَفَ قِنَاعَ قَلْبِهِ فَاتَّ مَكَانَهُ ، وَأَمَّا أَنَا فَكَدْتُ أَهْلَكَ ، فَمَا سَكْتُ .

وَقَالَ رَجُلٌ مِنْ مَازِنٍ ، وَكَانَ شَهِيدَ بَدْرًا : إِنِّي لَأَتَّبِعُ رَجُلًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ لِأَضْرِبَهُ ، إِذْ وَقَعَ رَأْسُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ سَيْفِي ، فَعَلِمْتُ أَنَّهُ قَدْ قَتَلَهُ غَيْرِي .

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : كَانَتْ سَيِّمَةُ الْمَلَائِكَةِ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَامٌ بَيْضًا وَقَدْ أَرْسَلُوهَا عَلَى ظُهُورِهِمْ ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَامٌ حُمْرًا . وَلَمْ تُقَاتِلِ الْمَلَائِكَةُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ سِوَى يَوْمِ بَدْرٍ ، وَكَانُوا يَكُونُونَ فِيهِمَا سِوَاهُ مِنَ الْأَيَّامِ عِدَدًا وَمَدَدًا لَا يَضُرُّ بُونَ .

(١) الدبيرة : العاقبة .

(٢) حيزوم : اسم فرس جبريل .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم لا يُعجزَنَّكَ — يعنى أبا جهل — فكان أولَ مَنْ لقيه مُعَاذُ بن عمرو بن الجُوح . قال مُعَاذُ : فسمعتُ القومَ ، وأبو جهل في مثل الحَرْجَةِ ، وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلَصُ إليه ! فلما سمعُها جعلُها من شأني ، فعمدتُ نحوه . فلما أمكنتُ حملتُ عليه ، فضرَبْتُه ضربةً أَطْنَتُ ^(١) قَدَمَهُ بِنِصْفِ سَاقِهِ . فوالله ما شَبَّهْتُها حين طاحتُ إِلَّا كالنَوَاةِ تَطْلِيحُ من تحتِ مِرْضَخَةٍ ^(٢) النَّوَى حين يُضْرَبُ بها . قال : وضَرَبَنِي أبنُه عِكرمةُ على عاتقِي فَطَرَحَ يَدِي فَتَعَلَّقْتُ بِمِجْلَدَةٍ من جَنْبِي . وَأَجْهَضَنِي الْقِتَالُ عنها . ولقد قَاتَلْتُ عامَةً يَوْمِي وَإِنِّي لَأَسْحَبُهَا خَلْفِي ، فلما آذَنَتْنِي جعلتُ عليها رِجْلِي ثم تَمَطَّيْتُ بها حتى طَرَحْتُها . ثم عاش مُعَاذُ بعد ذلك حتى مات في خلافة عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عنه .

ثم مَرَّ بِأَبِي جَهْلٍ ، وهو عَقِيرٌ ^(٣) ، مُعَوِّذُ بن عَفْرَاءَ فَضَرَبَهُ حتى أَثْبَتَهُ ، وتركه وبه رَمَقٌ . وقَاتَلَ مُعَوِّذٌ حتى قُتِلَ . ومَرَّ عَبْدُ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عنه بِأَبِي جَهْلٍ ، وقد أَمَرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يُلْتَمَسَ في الْقَتْلَى وقال : انظُرُوا إِن خَفِيَ عَلَيْكُمْ في الْقَتْلَى إِلَى أَثَرِ جُرْحٍ بُرْكَبْتَهُ ، فَإِنِّي آزِدْجَتُ أَنَا وَهُوَ يَوْمًا عَلَى مَادِبَةٍ لِعَبْدِ اللهِ بن جُدْعَانَ ، وَنَحْنُ غُلَامَانِ ، وَكُنْتُ أَشَبَّ مِنْهُ بَيَسِيرٍ ، فَدَفَعْتُهُ فَوَقَعَ عَلَى رُكْبَتِهِ فَجَحَشَ ^(٤) فِي إِحْدَاهُمَا جَحَشًا لَمْ يَزَلْ بِهِ أَثَرُهُ فِيهَا بَعْدُ . فقال عَبْدُ اللهِ بن مسعود : فوجدتُهُ بِأَخِيرِ رَمَقٍ فَعَرَفْتُهُ ، فوضعت رِجْلِي على عُنُقِهِ ، وقد كان ضَبَّتْ ^(٥) بِي مَرَّةً بِمِكَّةٍ وَلَكَّرَنِي ، ثم قلتُ : هل أَخْرَاكَ اللهُ يَا عَدُوَّ اللهِ ؟ قال : وبماذا أَخْرَانِي ! أَعْمَدُ ^(٦) من رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ! لِمَنِ الدَّبْرَةُ ؟ قلتُ : لله ولرسوله .

(١) أطنت : قطعت . (٢) المِرْضَخَةُ : حجر يرضخ به النوى . (٣) العقير : الجريح .

(٤) جحش : خدش . والرواية في بعض أصول الأغاني : « خدش » ... خدشا .

(٥) ضبت بالثاء : قبض عليه بكفه .

(٦) أعمد : أعجب . يريد : هل زاد على سيد قتله قومه ! وهل كان إلا هذا ! أي إن هذا

وقيل : إنه قال له أبو جهل : رُوِيَ غَنَم ! لقد أرتقيت مُرتقى صَنِيعًا . ثم قال : احتزرتُ رأسه ثم جئتُ به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : يا رسول الله ، هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اللهُ الذي لا إلهَ غيرُهُ ! وكانت هذه يمينَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فقلتُ : نعم ، والله الذي لا إلهَ غيرِهِ . ثم أَلقيتُ رأسَه بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله جَلَّ وعَزَّ .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه يومئذٍ : إني عرفتُ أن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كَرَهًا لا حاجةَ لهم بقتالنا ، فمن لقيَ منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقيَ العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فإنه إنما أخرج مُستكرهاً . فقال أبو حذيفة بن عُتبة بن ربيعة : آتقتل أباونا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس ! أما والله لئن لقيتُهُ لأُجَنِّهه السيفَ . فبلغت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة : أضربُ وجهَ عمِّ رسولِ الله ! فقال عمر : يا رسول الله ، دَعْنِي فَلأضربُ عنقه بالسَّيف ، فوالله لقد نافق . قال عمر : فوالله إنه لأول يوم كُنَّاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص . وكان أبو حذيفة رضى الله عنه يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ، ولا أزال خائفاً إلى أن يكفرها الله عني . فقتل يومَ اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر رضى الله عنه . ونهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري . وإنما نهى عن قتله لأنه كان أكفَّ الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، وكان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه . وهو الذي قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريشٌ على بني هاشم وبني المطلب . فلقية المجدَّر بن زياد ، فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك - ومع أبي البختري زميلٌ له خرج من مكة -

قال : وزميلي ؟ فقال المجذّر : لا والله ، ما نحن بتاركى زميلك ، ما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بك وحدك . قال : إذن والله لأموتنّ أنا وهو جميعاً ، لا نتحدّث عني نساء قريش وأهل^(١) مكة أني تركتُ زميلي حرصاً على الحياة ! وقال أبو البختري حين نازله المجذّر وأبى إلا القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسَلِّمَ ابْنُ حُرَّةَ زَمِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

فأقتلنا . فقتله المجذّر بن زياد . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ، لقد جهدتُ عليه أن يستأسر ، فأبى إلا القتال ، فقاتلته فقتلته .

وكان أمية بن خلف الجهمي يعذب بلالاً بمكة على أن يترك الإسلام ، فيخرجه إلى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتجعل على صدره ، فيقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد . فيقول بلال : أحد ! أحد ! فحكى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال : كان أمية بن خلف صديقاً لي بمكة ، وكان أسمى عبد عمرو . فلما أسلمتُ سُميت : عبد الرحمن . فكان يلقاني ونحن بمكة فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتَ عن اسم سَمَك به أبوك ؟ فأقول : نعم . فيقول : إني لا أعرف عبد الرحمن ، أجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به . أمّا أنت فإنك لا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك إلا بما أعرف . وكان إذا دعاني : عبد عمرو ، لا أجيبه . فقلت : أجعل بيني وبينك يا أبا علي ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . قلتُ : نعم . فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله . فأجيبه فأحدّث معه . حتى إذا كان يوم بدّر مررتُ به ، وهو واقف مع ابنه علي بن أمية آخذ بيده ، ومعى أذراع قد استلبتها وأنا أحملها ، فلما رآني قال : يا عبد عمرو ،

(١) في بعض أصول الأغاني : « بين أهل » مكان « وأهل » .

فلم أجبه . فقال لى ، وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل المعلم بريش النعامة فى صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب . قال : الذى فعل بنا الأفاعيل ! قال : فوالله إني لأقودها إذ رآه بلال معي ، فقال بلال ، حين رآه : رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوتُ إن نجا ! فقلت : يا بلال ، أبأسيرى ؟ قال : لا نجوتُ إن نجا ! قلت : أبأسيرى تُسمع يا بن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نجا . ثم صاح بأعلى صوته : رأس الكفر أمية بن خلف ! لا نجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، وأنا أدبُ عنه ، فضرب رجل ابنه فوق . وصاح أمية صيحة ما سمعتُ مثلها قط . فقلت : أنج بنفسك ولا تنجاء ! فوالله ما أغنى عنك شيئاً . فهبروها بأسيا ففهم حتى فرغوا منهما . فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالاً ، ذهب بأدراعى وفجعنى بأسيرى !

ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطرح القتلى فى قلب هُناك ، فطرحوا فيه ، إلا ما كان من أمية بن خلف فإنه أُنْتَفَخَ فى درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليَجْرُوهُ ، فزأيل ، فألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة .

ولما أمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يلقوا فى القلب أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القلب . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وجه أبى حذيفة بن عتبة ، فإذا هو كئيب قد تغير . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لعلك دخلك من حال أهلك شئ ؟ قال : فقلت : لا والله يا رسول الله ، ما شككتُ فى حال أبى ولا مضرعه ، ولكنى كنتُ أعرف له رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله بذلك إلى الإسلام ، فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرتُ ما صار إليه من الكفر بعد الذى كنتُ أرجو ، أحزنتنى ذلك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم له بخير وقال له خيراً . فلما ألقوا فى القلب وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : يا أهل القلب ، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ، فإني وجدتُ ما وعدنى ربي

حقاً؟ فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتُكلم قوماً موتى؟ قال : لقد علموا أن ما وعدهم ربُّهم حقاً .

وفى رواية : أنه قال صلى الله عليه وسلم : ما أتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون أن يُحييوني .

وجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الأسارى ، فكانوا أربعةً وأربعين ، وكان من القتلى مثلُ ذلك . وكان فى الأسارى عُقبةُ بن أبي مُعَيْط ، والنَّضر بن الحارث ، فضربت أعناقهما بين يديه صَبْرًا . وقد تقدَّم ذكر ذلك فى أخبار أبي قُطَيْبة .

وكان فى الأسارى العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه . فروى ابنُ عباس قال : لما أمسى القومُ من يوم بدر ، والأسارى محبوسون فى الوثاق ، بات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أولَ ليلةٍ . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لاتنام؟ فقال : سمعتُ تَصَوُّرَ العباس فى وثاقه . فقاموا إلى العباس فأطلقوه . فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعَمَّةِ العباس ، حين أنتهى به إلى المدينة : أقد نفْسك وأبنى أخيك : عَقِيل بن أبى طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عُتْبة بن عمرو بن جَحْدَم ، فإنك ذو مال . فقال : يا رسول الله ، إني كنتُ مُسْلِمًا ، ولكن القومُ أَسْتَكْرَهُونِي . قال : الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تقول حقاً فالله يَجْزِيكَ به ، فأما ظاهرُ أمرِك فقد كان علينا ، فأقد نفْسك .

وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب . فقال العباس : يا رسول الله ، أحسبُها لى فى فدائى . قال : ذاك شىء أعطانا الله منك . قال : فإنه ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعته بمكة حين خرجت

من عند أم الفضل بنت الحارث ليس معكما أحد؟ ثم قلت لها: إن أُصبتُ في سفرى هذا فليفضل كذا، ولعبد الله كذا، ولتقم كذا، ولعبيد الله كذا. قال: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيرى وغيرها، وإني لأعلم أنك رسول الله. فقدأ نفسه وأبنى أخيه وحليفه.

وقيل:

أول من قدم مكة بمُصاب قریش الحِيسْمَان بن عبد الله الخُزَاعِيّ، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: قُتِل عُتْبَةُ، وشَيْبَةُ، وأبو الحَكَم، وأمِيَةُ بن خلف، وفلان. وجعل يعددُ أشراف قریش. فقال صَفْوَان بن أمِيَةَ، وهو قاعدٌ في الحِجْر: والله إن يعقل هذا فسلوه عني. فقالوا: ما فعل صَفْوَان بن أمِيَةَ؟ قال: هو ذا جالسٌ في الحِجْر، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتلا.

وحدث أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، وأسلمت أم الفضل. وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مالٍ كثيرٍ متفرق في قومه. وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة. وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث. فلما جاء الخبر عن مصاب بدر من قریش، كتبته الله فأخزاه، ووجدنا في أنفسنا قوةً ومنعةً وعِزَّةً، وكنت رجلاً ضعيفاً أعمل القِدَاح وأُنحِتُها في حُجْرَةٍ زَمَزَم. فوالله إني لجالسٌ فيها أُنحِتُ القِدَاح، وعندى أم الفضل جالسةٌ، وقد سرَّنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسقُ أبو لهب يجرُّ رجليه بشر^(١)، حتى جلس على طنب الحِجْرَةِ، وكان ظهره إلى ظهري. فبينما هو جالسٌ إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم. فقال له أبو لهب: هلم إليّ يا ابن أخي، فعندك الخبر. قال: فجلس والناس قيامٌ عليه: فقال، يا ابن أخي، أخبرني

(١) في بعض أصول الأغاني: «يسير» مكان «بشر».

كيف كان الناس؟ قال : لا شيء والله ، إن هو إلا لقيناهم فَمَنَحْنَاهُمْ أَكْتافاً يقتلون ويأسرون كيف شاءوا . وأيم الله ما لُئِمْتُ الناس ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بلقي بين السماء والأرض ما تُلَيِّقُ شيئاً^(١) ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنْبُ الحجرة بيدي ، وقلتُ : تلك الملائكة . فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربةً شديدةً . فساورتُهُ ، فأحتملني فضرب بي الأرض وبرك عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً . فقامت أم الفضل إلى عمود من عهد الحجرة فضربتْ به ضربةً فلقت رأسه شجرةً منكراً ، وقالت : تَسْتَضَعِفُهُ أَنْ غاب سيده ! فقام مولياً ذليلاً . فوالله ما عاش بعدها إلا سَبْعَ ليالٍ حتى رماه الله^(٢) بالعدسة فقتلته . فلقد تركه أبناء ليلتين أو ثلاثاً لم يدفنناه حتى أنتم في بيته — وكانت قریش تتقَى العدسة كما يتقَى الناس الطاعون — حتى قال لهما رجلٌ من قریش : ويحكما ! لا تستحييان أن أباكما قد أنتم في بيته لا تغيبانه ! قال : نخشى هذه القرحة . قال : فأطلقا وأنا معكما ، فما غسلوه إلا قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسونه . ثم أحتملوه يدفنونه بأعلى مكة على جدار . وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه .

وروت عائشة رضي الله عنها قالت :

لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع بقلادة لها . وكانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين تبني بها . فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال : إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها وتردوها عليها الذي لها فافعلوا . فقالوا : نعم يا رسول الله . فأطلقوه وردوها عليها الذي لها . ولما أنقضت نوبة بدر ناحت قریش على قتلها ثم قالوا : لا تفعلوا

(١) ما تُلَيِّقُ شيئاً ، أى ما تبق على شيء .

(٢) العدسة : بئرة قاتلة تخرج في البدن .

فبيلُغُ محمداً وأصحابه فيشمتوها^(١). وكان الأسود بن عبد المطلب^(٢) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعَة ، وعَقِيل ، والحارث . وكان يُحِبُّ أن يبكي على بَنِيهِ . فبينما هو كذلك إذ سمع نائحةً من الليل ، فقال لـغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحل النحيب وهل بكت قُرَيْش على قتلاها ، فلعلِّي أبكي على أبي حَكِيمَة — يعني زَمْعَة — فإنَّ جَوْفِي قد أحترق ! فلما رجع إليه الغلام قال : إنما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلَّته ، فذلك حين يقول الأسود :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ^(٣) الشُّهُودُ
وَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ تَقَاصَرَتْ^(٤) الْجُدُودُ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بِدْرِ لَمْ يَسُودُوا
وَقَالَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ :

مَنْ حَسَلَ لِي الْأَخَوَيْنِ كَأُ غُصْنَيْنِ أُمِّ مَنْ رَأَاهُمَا
قَرَمَانٍ لَا يَتَظَلَّمَا نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهُمَا
وَبُنَى عَلَى أَبَوَيْ وَالِدِ قَبْرِ الذِّي وَارَاهُمَا
لَا مِثْلَ كَهْلِي فِي الْكُھُو لِ وَلَا فَتَى كَفَّتَاهُمَا
أَسَدَانِ لَا يَتَذَلَّلَا نِ وَلَا يُرَامُ حِمَاهُمَا
رُحْمَيْنِ خَطَّيْنِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ تَرَاهُمَا
مَا خَلَّفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدٍ^(٥) شَرَاهُمَا
سَادَا بَغِيرِ تَكَلُّفٍ عَفَوَا يَقْفِضُ نَدَاهُمَا

(١) في بعض أصول الأغاني : « فيشمتوا بكم » .

(٢) في الأصول : « الأسود بن عبد يغوث » . والتصويب من السيرة والحجاسة والاشتقاق .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « ويمنعها البكاء من الهجود » .

(٤) البكر : الفتى من الإبل . وتقاصرت الجلود : أى تواضعت الحظوظ . يستهين فقد المال

ويستعظم فقد النفوس . (٥) شرواهما : مثلهما .

هند والخنساء

وقيل : بلغ هنداً بنت عُتبة تَسْوِيمٌ^(١) الخنساء هَوْدَجها في الموسم، ومُعَاطِمْها للعرب بِمُصَيِّتِها بأبيها عمرو بن الشَّريد، وأخويها : صَخْر ومُعَاوِيَة، وأنها جعلت تَشْهَدُ الموسمَ وتَبْكِيهم، وأنها سَوَّمت هَوْدَجها براية، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مُصَيِّةً، وأن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أُصِيبَتْ هِنْدُ بما أُصِيبَتْ به ، وهو قتل أبيها عُتبة ، وعمها شَيْبَة ، وأخيها الوليد ، وولدها حَنْظَلَة بن أبي سفيان ، يومَ بدر ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مُصَيِّةً ، وأمرت بهَوْدَجها فَسَوَّمتَه براية وشهدتَ الموسمَ بِعُكَاظٍ ، وكانت سَوْقًا يَجْتَمِعُ فيها العرب ، فقالت : أَقْرِنَا بِجَلِيٍّ بِجَمَلِ الخنساء . ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء : يا أُخِيَّة ، من أنت ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظم العرب مُصَيِّةً ، وقد بَلَغْنِي أَنَّكَ تُعَاطِمين العرب بِمُصَيِّتِكَ ، فبِمَ تُعَاطِمينهم ؟ قالت الخنساء : بأبي عمرو بن الشَّريد ، وأخوي : صَخْر ، ومُعَاوِيَة ، وأبني عمرو ، فبِمَ تُعَاطِمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عُتبة ، وعمي شَيْبَة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سِوَاهُم عِنْدَكَ ؟ ثُمَّ أَتَشَاتُ تقول :

أَبْكِي أبا عَمْرًا بَعِينَ غَزِيرَةً قَلِيلٌ إِذَا نَامَ انْخَلَى هُجُودُهَا
وَصِنُوءِي لَا أُنْسِي مُعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاةِ الْحَرَّتَيْنِ^(٢) وَفُودُهَا
وَصَخْرًا وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا بَسْلَهَةِ الْأَطَالِ قَبًّا^(٣) يَقُودُهَا
فَذَلِكَ يَا هِنْدُ الرِّزِيَّةُ فَأَعْلَمِي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا
فَقَالَتْ هِنْدُ تُجِيبُهَا :

أَبْكِي عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ^(٤) كَلِمَتُهُمَا وَحَامِيَهُمَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا
أَبِي عُتْبَةَ الْخِيَرَاتِ وَيَحْكُ فَاعْلَمِي وَشَيْبَةَ وَالْحَامِي الذَّمَّارَ وَلِيدُهَا^(*)

(١) التَسْوِيمُ : أَنْ تَجْعَلَ لشيءٍ سِوَمَةً ، أى علامة يعرف بها ويتعزى .

(٢) الحرَّتَانِ : هما حرة بنى سليم وحرة بنى هلال ، بالحجاز . والحرة : الأرض ذات الحجارة السود .
(٣) السلهبة : الطويلة من الخيل . والآطال : جمع أَطْل ، وهو الخاصرة ، وقباء ، بالمدينة وقصرها للشعر : دقيقة ضامرة .

(٤) العميد : السيد : والأبطحان : بطحاء مكة وسهل تهامة . والأبطح : المسيل الواسع .

(*) ذكر أبو الفرج بعد هذا شيئاً عن نسب « علس ذى جدن » ثم عاد فترجم لطويس .

وقد مرت ترجمته في الجزء الأول .

أَخْبَارُ الْأَحْوصِ

هو عبدُ الله . وإنما لُقِّبَ الْأَحْوصَ لِحَوْصِ كَانَ فِي عَيْنَيْهِ . وهو أَبُو مُحَمَّدٍ نَسَبُهُ وَلَقَبُهُ
أَبْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَاصِمٍ بْنِ ثَابِتِ بْنِ الْأَقْلَحِ . واسمُ أَبِي الْأَقْلَحِ قَيْسُ بْنُ عُصَيْمَةَ
ابْنِ النُّعْمَانِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ .
وكان يُقالُ لجدِّه عاصمُ بْنُ ثَابِتٍ : حَمِيُّ الدَّبَرِ ، لِأَنَّهُ لما أُسْتُشْهِدَ حَمَتِ الدَّبَرِ ، خَيْرُ جَدِّهِ عَاصِمٍ
وَهِيَ النَّحْلُ ، جُنَّتْهُ .

ذِكْرُ مَقْتَلِ عَاصِمٍ :

قِيلَ : قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ «أَحُدَ» رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ
وَالْقَارَةِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ فِينَا إِسْلَامًا وَخَيْرًا ، فابْعَثْ مَعَنَا نَفَرًا مِنْ
أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَا فِي الدِّينِ وَيُقَرِّئُونَا الْقُرْآنَ ، وَيُعَلِّمُونَا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ . فَبَعَثَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفَرًا سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ : مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ ،
حَلِيفَ حِمْرَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَخَالِدَ بْنَ الْبُكَيْرِ ، حَلِيفَ بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ ،
وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ ، وَزَيْدَ بْنَ الدَّيْنَةِ ، أَخَا بَنِي بَيَاضَةَ بْنِ عَامِرٍ ،
وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَارِقٍ ، حَلِيفَ بَنِي ظَفَرٍ ، مِنْ بَلِيٍّ ، وَخُيَيْبَ بْنَ عَدِيٍّ . وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ . فَخَرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
بِالرَّجِيعِ - مَاءِ لَبْنَى هُذَيْلٍ - غَدَرُوا بِهِمْ وَأَسْتَصْرَحُوا عَلَيْهِمْ هُذَيْلًا ، فَلَمْ يَرَعْ الْقَوْمُ
وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلَّا بِالرِّجَالِ فِي أَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ قَدْ غَشَوْهُمْ . فَأَخَذُوا أَسْيَافَهُمْ لِيُقَاتِلُوا
الْقَوْمَ . فَقَالُوا : إِنَّا وَاللَّهِ مَا نُرِيدُ قَتْلَكُمْ ، وَلَكِنَّا نُرِيدُ أَنْ نُصِيبَ بِكُمْ شَيْئًا
مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَكُمْ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيثَاقُهُ أَلَّا نَقْتُلَكُمْ . فَأَمَّا مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ ،
وَخَالِدُ بْنُ الْبُكَيْرِ ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ ، فَقَالُوا : لَا نَقْبَلُ وَاللَّهِ مِنْ مُشْرِكٍ عَهْدًا

ولا عقداً . فقاتلوه حتى قتلوا جميعاً . وأما زيد بن الدثينة ، وخبيب بن عدي ،
وعبد الله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم ^(١) . فأسروهم
وخرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظهران ^(٢) أنزع عبد الله
ابن طارق يده من القرآن ثم أخذ سيفه وأستأخر عن القوم ، فرمّوه بالحجارة
حتى قتلوه ، فقبّره بالظهران . وأما خبيب بن عدي ، وزيد بن الدثينة . فقدّموا بهما
مكة فباعوهما . فأبتاع خبيباً حجير بن أبي إهاب التميمي ، حليف بني نوفل ، لعقبة
ابن الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمه - ليقتله
بأبيه الحارث . وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت أرادوا أخذ رأسه
ليبيعوه من سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ^(٣) . وكانت قد نذرت ، حين أصيب ابنها
يوم أحد ، لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن في حِفْفه الخمر ، فمنعته الدبر . فلما
حالت بينهم وبينه قالوا : دعوهُ حتى نمسي فتذهب الدبر عنه فناخذه . فبعث الله
عز وجل الوادي فأحتل عاصماً رضي الله عنه فذهب به . وكان عاصم قد أعطى
الله عهداً لا يمسّه مشرك أبداً ولا يمسّ مشركاً أبداً في حياته . فمنعه الله بعد وفاته .
وكان عمر بن الخطاب يقول ، حين بلغه أن الدبر منعتهُ : عجبا لحفظ الله العبد
المؤمن ! وفي ذلك يقول الأحوص :

وأنا ابنُ الذي حَمَت لحمه الدَّبْرُ رُ قَتِيلَ اللَّحْيَانِ ^(٤) يومَ الرَّجْعِ

وأنزل خبيب في دار الحارث بن عامر ليقتل به ، فاستعار يوماً من إحدى بنات
الحارث موسى ليستحد ^(٥) بها للقتل ، فما راع المرأة ، ولها صبي يدُرج ، إلا بخبيب

مقتل خبيب

(١) أعطى بيده : انقاد .

(٢) الظهران : واد بين مكة وعسفان .

(٣) في أصول الأغاني : « مهيل » خطأ . والتصويب عن الطبقات ، والطبري ، والسيرة .

(٤) اللحيان : حى من هذيل .

(٥) يستحد : يخلق شعر عانته .

قد أجلس الصبيَّ على فخذِهِ والموسى في يده ، فصاحت المرأةُ . فقال خبيب :
 اتخَّشِنِ أن أقتله ! إنَّ الغدر ليس من شأننا . فقالت المرأةُ بعد ذلك : ما رأيتُ
 أسيراً أكرمَ من خبيب ، لقد رأيتهُ وما بمكة من ثمرة وإن في يده لقطفاً من عنب
 يأكله ، إن كان إلا رزقاً رزقه الله خبيباً . ولما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : ذروني
 أصل ركعتين . فصلَّى ركعتين ، فجرت سنة لمن قُتل صبراً أن يُصلَّى ركعتين .
 ثم قال : لولا أن يُقال جَزِع لزدتُ ، وما أبالي :

* على أى شقِّ كان لله مضرعى *

وقال :

وذلك في ذاتِ الإله وإنَّ يشأُ يُبارك على أوصالِ شلِّو مُنزِع
 اللهم أحصهم عدداً ، وخذهم بدداً ^(١) ، ولا تُقلِّتْ منهم أحداً . ثم خرج
 أبو سُرُوعة ^(٢) بن الحارث بن عاصم بن نوفل بن عبد مناف ، فقتله .

وحدَّث أمية قال :

بعثني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وَخَدَى عِيناً إلى قُريش . قال : فجئتُ إلى
 خَشْبة خبيب ، وأنا أتخوِّفُ العيون ، فرقيتُ فيها ، فخلتُ خبيباً فوقَ إلى الأرض .
 فانتبذتُ غيرَ بعيد ثم ألثفتُ فلم أرَ لخبيب أثراً ، كأنَّ الأرض أبتلعتهُ . فلم تُذكر
 لخبيب رمّة إلى الساعة .

وأما زيد بن الدثنة فإنَّ صفوان بن أمية بعث مولًى له إلى التَّنعيم ، فأخرجه مقتل ابن الدثنة
 من الحرم ليقتله ، فأجتمع رهطٌ من قُريش ، منهم أبو سفيان بن حرب . فقال له

(١) أحصهم عدداً ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً . وخذهم بدداً ، أى . اقتلهم
 حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه . هذا على كسر « بدد » فتكون جمع : بددة ، وهي الحصّة
 والنصيب . ويروى « بددا » بالفتح ، من التبديد ، أى اقتلهم متفرقين في القتل واحداً بعد واحد .
 (٢) كنية عقبة بن الحارث النوفلي .

أبو سُفْيَان حين قُدِّمَ لِيُقْتَلَ : يَا زَيْد ، أُنْشِدْكَ اللَّهَ ، أَتُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا يَكُونَ مَكَانَكَ
تُضْرَبُ عُنُقُهُ وَأَنْتَ فِي أَهْلِكَ ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا أُحِبُّ أَنْ مُحَمَّدًا فِي مَكَانِهِ
الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنَا جَالِسٌ فِي أَهْلِي . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَان :
مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَدًا يُحِبُّ أَحَدًا كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا . ثُمَّ قُتِلَ زَيْد .

وقيل :

كنية الأحوص
واسم أمه

كَانَ الْأَحْوَصُ يُكْنَى أَبَا مُحَمَّدٍ . وَأُمُّهُ أَثِيلَةُ بِنْتُ عُمَيْرٍ ^(١) بِنْتُ نَحْشٍ ،
وَكَانَ أَحْمَرُ أَحْوَصَ الْعَيْنَيْنِ .

وهو شاعر مجيد في طبقة ابن قيس الرقيات ، ونصيب ، وجميل .

منزله في الشعر

وقيل : إنه لولا ما وضع الأحوص من دنى الأفعال والأخلاق لكان أشدَّ
تَقَدُّمًا مِنْهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَكْثَرُ الرِّوَاةِ . وَهُوَ أَسْمَجُ طَبْعًا ، وَأَسْهَلُ كَلَامًا ،
وَأَصَحُّ مَعْنَى ، وَلِشَعْرِهِ رَوْنَقٌ ، وَدِيَاجَةُ صَافِيَةٌ وَحَلَاوَةٌ ، وَعُدُوْبَةٌ أَلْفَاظُهُ لَيْسَتْ
لِوَاحِدٍ مِنْهُمْ . وَكَانَ قَلِيلُ الْمُرُوءَةِ وَالذِّينِ ، هَجَاءٌ لِلنَّاسِ مَا بُونًا .

وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عِنْدَ سُكَيْنَةَ فَأَذَنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَلَمَّا قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَخَرَّتْ سُكَيْنَةُ بِمَا سَمِعَتْ . فَقَالَ الْأَحْوَصُ :

مفاخرته سكينه

فَخَرْتُ وَأَنْتُمْ فَقُلْتُ ذَرِينِي لَيْسَ جَهْلٌ أَتَيْتِهِ بَبْدِيعِ

وَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتْ لِحْمَ الدَّبِّ رُ قَتِيلِ الْإِحْيَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ

غَسَلْتُ خَالِي الْمَلَائِكَةُ الْأَبَ رَارُ مَيْتًا طُوبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ

وَلَقَدْ فَخَّرَ بِفَخْرٍ عَظِيمٍ لَوْ كَانَ عَلَى غَيْرِ سُكَيْنَةَ فَخَرَّ بِهِ . وَأَمَّا سُكَيْنَةُ فَإِنْ
بَأْيَها صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حَمَتْ لِحْمَ عَاصِمِ الدَّبْرِ ، وَغَسَلَتْ الْمَلَائِكَةُ حَنْظَلَةَ الشَّهِيدِ ،
خَالَ الْأَحْوَصُ . فَمَا ذَكَرَهُ بَعْضُ مُنَاقِبِ الرُّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَفَخَّرَ
الْأَحْوَصُ بِهِ عَلَى سُكَيْنَةَ حَمَاقَةً مِنْهُ وَرَقَاعَةً .

جلد الوليد له
وسبب ذلك

وذكر أن الأحوص وقد على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فأنزله منزلاً وأمر بمطبخه أن يُمال عليه . ونزل على الوليد شعيب بن عبد الله بن عمرو ابن العاصي . وكان الأحوص يُراود وُصفاء الوليد ويريد أن يفعلوا به . وكان شعيب قد غَضِبَ على مولى له ونَحَاه . فلما خاف الأحوص أن يفتضح بمراودته الغلمان أندس لمولى شعيب فقال له : ادخل على أمير المؤمنين ثم أذكر له أن شعيباً راودك عن نفسه . ففعل المولى ذلك . فالتفت الوليد إلى شعيب وقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غور^(١) ، فاشدد به يدك يا أمير المؤمنين يصدقك . فشدد عليه . فقال : أمرني بذلك الأحوص . وقال قِيمَ الخبازين : أصلحك الله ، إن الأحوص يُراود غلمانك على أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وإلى المدينة وأمره أن يجلبه مائة ويصب على رأسه زيتاً ويقيمه للناس . ففعل ذلك به ونصبه للناس في السوق ، فكان يصيح ويقول :

ما من مُصيبة نكبة أمتى بها
وتزول حين نزول عن^(٢) متخبط
إني إذا خفي اللئام رأيتني
إني على ما قد ترون محسّد
أصبحتُ للأنصار فيما نابهم
وقال الأحوص يهجو ابن حزم :

أقول وأبصرتُ ابن حزم بن فرتن
تري فرتنى كانت بما بلغ أبنها
وقوفاً له بالمأزمين^(٣) القبائل
مُصدقة لو قال ذلك قائل

(١) غور ، أى شئ خفى غير واضح .

(٢) المتخبط : المتكبر . (٣) المأزمان : جبلا مكة .

وفاء سليمان إلى
دهلك ولم يردده
عمر ثم رده يزيد

وذكر أن الأحوص كان ينسب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ،
ويتغنى في شعره معبد ومالك ، ويشيع ذلك في الناس . فنهى فلم ينته . فشكى
إلى عامل سليمان بن عبد الملك بالمدينة ، وسأله الكتاب فيه إليه . ففعل ذلك .
وكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوط ويقيم على البلس^(١) للناس ،
ثم يسيره إلى دهلك^(٢) . ففعل ذلك . فتوى هنالك مدة خلافة سليمان ، ثم ولي
عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الخلافة ، فكتب إليه يستأذنه في القدوم بمدحه ،
فأبى أن يأذن له ، وكان فيما يكتب إليه به :

أيا راكباً إما عرضت فبلغن هديت أمير المؤمنين رسائلي
وقل لأبي حفص إذا ما لقيته لقد كنت نفاعاً قليل الغوائل
فكيف ترى للعيش طيباً ولذة وخالك أمسى مؤثماً في الجبال
فأتى رجال من الأنصار عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فكلّموه فيه وسأله
أن يقدمه . فقالوا : قد عرفت نسبه وموضعه وقديمه ، وقد أخرج إلى أرض
الشرك ، فنطلب إليك أن تردّه إلى حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودار
قومه . فقال لهم عمر : من الذى يقول :

أدور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدور
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يُرز لا بدّ أن سيزور
قالوا : الأحوص . قال : فمن الذى يقول :

كان لبنى صبير^(٣) غادية أو دمية زينت بها البيع
الله بينى وبين قيمها يفرّ منى بها وأتبع

(١) البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التين ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .

(٢) دهلك : جزيرة في بحر اليمن ، أو هي مرسى بين بلاد اليمن والحيشة .

(٣) الصبير : السحاب الأبيض . والغادية : السحابة تنشأ غدوة .

قالوا : الأحوص . قال : بل الله بين قِيَمَها وبينه . قال : فمن الذى يقول :

سَبَقَ لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَى سَرِيرَةُ حُبٍّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قالوا : الأحوص . قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لَمَشْغُول . والله لا أُرَدُّه مادام لي سلطان . فكث هناك بَقِيَّةَ خِلافةِ عمر بن عبد العزيز ، وصدرًا من خِلافةِ يزيد بن عبد الملك . فبينا يزيدٌ وجاريته حَبَابَةٌ ذات ليلة على سطح تُغْنِيهِ بِشعر من شعر الأحوص — قيل : إن الشعر :

أَيْ هَذَا الْمَخْبَرِ عَنْ يَزِيدٍ بِصَلاَحٍ فِدَاكَ أَهْلِي وَمَالِي

مَا أَبَالِي إِذَا تَبَقَّى ^(١) يَزِيدٌ مِنْ تَوَلَّتْ بِهِ صُرُوفُ اللَّيَالِي

— فقال لها : مَنْ يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ ؟ قالت : لا وَعَيْشُكَ مَا أَدْرِي . وكان قد مَضَى مِنَ اللَّيْلِ شَطْرُهُ . فقال : أُبْعَثُوا إِلَى ابْنِ شِهَابِ الزُّهْرِيِّ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنْ ذَلِكَ . فَأَتَى فُقْرَعٌ عَلَيْهِ الْبَابُ ، فَخَرَجَ مُرَوَّعًا إِلَى يَزِيدٍ . فَلَمَّا صَعِدَ إِلَيْهِ قَالَ لَهُ : لَا تَرْعُ ، لَمْ نَدْعُكَ إِلَّا لَخِيرٍ ، أَجْلَس . مِنَ الَّذِي يَقُولُ هَذَا الشَّعْرُ ؟ فقال : الْأَحْوَصُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : مَا فَعَلَ ؟ قَالَ : طَالَ حَبْسُهُ بِدَهْلَكَ . فقال : عَجِبْتُ لَعُمْرِكَ كَيْفَ أَغْفَلَهُ ! وَأَمْرٌ بِتَخْلِيَتِهِ وَوَهَبَ لَهُ أَرْبَعًا مِائَةَ دِينَارٍ . وَأَقْبَلَ الزُّهْرِيُّ مِنْ لَيْلَتِهِ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَبَشَّرَهُمْ بِذَلِكَ .

وقيل : إن الشعر الذى غَنَّتْهُ حَبَابَةُ لِيَزِيدَ مِنْ شَعْرِ الْأَحْوَصِ ، هُوَ :

كَرِيمٌ قُرَيْشٍ حِينَ يُنْسَبُ وَالَّذِي أَقَرَّتْ لَهُ بِالْمُلْكِ كَهَلًا وَأَمْرَدًا
وَلَيْسَ وَإِنْ أَعْطَاكَ فِي الْيَوْمِ مَانِعًا إِذَا عُدْتَ مِنْ إِعْطَاءٍ ^(٢) أَضْغَافُهُ غَدًا
أَهَانَ تِلَادَ الْمَالِ فِي الْحَمْدِ إِنَّهُ إِمَامٌ هُدًى يَجْرِي عَلَى مَا تَعَوَّدَا

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مَا أَبَالِي إِذَا يَزِيدُ بَقِيَ لِي » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « أَضْغَافُ أَضْغَافِهِ » .

وقيل : إن الأحوص دخل على يزيد بن عبد الملك ، وهو خليفة ، فقال له
يزيد : والله لو لم تمت إلينا بجرمة ، ولم تصر إلينا بدالة ، ولم تجدد لنا مدحة ، غير
أنك مقتصر على البيتين اللذين قلتهما فينا لكنت مستوجبا لجزيل الصلة منى
حيث قلت :

وإني لأستحيكم أن يقودنى إلى غيركم من سائر الناس مطمع
وأن أجتدى للنفع غيرك منهم وأنت إمام للرعية^(١) مقنع

وهذان البيتان فى قصيدة مدح الأحوص بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

وقيل : إن يزيد بن عبد الملك لما أقدم الأحوص أكرمه وأجازه بثلاثين
ألف درهم . فلما قدم قباء صب المال على نطع ودعا بجماعة من قومه ، وقال لهم :
إني قد علمت لكم طعاما ، فلما دخلوا عليه كشف لهم عن ذلك المال ، وقال :
(أفسحروا هذا أم أنتم لا تبصرون) .

ومدح يزيد بن عبد الملك بقصيدة أولها :

مدحه ليزيد

صرمت حبلك الغداة نوار
بشر لو يدب ذر عليه
إن أروى إذا تذكر أروى
قلبه كاد قلبه يستطار

يقول فيها :

من يكن سائلا فإن يزيدا
ملك من عطائه الإكثار
عم معروفه فعز به الدي
من ودلت لملكه الكفار
وأقام الصراط فأبتهج الحق منيرا
كما أثار النهار

(١) مقنع : يقنع به ويرضى برأيه وقضائه .

(٢) القصار : الغاية .

تمثل عبد الملك
بشعره حين خطب
أهل المدينة

وذكر أنه لما قدم عبدُ الملك بن مروان حاجًا سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع عليه الناسُ بعامين ، جلس على المنبر فشمَّ أهلَ المدينة ووبَّخهم ، ثم قال :
إني والله يا أهل المدينة ، قد بلوتكم تنفَّسون القليلَ وتحسُدون الكثير ، وما وجدتُ
لكم مثلاً إلا قول مُحَنِّسكم وأخيكم الأحوص :

وكم نزلتُ بي من خطوب ^(١) مُلَمَّة صبرت ^(٢) عليها ثم لم أتحشع
وأدبر عني شرُّها لم أبل ^(٣) بها ولم أدعكم في كَرْبها التتطلَّع

فقام إليه نوفل بن مُساحق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذنب ، وطلبنا
المعذرة ، فعذَّب بحملك ، فذلك ما يُشبهنا منك ويُشبهك منا ، فقد قال من ذكرتُ
بعد بيتيه الأولين :

وإني مُستأنفٍ ومنتظرٌ بكم وإن لم تقولوا في الملمات ^(٤) دَعَدَع
أؤمل منكم أن تروا غير رأيكم وشيكاوكيا تنزعوا خيرا متزع

للفرزذق وجريز
وقد سئلا عنه

وقيل . إنه قيل للفرزذق : من أنسبُ الناس ؟ قال الذي يقول :

لى ليلتان فليلةٌ معسولة ألقى الحبيبَ بها بنجم الأُسُودِ
ومُرِيحةٌ ^(٥) همِّي على كائنِي حتى الصباح مُعلَقٌ بالفرقد

وقيل لجريز : من أنسبُ الناس ؟ قال : الذي يقول :

يا ليت شعري عن كلفَتُ به من خَشَعُ إذ نأيتُ ما صنَعُوا

(١) في بعض الأصول : « مهمة » مكان « ملمة » .

(٢) في بعض الأصول : « خذلت » مكان « صبرت » .

(٣) أبيل ، أصله : أبالي . حذف آخره للجازم ، ثم سكنت اللام للتخفيف ، ثم حذفت الألف

لالتقاء الساكنين .

(٤) دَع دَع : كلمة يقال للعائر . ومعناها : دَع العثاروقم . وقد تجعل اسمها فتعرب ، ومنه قول

الشاعر :
لحي الله قوما لم يقولوا لعائر ولا لابن عم ناله العثر دعدعا

(٥) مَرِيحة : من أراح الإبل ، إذا ردها إلى المرعى من العشى . والمراد أنها تموت إليه هم .

قومٌ يَحُلُّونَ بالسَّديرِ وبألِّ
حِيرةٍ منهم مَرَأى ومُسْتَمَع
أن شَطَّت الدارُ عن ديارهمُ
أأمسكوا بالوصالِ أم قَطَعُوا
بل هم على خيرٍ ما عَهِدْتُ وما
ذاك إلَّا التَّاميلُ والطَّمَعُ
والشعر للأحوص .

وقيل :

أبو عبيدة بن عمار
وقد سمع شعره

أشدَّ إنسانُ إبراهيم بن هشامَ المخزومى ، وهو والى المدينة ، وعنده أبو عبيدة
ابن عمار بن ياسر ، قولَ الأحوص :

سَقِيًّا لِرَبْعِكَ من رُبْعِ بَذى سَلَمٍ ولِلزَّمانِ به إذ ذاك من زَمَنِ
إذ أنتِ فينا لمن يَنهاك عاصِيَةٌ وإذ أُجِرَّ إليكم سادِراً رَسَنِ

فوثب أبو عبيدة بن عمار قائماً ، ثم أرخى رداءه ومضى يمشى على تلك الحال
ويجره إلى أن بلغ العِرض^(١) ، ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام ، حين
جلس : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير ، إني سمعتُ هذا البيتَ مرةً فأعجبني ،
فلفتُ إلَّا أسمعُه إلا جررتُ رَسَنِ .

وحكى عبدُ الملك بن عبد العزيز قال : قال لى أبو السائب المخزومى : أنشدنى
للأحوص . فأنشدته قوله :

طرب المخزومى
بشعره

قالتْ وقلتْ تَحَرَّجى وَصَلِى
حَبَلِ أَمْرِىء بوصالكم صَبْ
صاحبُ^(٢) إذا بَعَلَى قُلتُ لها
الغَدْرُ شِئْ ليس من^(٣) شَعْبِى
أما الخليلُ فلستُ فاجِعَه
والجارُ أوصانى به رَبِّى
عُوجوا كذا نَذَرُ لغاية
بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِى

(١) العرض : مكان بعينه . (٢) فى بعض الأصول : « واصل » مكان « صاحب » .

(٣) فى بعض الأصول : « ضربي » مكان « شعبى » .

وَنَقُلْ لَهَا فِيهِ الصُّدُودُ وَلَمْ نَذْنِبْ بَلْ أَنْتِ بَدَأْتَ بِالذَّنْبِ
إِنْ تُقْبَلِي تُقْبَلْ وَنُنْزِلْكُمْ مِنْ بَدَارِ السَّهْلِ وَالرُّحْبِ
أَوْ تُدْبِرِي تَكْذُرُ مَعِيشَتَنَا وَتُصَدِّعِي مِتْلَامَ الشَّعْبِ

قال : فأقبل عليّ أبو السائب وقال : يا بن أخي ، هذا والله المحب عينا ،
لا الذي يقول :

وَكُنْتُ إِذَا خَلِيلٌ رَامَ هَجْرِي وَجَدْتُ وَرَأَى مُنْفَسِحًا عَرِيضًا
أَذْهَبْ ، لَا صَبْحَكَ ^(١) اللَّهُ بَخِيرٌ وَلَا وَسَّعَ عَلَيْكَ . يَعْنِي قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ .

سؤال المهدي عن
أنسب بيت
ورضاؤه عن بيت
الأحوص

وحكى عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجحى قال :
حملت ديناً بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بزيع ،
وأنا وراءه على برذون قطوف ^(٢) ، فقال : ما أنسب بيت قالته العرب ؟ فقال
أبو عبيد الله : قولُ امرئ القيس :

وَمَا ذَرَفْتُ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي بِسَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبِ مُقَتِّلِ
فَقَالَ : هَذَا أَعْرَابِي قُبْحٌ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ بَزِيعٍ : قَوْلُ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ :
أُرِيدُ لَأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ
فَقَالَ : مَا هَذَا بَشَاءٌ ! وَمَا لَهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْسَى ذِكْرَهَا حَتَّى تَمَثَّلَ لَهُ ! فَقُلْتُ :
عِنْدِي حَاجَتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! قَالَ : الْحَقُّ بِي . قُلْتُ : لَا لِحَاقَ بِي ،
جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ، لَيْسَ ذَاكَ فِي دَابَّتِي . قَالَ : أَحْمَلُوهُ عَلَى دَابَّةٍ . قُلْتُ : هَذَا أَوَّلُ
الْفَتْحِ . فَحُمِلْتُ عَلَى دَابَّةٍ ، فَلَحِقْتُ بِهِ ، فَقَالَ لِي : مَا عِنْدَكَ ؟ قُلْتُ : قَوْلُ الْأَحْوَصِ :
إِذَا قُلْتُ إِنِّي مُشْتَفٍ بِلِقَائِهَا وَحُمَّ التَّلَاقُ بَيْنَنَا زَادَنِي سُقْمًا

(١) في بعض الأصول : « فلا صبحك الله ولا وسع عليك » .

(٢) القطوف : المبطىء .

فقال : أحسن والله ؛ أقضوا عنه دينه . فمضى عني ديني .

وتمام هذه الأبيات التي لكثير :

وَأَذَنُ أَصْحَابِي غَدًا يَقُولُ	أَلَا حَيًّا لَيْلَى أَجَدَّ رَحِيلَى
أَلَا رَبِّمَا طَلَبْتُ غَيْرَ مُنِيلِ	وَلَمْ أَرْ مِنْ لَيْلَى نَوَالًا أَعْدَهْ
إِذَا غَبْتُ عَنْهُ بِاعْنِي بِخَلِيلِ	وَلَيْسَ خَلِيلِي بِالْمَلُولِ وَلَا الَّذِي
وَيَحْفَظُ مِرِّيَّ عِنْدَ كُلِّ دَخِيلِ	وَلَكِنْ خَلِيلِي مَنْ يَدُومُ وَصَالُهُ

وبيت الأحوص من قصيدة أولها :

فَقَدْ هَاجَ أَحْزَانِي وَذَكَرَنِي نُعْمَى	أَلَا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ وَأُسْتَنْطِقِ الرَّسْمَا
إِذَا أَذْهَبَتْ هَمًّا أَتَاحَتْ لَهُ هَمَّا	فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ مِنْ مُدَامَةٍ

أَخْبَارُ الدَّلَالِ

وَأَسْمُهُ نَاقِدٌ . وَكُنْيَتُهُ أَبُو زَيْدٍ . وَهُوَ مَدَنِيٌّ ، مَوْلَى بَنِي فَهْمٍ .
وَلَمْ يَكُنْ فِي الْمُخَنَّثِينَ أَحْسَنُ وَجْهًا وَلَا أَنْظَفُ ثَوْبًا وَلَا أَظْرَفُ مِنْهُ . وَهُوَ أَحَدُ شَيْءٍ عَنْهُ
مِنْ خَصَاءِ ابْنِ حَزَمٍ مِنَ الْمُخَنَّثِينَ . فَلَمَّا فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ قَالَ : الْآنَ تَمَّ الْخُنْثُ .
وَكَانَ كَثِيرَ الْفَوَادِرِ . نَزَرَ الْحَدِيثَ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ أَضْحَكَ الشَّكْلَى .
وَكَانَ غَنَائُوهُ ضَعِيفًا . وَسُمِّيَ الدَّلَالُ لظَرْفِهِ وَشَكْلِهِ وَحُسْنِ دَلَّةِ وَحَلَاوَةِ مَنْطِقِهِ .
وَكَانَ مَشْغُوفًا بِمُخَالَطَةِ النِّسَاءِ ، وَيُكْثِرُ وَصْفَهُنَّ لِلرِّجَالِ . وَكُلٌّ مَنْ أَرَادَ خِطْبَةَ
أَمْرَأَةٍ سَأَلَهُ عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا ، فَلَا يَزَالُ يَصِفُ النِّسَاءَ وَاحِدَةً وَاحِدَةً حَتَّى يَنْتَهِيَ
إِلَى وَصْفِ مَا يُعْجِبُهُ ، ثُمَّ يَتَوَسَّطُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يُعْجِبُهُ مِنْهُنَّ حَتَّى يَتَزَوَّجَهَا . وَكَانَ
يُشَاغِلُ كُلَّ مَنْ يُجَالِسُهُ عَنِ الْغَنَاءِ بِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ ، كَرَاهَةً مِنْهُ لِلْغَنَاءِ .
وَذُكِرَ أَنَّهُ كَتَبَ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَزَمٍ ،
فَخَصَصِي تِسْعَةَ ، أَحَدُهُمُ الدَّلَالُ .

وَقِيلَ :

كَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ كَانَ مُسْتَلْقِيًا لَيْلَةً عَلَى فَرَاشِهِ ،
وَجَارِيَةٌ لَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَعَلَيْهَا غِلَالَةٌ وَرِدَاءٌ مُعْضَفَرَانِ ، وَفِي عُنُقِهَا فَصْلَانِ مِنْ لُؤْلُؤٍ
وَزَبَرْجَدٍ وَيَاقُوتٍ . وَكَانَ سُلَيْمَانُ بِهَا مَشْغُوفًا . وَفِي عَسْكَرِهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ سُمَيْرٌ يُغْنَى ،
فَلَمْ يَفَكِّرْ سُلَيْمَانُ فِي غِنَائِهِ شُغْلًا بِهَا وَإِقْبَالًا عَلَيْهَا ، وَهِيَ لَاهِيَةٌ عَنْهُ لَا تُجِيبُهُ مُصْغِيَةً
إِلَى الرَّجُلِ ، حَتَّى طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، فَخَوَّلَ وَجْهَهَا مُغْضِبًا . ثُمَّ عَادَ إِلَى مَا كَانَ
مَشْغُولًا عَنْ فَهْمِهِ بِهَا ، فَسَمِعَ سُمَيْرًا يُغْنَى بِأَحْسَنِ صَوْتٍ :

مَحْجُوبَةٌ سَمِعْتُ صَوْتِي فَأَرْقَبُهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لَمَّا طَلَّهَا ^(١) السَّحَرُ
تُدْنِي عَلَى جِيدِهَا ثَنِيَّ مُعْصَفَرَةٍ وَالْحُلَى مِنْهَا عَلَى لَبَّاتِهَا خَصِرَ
فِي لَيْلَةِ النَّصْفِ مَا يَدْرِي مُضَاجِعُهَا أَوْجُوهُهَا عِنْدَهُ أَبْهَى أُمِّ الْقَمَرِ
لَوْ خُلِّيتْ لَمَشَتْ نَحْوِي عَلَى قَدَمٍ تَكَادُ مِنْ رِقَةٍ لِلْمَشَى تَنْفَطِرُ

فلم يشك سليمان أن الذي بها بما سمعت ، وأنها تهوى سُميراً . فوجه من وقته
من أحضره وحسبه ، ودعا بالجارية ودعا بسيف ونطع وقال : والله لئن لم تصدقيني
لأضربن عنقك . قالت : سل ما بدا لك . قال : أخبريني عما بينك وبين هذا
الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قط ، وأنا جارية منسئ الحجاز ، ومن
هناك حملت إليك ، والله ما أعرف بهذا البلاد أحداً سواك . فرق لها وأحضر
الرجل وجالسه وتلطف في المسألة . فلم يجد بينه وبينها شيئاً . ولم تطب نفسه
بتخلية سُمير سويّاً ، فخصاه .

وذُكر أن سليمان بن عبد الملك قال يومئذ : هدر الجمل فضيبت الناقة ^(٢) ،
ونبّ التيس فأستخرمت ^(٣) الشاة ، وهذل الطائر فزافت ^(٤) الحمامة ، وغنى
الرجل فطربت المرأة . ثم سأل عن الغناء : أين أصله ؟ فقالوا : بالمدينة في المخنثين ،
وهم أئمتّه والحذاق فيه . فكتب يأمر بخصائهم .

وقيل :

حديث هريه من
المدينة إلى مكة

كان الدّلال ملازماً لأم سعيد الأسلمية ، وبنت ليحيى بن الحكم بن
أبي العاصي ، وكانتا من أمجن النساء ، وكانتا تخرجان فتركان الفرسين ثم تستبقان

(١) في بعض أصول الأغاني : « حتى شفاها السهر » . (٢) ضيبت : اشتبت .

(٣) استخرمت : أرادت الفعل . وفي بعض أصول الأغاني : « شكرت » . وشكرت الشاة :

امتلاً ضرعها ، ويكنى بذلك عن حنيتها .

(٤) زافت : تبخرت في مشيتها .

عليهما حتى تَبْدُوَ خَلاخِيلُهُمَا . فقال معاويةُ بنُ أبي سفيان لَمَرْوان بن الحكم :
كُفْنِي بِنْتَ أَخِيكَ . قال : أَفْعَل . فَأَمْرٌ بِيْثَرٍ فَحُفِرَتْ فِي طَرِيقِهَا وَغُطِّيتْ بِحَصِير .
فاستزارها ، فلما مشَتْ عليه سقطتْ في البئر ، فكانت قَبْرَها . وَطُلِبَ الدَّلَالُ فَهَرَبَ
إِلَى مَكَّةَ . فقال له نساءُ أهل مَكَّةَ : قَتَلْتَ نِساءَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَجِئْتَ لَتَقْتُلَنَا ! فقال :
وَاللَّهِ مَا قَتَلْتُهُنَّ إِلَّا الْحُكْمَ . قَتَلْنِ : أَعَزُّبُ أَخْرَاكَ اللَّهُ وَلَا أُدْنِي بِكَ . قال :
مَنْ لَكِنْ بَعْدِي يُدَلُّ عَلَى دَائِكِنْ ، وَيَعْلَمُ مَوْضِعَ شَفَائِكِنْ ؟ وَاللَّهِ مَا زَنَيْتُ قَطُّ
وَلَا زُنِيَ بِي ، وَإِنِّي لَأَشْتَهِي مَا تَأْتِيهِ نِساؤُكُمْ وَرِجَالُكُمْ .

وقيل :

هو والوالى وقد
وجد سكران مع
غلام

وُجِدَ الدَّلَالُ مَعَ غُلامٍ وَهُمَا سَكْرَانَانِ . فَأَمَرَ الْوَالِي أَنْ يُدَارِبَهُمَا فِي السُّكَّكِ .
فَقِيلَ : مَا هَذَا يَا دَلَالُ ؟ قال : أَشْتَهِي الْأَمِيرُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ رَأْسَيْنِ فَجَمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَ
هَذَا ، وَلَوْ قِيلَ لَهُ : إِنَّكَ قَوَاد ! غَضِبَ . فقال : خَلُّوا سَبِيلَهُمَا . لعنةُ اللَّهِ عليهما !

وقيل :

غنى نائلة فأجازته

جاء الدَّلَالُ يَوْمًا إِلَى مَنْزِلِ نَائِلَةَ بِنْتِ عَمَّارِ الْكَلْبِيِّ ، وَكَانَتْ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ بْنِ
أَبِي سُفْيَانَ فَطَلَّقَهَا - وَسَبَبَ طَلَاقَ مُعَاوِيَةَ لَهَا أَنَّهُ قَالَ لِفَاخْتَةِ بِنْتِ قَرْظَةَ : أَذْهَبِي فَاظْطَرِّي
إِلَيْهَا . فَذَهَبَتْ وَنَظَرَتْ ، فَقَالَتْ لَهُ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَهَا ، وَلَكِنْ رَأَيْتُ تَحْتَ سُرَّتِهَا
خَالًا لِيُوضَعَنَّ مِنْهُ رَأْسُ زَوْجِهَا فِي حِجْرِهَا . فَطَلَّقَهَا . فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا
حَبِيبُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَالْآخَرُ النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ الْأَنْصَارِيُّ . فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا وَوَضَعَ رَأْسَهُ
فِي حِجْرِهَا - فَفَرَعَ الدَّلَالُ بَابَهَا فَلَمْ تَفْتَحْ لَهُ ، فَغَتَّى بِشَعْرٍ يَجْنُونَ بَنِي عَامِرٍ ، وَتَقَرَّ بِدَفْعِهِ عَلَيْهِ :

خَلِيلِي لَا وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ الْبُكَ إِذَا عَلِمَ مِنْ أَرْضٍ لَيْلِي بَدَالِيَا
خَلِيلِي إِنْ بَانُوا بَلِيلِي فَهَيْئًا لِي النَّعْشَ وَالْأَكْفَانَ وَأَسْتَغْفِرُ لِيَا

فخرجَ خَدَمُهَا فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : تَنَحَّ عَنْ الْبَابِ . وَسَمِعَتِ الْجَلْبَةَ فَقَالَتْ : مَا هَذِهِ

الضجة بالباب؟ فقالوا: الدلال. فقالت: إيدنؤاله. فلما دخل عليها شق ثوبه وطرح التراب على رأسه وصاح بويله وحرابه. فقالت له: لك الويل! مالك؟ ومادهاك؟ قال: ضربني حشمك. قالت: ولم؟ قال: غنيت صوتاً أريد أن أسمعك إياه. قالت: أف! لهم وتف! نحن نبلغ ما تحب ونحسن تأديتهم. يا جارية، هاتي ثياباً مقطوعة. فلما طرحت عليه الثياب، قالت: ما حاجتك؟ قال: لا أسألك حاجة حتى أغني لك. قالت: فذلك إليك. فاندفع يغني بشعر جميل:

أرحمني فقد بليت فحسبي بعضُ ذا الداءِ يا بُنيّةَ حسبي
لا مني فيك يا بُنيّةَ صَحبي لا تَكُوموا قد قَرَحَ الحُزنُ^(١) قلبي
زعم الناسُ أني دائي طيبي أنتِ واللهِ يا بُنيّةَ طيبي

ثم جلس، فقال: هل من طعام؟ فقالت: على بالمائدة. فأتى بها كأنها كانت مهيأة، عليها أنواع الأطعمة. فأكل ثم قال: هل من شراب؟ قالت: أما نبيذ فلا، ولكن غيره. فأتى بأنواع الأشربة. فشرب ثم قال: هل من فاكهة؟ فأتى بأنواع الفاكهة فتفككه. ثم قال: حاجتي خمسة آلاف درهم، وخمس حُل من حُل معاوية، وخمس حُل من حُل ابن مسleme، وخمس حُل من حُل الثمان بن بشير. قالت: وما أردت بهذا؟ قال: هو والله ذاك، والله والله ما أرضى ببعض دون بعض. فإما الحاجة وإما الرد. فدعت له بما سأل. فقبضه ثم قام. فلما توسط الدار غنى ونقر بدقه:

ليت شعري أجفوة أم دلال أم عدو أتى بُنيّةَ بعدي
فمرني أطلعك في كل أمر أنت والله أوجهُ الناس عندي

سبب تركه الخمر وذُكر أن الدلال كان لا يشرب النبيذ، فخرج مع قوم إلى مُتنزه لهم، ومعهم نبيذ، فشرَبوا ولم يشرب منه، وسقوه عسلاً مجلدوحاً^(٢)، وكان كلما تغافل صبروا

(١) في بعض أصول الأغاني: «أفرح الحب». (٢) المجدوح: المخلوط.

في شرايه نبیذاً فلا یُنكره ، حتى کثر ذلك فسکر وطرب ، وقال : استقونی من شرايکم . فسقوه حتى تمیل ، وغناهم في شعر الأحوص :

طاف الخيالُ وطال الليلُ فأعتکرا عند الفِراش فآب الهمُّ مُحْتَضِراً
أراقبُ النّجمَ كالْحَيْرانِ مُرْتَقِياً وقَلَصَ النَّوْمُ عن عَيْنِي فَأَنْشَمَراً
من لوعةٍ أورثتُ قَرَحاً على كَبِدِي يوماً فأصبحَ منها القلبُ مُنْفَطِراً
وَمَنْ يَبِيتُ مُضْمِراً حُبّاً^(١) كما ضَمِنْتُ متى الضلوعُ يَبِيتُ مُسْتَبْطِناً غِيراً
وأستحسن القومُ وطربوا وشربوا . ثم غنى :

طربتُ وهاجك من تَدَكِرٍ ومن لستَ من حُبِّه تَعْتَذِرُ
فإن بان^(٢) منها الذي أُرْتَجَى فذاك لَعَمْرِي الذي أُنْتَظَرُ
وإلا صبرتُ فلا مُفْجِحُشاً عليها بسوءٍ ولا^(٣) مُنْتَهَرُ

وسکر الدّلالُ حتى خلع ثيابه ونام عُريّاناً ، فغطّاه القومُ بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وأنصرفوا عنه . فأصبح وقد تقياً ولوّث ثيابه بقيته ، فأنكر نفسه ، وحلف لا يُفنى أبداً ولا يُعاشر من يشرب النّبید . فوقى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المشيخة والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس حتى قضى نَحْبه ، رحمه الله .

(١) في بعض أصول الأغاني : « هما » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ثلت » مكان « بان » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « مبهر » . « والابتهار : قول الكذب واللف عليه .

أخبار طريح

نسبه

وهو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد بن عَلاج بن أبي سَلَمَة بن عبد العزّي
ابن عَزْرة بن عَوف بن قَسِيٍّ . وهو ثَقِيف بن مُنْبَه بن بكر بن هَوازن .
ومن النّسّابين من يقول : إنّ ثَقِيفاً هو قَسِيٍّ بن مُنْبَه بن النّبّيت بن منصور
ابن يَقدُم بن أَفصى بن دُعْمَى بن إياد بن زرار .
ومنهم من يقول : إنّ ثَقِيفاً من أبي رِغال . وقيل : عبدُ أبي رِغال ، وأنّه من
بقايا ثَمُود .

الحجاج ونسب
ثقيف

وذُكر أن الحجاج بن يوسف الثّقفي قال في خُطبة خطبها بالكوفة : بلغني
أنكم تقولون : إنّ ثَقِيفاً من ثَمُود . وهل نَجّا من ثَمُود إلّا خيارهم ومن آمن بصالح
فبقى معه . قال الله عزّ وجل : (وَنَمُودَ فَمَّا أَتَى) . فبلغ ذلك الحسَن البصريّ رحمه الله
فتضاحك به وقال : حكم اللّسع لنفسه ! إنما قال عزّ وجلّ : (فَمَّا أَتَى) أي لم
يُبقَهم ، أي أهلّكهم . فرفع ذلك إلى الحجاج فطلبه . فتوارى حتى هلك الحجاج .
وقد طوّل أبو الفرج القول في نسب ثَقِيف ، فرأيتُ الاقتصار على ما ذكرْتُ .
وأم طريح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العزّي ، من خِزاعة . وسِباع قتله
حمزة بن عبد المطلب رضی الله عنه يوم أحد . وسيأتي ذكره في موضعه .

أمه

كنيته وثى عنه

ويُكنى طريح بأبي الصّلت ، لأبْنٍ له يُسمّى صِلْتًا . وكان طريح قد نشأ
في دولة بني أمية وأستفرغ شعره في مدائحهم ، وخاصة في الوليد بن يزيد بن
عبد الملك . وأدرك دولة بني العبّاس . ومات في خلافة الهادي . وكان الوليدُ مُكرِّماً
له مقدماً ، لا يَقاطعه ، لخوالة الوليد في ثَقِيف .

رضى الوليد بن
يزيد عنه بعد
غضب

وذكر أن الوليد كان يُدني مجلسه ، وجعله أول داخل وآخر خارج . وكان لا يُصدر إلا عن رأيه ، فأستفرغ مدائحها وعامة شعره فيه . فحسده أناس من أهل بيت الوليد . وقدم حماد الراوية من العراق إلى الشام ، وذلك في خلافة هشام ابن عبد الملك ، والوليد بن يزيد إذ ذاك ولي العهد لعمه هشام . فشكروا إليه ذلك وقالوا : والله لقد ذهب طريح بالأمير ، فما لنا منه ليل ولا نهار . فقال حماد : أبغوني من يُنشد الأمير بيتين من شعر فأسقط منزلته . فطلبوا إلى الخصى الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم ، على أن يُنشد الأمير البيتين في خلوة ، فإذا سأل : من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح . فأجابهم الخصى إلى ذلك - وعلموه البيتين - فلما كان ذات يوم دخل طريح على الوليد ، وفتح الباب وأذن للناس ، فجلسوا طويلاً ، ثم نهضوا . وبقي طريح مع الوليد ، فدعا بغدائه فتغدياً جميعاً . ثم إن طريحاً خرج وركب إلى منزله وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحد . فاستلقى على فراشه . وأغتم الخصى خلوته فأندفع يُنشد :

سيري ركباني إلى من تسعين به فقد أقت بدار الهون ما صلحاً
سيري إلى سيد ستمخ خلأته ضخم الدسيسة^(١) قرم يحمل المدحا

فأصغى الوليد إلى الخصى يسمعه ، وأعادها الخصى غير مرة . ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ! من قول من هذا ؟ قال : من قول طريح . فغضب الوليد حتى امتلاً غيظاً وغضباً ، ثم قال : والهفتاه على أم لي لم تلدني ! جعلته أول داخل وآخر خارج ، ثم يزعم أن هشاماً يحمل المدح ولا أحملها ! ثم قال : عليّ بالحاجب . فاتاه . فقال : لا أعلم ما أذنت لطريح ولا رأيته في بسيط الأرض ، فإن حاولك فأخطفه بالسيف . فلما كان العشي وطلبت العصر ، جاء طريح للساعة التي كان يؤذن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل ، فقال له الحاجب : وراءك ! فقال : مالك ؟ هل

(١) الدسيسة : العطية الجزيلة .

دَخَلَ عَلَى وَلِيِّ الْعَهْدِ أَحَدُهُ غَيْرِي ؟ قَالَ : لَا . وَلَكِنْ سَاعَةٌ وَلَيْتَ مِنْ عِنْدِهِ دَعَانِي
وَأَمْرِي أَلَا أَدْنَى لَكَ ، وَإِنْ حَاوَلْتَنِي فِي ذَلِكَ خَطَفْتُكَ بِالسَّيْفِ . قَالَ : لَكَ عَشْرَةٌ
آلَافٍ وَأُذْنِي لِي فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتَنِي خَرَجَ الْعِرَاقِ
مَا أَذْنْتُ لَكَ ، وَمَا لَكَ مِنْ خَيْرٍ فِي الدُّخُولِ ، فَأَرْجِعْ . فَقَالَ : وَيْحَكَ ! هَلْ تَعْلَمُ مَنْ
دَهَانِي عِنْدَهُ ؟ قَالَ الْحَاجِبُ : لَا وَاللَّهِ ، لَقَدْ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَمَا عِنْدَهُ أَحَدٌ ، وَلَكِنَّ
اللَّهِ يَحْدِثُ مَا يَشَاءُ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . فَرَجَعَ طَرِيحٌ فَأَقَامَ بِيَابِ الْوَلِيدِ سَنَةً لَا يَخْلُصُ
إِلَيْهِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَأَرَادَ الرُّجُوعَ إِلَى بَلَدِهِ وَقَوْمِهِ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ
هَذَا لِعَجْزِي بِي أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ أَلْقِ وَلِيَّ الْعَهْدِ وَأَعْلَمُ مَنْ دَهَانِي عِنْدَهُ . وَرَأَى أَنَاثًا
كَانُوا لَهُ أَعْدَاءٌ قَدْ فَرَّحُوا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ ، فَكَانُوا يَدْخُلُونَ عَلَى الْوَلِيدِ وَيَحْدِثُونَهُ
وَيَصْدُرُ عَنْ رَأْيِهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ يَلْطَفُ بِالْحَاجِبِ وَيُؤْمِنُهُ حَتَّى قَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : أَمَّا إِذَا
أُطْلِمَتِ الْمَقَامُ فَأَكْرَهُ أَنْ تَنْصَرِفَ عَلَى حَالِكَ هَذِهِ ، وَلَكِنَّ الْأَمِيرَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا
يَدْخُلُ الْحَمَامُ ثُمَّ يَأْمُرُ بِسَرِيرِهِ فَيَبْرُزُ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ حِجَابٌ ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
الْيَوْمَ أَعْلَمْتُكَ فَتَكُونُ قَدْ دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَظَفِرْتَ بِحَاجَتِكَ ، وَأَكُونُ أَنَا عَلَى حَالٍ
عُذْرٍ . فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ دَخَلَ الْحَمَامُ وَأَمَرَ بِسَرِيرِهِ فَأَبْرَزَ ، وَجَلَسَ عَلَيْهِ وَأَذِنَ
لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَالْوَلِيدُ يَنْظُرُ إِلَى مَنْ أَقْبَلَ . وَبَعَثَ الْحَاجِبُ إِلَى طَرِيحٍ ، فَأَقْبَلَ ،
وَقَدْ تَنَامَ النَّاسُ . فَلَمَّا نَظَرَ الْوَلِيدُ مِنْ بَعِيدٍ حَوْلَ وَجْهِهِ عَنْهُ وَأَسْتَحْيَا أَنْ يَرُدَّهُ مِنْ
بَيْنِ النَّاسِ . فَدَنَا وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُرِدْ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ طَرِيحٌ يَسْتَعْطِفُهُ وَيَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ ،
قَصِيدَتَهُ الَّتِي أَوْهَاهَا :

لَيْلٌ أَكَابِدُهُ وَهَمٌّ مُضْلِعٌ	نَامَ الْخَلِيٍّ مِنَ الْهَمُومِ وَبَاتَ لِي
أَرْقِي وَأَغْفَلُ مَا لَقِيتُ الْهَجْعُ	وَسَهَرْتُ لَا أَسْرَى وَلَا فِي لَذَّةٍ
أَزَمْتُ عَلَى وَسَدٍّ مِنْهَا الْمَطْلَعُ	أَبْغَى وَجُوهَ مَخَارِجِي مِنْ تَهْمَةٍ
مِنْ قَبْلِ ذَاكَ مِنَ الْحَوَادِثِ أَجْزَعُ	جَزَعًا لِمَعْتَبَةِ الْوَلِيدِ وَلَمْ أَكُنْ
أَمْسَيْتَ عِصْمَتَهُ بِلَاءَ مُفْطَعُ	يَا بَنَ الْخَلَائِفِ إِنَّ سَخَطَكَ لَأَمْرِي

إِنْ كُنْتَ فِي ذَنْبٍ عَتَبْتَ فَإِنِّي
وَيَسْتُمْنِكَ فَكُلْ غُسْرِيَّ بِاسْطُ
مِنْ بَعْدِ أَخْذِي مِنْ حَبَالِكَ بِالَّذِي
فَأَرْبُوبٌ^(١) صَنِيعَكَ بِي فَإِنْ بَاعِينَ
أَدْفَعْتَنِي حَتَّى أَتَقَطَّعْتُ وَسُدَّدْتُ
وَرُجِيْتُ وَأُتْقِيْتُ يَدَايَ وَقِيلَ قَدْ
وَدَخَلْتُ فِي حَرَمِ الذِّمَامِ وَحَاطَنِي
أَفَّا هَادِمٌ مَا قَدْ بَنِيْتُ^(٢) وَنَاقِضٌ
وَمَدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ أُخْرَى مِنْهَا :

يَا بَنَ الْخِلَافِ مَالِي بَعْدَ مَقَرَّةٍ
مَا لِي أَذَادُ وَأَقْصِي حِينَ أَقْصِدُكُمْ
كَأَنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
لَوْ كَانَ بِالْوَدِّ يَدِّي مِنْكَ أَزْلَفَنِي
وَكُنْتُ دُونَ رَجَالٍ قَدْ جَعَلْتَهُمْ
إِنْ يَسْمَعُوا الْخَيْرَ يُخَفُّوهُ وَإِنْ سَمِعُوا
رَأَوْا صُدُودَكَ عَنِّي فِي اللَّقَاءِ فَقَدْ

فَادْنَاهُ الْوَلِيدُ وَقَرَّبَهُ وَضَحَكَ إِلَيْهِ ، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ .

وقيل :

جلس الوليدُ بن يزيد يوماً في مجلس له عام ، ودخل إليه أهل بيته ومواليه
والشعراء وأصحابُ الحوائج ، وكان أشرف يوم رُئِيَ له . فقام بعضُ الشعراء فأنشد ،

(١) أربب : زد .

(٢) العرة : الحرب .

(٣) إل : عهد .

أجازه الوليد في
مدحه له

ثم قام طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهل بيته عن يمينه ، وأخواله عن شماله وهو فيهم ، فأنشده :

أنت ابنُ مُسْلَنْطِیحِ البطاح ولم تطرُقْ عليك الحنئ^(١) والولجُ
طوبى لفرعيتك من هنا وهنا طوبى لأعراقتك التي^(٢) تشج
لو قلت للسيل دغ طريقتك والـ موج عليه كالمهضب^(٣) يعتلج
لساخ وأرتدأ أولكاف له فى سائر الأرض عنك منعرج

فطرب الوليد بن يزيد حتى رثى الأرتياح منه ، وأمر له بخمسين ألف درهم ، وقال : ما أرى منكم أحداً يحيئنى اليوم بمثل ما قال لى خالى ، ولا ينشدنى أحد شيئاً بعده . وأمر لسائر الشعراء بصلات ، وأنصرفوا . واحتبس طريحاً عنده ، وأمر ابن عائشة فغنى فى هذا الشعر .

وقيل :

بينه وبين المنصور فى مدحه الوليد

لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس وولى أبو جعفر المنصور ، دخل عليه طريح فى الشعراء ، فقال : لا حيائك الله ولا بيأك ! أما أتقيت الله ! ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد :

لو قلت للسيل البيتين

فقال طريح : قد علم الله أنى قلت ذلك ويدي ممدودة إليه عز وجل ، وإيأاه تبارك وتعالى عنيت . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلص !

(١) المسلنطح من البطاح : ما اتسع واستوى . وتطرق : تطبق وتضيق . والحنئ : ما انخفض من الأرض . والولج : كل متسع من الوادى . أى لم تكن بين الحنى والولج فيحنى مكانك . يريد أنه ليس فى موضع خفى من الحسب .
(٢) تشج : تشبك وتلتف . يريد أن أعراقه واشجة فى الكرم ، أى نابتة فيه ، وأنه كريم الأبوين .
(٣) يمتلج : يلتطم . يقول : أنت ملك هذا الأبطح والمطاع فيه ، فكل من تأمره يطيعك .

من جيد مدحه
في الوليد

ومن جيد مديح طريح في الوليد بن يزيد قصيدته التي يقول فيها :

لَمْ أُنْسَ سَلَمَى وَلَا لِيَالِينَا بِالْحَزَنِ إِذْ عَيْشُنَا بِهَا رَغْدُ
إِذْ نَحْنُ فِي مَيْعَةِ الشَّبَابِ وَإِذْ أَيْتَمُنَا تِلْكَ غَضَّةٌ جُدُ
فِي عَيْشَةٍ كَالْفِرْنِدِ عَازِبَةِ الشَّقْوَةِ خَضَاءُ غُضْنِهَا ^(١) خَضَدُ
نُحْسَدُ فِيهَا عَلَى النَّعِيمِ وَمَا يُوَلِّعُ إِلَّا بِالنَّعْمَةِ الْحَسَدُ
أَيَّامَ سَلَمَى غَرِيرَةٍ أَنْفُ كَأَنَّهَا خُوطُ بَانَةٍ ^(٢) رُودُ
وَيَنْحِي غَدَاً إِنْ غَدَاً عَلَى بَمَا أَكْرَهَ مِنْ لَوْعَةِ الْفِرَاقِ غَدُ
قَدْ كُنْتُ أَبْكِي مِنَ الْفِرَاقِ وَحَيٍّ سَانَا جَمِيعاً وَدَارُنَا ^(٣) صَدَدُ
فَكَيْفَ صَبْرِي وَقَدْ تَجَاوَبَ بِالْ فَرْقَةٍ مِنْهَا الْغُرَابُ وَالصَّرَدُ

يقول فيها من المديح :

أَنْتَ إِمَامُ الْهُدَى الَّذِي أَصْلَحَ اللَّهُ بِهِ النَّاسَ بَعْدَ مَا فَسَدُوا
لَمَّا أَتَى النَّاسَ أَنْ مَلَكَهُمْ إِلَيْكَ قَدْ صَارَ أَمْرُهُ سَجْدُوا
وَأَسْتَبْشَرُوا بِالرَّضَى تَبَاشَرَهُمْ بِالْخُلْدِ لَوْ قِيلَ إِنَّكُمْ خُلْدُ
وَعَجَّ بِالْخُلْدِ أَهْلُ أَرْضِكَ حَتَّى كَادَ يَهْتَزُّ فَرِحَةً أَحَدُ
رُزِقْتَ مِنْ وَدَّهِمْ وَطَاعَتِهِمْ مَا لَمْ يَجِدْهُ لَوْلَا وَلَدُ

ومنها :

قَدْ طَلَبَ النَّاسُ مَا بَلَغَتْ فَمَا نَالُوا وَلَا قَارَبُوا وَقَدْ جَهَّادُوا
يَرْفَعُكَ اللَّهُ بِالتَّكْرُمِ وَالتَّقْوَى فَتَعْلُوا وَأَنْتَ مُقْتَصِدُ

(١) عازبة الشقوة : بعيدتها . وخضد : رطب .

(٢) غريرة : بلهاء . وأنف : عذراء . والخطوط : الغصن . والرؤد : الغصن أُرطب ما يكون

وأرخصه .

(٣) صدد : بصدها وقبالتها .

حَسْبُ أَمْرِي مِنْ غَنَى تَقَرُّبِهِ مِنْكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ^(١) لَهُ سَبَدٌ
فَأَنْتَ حَرِزٌ^(٢) لِمَنْ يَخَافُ وَلِلَّـهِ مَخْذُولٌ أَوْ دَى نَصِيرُهُ عَضُدٌ
ومنها :

قَدْ صَدَّقَ اللَّهُ مَا دَرَجِيكَ فَمَا فِي قَوْلِهِمْ فِرْيَةٌ وَلَا فَتَنَةٌ
وحكى أبو ورقاء الحنفي قال :

هو وأبو رقاء في
سفر

خرجتُ من الكوفة أريد بغداد ، فلما صرتُ بأول خان نزلتُهُ ، وبسط غلماننا
وهيأوا غداءهم ولم يَحْيَ أَحَدٌ بَعْدُ ، إِذْ رَمَانَا الْبَابُ بِرَجُلٍ فَارِهِ الْبِرْذَوْنَ حَسَنِ
الْهَيْئَةِ . فَصِحَّتْ بِالْغِلْمَانِ ، فَأَخَذُوا دَابَّتَهُ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِمْ . وَدَعَوْتُ بِالْغَدَاءِ ، فَبَسَطَ
يَدَهُ غَيْرَ مُتَحَشِّمٍ . فَجَعَلْتُ لَا أَكْرَمُهُ بِشَيْءٍ إِلَّا قَبْلَهُ . ثُمَّ جَاءَ غِلْمَانُهُ بَعْدَ سَاعَةٍ
فِي ثَقَلٍ^(٣) سَرِيٍّ وَهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ . فَتَنَاسَبْنَا فَإِذَا الرَّجُلُ طُورِيحُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الثَّقَفِيُّ .
فَلَمَّا أَرْتَحِلْنَا أَرْتَحِلْنَا فِي قَافَلَةٍ غَنَاءٍ لَا يُدْرِكُ طَرَفَاها . فَقَالَ لِي : مَا حَاجَتُنَا إِلَى زِحَامِ
هَؤُلَاءِ ، وَلَيْسَتْ بِنَا إِلَيْهِمْ وَحْشَةٌ وَلَا عَلَيْنَا خَوْفٌ ، تَتَقَدَّمُهُمْ يَوْمٌ فَيَخْلُونَا الطَّرِيقُ
وَنُصَادِفُ الْخَنَائِطَ فَارِغَةً وَنُودِعُ أَنْفُسَنَا إِلَى أَنْ يُؤَافُوا . قَالَ : قُلْتُ : ذَلِكَ لَكَ .
فَأَصْبَحْنَا مِنَ الْغَدِ فَزَلْنَا الْخَانَ ، فَتَغَدَّيْنَا وَإِلَى جَانِبِنَا نَهْرٌ ظَلِيلٌ ، فَقَالَ : هَلْ لَكَ
أَنْ نَسْتَنْقِعَ فِيهِ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : شَأْنُكَ . فَلَمَّا سَرَا^(٤) ثِيَابَهُ إِذَا مَا بَيْنَ عَصْعَصِهِ إِلَى
كُرْدِهِ^(٥) ذَاهِبٌ ، وَفِي جَنْبِيهِ أَمْثَالُ الْجِرْذَانِ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْهُ شَرٌّ عَظِيمٌ .
فَنَظَرْتُ إِلَى وَفَطِنَ ، فَتَبَسَّمتُ ثُمَّ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ دُعْرَكَ مِمَّا رَأَيْتَ ، وَحَدِيثُ هَذَا إِذَا

(١) السبد : الشعر . يقال : مال سبد ولا لبد ، أى ليس له شيء . وفي بعض أصول الأغاني :

« سند » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « أمن » مكان « حرز » .

(٣) الثقل : متاع المسافر وحشمه .

(٤) سرا ثيابه : ألقاها عنه .

(٥) الكرد : العنق . وقيل : أصله .

سِرْنَا العشيَّةَ أَذْكَرَهُ لَكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا رَكَبْنَا قُلْتُ : الْحَدِيثَ . قَالَ : نَعَمْ . قَدِمْتُ مِنْ عِنْدِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ بِالْدُّنْيَا ، وَكُتِبَ إِلَى يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو فَلَا يَدَى أَصْحَابُهُ . فَخَرَجْتُ أُرِيدُ الطَّائِفَ ، فَلَمَّا أَمْتَدَّ بِي الطَّرِيقُ ، وَلَيْسَ يَصْحَبَنِي فِيهِ خَلْقٌ ، عَنَّ لِي أَعْرَابِيٌّ عَلَى بَعِيرٍ فَخَذْتَنِي ، فَإِذَا هُوَ حَسَنُ الْحَدِيثِ ، وَرَوَى الشَّعْرَ فَإِذَا هُوَ رَاوِيٌّ ، وَأَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ فَإِذَا هُوَ شَاعِرٌ . قُلْتُ : مَنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ ؟ فَقَالَ : لَا أَدْرَى . قُلْتُ : فَأَيْنَ تُرِيدُ ؟ فَذَكَرَ قِصَّةً يُخْبِرُ فِيهَا أَنَّهُ عَاشِقٌ لِمَرْيُتَةٍ فَدَافَسَتْ عَلَيْهِ عَقْلَهُ ، وَسَتَرَتْهَا عَنْهُ أَهْلُهَا وَخَلَعَهُ أَهْلُهُ . فَإِنَّمَا يَسْتَرِيحُ إِلَى الطَّرِيقِ يَنْحَدِرُ مَعَ مُنَحْدَرِيهِ وَيُصْعِدُ مَعَ مُصْعِدِيهِ . قُلْتُ : وَأَيْنَ هِيَ ؟ قَالَ : غَدَا نَزَلَ بِإِزَائِهَا . فَلَمَّا نَزَلْنَا رَأَى جِبَلًا صَغِيرًا عَنْ يَسَارِ الطَّرِيقِ ، فَقَالَ لِي : أَتَرَى ذَلِكَ الْجِبَلَ ؟ قُلْتُ أَرَاهُ . قَالَ : إِنَّهَا فِي مَسْقَطِهِ . فَأَذْرَكْتَنِي أَرْيَحِيَّةَ الشَّبَابِ ، قُلْتُ : أَنَا وَاللَّهِ آتِيهَا بِرِسَالَتِكَ . فَخَرَجْتُ وَأَتَيْتُ الْجِبَلَ ، وَإِذَا بَيْتٌ حَرِيدٌ ^(١) وَفِيهِ أَمْرَأَةٌ ظَرِيفَةٌ جَمِيلَةٌ ، فَذَكَرْتُهَا لَهَا ، فَزَفَرْتُ زَفْرَةً كَادَتْ أَضْلَاعُهَا تَسَاقُطُ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَوْحَى إِلَهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، تَرَكْتُهُ بِرَحْلِي وَرَاءَ هَذَا الْجِبَلَ ، وَنَحْنُ بَائِثُونَ وَمُصْبِحُونَ . فَقَالَتْ : يَا أَبِي ، إِنَّ لَكَ وَجْهًا يُدَلُّ عَلَى خَيْرٍ ، فَهَلْ لَكَ فِي الْأَجْرِ ؟ قُلْتُ : أَنَا وَاللَّهِ فَقِيرٌ إِلَيْهِ . قَالَتْ : فَأَلْبَسْ ثِيَابِي وَدَعْنِي حَتَّى آتِيَهُ ، وَذَلِكَ مُغَيَّرُ بَانَ الشَّمْسِ . قُلْتُ : أَفْعَلِي . قَالَتْ : إِنَّكَ إِذَا أَظْلَمْتَ أَتَاكَ زَوْجِي فِي هَجْمَةٍ ^(٢) مِنْ إِبْلِهِ ، فَإِذَا بَرَكْتَ أَتَاكَ فَقَالَ : يَا فَاجِرَةٌ ! يَا هَنْتَاهُ ^(٣) ! فَأَوْسَعِكَ سَبًّا ، فَأَوْسَعَهُ صَمْتًا . ثُمَّ يَقُولُ : أَقْمَعِي ^(٤) سَقَاءَكَ . فَضَعَ الْقِمَعَ فِي هَذَا السَّقَاءِ حَتَّى يُحْقَنَ ^(٥) فِيهِ ، وَإِيَّاكَ وَهَذَا

(١) حريد . منزل .

(٢) الهجمة من الابل : من الأربعين إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة .

(٣) ياهنتاه ، أى ياهذه . وقيل : يابلها .

(٤) قمع الإناء : إذا وضع القمع في فمه .

(٥) يحقن : يجتمع .

الْآخَرَ فَإِنَّهُ وَاهِي الْأَسْفَلِ . فجاء زوجها وفعلت ما أمرتني ، ثم قال : أقمعي
سقاءك . فحينئذ^(١) الله عز وجل ، فتركت الصَّحِيحَ وقمعت الواهي ، فما شعرتُ
إِلَّا وَاللَّبَنُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، فَعَمِدَ إِلَى قِدِّ مَرْبُوعٍ^(٢) فَنَاشَ بِأُثْنَيْنِ فَصَارَ عَلَى ثَمَانِي
قُوًى ، ثُمَّ جَعَلَ لَا يَتَّقِي مَنِّي رَأْسًا وَلَا رِجْلًا وَلَا جَنْبًا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَبْدُوَ لَهُ وَجْهِي
فَتَكُونُ الْآخَرَى ، فَأَلْزَمْتُ وَجْهِي الْأَرْضَ ، فَعَمَلْتُ فِي ظَهْرِي مَا تَرَى .

(١) حينئذ الله : لم يوفقه للرشاد .

(٢) القد : السير من الجلد . ومربوع : ذو أربع قوى .

أخبار أبي سعيد

مولى فائد

هو اسمه إبراهيم . وفائد هو مولى عمرو بن عثمان بن عفان . وهو يعرف اسمه وولاهه في الشعراء بأبن أبي سِنَّة ، مولى بنى أمية . وفي المغنين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مجيداً . ومغنياً ناسكاً ، فاضلاً ، مقبول الشهادة بالمدينة معدلاً . شئ عنه عاش إلى خلافة الرشيد ، ولقى إبراهيم بن المهدي ، وإسحاق الموصلي . وله قصائد جياذ في مرأى بنى أمية الذين قتلهم عبد الله ، وداود ، أبنا عليّ ابن عبد الله بن العباس ، في أول الدولة العباسية .

هو والمهدي وقد
أراد على الفناء

وذكر أن المهدي استحضر أبا سعيد وأمره أن يُغنى له :

لقد طُفْتُ سَبْعاً قُلْتُ لِمَا قَضَيْتُهَا أَلَا لَيْتَ هَذَا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَا

وقد كان أبو سعيد نَسَك . فقال : أَوْ أَغْنَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؟ قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغناه من شعره بقوله :

إِنَّ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ نَشَرَ الْمَجْدَ بَعْدَ مَا كَانَ مَاتَا
وَبَنَاهُ عَلَى أَسَاسٍ وَثِيقٍ وَعِمَادٍ قَدْ أُثْبِتَتْ إِبْنَاتَا
مِثْلَ مَا قَدْ بَنَى لَهُ أَوْلُوهُ وَكَذَا يُشَبِّهُ الْبُنَاةُ^(١) الْبُنَاتَا

فقال له المهدي : أَحْسَنْتَ يَا أبا سعيد ! فغنتي « لقد طُفْتُ سَبْعاً » . فقال : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا ؟ قال : أَنْتَ وَذَاكَ . فغناه :

(١) في التجريد : « النبات النباتا » وهي رواية بعض أصول الأغاني .

قَدِمَ الطَّوِيلُ فَأَشْرَقَتْ وَأَسْتَبْشَرَتْ أَرْضُ الْحِجَازِ وَبَانَ فِي الْأَشْجَارِ
 إِنَّ الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ فَأَعْلَمُوا سَادَ الْحُضُورَ وَسَادَ فِي الْأَسْفَارِ
 فَأَحْسَنَ فِيهِ . فَقَالَ : غَنَّنِي : « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » . قَالَ : أَوْ أَغْنَيْكَ أَحْسَنَ
 مِنْهُ ؟ قَالَ : أَفْعَلُ . فغَنَّاه :

أَيُّهَا السَّائِلُ الَّذِي يَخْبِطُ الْأَزْ ضَدَعَ النَّاسَ أَجْمَعِينَ وَرَاكَ
 وَأَتِ هَذَا الطَّوِيلَ مِنْ آلِ حَفْصٍ إِنَّ تَحْتَوَتْ عَيْلَةً^(١) أَوْ هَلَكَ

فأحسن . فقال له : غَنَّنِي : « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » فقد أحسنت فيما غَنَّيت ،
 وَلَكِنَّا نَحِبُّ أَنْ تُغَنِّيَنَا مَا دَعَوْنَاكَ إِلَيْهِ . فقال : لاسيَّيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ،
 لِأَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِي وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ لَا أَدْرِي مَا هُوَ ،
 وَقَدْ رَفَعَهُ لِيَضْرِبَنِي ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ! لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا !
 لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا ! مَا صَنَعْتَ بَأَمْتِي فِي هَذَا الصَّوْتِ ؟ قُلْتَ : بِأَبِي وَأُمِّي ، أَغْفِرْ لِي ،
 فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، وَأَصْطَفَاكَ بِالنُّبُوَّةِ ، لَا غَنَّيْتُ هَذَا الصَّوْتِ أَبَدًا . فَرَدَّ يَدَهُ
 عَنِّي وَقَالَ : عَفَا اللَّهُ عَنْكَ . ثُمَّ أَتْبَهَتْ ، وَمَا كُنْتُ لِأَعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا فِي مَنَامِي وَأَرْجِعَ عَنْهُ فِي يَقْظَتِي . فَبَكَا الْمَهْدِيُّ وَقَالَ : أَحْسَنْتَ
 يَا أَبَا سَعِيدٍ ! أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ! لَا تَعُدْ فِي غِنَائِهِ . وَحَبَّاهُ وَوَصَلَهُ .

والطويل المذكور في هذه الأسفار هو عبد الله بن عبد الحميد المخزومي . وكان
 ممدحًا . وهذا البيت الذي هو « لَقَدْ طَفْتُ سَبْعًا » مِنْ أَيْيَاتِ أَبِي سَعِيدٍ
 مَوْلَى فَائِدٍ ، وَهِيَ :

يُسَائِلُنِي صَاحِبِي فَمَا أَعْقَلَ الَّذِي يَقُولُونَ مِنْ ذِكْرِ اللَّيْلِ أَعْتَرَانِيَا
 إِذَا جِئْتَ بَابَ الشَّعْبِ شِعْبَ أَبِي عَامِرٍ فَأَقْرَى غَزَالَ الشَّعْبِ مَنِّي سَلَامِيَا

وقل لفرال الشعب هل أنت نازل
لقد زادني الحجاج شوقاً إليكم
وما نظرت عيني إلى وجه قادم
وحكى إبراهيم بن المهدي قال :

سأله إبراهيم بن
المهدي أن يفتنيه
في المسجد

كنتُ بمكة في المسجد الحرام ، وإذا شيخٌ قد طلع ، وقد قلب إحدى نعليه
على الأخرى وقام يُصلي . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ
لبعض الغلمان : أحضروه . فحضره أحدُهم . فأقبل عليه وقال : ما يظنُّ أحدُكم
إذا دخل المسجد إلا أنه له ! فقلتُ للغلام : قل له : يقول لك مولاي : أبلغني .
فقال ذلك له . فقال أبو سعيد : مَنْ مولاك ؟ حفظه الله ! قال : مولاي إبراهيم
ابن المهدي ، فمن أنت ؟ قال : أبو سعيد مولى فائد ، وقام فجلس بين يدي ، وقال :
لا والله — بأبي أنت وأُمي — ما عرفتُك ! فقلتُ : لا عليك ، أخبرني عن
هذا الصوت :

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوة^(١) لم تُرْمَسِ

فقال : هولى . فقلتُ : وربُّ هذه البنية لا تبرح حتى تُغني . فقال :
وربُّ هذه البنية لا تبرح حتى تسمعه . ثم قلب إحدى نعليه ، وأخذ بعقب
الأخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأخرى ويُغنيه ، حتى أتى عليه . فأخذته
منه . وهذا البيت من شعر لعبد الله العبلي يرثي بني أمية ، وهو :

أفاض المدامع قتلى كدى وقتلى بكثوة لم تُرْمَسِ
وقتلى بوج وباللآبتين من من يثرب^(٢) خيرُ ما أنفس

(١) كدى ، وكثوة : موضعان .

(٢) وج : واد بالطائف . واللابتان : حرتان تكتنفان المدينة .

وبالزَّائِبِينَ نُفُوسٌ ثَوَتْ وأُخْرَى بَنَهَرٌ ^(١) أَبَى فُطْرَسَ
أولئك قَوْمِي أَنَاخَتْ بِهِمْ نَوَائِبُ مِنْ زَمَنِ مُتَعَسٍ
إِذَا رَكِبُوا زَيْنُوا الْمُوكِنِينَ وَإِنْ جَلَسُوا الزَّيْنُ فِي الْمَجْلَسِ
ومنها: تقول أُمَامَةٌ لَمَّا رَأَتْ تُشَوِّزِي عَنِ الْمَضْجَعِ الْأَنْفَسِ
وَقِلَّةَ نَوْمِي عَلَى مَضْجَعِي لَدَى هَجْعَةِ الْأَعْيُنِ النَّعَسِ
أَيُّ، مَا عَرَاكَ؟ قَلْتُ الْهُمُومَ عَرَيْنَ أَبَاكَ خَبَسْنَهُ
عَرَيْنَ أَبَاكَ خَبَسْنَهُ لِقَدِّ الْأَحْبَةِ إِذْ نَالَهَا
رَمَتْهَا الْمُنُونُ بِلا نُكَلٍّ رَمَتْهَا الْمُنُونُ بِلا نُكَلٍّ
بِأَسْمُهَا الْمُتَلَفَاتِ النَّفُوسِ فَصَرَّغْنَهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ
فَصَرَّغْنَهُمْ فِي نَوَاحِي الْبِلَادِ تَقَى أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ
تَقَى أَصِيبَ وَأَثْوَابُهُ وَآخِرُ قَدْ دُسَّ فِي حُفْرَةٍ
وَآخِرُ قَدْ دُسَّ فِي حُفْرَةٍ إِذَا عَنْ ذِكْرِهِمْ لَمْ يَنْمَ
إِذَا عَنْ ذِكْرِهِمْ لَمْ يَنْمَ فَذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَأَعْلَمِي
فَذَاكَ الَّذِي غَالَنِي فَأَعْلَمِي هُمْ أَضْرَعُونِي لَرَيْبِ الزَّمَانِ
هُمْ أَضْرَعُونِي لَرَيْبِ الزَّمَانِ ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ أَبُو الْفَرَجِ بِذِكْرِ قَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ، فَذَكَرَهُ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ مَقْدَمَةً تُفْهِمُ
ثُمَّ اسْتَطَرَّدَ أَبُو الْفَرَجِ بِذِكْرِ قَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ، فَذَكَرَهُ، وَأَقْدَمَ عَلَيْهِ مَقْدَمَةً تُفْهِمُ مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ .

(١) الزايبان : الأعلى ، والأسفل . والأول بين الموصل وإربل ، وفيه كاذت وقعة بين مروان الحمار وبني العباس . والثاني بينه وبين الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ، وفيه كان مقتل عبيد الله بن زياد . وأبو فطرس : نهرقب الرملة من فلسطين ، وبه كانت الوقعة بين عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس وبين بني أمية سنة ١٣٢ هـ .

(٢) في بعض الأصول : « عرون » وهما بمعنى .

(٣) في بعض الأصول : « فلا تبلسي » أي لا تحزني .

(٤) الرس : الدفن . (٥) الرغم ، مثلثة الراء : التراب . والمعطس : الأنف .

خبر مقتل بنى أمية

اتفق أصحاب الأخبار على أن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي كان أخا هاشم
ابن عبد مناف ، جد النبي صلى الله عليه وسلم لأبيه وأمه . وذكر أنهم كانوا
توأمين ، وأنهما خرجا ملتصقين ، ففصل بينهما فجرى منهما دم ، فتطير من ذلك ،
وقيل : إنه يكون بين الأخوين دم ، فكان كذلك . فكان أمية بن عبد شمس
ينافس ابن عمه عبد المطلب بن هاشم ويحسد مكانته . وكان عبد المطلب أجلاً
وأعظم . ولما جاء الإسلام وبعث النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب بن هاشم ، كان أشدَّ البطون عداوة له بنو عبد شمس . كان منهم عتبة ،
وشيبة ، والوليد ، صناديد الكفر ؛ وأبو سفيان بن حرب قائد قريش . ومن الله
سبحانه على جماعةٍ منهم بالإسلام والسبق والهجرة ، وهم عثمان ، وأبو حذيفة
ابن عتبة ، وخالد بن سعيد ، رضى الله عنهم . ثم أظهر الله رسوله وفتح له مكة وأسلم
أبو سفيان ومن بقي من أهل مكة . ثم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى
بعده الخلفاء الراشدون ، وقمع الله بهم إحن الجاهلية . فلما انقضت أيام الخلفاء
الراشدين وصارت الخلافة إلى بنى أمية أظهروا عداوة بنى هاشم وإبعادهم ،
وأكد ذلك في نفوسهم خوفاً منهم أن يسلبوهم ملكهم ، إذ كان الناس إلى بنى هاشم
أميل . فقتل في أيامهم الحسين بن علي رضى الله عنهما ، وجماعة من أهل بيته
بكر بلاء ، ثم قتل يزيد بن علي بن الحسين بالكوفة وصلب بها وأُحرق ،
ثم قتل ابنه يحيى بن يزيد بخراسان . فقتل بسبب ذلك الإحن بين البيتين
وصارت لبني العباس شيعة بخراسان ، واضطرب في آخر الأمر ملك بنى أمية

تمهيد لابن واصل
في العداوة بين
عبد شمس وهاشم

ووقعت الفتن بينهم ، فقويت شِيعَةُ بنى هاشم بخُرَاسان وظهر بها أبو مسلم صاحبُ الدعوة ، وأستولى على خُرَاسان وعظمت جنودُه وجعلوا شعارهم السوادَ . ثم قصدتُ المُسَوِّدَةُ العراقَ وبايعوا بالخلافة السفَّاحَ أبا العباس عبد الله بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس ، وكان هو وأهل بيته مُقيمين بالشام بقرية يقال لها الحميمة . وكان صاحبُ الأمر الذي الدَّعوة له أخوه إبراهيم الإمام . فظفر به مروان بن محمد الحُمار ، وهو آخر خلفاء بنى أمية ، وحَبَسَه بحِرَّانَ ثم قَتَلَه في الحبس . ولما قبض على إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس . ولما بويع أبو العباس بعث عمه عبد الله بن عليّ في الجنود لقتال مروان الحمار ، فالتقوا بزاب الموصل . فأنهزم مروان هزيمةً قبيحةً ، وأتبعته الجيوش . فقصد دمشق ثم مصر .

مقتل مروان
الحمار

قال أبو الفرج : فأتبعه عبد الله بن عليّ بقائد من قواد خُرَاسان ، يقال له : عامر أبو إسماعيل ، فلحقه بقرية من قرى مصر يقال لها : بُوَصِير . فقتله يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة سنة أثننتين وثلاثين ومائة . ووجه برأسه إلى عبد الله ابن عليّ ، فأنفذه إلى أبي العباس السفَّاح . فلما وُضع الرأسُ بين يديه خرَّ ساجداً وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ، ولم يُبقِ ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين . وتمثل بقول ذى الإصبع العدواني :

لو يشرّبون دمي لم يروِ شاربهم ولا دماؤهم للغيط ترويني

وقيل :

عبد الله بن علي
وابن مسلمة في
الحرب

نظر عبدُ الله بن عليّ بن عبد الله بن العباس إلى فتى عليه أبهة الشرف وهو يُقاتل مُستتلاً^(١) ، فناده : يا فتى ، لك الأمان ولو كنت مروان بن محمد . فقال : إلّا أكنه فليستُ بدونه . قال : فلك الأمان ولو كنت من كنت . فأتقرب ثم قال :

(١) في بعض أصول الأغاني : « مستتلاً » والمستتل : الخارج عن الصف .

أَذَلَّ الحِياةَ وَكُزَّهَ المِاتَ وَكُلًّا أَرَاهُ طَعَامًا وَبَيْلًا
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ إِحْدَاهَا فَسِيرًا إِلَى المَوْتِ سِيرًا جَمِيلًا
ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ ، فَإِذَا هُوَ ابْنُ مُسْلَمَةَ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .

شعر سديف يفرى
العباس بنى أمية

وقيل :

جَلَسَ أَبُو العَبَّاسِ بْنُ السَّفَّاحِ يَوْمًا عَلَى سَرِيرِهِ ، وَبَنُو هَاشِمٍ دُونَهُ عَلَى
الْكُرَاسِيِّ ، وَبَنُو أُمِيَّةٍ عَلَى الوَسَائِدِ قَدْ ثُنِيَتْ لَهُمْ . وَكَانُوا فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِمْ يَجْلِسُونَ
هُمْ وَالْخَلِيفَةُ مِنْهُمْ عَلَى السَّرِيرِ ، وَيَجْلِسُ بَنُو هَاشِمٍ عَلَى الكُرَاسِيِّ . فَدَخَلَ الْحَاجِبُ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، بِالبَابِ رَجُلٌ حِجَازِيٌّ أَسْوَدُ رَاكِبٌ عَلَى نَجِيبٍ مِثْلُكُمْ
يَسْتَأْذِنُ وَلَا يُخْبِرُ بِأَسْمِهِ ، وَحَلَفَ أَلَّا يَحْسِرَ اللَّثَامُ عَنْ وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاكَ . فَقَالَ :
هَذَا مَوْلَايَ سُدَيْفٌ ، يَدْخُلُ . فَدَخَلَ . فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى العَبَّاسِ وَبَنِي أُمِيَّةٍ حَوْلَيْهِ ،
حَدَرَ اللَّثَامَ عَنْ وَجْهِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحَ المَلِكُ ثَابِتَ الأَسَاسِ بِالبَهَائِلِ ^(١) مِنْ بَنِي العَبَّاسِ
بِالصُّدُورِ المُتَقَدِّمِينَ قَدِيمًا وَالرُّؤُوسَ القَائِمَ ^(٢) الرُّؤُوسِ
يَا أَمِيرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذَّنِّ وَيَارَأْسَ مُتَمَهِّئِ كُلِّ رَأْسٍ
أَنْتَ مَهْدِيٌّ هَاشِمٍ وَهَدَاهَا كَمْ أَنَاسٍ رَجَوْكَ بَعْدَ أَفَاسٍ
لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا وَأَقْطَعَنَّ كُلَّ رَقْلَةٍ ^(٣) وَغِرَاسٍ
أَنْزَلَوْهَا بِحَيْثُ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارِ الهَوَاثِ وَالْإِنْعَاسِ
خَوْفُهَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدِ مِنْهَا وَبِهَا مِنْكُمْ كَحَزِّ المَوَاسِي
أَقْصَمَهُمْ أَيُّهَا الخَلِيفَةُ وَأَحْسِمَ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الأَرْجَاسِ

(١) البهائل : جمع بهلول ، وهو العزيز .

(٢) القائم ، بالضم : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

(٣) الرقلة : النخلة الطويلة .

وَأَذْكَرُنْ مَضْرَعِ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتِيلِ بِجَانِبِ^(١) الْمِهْرَاسِ
وَالْإِمَامِ^(٢) الَّذِي بِحَرَّانِ أَمْسَى رَهْنَ قَبْرِ فِي غُرْبَةٍ وَتَنَاسَى
فَلَقَدْ سَاءَ نِيَّ وَسَاءَ سَوَائِي قُرْبَهُمْ مِنْ تَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
نَعِمَ كَلْبُ الْمِهْرَاشِ مَوْلَاكَ لَوْلَا أَوْدُ^(٣) مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ

فَتَغَيَّرَ لَوْنُ أَبِي الْعَبَّاسِ وَأَخَذَهُ الزَّمْعُ وَالرَّعْدَةُ ، وَالتَفَتَ بَعْضُ وَلَدِ سُلَيْمَانَ
أَبْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ كَانَ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ : قَتَلْنَا وَاللَّهِ الْعَبْدُ ! ثُمَّ أَقْبَلَ
أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَيْهِمْ وَقَالَ : يَا بَنَى الْقَوَاعِلِ ! أَرَى قَتْلَكُمْ مِنْ أَهْلِ قَدْ سَلَفُوا وَأَنْتُمْ
أَحْيَاءُ تَتَلَذَّذُونَ فِي الدُّنْيَا ! خُذُوهُمْ . فَأَخَذَتْهُمْ الْخُرَاسَانِيَّةُ بِالْكَافِرِ كَوْبَاتِ^(٤)
فَأَهْمَدُوهُمْ ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَإِنَّهُ اسْتَجَارَ
بِدَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ لَهُ : إِنْ أَبِي لَمْ يَكُنْ كَأَبَائِهِمْ ، وَقَدْ عَلِمْتَ صَنِيعَهُ إِلَيْكُمْ . فَأَجَارَهُ
وَأَسْتَوْهَبَهُ مِنَ السَّفَاحِ وَقَالَ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صَنِيعَ أَبِيهِ إِلَيْنَا . فَوَهَبَهُ لَهُ
وَقَالَ : لَا تُرِيْنِي وَجْهَهُ وَلِيَكُنْ بِحَيْثُ نَأْمَنُهُ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عُمَالِهِ بِالنَّوَاحِي بِقَتْلِ
بَنِي أُمِيَّةَ .

وقيل :

السفاح بعد قتله
بني أمية

إِنَّ السَّفَاحَ أَمَرَ بِالْغَدَاءِ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ بَنِي أُمِيَّةَ ، وَأَمَرَ بِبَسَاطِ فَبُسَطَ عَلَيْهِمْ ،
وَجَلَسَ فَوْقَهُ يَا كُلَّ وَهُمْ يَضْطَرُّونَ تَحْتَهُ . فَلَمَّا أَكَلَ قَالَ : مَا أَعْلَمُنِي أَكَلْتُ أَكْلَةً
قَطٌّ كَانَتْ أَهْنًا وَلَا أَطِيبَ فِي نَفْسِي مِنْهَا . فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الْأَكْلِ قَالَ : جُرُّوا
بِأَرْجُلِهِمْ وَالْقَوْمَ فِي الطَّرِيقِ لِيَلْعَنَهُمُ النَّاسُ أَمْوَاتًا كَمَا لَعَنُوهُمْ أَحْيَاءَ . قَالَ^(٥) :

(١) المهراس : ماء بأحد . ويريد بالقتيل : حمزة بن عبد المطلب ، قتل يوم أحد .

(٢) الإمام ، هو إبراهيم ، رأس الدعوة العباسية ، قتله مروان بن محمد .

(٣) الأود : الكد والجهد .

(٤) الكافر كوبات : آلات كالعمد يضرب بها . فارسية .

(٥) المتحدث من إليه أسند الخبر ، وهو الميضي ، كما ذكر أبو الفرج .

فَرَأَيْتُ الْكِلَابَ تَجُرُّ بِأَرْجُلِهِمْ وَعَلَيْهِمْ سَرَاوِيلَاتُ الْوَشَى حَتَّى أَنْتَنُوا ، ثُمَّ
حُفِرَتْ لَهُمْ حَفَائِرُ فَأَلْقَوْا فِيهَا .

وَذُكِرَ أَنَّ سُدَيْفًا مَوْلَى بَنِي هَاشِمٍ أَنْشَدَ السَّفَاحَ ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ : لسديف يحرض
السفاح

يَا بْنَ عَمِّ النَّبِيِّ أَنْتَ ضِيَاءٌ أُسْتَبْنَا بِكَ الْيَقِينَ الْجَلِيًّا
لَا يَفِرُّ نَفْسُكَ مَا تَرَى مِنْ رِجَالٍ إِنَّ تَحْتَ الضُّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
جَرَّدَ السَّيْفِ وَأَرْفَعَ الْعَفْوِ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أُمُورِيًّا
بَطْنَ الْبُغْضِ فِي الْقَدِيمِ وَأَخِي ثَابِتًا^(١) فِي قُلُوبِهِمْ مَطُورِيًّا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ . فَقَالَ : يَا سُدَيْفُ ، خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَجَلٍ . ثُمَّ قَالَ
السَّفَاحُ مُتَمَثِّلًا :

أَحْيَا الضُّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَلَنْ تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ
ثُمَّ أَمْرٌ بَيْنَ عِنْدِهِ فَقَتَلُوا .

قتل سليمان بن علي
لجماعة من الأمويين

وقيل :

حَضَرَ جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ عِنْدَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ ،
وَعَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْمَوْشَاةُ الْمُرْتَفَعَةُ ، فَأَمَرَهُمْ فَقَتَلُوا .

قَالَ الرَّأَوِيُّ : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَحَدِهِمْ وَقَدْ أَسْوَدَ عَارِضَاهُ مِنَ الْغَالِيَةِ^(١) .
ثُمَّ جُرَّ بِأَرْجُلِهِمْ وَأُلْقُوا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَسَرَاوِيلَاتِ الْوَشَى وَإِنَّ الْكِلَابَ
لَتَجُرُّ بِأَرْجُلِهِمْ .

وفود عمرو بن
معاوية على سليمان

وحكى المبارك قال :

جَاءَنِي رَسُولُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، فَقَالَ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « ثَاوِيَا » .

(٢) الْغَالِيَةُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ .

يقول لك عمرو : قد جاءت هذه الدولة وأنت حديث السن كثير العيال منتشر
 الأموال ، فما أكون في قبيلة إلا شهر أمرى وعُرفت ، وقد عزمت على أن أفدى
 حُرْمى بنفسى ، وأنا صائر إلى باب الأمير سليمان بن عليّ ، فصرّ إليّ . فوافيته ،
 فإذا عليه طيلسان أبيض مطبق وسراويل وشيّ مسدول ، فقلت : سبحان الله !
 ما تصنع الحداثة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لما تريد لقاءهم فيه !
 قال : لا والله ، ولكنه ليس عندي ثوب إلا أشهر مما ترى . فأعطيته طيلساني
 وأخذت طيلسانه ، ولويت سراويله إلى رُكبته . فدخل إلى الأمير ثم خرج
 مسروراً . فقلت له : حدثني ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلت عليه ولم
 يرني قط ، فقلت : أصلح الله الأمير ، لفظتني إليك البلاد ، ودلّني عليك فضلك ،
 فإما قتلتنى غانماً ، وإما ردّدتني سالماً . قال : ومن أنت ؟ ما أعرفك . فأنتسبت له .
 فقال : مرحباً بك ، أقعد فتكلم غانماً . ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا بن أخي ؟
 قلت : إن الحُرْم اللواتي أنت أقرب الناس إليهن معنا ، وأولى الناس بهنّ بعدنا ،
 قد خفنّ بخوفنا ، ومن خاف خيف عليه . فوالله ما أجابنى إلا بدُموعه على خديّ .
 ثم قال لي : يا بن أخي ، يحقن الله دمك ، ويحفظك في حُرْمك ، ويوفّر عليك
 مالك ، والله لو أمكنتني ذلك في جميع قومك لفعلت ، فكن متوارياً كظاهر ،
 وآمناً كخائف ، ولتأتني رفاعك . قال : فكنت والله أكتب إليه كما يكتب
 الرجل إلى أبيه وعمه . فلما فرغ من الحديث رددت عليه طيلسانه . فقال : مه !
 إن شأنا إذا فارقتنا ثيابنا ألا ترجع إلينا .

ومن شعر سديف الذي فيه يُحرّض السفاح على قتل بنى أمية :

من شعر سديف
في تحريض السفاح

كيف بالحقو عنهم وقديماً قتلوكم وهتكوا الحُرُماتِ
 أين زيدٌ وأين يحيى بن زيد يالها من مُصيبَةٍ وتِراتِ
 والإمام الذي أصيب بحراً ن إمام الهدى ورأس الثقاتِ

قتلوا آل أحمد لا عفا الله لمروان غابر^(١) السيئات

لرجل من الشيعة
في مثله

وقال رجل من شيعة بنى العباس يحرضهم على قتل بنى أمية :

إِنَّا كُمْ أَن تَلِينُوا لَاعْتَذَارَهُمْ	فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا الْخَوْفُ وَالطَّمَعُ
لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا أَبَدُوا عَدَاوَتَهُمْ	لَكِنَّهُمْ قُمِعُوا بِالذُّلِّ فَأَنْقَمُوا
أَلَيْسَ فِي أَلْفِ شَهْرٍ قَدْ مَضَتْ لَهُمْ	سَقَوكُمْ جُرْعًا مِنْ بَعْدِهَا جُرْعٌ
حَتَّى إِذَا مَا أَنْقَضَتْ أَيَّامُ دَوْلَتِهِمْ	مَتُّوا إِلَيْكُمْ بِالْأَرْحَامِ الَّتِي قَطَعُوا
هِيَهَاتَ لَا بُدَّ أَنْ يُسْقَوْا بِكَأْسِهِمْ	رَبِّانَا وَأَنْ يَحْصُدَ الزَّرَّاعُ ^(٢) مَا زَرَعُوا
إِنَّا وَإِخْوَانُنَا الْأَنْصَارَ شِيعَتُكُمْ	إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

(١) في بعض أصول الأغاني « سافر » مكان « غابر » والبيت يروى :

قتلوا آل أحمد لا عفا الله * ب لمروان غافر السيئات

(٢) في بعض أصول الأغاني : « الزرع الذي زرعوا » .

خبر حميد بن ثور

هو حميد بن ثور بن عبد بن عامر بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر
ابن صغصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة
ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار .

سبه

وهو شاعر من شعراء الإسلام ، وقد أدرك الجاهليّة .

مخضرم

وذكر أنه تقدّم عمر بن الخطاب رضى الله عنه في الشعراء ألا ينسب^(١)
رجلٌ بأمرأة إلا جلد . فقال حميد بن ثور :

شعره بعد نهى عمر
عن النسب

أبى الله إلا أب سرحة مالكٍ على كل أفنان العضاء^(٢) ترؤقُ
وقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها من السرح إلا عشة^(٣) وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ولا الفئ^(٤) من برد العشى تذوق
وهل أنا إن علّت نفسى بسرحة من السرح موجود^(٥) على طريق
وهى قصيدة طويلة ، أولها :

نأت أم عمرو فالقواد مشوق يحن إليها والهّا ويتوق
وقيل :

وفوده على بعض
الخلفاء

وفد حميد بن ثور على بعض خلفاء بنى أمية ، فقال له : ما جاء بك ؟ فقال :

(١) فى بعض أصول الأغاني : « يشيب » .

(٢) السرحة : الشجرة الطويلة ، يكنى بها عن المرأة . والعضاء : أعظم الشجر ؛ الواحدة : عضاءة . وترؤق : تزيد عليها بحسنها .

(٣) العشة : القليلة الأغصان والورق . والسحوق : المفرطة فى الطول .

(٤) الظل : من أول النهار إلى الزوال . والفئ : من بعد الزوال إلى الليل .

(٥) ويروى : « مأخوذ على » و « مسلود على » .

أَتَاكَ بِيَّ اللَّهِ الَّذِي فَوْقَ مَنْ تَرَى وَخَيْرٌ وَمَعْرُوفٌ إِلَيْكَ دَلِيلُ
 وَمَطْوِيَةٌ الْأَقْرَابُ أَمَّا نَهَارُهَا فَنَصٌّ وَأَمَّا لَيْلُهَا ^(١) فَذَمِيلُ
 وَيَطْوِي عَلَى اللَّيْلِ حِصْنِيهِ إِنْ تَى لِذَاكَ إِذَا هَابَ الرُّجَالُ فَعُولُ
 فَوَصَلَهُ وَصَرَفَهُ شَاكِرًا .

(١) الأقرب : جمع قرب ، وهو الحاصرة . وللفرس قربان ، ولكنهم يجمعون . يريد وصفها بالضمور . والنص : أقصى السير . والذميل : السير اللين . والذي في التجريد : « فرقل » مكان « فنص » .

أَخْبَارُ فُلَيْحِ بْنِ الْعَوْرَاءِ

ولاؤه

هو من أهل مكة . مولى لبنى مخزوم .

قال أبو الفرج : ولم يقع إلينا اسمُ أبيه .

محلّه في الغناء

وهو أحدُ المغنّين في الدّولة العباسيّة ، وله محلٌّ كبيرٌ من صنّاعته ، وموضعٌ جليلٌ .

منزلته عند المهدي

وحكى الفضلُ بنُ الرّبيع قال :

كان المهديّ يسمعُ المغنّين جميعاً ، ويحضرون مجلسه ، ويتغنّون من وراء السّتارة ، إلّا فليح بن العوراء ، فإن عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ كان يُروّيه شعره في مدائح المهديّ ليُغنيّه فيه . فدرس في أضغافها بيتين يسأله فيهما أن يُنادمه ، وسأل فليحاً أن يغنيهما في أضغاف أغانيه ، وهما :

يا أَمِينَ الإله في الشّرق والغَرْ بِ عَلَى الْخَلْقِ وَأَبْنِ عَمِّ الرّسُولِ
مجلساً بالْعَشَى عِنْدَكَ فِي الْمَيْ مَدَانِ أَبْغَى وَالْإِذْنَ لِي فِي الْوُصُولِ

فغناه فليح إياها . فقال المهديّ : يا فَضْلُ ، أَجِبْ عبد الله إلى ما سأل . وأحضره مجلسي إذا حضره أهلي ومواليّ وجلستُ لهم ، وزدّه على ذلك أن ترفع يني وبين روايته فليح الستارة . فكان فليح أولُ مُغنٍّ عاين وجهه في مجلسهم .

صلته بمحمد بن
سليمان

وحكى بعضهم قال :

دعاني محمد بن سليمان بن عليّ ، فقال لي : قد قدّم فليح بن العوراء من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغْبَان^(١) فصرّ إليه ، وأعلمه أنّه إن جاءني قبل أن يدخل

(١) في غربى بغداد . والنّسب في التجريد : « ابن عتاب » تحريف .

على الرّشيد خلعت عليه خِلْمَةٌ سَنِيَّةٌ من ثيابي ، ووهبت له خمسة آلاف درهم .
ففضيتُ إليه فخبّرته بذلك . فأجابني إجابةً مَسْرُور به نشيط له ، وخرج معي .
فعدَل إلى حَمَام كان بقر به ، فدعا القِيمَ وأعطاه درهين وسأله أن يَجِيئه بشيء
يأكله ، ونبِيذٍ يشربه . فجاءه برأس كاه رأسُ عَجَل ، ونبِيذ دُوشَابِي^(١) غَلِيظ
ردى . فقلت : لا تفعل . وجهدتُ به ألا يأكل ولا يشرب إلّا عند محمد بن
سليمان . فلم يلتفتْ إلَيَّ ، وأكل من ذلك الرأس وشرب من النّبِيذ الغليظ ، حتى
طابت نفسه وغنى ، وغنى القِيمُ معه ملياً ، ثم خاطب القِيمَ بما أغضبه ، وتلاحيا
وتواثبا ، فأخذ القِيمُ شيئاً فضرب به رأسه فشجّه حتى جرى دُمُه . فلما رأى الدمَ
على وجهه اضطرب وجزع . ثم قام وغسل وجهه وجرحه وعالجه بصُوفَةٍ مُحَرَقَةٍ
وزيت ، وعصبه وتعمّم وقام معي . فلما دخلنا دارَ محمد بن سُلَيْمان ، ورأى الفرشَ
والآلة ، وحضر الطعامُ فرأى سرّوه^(٢) وطيه ، ورأى النّبِيذَ ، ومُدّت الستائرُ وغنت
الجواري ، أقبل علىّ وقال : يا مجنون ، سألتك بالله : أيّما أحقُّ وأولى بالعَرَبِدة :
مجلس القِيمِ أو مجلس الأمير ؟ فقلت : وكأنه لا بدّ من عَرَبِدة ! قال : لا والله ،
مالى منها بدّ ، فأخرجتها من رأسى هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذى فعلتَ
أحوط . فسألني محمد عما كنّاه فيه ، فأخبرته . فضحك ضحكاً عالياً وقال : هذا الحديثُ
والله أظرف وأطيبُ من غنائهِ . وخلع ثيابه عليه^(٣) ، وأعطاه خمسة آلاف درهم .

وحكى فليح قال :

هو وفّي عاشق

كان بالمدينة فتى يعشق ابنة عمّ له ، فوعده أنها تزوره ، وشكا إلى أنها تأتيه
ولا شيء عنده . فأعطيتها ديناراً للنّفقة . فلما زارته قالت له : من يُلْهِمُنِي ؟ قال :
صديق لى ، ووَصَفَنِي لها ، ودعاني فأتيته . فكان أول ما غَنِيته :

(١) دوشابى : نسبة إلى دوشاب ، وهو نبيذ التمر . فارسي معرب .

(٢) سرّوه ، أى جودته وكثرته . والذي فى بعض أصول الأغاني : « سروره » .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « وخلع عليه » .

مِنَ الْخَفِرَاتِ لَمْ تَفْضَحْ أَخَاهَا وَلَمْ تَرْفَعِ لَوَالِدَهَا ^(١) شَنَارًا
 فقامتُ إلى ثوبها فلبسته لتتصرف . فتعلقَ بها وجهُ كُلِّ الجَهدِ في أن تُقيم .
 فلم تفعل ، وأنصرفت . وأقبل علىَّ يكومني في أن غَنَيْتُهَا ذلك الصوت . فقلت :
 والله ما هو شيءُ أعتمدتُ به مساءً تَك ، ولكنه شيءٌ أتفق . قال : فلم نبرح حتى
 عاد رسولُها ومعه صُرَّةٌ فيها ألفُ دينار فدفعها إلى الفتى وقال : تقول لك أبنَةُ
 عمك : هذا مهرى فأدفعه إلى أبي وأخطبني . ففعل وتزوجها .

والشعر لسُليمان بن السُّلَكة السَّعدي :

كَأَنَّ مَجَامِعَ الْأُرْدَافِ مِنْهَا نَقًّا دَرَجَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ ^(٢) هَارًا
 يِعَافُ وَصَالَ ذَاتَ الْبَذْلِ قَلْبِي وَأَتَّبَعَ الْمُنْعَةَ ^(٣) النَّوَارًا

(١) الخفريات : الشديدة الحياء . والشنار : العيب والعار .

(٢) النقا : الكثيب من الرمل . وهار : سقط وتهدم .

(٣) النوار : المرأة النفور من الريبة .

أخبار ابن هرمة

هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهذيل بن الربيع بن
عامر بن ضبيح بن كنانة بن عدى بن قيس بن الحارث بن فهر . وإلى فهر
ينتهي نسب قريش . وقيل إنهم يتنهبون إلى النضر بن كنانة .

وولد قيس بن الحارث يقال لهم : الخُلج . وكانوا في عدوان ، ثم أُنقلوا عنهم
إلى بني نضر بن معاوية بن بكر بن هوازن . فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن
الخطّاب رضى الله عنه أتوه ليفرض لهم ، فأنكر نسبهم . فلما استخلف عثمان بن
عفّان رضى الله عنه أتوه فأثبتهم في بني الحارث بن فهر ، وجعل لهم ديواناً . وإنما
مُثِموا الخُلج لأنهم اختلجوا من كان معهم من عدوان ومن بني نضر بن معاوية .
وأهل المدينة يقولون : إنما مُثِموا الخُلج ، لأنهم نزلوا بالمدينة على خُلج فسمّوا بذلك .
ولهم بالمدينة عدد .

وقيل : نفى بنو الحارث بن فهر نسب ابن هرمة ، فقال :
أحار بن فهر كيف تطرحوني وجاء العدا من غيركم تبغى نصرى
فصار من ولد فهر في ساعته .

وكان ابن هرمة دعياً في الخُلج ، والخُلج أَدعياء في قريش . وكان ابن وصفه نفسه باللؤم
هرمة يقول : ألام العرب دعى أَدعياء ! ويعنى نفسه .

وحكى عبد الله بن أبي عبيدة قال :

زرت عبد الله بن حسن بياديته ، وزاره ابن هرمة ، فجاء رجل من أسلم ،
فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سل الأسلمي أن يأذن لي

نسبه

عتابه بنى الحارث

حديثه مع أسلمي

أن أخبرك خبرى وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : إذن له . فأذن له الأسلمى .
فقال إبراهيم بن هرمة : إني خرجت — أصلحك الله — أبغى ذوداً^(١) لى ،
فأوحشت^(٢) ، وضفت هذا الأسلمى ، فذبح لى شاةً وخبز لى خبزاً وأكرمنى . ثم
غدوت من عنده ، فأقمت ما شاء الله . ثم خرجت أيضاً فى طلب ذود لى ، فأوحشت
وقلت : لو ضفت الأسلمى ؟ فملت إليه . فجاءنى بلبن وتمر . ثم خرجت بعد ذلك
فقلت : لو ضفت الأسلمى ؟ فاللبن والتمر خير من الطوى . فضففته ، فجاءنى بلبن حامض .
فقال الأسلمى : قد أجبتك — أصلحك الله — إلى ما سأل ، فسأله أن يأذن لى
أن أخبرك لم فعلت . فقال : إذن له . فأذن له . فقال الأسلمى : ضافنى فسألته
من هو ؟ فقال : رجل من قريش . فذبحت له الشاة التى ذكرها . والله لو كان لى
غيرها لذبحتها له حين ذكر أنه من قريش . ثم غدا من عندى وغدا على الحى ،
فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت : رجل من قريش . فقالوا : ليس هذا من
قريش ، ولكنه دعى فيها . ثم ضافنى الثانية على أنه دعى فى قريش ، فخبثته بلبن
وتمر وقلت : دعى قريش خير من غيره . ثم غدا من عندى وغدا على الحى على
فقالوا : من كان ضيفك البارحة ؟ فقلت : الرجل الذى زعمتم أنه دعى فى قريش .
فقالوا : لا والله ما هو دعى فى قريش ، ولكنه دعى أدعياء قريش . ثم جاءنى
الثالثة ، فقريته لبناً حامضاً . والله لو كان شر منه عندى لقريته إياه . فأنخذل ابن
هرمة ، وضحك عبد الله وضحكنا معه .

وكان ابن هرمة مُحْضَرَم الدَّوْلَتَيْنِ ، وهو أحد الشعراء الفحول المجيدين ،
وكان مُدْمِناً للشراب ، وامتدح أبا جعفر المنصور فوصله بعشرة آلاف درهم . فقال :
لا تقع هذه منى موقعا . فقال : ويحك ! إنها كثيرة . فقال : إن أردت أن تهنئتنى

لم يرض من
المنصور إلا إباحة
الشرب له

(١) الذود من الإبل : من الثلاث إلى التسع . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين ، ولا يكون

إلا من الإناث . (٢) أوحش : جاع ونفذ زاده .

فَأَجَّحَ لِي الشَّرَابَ فَإِنِّي مُغْرَمٌ بِهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! هَذَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ . فَقَالَ : احْتَلْ لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : نَعَمْ . فَكُتِبَ إِلَيَّ وَالِي الْمَدِينَةِ : مِنْ أَتَاكَ بِأَبْنِ هَرْمَةَ سَكْرَانَ فَأُضْرِبْهُ مِائَةَ سَوْطٍ وَأُضْرِبْ أَبْنَ هَرْمَةَ ثَمَانِينَ . فَجَعَلَ الْجُلُوزَ ^(١) إِذَا مَرَّ بِأَبْنِ هَرْمَةَ وَهُوَ سَكْرَانٌ قَالَ : مَنْ يَشْتَرِي الثَّمَانِينَ بِالمِائَةِ ! فَلَا يَعْزُضُ لَهُ أَحَدٌ .

وَحَكَى ابْنُ هَرْمَةَ قَالَ :

ما رأيتُ قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطِيع ،
هو بين ابراهيم
ابن عبد الله وابراهيم
ابن طلحة
وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعمر . أَمَّا إبراهيم بن طَلْحَةَ فَأَتَيْتُهُ
فَقَالَ : أَحْسِنُوا ضِيافَةَ أَبِي إِسْحَاقَ . فَأَتَيْتُ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الطَّعَامِ . فَأَرَدْتُ أَنْ
أُنْشِدَهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ هَذَا وَقْتُ الشَّعْرِ . ثُمَّ أَخْرَجَ إِلَيَّ الْغَلَامَ رُقْعَةً ، فَقَالَ : إِيَّتِ بِهَا
الْوَكِيلَ . فَأَتَيْتُهُ ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتَ أَخَذْتُ لَكَ جَمِيعَ مَا كَتَبَ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتَ
أَعْطَيْتُكَ الْقِيَمَةَ . فَأَعْطَانِي مِائَتِي دِينَارٍ . وَأَمَّا إبراهيم بن عبد الله فَأَتَيْتُهُ فِي مَنْزِلِهِ
بِمُشَاشٍ ^(٢) عَلَى بَثْرِ ابْنِ الْوَلِيدِ ^(٣) بَنِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ ، فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ
بِرُزْمَةٍ فِيهَا ثِيَابٌ ، وَصُرَّةٌ دِرَاهِمٍ وَدَنَانِيرٌ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ مَا بَقِيتُ فِي مَنْزِلِنَا ثَوْبًا
إِلَّا ثَوْبًا نُوَارِي بِهِ أَمْرًا ، وَلَا حَلِيًّا وَلَا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا . وَقَالَ ابْنُ هَرْمَةَ
يَمْدَحُ إِبْرَاهِيمَ :

أَرْقَنْتَنِي تَلَوْنِي أُمُّ بَكْرٍ	بعد هدء واللوم قد يؤذيني
حَذَرْتَنِي الزَّمَانَ ثُمْتَ قَالَتْ	ليس هذا الزمان بالأمون
قُلْتُ لَمَّا هَبَّتْ تُحَذِّرُنِي الدَّهْ	رَدَعِيَ اللوم عنك وأستبقيني
إِنَّ ذَا الْجُودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا	هيم يعنيه كل ما يعنيني
قَدْ خَبَرَنَاهُ فِي الْقَدِيمِ فَأَلْفَيْد	سنا مواعيده كعين اليقين

(١) الجُلُوز : الشرطي . (٢) مشاش : موضع على نصف مرحلة من مكة .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « بثر الوليد » .

قلتُ ما قلتُ للذي هو حقُّ مُستبينٌ لا للذي يُعطيني
نَضَحْتُ أرضنا سماءُكَ بعدَ الـ جَدِبَ منها وبعْدُ سوءِ الظُّنونِ
فرعينا آثارَ غَيْثٍ أراقَتْ هـ يَدَا مُحْكَمِ القَوَى مَيِّمونِ

وقيل :

مدحه للسري

قصَدَ أبْنُ هَرْمَةَ السَّرِيِّ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ الْهَاشِمِيُّ بِالْيَمَامَةِ لَدَيْنَ لَزِمِهِ ، فَمَدَحَهُ
بِأَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، مِنْهَا قَوْلُهُ :

وقلُّ للسَّرِيِّ الْوَاصِلِ الْبَرِّ ذِي النَّدَى مَدِيحًا إِذَا مَا بُثَّ صُذِّقَ قَائِلُهُ
جَوَادُ عَلَى الْعِلَّاتِ يَهْتَزُّ لِلنَّدى كَمَا أَهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهُ
نَفَى الظُّلْمَ عَنْ أَهْلِ الْيَمَامَةِ عَدْلُهُ فَعَاشُوا وَزَاحَ ^(١) الظُّلْمُ عَنْهُمْ وَبَاطِلُهُ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْدَ خَوْفٍ وَشِدَّةٍ بِسِيرَةٍ عَدْلٍ مَا تُخَافُ غَوَائِلُهُ
وَأَنْتَ تُرْجَى لِلَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَتَنْفَعُ ذِي الْقُرْبَى لَدَيْكَ وَسَائِلُهُ
بِكَ اللَّهُ أَحْيَا أَرْضَ حَجَرٍ ^(٢) وَغَيْرَهَا مِنْ الْأَرْضِ حَتَّى عَاشَ بِالْبَقْلِ آكِلُهُ
ومدحه بقصيدة أولها :

* عُوجًا نَحْيُ الطُّلُولَ ^(٣) بِالْكَتَبِ *

يقول في مديحها :

دَعُ عَنْكَ سَلَمَى . وَقُلْ ^(٤) مُحِبَّةً لِمَا جَدَّ طَيِّبَ النَّسَبِ
مُخَضِّصِ مُصَنَّفِي الْعُرُوقِ يَحْمَدُهُ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ كُلُّ مُرْتَقِبِ
الْوَاهِبِ الْخَيْلَ فِي أَعْتَمَتِهَا وَالْوُصَفَاءِ الْحِسَانَ كَالذَّهَبِ

(١) زاح : انزاح وذهب .

(٢) في الأصل : * بك الله أحيا الأرض حجراً وأهلها *

(٣) الكتب : موضع بديار طيب .

(٤) المحبة : المقالة المجودة والمحسنة .

مجدداً وحداً يفيد كرمًا والحمد في الناس خيرٌ مكتسب
فأمر له بسبعائة دينار لقضاء دينه ، ومائة دينار يتجهز بها إلى أهله ، ومائة
دينار يأخذ بها هديةً لهم .

بينه وبين رجل
سأله عن بيتين

وقيل : قال رجل لأبن هرمة : من قاتل هذين البيتين :

ومهما ألام^(١) على حُبهم فإني أحبُّ بنى فاطمة
بنى بنت من جاء بالمُحكما تِ الدين والسنة القائمة

والبيتان لأبن هرمة . فقال أبن هرمة : قاتلُهما من غَضَّ بَطْرَ أمه . فقال له
بنه : يا أبت ، أَلستَ قاتلُهما ؟ قال بلى . قال : فلم شتمتَ نفسك ؟ قال : أيس
أنا يَعْصُ المرء بَطْرَ أمه خيرٌ من أن يأخذَه أبنٌ فَحَطَبَة^(٢) .

تعقيب لابن واصل
في بطش المنصور
بالعلويين

قلت : وإنما خاف ابن هرمة من نسبة الشعر ، لأن المنصور كان شديد الطلب
لمن يميل إلى العلويين ، والتَّبع لمن يُحبهم لخروجهم عليه . وكان خرج عليه محمد
ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالمدينة ، وأخوه إبراهيم
بالبصرة ، سنة خمس وأربعين ، فهزما وقتلا وحمل رأسهما إليه .

نزوله برجل يقود
على ابنتيه

وقيل :

نزل أبن هرمة على رجل ، له زوجة وأبنتان كأنهما ظيبتان يقود عليهما ،
ودفع إليه دراهم ليُنْفِقها عليهما في طعام وشراب . وأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتى
خفَّ ذلك المال . وجاء قوم آخرون ومعهم مال ، فأخبرهم الرجل بمكان أبن هرمة ،
فأستقلوه وكرهوا أن يعلم بهم . فأمر ابنتيه ، فقالتا : يا أبا إسحاق . ما دريت
ما الناس فيه : زُلزل بالروضة ؟ فتغافلها . ثم جاء أبوها مُتفازعاً ، فقال له :

(١) لم يجزم الفعل هنا شذوذاً .

(٢) هو حديد بن قحطبة ، ولي مصر للمنصور .

أى أبا إسحاق ، ألا ترى إلى ما الناس فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزَل بالروضة . فقال : قد جاءكم الآن إنسان معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جِئْتُكم به وثَقُلْتُ عليكم ، فأردت إدخاله وإخراجي ، أيزلزل بروضة من رياض الجنة ويُترك منزلك وأنت تجمع فيه الرجال على أبتعتيك ! والله لا عدتُ إليك ! وخرج من عنده .

وقيل :

هو وابن عمران
وأبو ثابت

مدح ابنُ هرمة محمد بن عمران الطلحي ، فألقاه روائتُه وقد جاءتُه غيرُ له تحمل غلَّة قد جاءتُه من ^(١) الفرع أو خير . فقال له رجل كان عنده : أعلم والله أن أبا ثابت عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضرُ عنده ، وأخبره بعيرك هذه . فقال : إنما أراد أبو ثابت أن يعرضني للسانه ، فودوا القطار إليه .

وقيل :

ليم في مدحه
أبا الحكم

مدح ابنُ هرمة أبا الحكم المطلب بن عبد الله بقوله :

لَمَّا رَأَيْتُ الْحَادِثَاتِ كَنَفَنِي وَأَوْرَثَنِي بُؤْسِي ذَكَرْتُ أبا الْحَكَمِ
سَلِيلُ مُلُوكٍ سَبْعَةٍ قَدْ تَتَابَعُوا هُمُ الْمُصْطَفُونَ وَالْمُصَفَّوْنَ بِالْكَرَمِ

فلاموه وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السنِّ بمثل هذا ؟ وكانت لأبن هرمة أبنَةٌ كان يلقبها عيينة ، فقال مجيباً لهم :

كَانَتْ عَيْنَةٌ فِينَا وَهِيَ عَاطِلَةٌ بَيْنَ الْجَوَارِي فَخَلَّاهَا أَبُو الْحَكَمِ
فَمَنْ لَحَانًا عَلَى حُسْنِ الْمَقَالِ لَهُ كَانَ الْمَلِيمَ وَكُنَّا نَحْنُ لَمْ ^(٢) نُلِمَ

وقيل :

سبب هجائه
لعبد العزيز بن
المطلب

أرسل ابنُ هرمة إلى عبد العزيز بن المطلب بكتابٍ يشكو فيه بعض حاله

(١) الفرع : قرية قرب الربرة على ثمانية برد من المدينة .

(٢) ألام الرجل : وقع فيما يلام عليه .

فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً. فمكث شهراً ثم بعث يطلب شيئاً آخر بعد ذلك .
فقال : أنا والله لا أقوى على ما كان يقوى عليه الحكم بن المطلب . وكان
عبد العزيز هذا قد خطب إلى امرأة من ولد عمر ، رضى الله عنه ، فردته ، فخطب
إلى امرأة من بنى عامر بن لؤى ، فزوجوه . فقال ابن هرمة يهجوهُ :

خَطَبْتَ إِلَى كَعْبٍ فَرَدُّوكَ صَافِراً فَنَوَلْتَ مِنْ كَعْبٍ إِلَى جِذْمِ عَامِرٍ
وَفِي عَامِرٍ عَزٌّ قَدِيمٌ وَإِنَّمَا أَجَازَكَ فِيهِمْ هَزْلُ أَهْلِ الْمَقَابِرِ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضاً :

أَبَا لِبْخُلٍ تَطْلُبُ مَا قَدَّمْتَ عَرَانِينَ جَادَتْ بِأَمْوَالِهَا
فَهِيَهَات خَالَفَتْ فِعْلَ الْكَرَامِ خِلَافَ الْجَمَالِ بِأَبْوَالِهَا

وقيل :

أغراه قوم بالحكم
فسأله فأجابهُ

جلس ابن هرمة مع قوم على شراب ، فذكر الحكم بن المطلب فأطلب في
مدحه . ف قيل له : إنك لتكثر ذكر رجلٍ لو طرقتَه الساعة في شاةٍ يقال لها
« غراء » تسأله إياها لردك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إى والله . وكانوا
قد عرفوا أن الحكم بها مُعجب . وكان في داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفي
رأسه ما فيه ، فدق باب الحكم ، فخرج إليه غلامه . فقال : أعلمُ أبا مروان بمكانى .
وكان أمراً ألا يُحجب ابن هرمة عنه ، فأعلمه به . فخرج إليه مُتسحاً ، فقال : أفى
هذه الساعة ! قال : نعم . جعلت فداك ، ولداً لى في هذه الساعة مولود فلم تدبر
عليه أمه ، فطلبوا شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذكرت لى شاةً عندك يقال لها
« غراء » فسألنى أن أسألكها . فقال : تجىء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة
واحدة ! والله لا بقى في الدار شاةً إلا أنصرفت بها ، سوقوهنّ معه . فخرج بهن

إلى القوم ، ثم قال لهم : ويلكم ! أى شئ صنعتم !^(١) وقصّ عليهم القصّة .
وقال : فيهن والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

وقيل :

هو وجيرانه وقد
أفرط في السكر

بلغ من غرامه بالتبذ أنه مرّ يوماً على جيرانه وهو مُنبت^(٢) سكرًا حتى دخل
منزله ، فلما كان من الغد دخلوا إليه فعاتبوه على الحال التي رأوه فيها . فقال لهم :
أنا في طّاب مثلها منذُ دهرٍ ، أما سمعتمُ قولي :

أسألُ الله سكرةً قبل موتي وصياح الصّبيان يا سكرانُ
فنفضوا ثيابهم وخرجوا . وقالوا : ليس يفلح هذا والله أبدًا !

وحكى الزُّبير بن بكار قال :

شعر له صدقته
جنازته

أنشدني عمّي لأبن هرمة :

ما أظن الزّمان يا أم عمرو تاركًا إن هلكتُ من بينكيني

قال : فكان والله كذلك ، لقد مات فأخبرني من رأى جنازته ما يحملها
إلا أربعة نفر حتى دُفن في البقيع .

والشعر الذي فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار ابن هرمة ، هو :

شعره الذي فيه
الغناء

أفاطم إن النّأى يُسلي من^(٣) الهوى ونأيك عني زاد قلبي بكم وجَدًا
أرى حرجًا ما نلتُ من حُبٍّ غيركم وناقلةً من حُبِّكم نلتها^(٤) رُشدا
وما نلتقي من بعد نأى وفرقةٍ وشحطِ نوى إلا وجدتُ له برّدا
على كبدٍ قد كاد يُبدي بها الهوى ندوبًا وبعضُ القوم يحسبني جلدًا

(١) في بعض أصول الأغاني : « فقالوا : ويحك ! أى شئ صنعت ! فقص » .

(٢) أى منقطع . (٣) في بعض أصول الأغاني : « ذوى » مكان « من » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « وناقلة ما نلت من ودكم » .

أخبار يونس الكاتب

وابن رهيمة الشاعر

أما يونس ، فهو ابن سليمان بن كُرد بن شهريار ، من ولد هُرْمُز .
نسب يونس
وذكر أنه مولى لعمرو بن الزبير . ومنشؤه بالمدينة . وكان أبوه مقيمًا^(١) بها ،
فأسلمه في الديوان وكان من كتابه .

وأخذ الغناء عن معبد ، وابن سريج ، وابن مُحَرِّز ، والغريص . وأكثر روايته أساتذته في الغناء
عن معبد . وهو أحق من أخذ عنه .

وأما ابن رهيمة فهو شاعر ، كان في أيام الدولة الأموية ، وكان ابن رهيمة
ابن رهيمة
وتشبيهه بزئب
يُسبَّب بزئب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي ،
ويُغنى فيه يونس الكاتب ، فأفتضحت بذلك وأستعدى عليه أخوها هشام
ابن عبد الملك ، فأمر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمه إن وُجد قد عاد
لذكرها ، وأن يفعل ذلك بكل من غنى في شيء من شعره . فهرب ابن رهيمة
ويونس الكاتب فلم يُقدر عليهما . فلما ولي الوليد بن يزيد الخلافة ظهر ابن رهيمة
ويونس . وقال ابن رهيمة :

لئن كنت أطرَدَتني ظالمًا	فقد كَشَفَ اللهُ ما أُرْهِبُ
ولو نلتَ مِنِّي ما تشتهي	لقلَّ إذا رَضيتَ زَيْنب
وما شئتَ فأصنعه بي بعد ذا	فحبي لزَيْنب لا يذهب

(١) في بعض أصول الأغاني : « فقيها » .

ومّا قاله ابنُ رُهيمة في زينب ، وهو الشعر الذي فيه الغناء وأُفتتح به
أبو الفرج أخبارها :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي بَعْدَ مَا ذَهَبَ الْبَاطِلُ عَنِّي وَالْغَزَلُ
وَعَلَا الْمَفْرَقَ شَيْبٌ شَامِلٌ وَاضِحٌ فِي الرَّأْسِ مَنِي فَأُشْتَعِلُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

أَقْصَدْتُ زَيْنَبُ قَلْبِي وَسَبَتْ عَقْلِي وَلَبِّي
تَرَكْتَنِي مُسْتَهَامًا أَسْتَغِيثُ اللَّهَ رَبِّي
لَيْسَ لِي ذَنْبٌ إِلَيْهَا فَتُجَازِينِي بِذَنْبِي
وَلَهَا عِنْدِي ذُنُوبٌ فِي تَنَائِيهَا وَقُرْبِي
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

إِنَّمَا زَيْنَبُ هَمِّي بِأَبِي تَلَكَ وَأُمِّي
بِأَبِي زَيْنَبُ لَا أَكْزُ خِي وَلَكِنِّي أُسَمِّي
بِأَبِي مَنْ لَيْسَ فِي قَلْبِهِ قِرَاطٌ^(١) رُحْمُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

يَا زَيْنَبُ الْحَسَنَاءُ يَا زَيْنَبُ يَا أَكْرَمَ النَّاسِ إِذَا تُنْسَبُ
تَقِيكَ نَفْسِي حَادِثَاتِ الرَّدَى وَالْأُمُّ تَفْسِدُكَ مَعًا وَالْأَبُ
هَلْ لَكَ فِي وُدِّ أَمْرِي صَادِقٍ لَا يَمْدُقُ الْوُدَّ وَلَا يَكْذِبُ
لَا يَكْتَنِي فِي وُدِّهِ^(٢) مَحْرَمًا هِمَاهُ مِنْكَ الْعَمَلُ^(٣) الْأَعْيَبُ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ :

فَلَيْتَ الَّذِي يَلْحَقُ عَلَى زَيْنَبِ الْمَتَى تَعَلَّقَهُ مِمَّا لَقِيتَ^(٤) عَشِيرُ
فَحَسْبِي لَهُ بِالْعُشْرِ مِمَّا لَقِيتُهُ وَذَلِكَ فِيمَا قَدْ تَرَاهُ يَسِيرُ

(١) الرحم : الرحمة . (٢) المحرم : الحرام .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « الأريب » وهو ذو الريب . (٤) عشير ، أى جزء من عشيرة .

أخبار إسماعيل بن يسار

النسائي

يُكنى أبا فائد . وهو مولى لبنى تيم بن مرة . تيم قريش . وكان مُنقطعاً إلى آل الزبير . فلما أفضت الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان وفد إليه مع عروة بن الزبير رحمه الله ومدحه ، ومدح الخلفاء من ولده بعده . وعاش عُمرًا طويلاً إلى آخر سلطان بني أمية . ولم يدرك الدولة العباسية .

وكان مليح النادرة ، وإنما سُمي أبوه يسارُ النسائي لأنه كان يصنع طعام العرس ويبيعه ، فيشتره منه من أراد التعريس من المتجملين ، ومن لا تبلغ حاله أصطناع ذلك .

وكان أصله من الفرس . وكانت فيهم شعوبية شديدة وتعصب للعجم على العرب ، وله في ذلك أشعار كثيرة يفخر بها الأعاجم . من ذلك القصيدة التي أولها :

لو أبان الغداة رجع الجواب	ما على رسم منزل ^(١) بالجناب
دائم الودق مكفهر ^(٢) السحاب	غيرته الصبا وكل ملث
عائد بالهوى وصفو الجناب	دار هند وهل زمانى بهند
لم تشبه بهجرة وأجتباب	كالذى كان والصفاه مصون
وهي رؤد كدمنية ^(٣) المخراب	ذاك منها إذ أنت كالفصن غصن

(١) الجناب : موضع . (٢) الملت : الدائم أياما لا ينقطع . والودق : المطر .

(٣) الرؤد : الحسنة . والدمية : الصورة .

غَادَةٌ تَسْتَبِي الْعُقُولَ بَعْدَ غَاثٍ طَيِّبِ الطَّعْمِ بَارِدِ الْأَيْسَابِ
وَأَثِيثٍ مِنْ فَوْقِ لَوْنٍ نَقِيٍّ كَبِيضِ اللَّجَيْنِ فِي (١) الزَّرْيَابِ
فَاقِلَ الْمَلَامِ فِيهَا وَأَقْصِرُ لَجَّ قَلْبِي مِنْ عَوَلَتِي (٢) وَأَكْتُابِي
صَاحِبِ أَبْصَرْتَ أَوْ سَمِعْتَ بَرَّاعٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي (٣) الْعِلَابِ
أَنْقَضْتُ شَرَّتِي وَأَقْصَرَ جَهْلِي وَأَسْتَرَاخْتُ عَوَازِلِي مِنْ عِتَابِي
يقول فيها يفتخر بالعجم :

رُبَّ خَالٍ مُتَوَجِّحٍ لِي وَعَمٍّ مَاجِدٍ مُجْتَدِيٍّ كَرِيمِ الْفَضَابِ
إِنَّمَا سُمِّيَ الْفَوَارِسُ بِالْقُرِّ سِ مِضَاهَاةٍ رَفْعَةٍ الْأَنْسَابِ
فَاتَرَكِي الْفَخْرِيَا أُمَامَ عَلَيْنَا وَأَتَرَكِي الْجَوْرَ وَأَنْطِقِي بِالصَّوَابِ
وَأَسْأَلِي إِنْ جَهَلْتِ عَنَّا وَعَتَكُمُ كَيْفَ كُنَّا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
إِذْ نُرَبِّي بِنَاتِنَا وَتَدُشُّو ن سَفَاهَاً بِنَاتِكُمْ فِي التُّرَابِ

وسمع أشعبُ هذا البيت بمحضور جماعة فقال : صدقت والله يا أبا فائد ، أراد
القومُ بناتهم لغير ما أردتموهنَّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَنَ الْقَوْمُ بَنَاتِهِمْ خَوْفًا
مِنَ الْعَارِ عَلَيْهِنَ ، وَرَبَّيْتُمُوهُنَّ لَتَنِيكُوهُنَّ . فَضَحَكَ الْحَاضِرُونَ حَتَّى اسْتَغْفَرُوا (٤) .
وَحَجَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ حَتَّى لَوْ قَدَّرَ أَنْ يَسِيخَ فِي الْأَرْضِ لَفَعَلَ .

هو وأشعب في
بيت له

وقيل :

افتخر بقومه عند
هشام فمذبه ونفاه

دَخَلَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ يَسَارٍ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي خِلَافَتِهِ ، وَهُوَ بِالرِّضَافَةِ
جَالِسٌ عَلَى بَرَكَةٍ لَهُ فِي قَصْرِ ، فَأَسْتَنْشَدَهُ وَهُوَ يَرَى أَنَّهُ يُنْشَدُهُ مَدِيحًا لَهُ ، فَأَنْشَدَهُ
قَصِيدَةً يَفْخَرُ فِيهَا بِالْعَجَمِ عَلَى الْعَرَبِ ، أَوْلَهَا :

- (١) الأثيث : الشعر الكثير ، والزرياب : الذهب .
- (٢) في بعض أصول الأغاني : « لوعة » مكان « عولتي » .
- (٣) قرى : جمع . والعلاب : الإناث يحلب فيه .
- (٤) استغربوا : بالغوا في الضحك .

يَا رَبِّعَ رَامَةَ بِالْعَلِيَاءِ مِنْ^(١) رِيمٍ هَلْ تَرْجِعَنَّ إِذَا حَيَّتْ تَسْلِمِي
حتى انتهى إلى قوله :

إِنِّي وَجَدْتُكَ لَا عُدَى بَذَى خَوَرٍ عِنْدَ الْحِفَاطِ وَلَا حَوْضِي بِمَهْدُومٍ
أَضْلَى كَرِيمٌ وَبَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ إِلَى لِسَانٍ كَحْدِ السَّيْفِ مَسْمُومٍ
مِنْ مِثْلُ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعًا وَالْهُرْمُزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لَتَعْظِيمٍ
جَحَاجِحِ سَادَةٍ بُلُجٍ^(٢) مَرَازِبَةٍ جُرْدٍ عِتَاقٍ مَسَامِيحِ مَطَائِمِ
أُسْدِ الْكَتَائِبِ يَوْمَ الرَّوْعِ إِنْ زَحَفُوا وَهُمْ أَذَلُّوا مُلُوكَ الشَّرْقِ وَالرُّومِ
يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْمَآذِي سَابِغَةً مَشَى الضَّرَاغِمَةُ الْأُسْدُ^(٣) اللَّهُامِيمِ
هَنَّاكَ إِنْ تَسَالَى تُذَجِّي بَانَ لَنَا جُرْثُومَةً قَهَرَتْ عِزَّ الْجَرَائِمِ
فَغَضِبَ هَشَامٌ وَقَالَ : يَا عَاظُ بَطْرَامُهُ ! عَلَى تَفَخُّرٍ وَإِتْيَايَ تُنْشِدُ قَصِيدَةً
تَمْدَحُ بِهَا نَفْسَكَ وَأَعْلَاجَ قَوْمِكَ ! غَطُّوهُ فِي الْمَاءِ . فَعَطَّوهُ فِي الْبَرَكَةِ حَتَّى كَادَتْ
نَفْسُهُ تَخْرُجُ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَهُوَ بَشِيرٌ ، وَنَقَاهُ مِنْ وَقْتِهِ عَنِ الرُّصَافَةِ . وَأَخْرَجَ
مِنْ وَقْتِهِ إِلَى الْحِجَازِ . وَكَانَ مُبْتَلًى بِالْعَصْبِيَّةِ لِلْعَجَمِ وَالْفَخْرِ بِهِمْ ، فَكَانَ لَا يَزَالُ
مَحْرُومًا مَضْرُوبًا مَطْرُودًا .

وقيل :

استقدم الوليد بن يزيد إسماعيل بن يسار من الحجاز ، فقدم عليه . فلما دخل
إليه أستنشده قصيدته الميمية التي منها :

كَلَّمْتُ أَنْتَ الْهَمُّ يَا كَلَّمْتُ وَأَنْتُمْ الدَّاءُ الَّذِي أَكْتَمُ

(١) رامة : منزل في طريق البصرة إلى مكة . والريم ، يهز ولا يهز : واد قرب المدينة .

(٢) جحاجح : سادة ؛ الواحد : جحجج . والمرازبة : رؤساء الفرس ؛ الواحد : مرزبان .

(٣) الحلق : جمع حلقة ، وهي الدرع . والمآذى : الدروع اللينة السهلة . واللهاميم : جمع لهميم .

وهو السابق الجواد .

أَكَاثِمِ النَّاسِ هَوًى شَفَى وَبَعْضُ كِتَابِ الْهَوَى أَخْزَمِ
 قَدْ لُمْتَنِي ظُلْمًا بِلاَظَنَّة وَأَنْتِ فِيمَا يَبْنِي أَلُومِ
 أَبْدَى الَّذِي تُخْفِيهِ ظَاهِرًا أَرْتَدُّ فِيهِ عَنْكَ أَوْ أُقْدِمِ
 إِمَّا يَبْأَسُ مِنْكَ أَوْ مَطْمَعِ يُسَدِّى بِحُسْنِ الْقَوْلِ ^(١) أَوْ يُلْحَمِ
 لَا تَتْرُكْنِي هَكَذَا مَيِّتًا لَا أُمْنَحُ الْوَدَّ وَلَا أُصْرَمِ
 أَوْفِي بِمَا قُلْتَ وَلَا تَنْدِمِ إِنَّ الْوَفَى الْقَوْلِ لَا يَنْدَمِ
 آيَةٌ مَا جِئْتُ عَلَى رِقْبَةٍ بَعْدَ الْكُرَى وَالْحَى قَدْ نَوَّمُوا
 وَدُونَ مَا حَاوَلْتُ إِذْ زُرْتَكُمْ أَخَوَكِ وَالْحَالُ مَعًا ^(٢) وَالْحَمِ
 أَخَافَتِ الْمَشَى حِذَارَ الرَّدَى وَاللَّيْلُ دَاجٍ حَالِكٌ مُظْلَمِ
 وَلَيْسَ إِلَّا اللَّهُ لِي صَاحِبٌ إِلَيْكُمْ وَالصَّارِمُ ^(٣) اللَّهُذَمِ
 حَتَّى دَخَلْتُ الْبَيْتَ فَأَسْتَذَرْتُ عَيْنَاكِ لِي مِنْ شَفَقٍ تَسْجُمِ
 ثُمَّ أَنْجَلَى الْحُزْنَ وَرَوَعَاتِهِ وَغُيِّبَ الْكَاشِحَ ^(٤) وَالْمُبْرَمِ
 فَبِتُّ فِيمَا شِئْتُ مِنْ نَعْمَةٍ يَمْنَحُنِيهَا نَحْوُهَا وَالْقَمِ
 حَتَّى إِذَا الصُّبْحُ بَدَأَ ضَوْوَهُ وَغَابَتِ الْجُوزَاءُ وَالْمِرْزَمِ
 خَرَجْتُ وَالْوَطْءُ خَفِيٌّ كَمَا يَنْسَابُ مِنْ مَكْنِهِ الْأَرْقَمِ

فطرب الوليدُ بن يزيد حتى نزل عن فرشه وسريره ، وأمر المغنين فغنّوا
 الصوتَ وشرب عليه أقداحاً ، وأمر لإسماعيل بجائزة سنّية وكسوة ، وسرّحه
 إلى المدينة .

(١) فى بعض أصول الأغانى : « الود » مكان « القول » .

(٢) فى بعض أصول الأغانى : « والعَم » .

(٣) اللهذم : القاطع .

(٤) المبرم : الجليس الثقيل .

وقيل :

أنشد عبد الملك
بعد مقتل ابن
الزبير فأجازه

دخل إسماعيلُ بن يسار على عبد الملك بن مروان لما أفضت الخلافةُ إليه ،
بعد مقتل عبد الله بن الزبير ، فسلم ووقف موقف المُشد وأُستأذن في الإنشاد ،
فقال له عبد الملك : الآن يا بن يسار ! إنما أنت أمرؤ زبيرى ، لسنا نريد أن تُشدنا .
فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأنًا من ذلك ، وقد صفحتَ عنى هو أعظمُ جرماً
وأكثر غناءً لأعدائك منى ، وإنما أنا شاعر . فتبسّم عبدُ الملك ، وأوماً إليه الوليدُ
أبن عبد الملك أن يُنشدَه . فأنشده قوله ، وهو الشعر الذى فيه الغناء :

وَلِلْمَاءِ مَمْنُوعًا مِنَ الْحَائِمِ الصَّدى	أَلَا يَا قَوْمِي لِلرَّشَادِ ^(١) الْمَشَرْدِ
وَلِلْحُبِّ بَعْدَ السَّلَوةِ التُّمَرْدِ	وَلِلْحَالِ بَعْدَ الْحَالِ يَرْ كَبِهَا الْفَتَى
صَبَا بِالْقَوَافِ كُلِّ قَرَمٍ مُجَدِّ	وَلِلْمَرْءِ يُلْحَى فِي التَّصَابِي وَقَبْلَهُ
تَكْجَمُ الْغَضَى تَحْتَ الشَّرَاسِيفِ ^(٢) مُوقَدِّ	وَكَيْفَ تَنَاسَى الْقَلْبَ سَلَمَى وَحُبُّهَا

حتى انتهى إلى قوله :

وَنِعَمَ أَخُو ذِي الْحَاجَةِ الْمُتَعَمِّدِ	إِلَيْكَ إِمَامَ النَّاسِ مِنْ أَرْضِ يَثْرِبِ
وَأَنْتَ لَمْ يَذْمُ جُنَابَكَ مُجْتَدِ	رَحَلْنَا لِأَنَّ الْجُودَ مِنْكَ خَلِيقَةُ
إِمَامٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ غَيْرِ ^(٣) الْمَصْرَدِ	مَلَكَتْ فَرِذَتِ النَّاسِ مَا لَمْ يَزِدْهُمْ
وَلَكِنْ بِمَاسَارُوا مِنَ الْعَدْلِ ^(٥) تَقْتَدِ	وَقُلْتَ ^(٤) فَلَمْ تَنْقُضْ قَضَاءَ خَلِيقَةِ
وَأَسْنَدَتَهُ مَا تَأْتَلَى خَيْرَ مُسْنَدِ	فَلَمَّا وَلِيَتْ الْأَمْرَ ضَارِبَتْ دُونَهُ
وَلَيِّينَ لِلْعَهْدِ الْوَثِيقِ الْمُوَكَّدِ	جَعَلْتَ هَشَامًا وَالْوَلِيدَ ذَخِيرَةً

(١) فى بعض أصول الأغاني : « المسهد » مكان « المشرّد » .

(٢) الشراسيف : الأضلاع .

(٣) المصرد : القليل .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « وقمت » .

(٥) فى بعض أصول الأغاني : « من الفعل » .

فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّمًا ، وألقت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل
من هذا الأمر . فقطب سليمان ونظر إلى إسماعيل نظر مُغضب . فقال إسماعيل :
يا أمير المؤمنين ، إنما وُزن الشعرُ أخرجهُ من البيت الأول ، وقد قلت بعده :
وأَمْضَيْتَ عِزْمًا فِي سُلَيْمَانَ رَاشِدًا وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ مِثْلَكَ يَرْشُدْ
فأمر له بألْفِ دِرْهَمٍ ، وزاد في عَطَائِهِ ، وقَرَضَ لَهُ ، وقال لأولاده : أعطوه .
فأعطوه ثلاثة آلاف درهم :

أخبار النابغة الجعدي

وهو حَبَّان بن قيس بن عبد الله بن وَحَّوح بن عُدَس بن ربيعة بن جعدة
ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور
ابن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر . وَيُكْنَى أبا ليلي .
وأُمُّه فاخترة بنت عمرو الأسديَّة .

وُسِّى النابغةُ لأنه أقام مُدَّة لا يقول الشعر ثم نَبَغ فقاله .
وقيل : أقام ثلاثين سنة لا يتكلم ثم تكلم بالشعر .

وقيل : كان قديماً شاعراً مُفْلِقاً طويلاً البقاء في الجاهلية والإسلام ، وإنه
أكبرُ من النابغة الذبياني . وهو القائل :

وَمَنْ يَك سَائِلًا عَنِّي مِنْ الْفَتِيَانِ أَيَّامَ ^(١) الْخُنَانِ
أَتَتْ مَائَةٌ لِعَامٍ وَلِدَتْ فِيهِ وَعَشْرٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَحِجَّتَانِ
فَقَدْ أَبَقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنِّي كَمَا أَبَقْتُ مِنَ السَّيْفِ الْيَمَانِي

وعُمِّرَ بعد ذلك عُمرًا طويلاً . وأراد النابغةُ بأيَّام الخنن وقعةً كانت لهم ، فقال
قائل منهم ، وقد لقوا عدوهم : خُنُوهم ^(٢) بالرَّماح . فسُمِّي ذلك العامُ عامَ الخنن .
ومما يدلُّ على أنه أقدمُ من النابغة الذبياني أنه عُمِّرَ مع المنذر بن المحرِّق قبل
الْتَعْمَانِ بن المنذر ، وكان النابغة الذبياني مع التَّعْمَانِ بن المنذر وفي عصره ، فلم يكن له

(١) الخنن : داء يأخذ في حلق الطير وعيونها ، والإبل في مناخرها . ويشير إلى ما كان
أيام المنذر بن ماء السماء .

(٢) خنومهم : أقطمهم .

قَدِمَ ، إِلَّا أَنَّهُ مَاتَ قَبْلَ الْجَعْدَى ، وَلَمْ يُدْرِكِ الْإِسْلَامَ . وَأَدْرَكَهُ النَّابِغَةُ الْجَعْدَى
الَّذِى يَقُولُ :

تَذَكَّرْتُ شَيْئًا قَدْ مَضَى لِسَبِيلِهِ وَمِنْ عَادَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَ
كُھُولٌ وَفَتِيَانٌ كَأَنَّ وَجُوهَهُمْ دَنَانِيرُ مِمَّا شِيفَ^(١) فِي أَرْضٍ قَيْصَرَا
وَعُمُرُ مِائَةِ وَثَمَانِينَ سَنَةً ، وَقَالَ :

لَبِسْتُ أَنَا أَسَا فَأَفْنَيْتُهُمْ وَأَفْنَيْتُ بَعْدَ أَنَا أَسَا
ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ وَكَانَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَأَسَا

وَهِيَ قَصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

وَكُنْتُ غَلَامًا أَقَاسِي الْحُرُ بَ يَلْقَى الْمُقَاسُونَ مَنَى الْمِرَاسَا
فَلَمَّا دَنَوْنَا لَجَرَسِ الثُّبَا ح لَمْ نَعْرِفِ الْحَى إِلَّا التَّمَاسَا
أَضَاءَتْ لَنَا النَّارُ وَجْهًا أَغْرَرْتُ مُلْتَبِسًا بِالْجَمَالِ^(٢) أَلْتَبَاسَا

وَقِيلَ : إِنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدَى أَنَشَدَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْيَاتَهُ السَّيْنِيَّةَ

الَّتِى يَقُولُ فِيهَا :

* ثَلَاثَةُ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ *

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : كَمْ لَبِثْتَ مَعَ كُلِّ أَهْلٍ ؟ قَالَ : سِتِّينَ سَنَةً .

وَذَكَرَ ابْنُ قُتَيْبَةَ أَنَّهُ عَاشَ مِائَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَمَاتَ بِأَصْبَهَانَ .

قَالَ أَبُو الْفَرَجِ :

وَمَا ذَاكَ بِمُنْكَرٍ ، لِأَنَّهُ قَالَ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّهُ أَفْنَى ثَلَاثَةَ قُرُونٍ ، كُلُّ
قَرْنٍ سِتِّينَ سَنَةً ، فَهَذِهِ مِائَةٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً ، ثُمَّ عُمَرُ بَعْدَهُ فَكَثَّ إِلَى أَيَّامِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) سَافَ السَّيْفُ : جَلَا . (٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِى : « بِالْفَوَادِ »

ابن الزبير، وقَدِمَ عليه بمكة، وقد دعا لنفسه وأستأخاه ومدحه. وبين عبد الله ابن الزبير وبين عُمر نحو مما ذكر ابن قتيبة. فلا شك أنه بلغ هذه السنين. وهاجى أوس بن مفرأ بحضرة الأخطل، والعجاج، وكعب بن جُعيل، فغلبه هاجى ابن مفرأ فغلبه. وكان (١) مُغلبًا.

وقيل: قدم النابغة الجعدي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدحه قدمه على النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه بقصيدة، منها:

بلغنا السماءَ نَجِدُنَا وَجُدُونَا وإنا لَنرجو فوق ذلك مَظْهَرًا
 قال النبي صلى الله عليه وسلم: فأين المظهر يا أبا ليلى؟ فقال: إلى الجنة. فقال
 صلى الله عليه وسلم: قل إن شاء الله. فقال: إن شاء الله. ومن هذه القصيدة:
 ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لم يكن له بَوادرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا
 ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يكن له حَلِيمٌ إذا ما أورد الأمرُ أَصْدِرَا
 فقال صلى الله عليه وسلم: لا يَفْضُضُ الله فاك. فلقد أتت عليه مائة سنة
 أو نحوها وما أنْفَضَ من فيه سِنٌّ.

وكان النابغة ممن أنكر الخمر والشكر في الجاهلية، وهجر الأصنام والأزلام. في جاهليته
 ورؤى أنه دخل على عثمان بن عفان رضى الله عنه فقال: أستودعك الله
 يا أمير المؤمنين. قال: وأين تريد يا أبا ليلى؟ قال: ألحق بإبلى فأشرب من ألبانها،
 فأني أنكر نفسي. قال: أتعربًا؟ (٢) بعد الهجرة يا أبا ليلى! أما علمت أن ذلك
 مكروه؟ قال: ما علمته، وما كنت لأخرج حتى أعلمك. فأذن له وأجله في ذلك

(١) مغلب: يغلب كثيرًا.

(٢) تعرب الرجل: صار أعربا. بعد أن كان عربياً. وفي الحديث: ثلاث من الكبائر، منها: التعرب بعد الهجرة. وهو أن يعود إلى البادية ويقوم مع الأعراب بعد أن كان مهاجراً.

أَجَلًا . فدخل على الحسن والحسين رضى الله عنهما فودَّعهما . فقالا له : أنشدنا من شعرك يا أبا ليلى . فأنشدهما :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظامًا

فقال له الحسن : ما كنّا نروى هذا الشعر يا أبا ليلى إلا لأمية بن أبي الصلت . فقال : يا بن رسول الله ، إني لصاحبُ هذا الشعر ، وإن السَّروق عين السَّروق من سرق شعر أمية .

وحَضَرَ النابغة الجعدى مع على رضى الله عنه حربَ صَفِّين .

وقيل : إن النابغة هاجى أوس بن مَعْرَاء ، ولم يكن أوس مثله ولا قريباً منه فى الشعر . فقال النابغة : إني وإياه لنبتدر بيتاً ، أيُّنا يسبق إليه يغلب صاحبه . فلما بلغه قول أوس :

شهد صفين

مع على

مهاجاته أوس بن

مَعْرَاء وليلى

لَعَمْرُكَ مَا تَبْلَى سَرَايِلُ^(١) عَامِرٍ مِنَ اللُّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قال النابغة : هذا البيت الذى كنّا نبتدر إليه ، فغلب عليه أوس^(٢) .

وهاجى النابغة لىلى الأخيلية :

أَلَا حَيَّا لَيْلَى وَقُولَا لَهَا هَلَا فَقَدْ رَكِبْتُ أَيْرَاءً أَغْرَ مُحَجَّلَا
وكيف أهاجى شاعراً رُفِحه أَسْتُهُ خَضِيبَ الْبَنَانِ لَا يَزَالُ مُكْحَلَا

فأجابته لىلى الأخيلية فقالت :

أَنَا بَعْدُ إِنْ تَبْنِغْ بِلُؤْمِكَ لَا تَجِدْ لِلْؤْمِكِ إِلَّا وَسْطَ جَعْدَةٍ مَجْمَلَا
تَعَيَّرْنِي دَاءً بِأَمْكٍ مِثْلُهُ وَأَيَّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا

فغلبته .

(١) السراييل : جمع سرايال ، وهو القميص والدرع .

(٢) سبق شيء (ص : ٦١٥) عن مهاجاته لأوس .

وفوده على
ابن الزبير

وذكر أنه أقحمت السنة^(١) نابغة بنى جعدة ، فدخل على ابن الزبير المسجد الحرام ، فأنشده :

حكيت لنا الصديقَ لما^(٢) أتيتنا وعُثمانَ والفاروقَ فانزاح^(٣) مُغْدِمُ
أتاك أبو ليلى يحوب به الدجى دجى الليل جَوَّابُ الفلاة^(٤) عَثَمَ
لتجبر منه جانباً دَعَدَت به صُروفُ الليالى والزمانُ المصمَّ

فقال له ابن الزبير : هوّن عليك أبا ليلى ، فإن الشعر أهونُ وسائلك عندنا ،
أما صفوة مالنا فلأل الزبير ، وأما عفوته^(٥) فإن بنى أسد بن عبد العزى تشغلها
عنك . ولكن لك فى مال الله حقان : حق برويتك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وحق بشركتك أهل الإسلام فى فيئهم . ثم أخذ يسيده فدخل به دار
النعم فأعطاه قلائصَ سبعاً وجملاً رجلاً^(٦) ، وأوقر له الرّكاب بُراً وتمراً وثياباً .
فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفاً . فقال ابنُ الزبير : ويح أبى ليلى !
لقد بلغ به الجهدُ . فقال النابغة : أشهد لقد سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
يقول : ما وليتُ قريشَ فعدلتُ ، وأسترحمت فرحمت ، وحدثت فصدقت ،
ووعدت فأنجزت ، فأنا والنيئون فرّاط لها ضُمن . وفى رواية : فرّاط القاصفين^(٧) .

وقيل :

مع على ومعاوية

لما خرج على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى صفين خرج ومعه نابغة
بنى جعدة ، فساق به يوماً فقال :

- (١) السنة : الجذب والقحط . وأقحمته : قذفت به . يريد نزوحه من البادية إلى الريف حيث
الخضرة والماء . (٢) فى بعض أصول الأغاني : « وليتنا » مكان « أتيتنا » .
- (٣) فانزاح معدم ، أى لم يبق معدم . والرواية فى بعض أصول الأغاني : « فارتاح معدم » .
- (٤) العثم : الجمل الشديد الطويل .
- (٥) العفوة : أحل المال وأطيبه . (٦) الرجل : القوى على السير .
- (٧) الفراط : المتقدمون . والقاصفون : المزدحمون .

قد عَلِمَ الْمِصْرَانِ وَالْعِرَاقُ أَنْ عَلِيًّا فَخْلُهَا ^(١) الْعُتَاقُ
 أَيْضُ جَحْجَاحٍ لَهُ رُواقُ وَأُمُّهُ غَالِيٌ بِهَا الصَّادِقُ
 أَكْرَمُ مِنْ شُدْبِهَا النَّطَاقُ إِنْ الْأَلَى جَارُوكَ لَا أَفَاقُوا
 لَكُمْ سِيَّاقٌ وَلَهُمْ سِيَّاقُ قَدْ عَلِمْتُ ذَلِكَُمُ الرِّفَاقُ
 سَقَمْتُ إِلَى نَهْجِ الْهُدَى وَسَاقُوا إِلَى الَّتِي لَيْسَ لَهَا ^(٢) عِرَاقُ
 فِي مِلَّةٍ عَادَتِهَا النُّفَاقُ

فَلَمَّا قَدِمَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الْكُوفَةَ ، قَامَ النَّابِغَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ :

أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ الْمَشْرِقِينَ رِسَالَتِي بِرَأْيٍ ^(٣) نَصِيحٍ لَا يَبِيْتُ عَلَى الْعَتَبِ
 مَلَكَتُمْ فَكَانَ الشَّرُّ آخِرَ عَهْدِكُمْ لِئِنْ لَمْ تَدَارِكْكُمْ حُلُومُ ^(٤) بَنِي كَعْبٍ
 وَقَدْ كَانَ مَعَاوِيَةُ كَتَبَ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ، فَأَخَذَ أَهْلَ النَّابِغَةِ وَمَالَهُ .
 فَدَخَلَ النَّابِغَةُ عَلَى مَعَاوِيَةَ ، وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَمَرْوَانُ ، فَأَنْشَدَهُ :

مَنْ رَاكِبٌ يَأْتِي أَبْنَ هَنْدٍ بِحَاجَتِي بِكُوفَانِ ^(٥) وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي وَتُجَلِّبُ
 فَيُخْبِرُ عَنِّي مَا أَقُولُ أَبْنُ عَامِرٍ وَنِعْمَ الْفَتَى يَا وِيَّ إِلَيْهِ ^(٦) الْمُعَصَّبُ
 فَإِنْ أَخَذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظَنَّةٍ فَإِنِّي لِحَرَابِ الرِّجَالِ ^(٧) مُحَرَّبُ
 صَبُورٌ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كُلَّهُ سِوَى الظُّلْمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَأَغْضَبُ

فَأَلْتَفَتَ مَعَاوِيَةُ إِلَى مَرْوَانَ وَقَالَ : مَا تَرَى ؟ قَالَ : أَرَى الْأَتْرَدَ عَلَيْهِ شَيْئًا . قَالَ :
 مَا أَهْوَنَ وَاللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ يَنْجَحِرَ هَذَا فِي غَارٍ ثُمَّ يَقْطَعُ عِرْضِي عَلَىَّ ثُمَّ تَأْخُذُهُ الْعَرَبُ

(١) المصران : الكوفة والبصرة . والعِتَاق ، أى الكريم .

(٢) أى إلى مضلة لا نهاية لها . (٣) فى بعض أصول الأغاني : « وأى » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « حرب » .

(٥) كوفان : الكوفة . وفى بعض أصول الأغاني : « على النأى » مكان « بكوفان » .

(٦) المعصب : الذى عصيته السنون وأكلت ماله .

(٧) حراب محرب ، أى شديد الكيد والنكاية .

فترويه . أما والله إن كنت لمن يرويه ! أردد عليه كل شيء أخذت منه .

شعره الذي فيه
الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وأُفتتح به أبو الفرج أخبار النابغة الجعدي ، شعره قاله
النابغة يُخاطب به عِقال بن خُوَيْلِد العُقَيْلي يحذّره غِبَّ الظُّلْم ، لما أجار بني وائل
ابن مَعْن الباهليين ، وكانوا قتلوا رجلاً من بني جَعْدَة ، فحذّروهم مثل حَرْب
البَسوس إن أقاموا على مثل ذلك فيهم ، وهو :

فأبلغ عِقالاً أن غاية داحسٍ	بكفّيك فأستأخر لها أو تقدّم
تُجِير علينا وائلاً في دماننا	كأنك عما ناب أشياءنا عَم
كَلِيبُ لعمري كان أكثر ناصراً	وأيسر جُرمًا منك ضُرَج بالدم
رمى ضَرَع نابٍ فأستمرّ بطعنة	كحاشية البرد اليماني المسهم

ثم أَسْطَرَد أبو الفرج بذكرة وقعة البَسوس ، فنذكرها مختصرة .

ذكر حرب البسوس

قالت الرثاة :

سبها

كان كليب بن ربيعة بن سنان بن مرثد بن عبد بن عمرو بن بشر بن مرثد،
أخو بني قيس بن ثعلبة ، قد ساد ربيعة ، فبغا بغياً شديداً . وكان هو الذي يُنزِلهم
منازلهم ويُرحّلهم ، فلا ينزلون ولا يرحلون إلا بأمره . فبلغ من عزّه وبغيه أنّه
اتّخذ جرّو كليب ، فكان إذا نزل منزلاً فيه كلاًّ قذف ذلك الجرّو فيعوى ،
فلا يرى أحد ذلك الكلاًّ إلا بأمره . وكان يفعل ذلك بحياض الماء ، فلا يردّها
أحدٌ إلا بإذنه ، أو من آذن بحرب . فضرب به المثل قليل : أعزُّ من كليب
واثل . وكان يحمي الصيد فيقول : صيدُ ناحية كذا وكذا في جوارى . فلا يصيد
أحدٌ منه شيئاً . وكان لا يمرّ بين يديه أحد إذا جلس ، ولا يحتبى في مجلسه غيره .
وكان لمرّة بن ذهل بن شيبان عشرة بنين ، جساس أصغرهم . وكانت أختهم
زوجة كليب . وكانت البسوس خالة جساس بن مرّة . وهى التى يضرب العربُ
المثل بشؤمها فيقولون : أشأم من البسوس . فنزلت على ابن أختها جساس .
وكانت جارةً لبني مرّة ، ومعها ابن لها ، ولها ناقة خوّارة^(١) من نعام بني سعد ، ولها
فصيل معها . فبينما زوجة كليب ، وهى أخت جساس بن مرّة ، يوماً تغسل رأس
كليب بن ربيعة وتُسرحه إذ قال لها : من أعزُّ وائل ؟ فصمتت . فأعادها . فلما أكثر
عليها قالت : أخو اى : جساس وهَمَام . فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى
فصيل ناقة البسوس ، خالة جساس وجارة بني مرّة ، فقتله . فأغضبوا على ما فيها
وسكتوا على ذلك . ثم لقي كليب بن ربيعة جساس بن مرّة^(٢) ، فقال : ما فعل

(١) خوّارة : حسنة جميلة . (٢) فى بعض أصول الأغاني : « ابن البسوس » .

فصیلُ ناقَتکم؟ قال: قتلته وأُخْلِيتَ لنا لبنُ أمه. فأغضوا على هذه أيضاً. ثم إن كُلياً أعاد على امرأته فقال: من أعزُّ وائل؟ قالت: أخوای. فأضمرها وأسرَّها وسكت، حتى مرَّت به إبلُ جَسَّاس، فرأى الناقةَ فأنكرها، فقال: ماهذه الناقةُ؟ قالوا: لخالة جَسَّاس. فقال: أوقد بلغ من أمر ابن السعدية أن يُجير على بغير إذن! فأخذ القوسَ فرمى ضرع الناقة. فأختلط دُمُها بلبنها. فراحت الرُعَاةُ إلى جَسَّاس وأخبروه بالأمر. فقال: احلبوا مكيالَ لبن لها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً. ثم أغضوا على ذلك أيضاً. وسكت جَسَّاس حتى ظعن بنو بكر وبنو تغلب، ابني وائل. فرَّت بكر بن وائل على نهي^(١) يقال له: شُبَيْث، ففهام^(٢) كُليب عنه، وقال: لا يذوقون منه قطرة. ثم مرُّوا على نهي آخر يقال له: الأحص. ففنعهم إياه أيضاً. فضَّوا حتى نزلوا الذنائب. وأتبعهم كُليب وحيه حتى نزلوا عليه. ثم مرَّ عليه جَسَّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب، فقال: طردت أهلنا عن المياه حتى كدَّت تقتلهم عطشاً! فقال كُليب: ما منعناهم من ماء إلا نحن له شاغلون. فناداه جَسَّاس فقال: هذا كيفعلك بناقة خالتي! فقال: أوقد ذكرتها! أما إني لو وجدتُها في غير إبل مرة لاستحلتُ تلك الإبلَ بها. فعطف عليه جَسَّاس بن مرة فرسه فطعنه بالرَّمح فأنفذ حِصْنِيه. فقال: يا جَسَّاس، أَسْتغنى الماء. فقال: ماعقلتُ استسقاءك الماء منذ ولدتك أمك إلا هذه الساعة. وعطف عليه المُزدلف بن عمرو ابن أبي ربيعة فاحتزَّ رأسه.

وكان هَمَّام أخو جَسَّاس صديقاً لمُهَلَّل بن ربيعة، أخى كُليب، وكان عاقده هَمَّام و جَسَّاس بعد مقتل كُليب
ألا يَكْتُمُه شيئاً. ولما قتل جَسَّاس كُلياً كان هَمَّام ومُهَلَّل جالسين، ومرَّ جَسَّاس بعد أن قتل كُلياً يرْكُض فرسه مُخرِجاً فخذيه. فقال هَمَّام أخوه: إن له لأمر! والله ما رأيته كاشفاً فخذيه في رَكْض قط. فلم يلبث قليلاً حتى جاءته خادمه فسارته

(١) النهي: الغدير. (٢) في بعض أصول الأغاني: «ففهام».

بأنَّ جَسَّاسًا قَتَلَ كُليِّبًا . فقال : ما أَخْبَرْتُكَ ؟ قال : أَخْبَرْتُنى أَنَّ أَخى قَتَلَ أَخاك .
فقال : هو أَضيقُ أَسْتًا مِنْ ذَلِكَ !

وجاء جَسَّاسٌ إِلَى أَبِيهِ مُرَّةً . فقال : ماوراءُكَ يا بُنَى ؟ فقال : ورائى أَنَّى طَعَنْتُ
طَعْنَةً لَتَشْعُلَنَّ بِهَا شُيُوخُ بَنى وائِلَ زَمَنًا . قال : أَقَتَلْتَ كُليِّبًا ؟ قال : نَعَمْ . قال :
وَدِدْتُ أَنَّكَ وَإِخْوَتَكَ مِثَّمْ قَبْلَ هَذَا ! ما بى إِلَّا أَنْ يَتَشَاءَ بى أَبْناءُ وائِلَ .

جساس
وأبوه مرة

ولما قُتِلَ كُليِّبُ ، قالت بَنُو تَغْلِبَ قَوْمُهُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لا تَعَجَلُوا عَلَى إِخْوَتِكُمْ
حَتَّى تَعْدُرُوا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ . فأنْطَلَقَ رَهْطٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ وَذَوَى أَسْنَانِهِمْ حَتَّى أَتَوْا
مُرَّةَ بَنِ ذَهْلٍ ، أبا جَسَّاسٍ ، فَعَظَّمُوا ما بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ وَقَالُوا : اخْتَرْنَا خِصَالًا : إِمَّا أَنْ
تَدْفَعَ إِلَيْنَا جَسَّاسًا فنَقْتُلَهُ بِصَاحِبِنَا ، فلم يَظَلِّمْ مِنْ قَتْلِ قَاتِلِهِ ؛ وإِمَّا أَنْ تَدْفَعَ إِلَيْنَا
هَمَامًا ؛ وإِمَّا أَنْ تُقَيِّدَنَا مِنْ نَفْسِكَ . فسَكَتَ ، وَقَدَّ حَضَرْتُهُ وَجُوهُ بَنى بَكْرِ بْنِ
وائِلَ ، فَقَالُوا : تَكَلِّمْ غَيْرَ تَخْذُولٍ . قال : أَمَّا جَسَّاسٌ فَإِنَّهُ غُلَامٌ حَدِيثُ السَّنِّ رَكَبَ
فَرَسَهُ فَهَرَبَ حِينَ خَافَ ، فَلَا عِلْمَ لى بِهِ . وَأَمَّا هَمَامٌ فَأَبْوَ عَشْرَةَ ، وَعَمَّ عَشْرَةَ ، لَوْ دَفَعْتُهُ
إِلَيْكُمْ لَصَيَّحَ بَنُوهُ فِي وَجْهِى وَقَالُوا : دَفَعْتَ أَبَانَا لِيُقْتَلَ بِمَجْرِيَّةٍ غَيْرِهِ . وَأَمَّا أَنَا
فَلَا أَعَجَلُ الْمَوْتَ ، وَهَلْ تَزِيدُ الْخَيْلُ عَلَى أَنْ تَجُولَ جَوْلَةً فَأَكُونَ أَوَّلَ قَتِيلٍ !
وَلَكِنْ هَلْ لَكُمْ فِي غَيْرِ ذَلِكَ : هَؤُلَاءِ بَنَى لَخَذُوا أَحَدَهُمْ فَأَقْتُلُوهُ بِهِ ، وَإِنْ شِئْتُمْ
فَلَكُمْ أَلْفُ نَاقَةٍ تَضُمُّهَا لَكُمْ بَكْرُ بْنُ وائِلَ . فَغَضِبُوا وَقَالُوا : إِنَّا لَمْ نَأْتِكَ لِنُرْزَلَ
لَنَا بَنِيكَ ^(١) ، وَلَا لِنَسْؤِمَا اللَّيْلِ ! فَتَفَرَّقُوا ، وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ .

بنو تغلب
ومرة بن ذهل

وَتَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ عِنْدَ الْحَارِثِ بْنِ عُبَادٍ فَقَالَ : لَأَنَاقَةَ لى فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ . وَهُوَ
أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا . فَذَهَبَتْ مِثْلًا .

كلمة الحارث
ابن عباد

وَكَانَتِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَكَانَ بَيْنَهُمْ فِي تِلْكَ السَّنِينَ خَمْسُ وَقَعَاتٍ

الحرب بين الحيين

(١) أى تعطينا رذال بنيك .

مُزاحفات ، وفيما بين تلك الوقعات مُغاورات^(١) : كان الرجلُ يلقى الرجلَ ، والرجلانِ الرجلينِ ، ونحو هذا . وكانت تارة يكون الظهور لبكر ، وتارة لتغلب ، وتارة ينتصف كلٌّ منهما من صاحبه .

وفي بعض تلك الحروب قُتل همّام بن مُرة أخو جَسّاس . وكان من حديث قتله أنه وجد غلاماً مطروحاً ، فالتقطه وربّاه وسمّاه : ناشرة ، فكان عنده لقيطاً . فلما شبَّ فإذا هو من تغلب . فلما التقوا جعل همّام يُقاتل ، فإذا عطش رجع إلى قربة فشرب منها ، ثم وضع سلاحه . فوجد ناشرةً من همّام غفلةً ، فشدَّ عليه^(٢) بالعنزة فأقصده فقتله ، ولحق بقومه تغلب .

فكان رئيس بكر ، بعد همّام بن مُرة ، الحارثُ بن عباد ، وكان قد اعتزل الحرب لما قُتل كليب واستعظم قتل كليب في سُودده لناقة . فقتل مهلهلُ بن ربيعة بُجيراً ، ابن أخى الحارث — وقيل : بل هو ابن الحارث نفسه — وقال حين قتله : بُؤْشِشْ نعل كليب ! وبلغ قتله الحارث فقال : نِعم الغلامُ غلامُ أصلح بين أبنى وأئبل ! فلما سمعت بكرٌ قول الحارث قالوا له : إن مهلهلاً لما قتله قال : بُؤْشِشْ نعل كليب ! فغضب الحارثُ عند ذلك ونادى بالرحيل ، وقال :

قَرَباً مَرَبَطَ النِّعَامَةِ مَنًى لَقِحتُ حَرْبُ وائِلَ عَن^(٣) حِيَالِي
لَا بُجِيرُ أَغْنَى قَتِيلًا وَلَا رَهْ طُ كُليبٍ تَزَاجِرُوا عَن ضَلَالِ
لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا شَهِدَ اللَّهُ هُ وَإِنِّي بِمَجْرَها الْيَوْمَ صَالِي

ثم كانت بين الفريقين وقعة أسرف فيها الحارثُ بن عباد مهلهلاً وهو لا يعرفه، فقال أسرار الحارث مهلهل

(١) مغاورات : يغير فيها بعضهم على بعض .

(٢) العنزة : شبه العكازة ولها زج من أسفلها .

(٣) النعامة : فرسه . ولقحت : حملت . والحِيَال : ألا تحمل الأثني . يريد : هاجت الحرب بعد

له : دُلّني على مُهلهل . فقال : ولي دَحي؟ قال : ولك دُمك . قال : ولي ذمّتك وذمة أبيك؟ قال : نعم . قال : فأنا مُهلهل . قال : فدُلّني على كُفء لبُجير . قال : لا أعلمه إلا امرأ القيس بن أبان، هذاك علمه . فجزّ الحارث ناصية مُهلهل وأطلقه، وقصد قصدَ امرئ القيس فقتله ببُجير .

مهلل خروج مهلهل وإكراهه على تزويج ابنته
وخرج مُهلهل بعد الأسر فلحق بأرض اليمن، فكان في جنب^(١) . فخطب إليه أحدُهم ابنته . فأبى أن يفعل . فأكرهوه . فأنكحها إيّاه ، وقال في ذلك :

أنكحها فقدّها الأراقم^(٢) في جنبٍ وكان الحباه من أديم
لو بأبائين^(٣) جاء يحطّبهما ضُرّج ما أنفُ خاطبٍ بدم
أصبحتُ لا مُنفساً^(٤) أصبتُ ولا أبت كريمةً حرّاً من الندم
هان على تغلبٍ بما لقيتُ أختُ بني المالكين من جُشم
ليسوا بإخواننا^(٥) الكرام ولا يُغنّون من عيلةٍ ولا عَدم
ومات جسّاس بن مُرة - فيما ذكر - حتفٌ أنه .

وقيل :

ترحيل جليلة
عن ماتم كليب

لما قتل جسّاس كليباً اجتمع نساء الحيّ قتلن لأخت كليب : رحلى جليلة بنت مُرة ، أخت جسّاس ، عن مأمّنا ، فإن قيامها فيه كمّاتة وعارٌ علينا عند العرب . فقالت لها : أخرجي عن مأمّنا، فأنت أختُ وائرنا وشقيقة قاتلنا . فخرجت وهي تجرُّ أعطافها . فلقيها أبوها مُرة فقال : ما وراءك يا جليلة؟ قالت : تُكلّ العَدَد ، وحُزن الأبد ؛ وقد خَليل ، وقتل أخٍ عمّا قليل ؛ وبين ذَيْن غرسُ الأحقاد ،

(١) جنب : حى باليمن من مذحج .

(٢) الأراقم : حى من تغلب .

(٣) أبائان : جيلان .

(٤) المنفس : المال الكثير . (٥) في بعض أصول الأغاني : « بأكفائنا » .

وتفتت الأكباد . قال : أَوَيْكف عن ذلك كرم الصفح وإغلاء الديات ؟ فقالت :
أمنية تخدوع ورب الكعبة ، إنك لتعلم أن تغلب لا تدع دم ربها لك .
وقيل : قالت أخت كليب لما رحلت جليلة : رحلة المعتدى ، وفراق الشامت ،
ويل غداً لآل مرة ، من الكرة بعد الكرة . فبلغ قولها جليلة ، فقالت : كيف
تشتت الحرة بهتك سترها ، وترقب وترها . وأنشأت تقول :

يأبنة الأقوام إن شئت فلا	تعجلي باللوم حتى تسألي
فإذا أنت تبينت الذي	يوجب اللوم فلوحي واعذلي
إن تكن أخت أمرى ليمت على	شفق منها عليه فافعلي
جلّ عندى فعل جسّاس فيا	حسرتي عما انجلت أو تنجلي
فعل جسّاس على وجدى به	قاطع ظهري ومذن أجلي
لو بعين فقت عيني سوى	أختها فانفقات لم أحفل
يا قتيلاً قوّض الدهر به	سقف بيتي جميعاً من عل
هدم البيت الذي استحدثته	وأثنى في هدم بيتي الأول
ورماني قتله من كذب	رمية المصمى به المستأصل
يا نيسائي دونكن اليوم قد	خصني الدهر برزء مفضل
خصني قتل كليب بلظي	من ورأى ولظي مستقبلي
ليس من يبكي ليوميه كمن	إنما يبكي ليوم ينجلي
يشتنى المدرك بالثار وفي	دركي بالثار ككل ^(١) المشكل
ليتّه كان دمي فاحتلبوا	بدلاً منه دماً من ^(٢) أكل
إنّني قاتلة مقتولة	فلعل الله أن يرتاح لي

(١) المشكل : التي لازمها الحزن .

(٢) الأكل : عرق في الذراع .

(*) أخبار ابن قيس الرقيات

هو عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْس بن شَرِيح بن مَالِك بن ربيعة بن أَهْيَب بن ضَبَاب بن حُجَيْر بن عَبْدِ بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيٍّ بن غالب بن فِهْر بن مَالِك بن النَّضْر .
 وأمّه قَتِيلَةُ بنتُ وَهَب بن عبد الله . من بنى بكر بن عبد مناة بن كِنَانَةَ .
 وإنما لُقِبَ بالرُّقِيَّاتِ لأنه شَبَّ بثلاث نسوة مُمَيَّن جميعاً رُقِيَّةً ، منهن : رُقِيَّةُ بنت عبد الواحد بن أَبِي سعد بن قيس ، من بنى عامر بن لُؤَيٍّ ؛ وابنة عمِّ لها يقال لها : رُقِيَّةُ ؛ وأخرى من بنى أُمِيَّة ، يقال لها : رُقِيَّة .

نسبه

أمه ولقبه

قيل :

وفوده على عبد الملك
بعد مقتل مصعب
الزبيرى

كان عُبَيْدُ اللَّهِ بن قَيْس الرُّقِيَّاتِ مُنْقَطِعاً إلى مُصْعَب بن الزُّبَيْر بن العَوَّام ، ولم يزل فى صُحْبَتِهِ إلى أن قُتِلَ .

قال عُبَيْدُ اللَّهِ :

خَرَجْتُ مع مُصْعَب بن الزُّبَيْر حين بَلَغَهُ شُخُوصُ عبدِ الْمَلِك بنِ مَرْوَانَ إِلَيْهِ ، فلما نَزَلَ مُصْعَب بن الزُّبَيْر بِمَسْكِنٍ^(١) ورأى معالمَ الْغَدْرِ ، دَعَانِي ودعا بِمَالٍ وَمَنَاطِقَ ، فلأُ الْمَنَاطِقَ من ذَلِكَ الْمَالِ وَأَلْبَسَنِي مِنْهَا وقال لى : أَنْطَلِقْ حَيْثُ شِئْتُ فَإِنِّي مُقْتَوْلٌ . فقلتُ : وَاللَّهِ لَا أَرِيْمُ حَتَّى أَرى سَبِيلَكَ ، فَأَقَمْتُ معه حَتَّى قُتِلَ . ثم أَقْبَلْتُ إلى الْكَوْفَةِ ، فأولَ بَيْتٍ صَرْتُ إِلَيْهِ دَخَلْتُهُ . فإذا فِيهِ أَمْرَأَةٌ لها أَبْنَتَانِ كَأَنَّهُمَا ظَبْيَتَانِ ، فَرَقِيتُ فى دَرَجَةٍ لها إلى مَشْرَبَةٍ^(٢) فقعَدْتُ فِيهَا . فَأَمَرْتُ لى الْمَرْأَةَ

(*) جرد ابن واصل تجريده من « أخبار الهذلى » . وقد أورد أبو الفرج لسعيد الهذلى المغنى

بعض أخبار قليلة قبل أخبار ابن قيس الرقيات .

(١) مسكن : موضع على نهر دجيل . كانت به الوقعة بين عبد الملك ومصعب سنة ٧١ هـ .

(٢) المشربة : الغرفة .

بما أحتاج إليه من الطعام والشراب والفرش والماء للوضوء . فمكثت كذلك عندها أكثر من حول تُقيم لي ما يُصلحني ، وتغدو عليَّ في كل صباح فتسألني بالصباح^(١) والحاجة . ولا تسألني من أنا ، ولا أسألهَا من هي ، وأنا في ذلك أسمع الصياح فيَّ والجُفَل . فلما طال المُقام وفقدتُ الصياح فيَّ وغرِضْتُ بمكاني غدتُ عليَّ تسألني بالصباح والحاجة . فأعلمتها أنَّي قد غرِضْتُ وأحببتُ الشُّخص إلى أهلي . فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله . فلَمَّا أُمِيتُ وضرب الليلُ بأرواقه رقيتُ إليَّ وقالت : إذا شئتُ ؟ فنزلتُ . فأعدتُ لي راحلتين عليهما ما أحتاج إليه ومعهما عبد ، وأعطتُ العبد نفقة الطريق ، وقالت : العبد والراحتان لك . فركبتُ وركب العبد معي حتى طرقتُ أهلي بمكة ، فدققتُ منزلي . فقالوا : من هذا ؟ فقلتُ : عُبيد الله بن قيس الرقيات . قولولوا وبكوا وقالوا : ما فارقنا طلبك إلا في هذا الوقت . فأقمتُ عندهم حتى أسحرتُ ، ثم نهضتُ ومعِي العبد حتى قدمتُ المدينة ، فجنّتُ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عند المساء ، وهو يُعشى أصحابه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أتعاجم وأقول : يار ، يار ، ابن طيار^(٢) . فلَمَّا خرج أصحابه كَشَفْتُ له عن وجهي . فقال : ابن قيس الرقيات ؟ قلتُ : ابن قيس ، جئتُك عائذاً بك . فقال : ويحك ! ما أجدهم في طلبك وأحرصهم على الظفر بك ، ولكنني سأكتبُ إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد ابن عبد الملك ، وعبد الملك أرقُّ شيء عليها . فكتبُ إليها يسألهَا أن تشفعَ إليَّ عمها . وكان عبدُ الملك يدخلُ إليها ويسألهَا : هل من حاجة ؟ فدخلُ إليها عبدُ الملك كما كان يفعلُ وسألهَا : هل من حاجة ؟ قالت له : نعم ، لي حاجة . قال : قضيتُ

(١) أي كيف أصبحت وما حاجتك .

(٢) يار : كلمة فارسية بمعنى : صاحب ، وشفيق ، ومعين . وطيار : لقب جعفر بن أبي طالب ، والد عبد الله . وكان قد قطعتُ يده في غزوة مؤتة فأثابه الله بذلك جناحين يطير بهما إلى حيث شاء في الجنة . والذي في بعض أصول الأغاني : « تيار ، تيار ، أي طيار » .

كُلُّ حاجة لك إلا ابن قيس الرقيات . فقالت : لا تَسْتَنْ عَلَى شَيْئًا . وَنَفَحَ يَدَهُ
فَأَصَابَ وَجْهَهَا . فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى خَدِّهَا . فقال : يَا بَنَتِي ، أَرْفَعِي يَدَكَ ، فَقَدْ قُضِيَتْ
كُلُّ حَاجَةٍ لَكَ وَإِنْ كَانَتْ ابْنُ قَيْسِ الرَقِيَّاتِ . فقالت : إِنَّ حَاجَتِي ابْنُ قَيْسٍ
تُؤَمِّنُهُ ، كَتَبَ إِلَى أَبِي يَسَّالَنِي أَنْ أَسْأَلَكَ ذَلِكَ . قال : فَهُوَ آمَنٌ ، فَمُرِّيهِ أَنْ يَحْضُرَ
مَجْلِسَ الْعَشِيِّ . فَحَضَرَ ابْنُ قَيْسٍ ، وَحَضَرَ النَّاسُ حِينَ بَلَغَهُمْ مَجْلِسُ عَبْدِ الْمَلِكِ .
وَأَخَّرَ الْإِذْنَ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ . وَأَخَّرَ إِذْنَ ابْنِ قَيْسِ الرَقِيَّاتِ حَتَّى أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ ،
ثُمَّ أَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : يَا هَلِ الشَّامُ ، أَتَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا :
لَا . قَالَ : هَذَا عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الرَقِيَّاتِ الَّذِي يَقُولُ :

كَيْفَ نَوَمَى عَلَى الْفِرَاشِ وَلَمَّا تَشْمَلُ الشَّامَ غَارَةً شَعَوَاهُ
تُذْهِلُ الشَّيْخَ عَنْ بَنِيهِ وَتُبْدِي عَنْ خِدَامِ^(١) الْعَقِيلَةِ الْعَذْرَاهُ

فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَسْقَنَا دَمَ هَذَا الْمُنَافِقِ . قَالَ : الْآنَ وَقَدْ أَمَّنْتُهُ وَصَارَ
فِي مَنْزِلِي ! وَقَدْ أَخَرْتُ الْإِذْنَ لَتَقْتُلُوهُ فَلَمْ تَفْعَلُوا . فَاسْتَأْذَنَهُ ابْنُ قَيْسٍ أَنْ يُنْشِدَهُ .
فَا نَشِدَهُ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا :

عَادَ لَهُ مِنْ كَثِيرَةِ الطَّرْبِ فَعَيْنُهُ بِالْذُمُوعِ تَنْسَكِبُ
كُوفِيَّةٌ نَازِحٌ مَحَلَّتُهَا لَا أُمَّمٌ دَارُهَا وَلَا صَقَبَ
وَاللَّهِ مَا إِنْ صَبَبْتُ إِلَيَّْ وَلَا إِنْ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سَبَبُ
إِلَّا الَّذِي أَوْرَثْتُ^(٢) كَثِيرَةً فِي الْإِ قَلْبُ وَلِلْحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

حَتَّى قَالَ فِيهَا :

(١) الْخِدَامُ : جَمْعُ خِدْمَةٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْخُلْعَالُ . وَهِيَ فِي نِيَّةٍ : عَنْ خِدَامِهَا .
وَعَلَى « تَبْدَى » بَعْنٌ ، لِأَنَّ فِيهِ مَعْنَى : تَكْشِفُ .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « أَثَارَتْ » مَكَانَ « أَوْرَثَتْ » .

إِنَّ الْأَغْرَّ الَّذِي أَبُوهُ أَبُو الْوَقَارِ وَالْحُجُبُ
يَعْتَدِلُ النَّاجِ فَوْقَ مَقَرِّهِ عَلَى جَبِينٍ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ
فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : تَمَدَحَنِي بِالنَّاجِ كَأَنِّي مِنَ الْعَجَمِ ، وَتَقُولُ فِي مُصْعَبِ :
إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ رَحْمَةٍ^(١) لَيْسَ فِيهِ جَبْرُوتٌ يُرَى^(٢) وَلَا كِبَرِيَاءُ
أَمَّا الْأَمَانُ فَقَدْ سَبَقَ لَكَ ، لَكِنَّ اللَّهَ لَا تَأْخُذُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَطَاءً أَبَدًا .
وَمِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْبَائِيَّةُ :

مَا تَقَمُّوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةٍ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ إِنْ غَضِبُوا
وَأَنَّهُمْ سَادَةُ الْمُلُوكِ فَلَا تَصْلَحُ إِلَّا عَلَيْهِمُ الْعَرَبُ

وَقَالَ ابْنُ قَيْسٍ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ : مَا يَنْفَعُنِي أَمَانِي ، تُرِكَتُ حَيًّا كَمَيْتٍ ، لَا آخِذٌ
مَعَ النَّاسِ عَطَاءً ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : كَمْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنِّ ؟ قَالَ : سِتِّينَ
سَنَةً . قَالَ : فَعَمَّرَ نَفْسَكَ . قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً مِنْ ذِي قَبَلٍ^(٣) . قَالَ : عَشْرِينَ سَنَةً ،
فَذَلِكَ ثَمَانُونَ . قَالَ : كَمْ عَطَاؤُكَ ؟ قَالَ : أَلْفُ دِرْهَمٍ . قَالَ : فَأَمْرُ لَهُ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ،
وَقَالَ : ذَلِكَ لَكَ حَتَّى تَمُوتَ عَلَى تَعْمِيرِكَ نَفْسَكَ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ يَمْدَحُ حَ:
تَقَدَّتْ بِي^(٤) الشَّهْبَاءُ نَحْوُ ابْنِ جَعْفَرٍ سَوَاءٌ عَلَيْهِمَا لَيْلُهُمَا وَنَهَارُهُمَا
تَزُورُ أَمْرًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ أَنَّهُ تَجَوَّدَ لَهُ كَفٌّ بَطِيءٌ^(٥) غِرَارُهَا
أَتَيْنَاكَ نُنْفِي بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ عَلَيْكَ كَمَا أَثْنَى عَلَى الْأَرْضِ جَارُهَا

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « عَزَّة » مَكَان « رَحْمَةٍ » .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « مِنْهُ » مَكَان « يَرَى » .

(٣) أَيْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ .

(٤) تَقَدَّتْ : أَيْ سَارَتْ سِرًّا لَيْسَ بِعَجَلٍ وَلَا مَبْطُءٍ .

(٥) الْغِرَارُ : أَنْ تَمْنَعَ النَّاقَةَ دَرَاهِمًا . يَرِيدُ أَنْ مَنَعَهَا الْمَعْرُوفَ بَطِيءًا . وَفِي رِوَايَةٍ : « قَلِيلٌ

قَرَارُهَا » .

فوالله لولا أن تزُرَّ ابنَ جَعْفَرٍ لكان قليلاً في دِمَشْقٍ قَرَارُهَا
إِذَا مِتَّ لَمْ يُوصَلْ صَدِيقٌ وَلَمْ تُقَمِّ طريقُ من المعروف أنت مَنَارُهَا
ذَكَرْتُكَ أَنْ فَاضَ الْفُرَاتُ بِأَرْضِنَا وفاض بأعلى الرِّقَّتَيْنِ ^(١) بِحَارُهَا
وَعِنْدِي تَمَّا حَوَّلَ اللَّهُ هَجْمَةً عَطَاؤُكَ مِنْهَا شَوْهًا ^(٢) وَعِشَارُهَا
مُبَارَكَةٌ كَانَتْ عَطَاءً مُبَارَكٍ تَمَانِيحُ ^(٣) كُبْرَاهَا وَتَنْمِي صِغَارُهَا

وقيل :

أمر له عبدُ الله بن جعفر بجاريةٍ حَسَنَاءٍ بعد أن أَمَنَهُ عبدُ الملك : فقال يمدحه
ويذكر إحسانه إليه :

إِذَا زُرْتُ عَبْدَ اللَّهِ نَفْسِي فِدَاؤُهُ رَجَعْتُ بِفَضْلٍ مِنْ نَدَاهُ وَنَائِلِ
وإنْ غِبْتُ عَنْهُ كَانَتْ لِلْوَدِّ حَافِظًا وَلَمْ يَكْ عَنِّي فِي الْمَغِيبِ بَغَائِلِ
تَذَارَكُنِي عَبْدُ الْإِلَهِ وَقَدْ بَدَتْ لَدَى الْحَقْدِ وَالشَّنَانِ مَنِّي مَقَاتِلِ
وَأَنْقَذَنِي مِنْ عَمْرَةِ الْمَوْتِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ حِيَاضَ الْمَوْتِ جَمَّ الْمَنَاهِلِ
حَبَانِي لَمَّا جِئْتُهُ بِعَطِيَّةٍ وَجَارِيَةٍ حَسَنَاءٍ ذَاتِ خَلَاحِلِ

وحكى سعيد بن مُسلم بن وهب قال :

دَخَلْتُ مَسْجِدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ ، فَإِنَّهُ
لَمُعْتَمِدٌ عَلَى ، إِذْ مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ فِي مَجْلِسِهِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْنَا سَلَامَنَا ،
ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ، مَنْ أَشْعَرُ : أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي عُيَيْدَ اللَّهِ

بين ابن المسيب
ونوفل في المفاضلة
بينه وبين ابن
أبي ربيعة

(١) الرقَّتَان : الرقة والرافقة ، بلدان على الفرات متصلتا البناء .

(٢) الهجمة : الأربعون من الإبل إلى ما زادت . أو ما بين السبعين إلى المائة . والشول :
جمع شائلة ، وهى من الإبل ما أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وخف لبنها .
والعشار : جمع عشاء ، وهى التى مضى لحملها عشرة أشهر .

(٣) تمانيح : تدر في الشتاء .

ابن قيس الرقيات ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال :
حين يقول صاحبنا :

خليّ ما بال المَطَى كأنما نراها على الأدبار بالقوم تنكصُ
وقد أبعد الحادي سُرَاهنَّ وأنتحي بهن وما يَألو عَجُولُ مُقْلَصُ
وقد قَطَّعَتْ أَغْنَاهُنَّ صَبَابَةً فأَنفُسنا مما تُكَلِّفُ تشخص
يزِدُن بنا قُرْباً فيزدادُ شوقُنَا إذا زاد طُول العهد والبعْدُ ينقصُ

ويقول صاحبكم ما شئت . فقال نوفل : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل ،
وصاحبنا أكثر أفانين شعر . قال : صدقت . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر
جعل سعيد بن المسيب رحمه الله يستغفر الله ويعقد يده ويعد بالخمس كلها
حتى وفي المائة . فلما فارقناه قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاده الشعر في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد ،
ولكنني أحسبه للفخر بصاحبه .

فضله ابن أبي عتيق
هو وابن أبي ربيعة
على كثير

وحكى إبراهيم بن أبي عبيد الله^(١) قال :
أنشد كثيرُ ابن أبي عتيق كلمته التي يقول فيها :

ولستُ براضي من خليلٍ بنائلي قليلٍ ولا أرضى له بقليلٍ
فقال له : هذا كلامٌ مكافئ ليس بعاشق ! القرشيّان أصدق وأقنع منك :
ابن أبي ربيعة حيث يقول :

ليت حَطَّى كَطَرَفَةِ العين منها وكثيرُ منها القليلُ المَهْمَنَّا
وقوله :

(١) في بعض أصول الأغاني : « إبراهيم بن أبي عبد الله » . وفي بعض آخر : « إبراهيم
ابن عبد الله » .

فَعِدَى نَائِلًا وَإِنْ لَمْ تُنِيلِي إِنَّهُ يُقْنِعَ الْمَحَبَّ الرَّجَاءُ
وابن قيس الرقيات حيث يقول :

رُقَى بَعِيثِكُمْ لَا تَهْجُرِينَا وَمَنْيْنَا الْمَنَى ثُمَّ امْطَلِينَا
عِدِينَا فِي غَدٍ مَا شِئْتَ إِنَّا نُحِبُّ وَإِنْ مَطَلْتَ الْوَاعِدِينَا
فَإِمَّا تُنْجِزِي عِدَّتِي وَإِمَّا نَعِيشُ بِمَا نُؤْمِلُ مِنْكَ حِينَا
أَغْرَكَ أَنْتِي لَا صَبْرَ عِنْدِي عَلَى هَجْرٍ وَأَنْتِ تَصْبِرِينَا
وَيَوْمَ تَبْعْتُمْكُمْ وَتَرَكْتُمْ أَهْلِي حَنِينَ الْعَوْدِ^(١) يَتَبَّعُ الْقَرِينَا

قال : فذكرت ذلك لأبي السائب المخزومي ، ومعه ابن المولى . فقال : صدق ابن أبي عتيق وفقه الله ! ألا قال المديون كثير كما قال هذا حيث يقول :

وَأَبْكِي فَلَا لِيْلِي بَكَتْ مِنْ صَبَايَةٍ لِبَاكِ وَلَا لِيْلِي لَذَى الْوَدِّ تَبَذَّلُ
وَأَقْنَعُ^(٢) بِالْمُعْتَبِي إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ

والشعر الذي فيه الغناء ، وافتتح به أبو الفرج أخبار ابن قيس الرقيات ، هو : شعره الذي فيه الغناء

عَلَّلِ الْقَوْمَ يَشْرَبُوا كِي يَلْذَوْا وَيَطْرَبُوا
إِنَّمَا ضَلَّلَ الْفُؤَا دَ غَزَالُهُ مُرَبَّبُ
فَرَشْتَهُ عَلَى النَّمَا رِقِي سُعْدَى وَزَيْنَبُ
حَالَ دُونَ الْهَوَى وَدَو نِ سُرَى اللَّيْلِ مُصْعَبُ
وَسَيَّاطُ عَلَى أَكْ فِ رِجَالٍ تَقْلَبُ

وهذا الشعر قاله ابن قيس الرقيات في مُصْعَبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُّهْرِيِّ ، وكان مروان بن الحكم ، لما كان والياً على المدينة ، ولأه شُرطته ، فقال : خبر مصعب بن عبد الرحمن على المدينة

(١) العود : الجمل المسن وفيه بقية .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وأخنع » .

إِنِّي لَا أَضْبِطُ الْمَدِينَةَ بِمَحْرَسِ الْمَدِينَةِ ، فَأَبْغَى رَجَالًا مِنْ غَيْرِهَا . فَدَعَا لَهُ بِمَاتِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ أَيْلَةٍ^(١) ، فَضَبَطَهَا ضَبْطًا شَدِيدًا . فَبَقِيَ إِلَى أَنْ وَلِيَ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ ، وَخَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَهْدمُ دُورَ بَنِي هَاشِمٍ وَآلِ الزُّبَيْرِ . فَقَالَ : لَا أَفْعَلُ . فَقَالَ : انْتَفِخْ سَحْرُكُ^(٢) يَا بَنُ أُمِّ حُرَيْثٍ ! أَلْقِ سَيْفَنَا . فَأَلْقَاهُ وَلَحِقَ بِابْنِ الزُّبَيْرِ . وَوَلَّى عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ شُرَطَتَهُ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ ، وَأَمْرَهُ بِهِدْمَ دُورِ بَنِي هَاشِمٍ وَآلِ الزُّبَيْرِ . فَفَعَلَ ، وَبَلَغَ مِنْهُمْ كُلِّ مَبْلَغٍ ، وَهَدَمَ دَارَ ابْنِ مُطِيعٍ الَّتِي يَقَالُ لَهَا : الْعَنْقَاءُ . وَضَرَبَ ابْنَ أَخِيهِ مُحَمَّدَ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ الزُّبَيْرِ مِائَةَ سَوْطٍ . ثُمَّ دَعَا بِأَخِيهِ عُروَةَ بْنَ الزُّبَيْرِ — رَحِمَهُ اللَّهُ — لِيَضْرِبَهُ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَتَضْرِبُ عُروَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا سَبْلَانِي^(٣) ، إِلَّا أَنْ تَحْتَمِلَ ذَلِكَ عَنْهُ . قَالَ : أَنَا أَحْتَمِلُهُ . فَضَرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ أُخْرَى . وَلَحِقَ عُروَةَ بِأَخِيهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ . وَضَرَبَ عَمْرُو النَّاسَ ضَرْبًا شَدِيدًا ، فَهَرَبُوا مِنْهُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ . فَلَمَّا أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ ظَفَرَ بِأَخِيهِ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيَاطِ ضَرْبًا مُبْرَحًا ، فَمَاتَ مِنَ الضَّرْبِ . فَدَفَنَهُ فِي غَيْرِ مَقَابِرِ الْمُسْلِمِينَ ، وَقَالَ لِلنَّاسِ : إِنَّ عَمْرَواتٍ مَرْتَدَّاتٍ عَنِ الْإِسْلَامِ .

قلت :

استشهاد المؤلف
بشهر لآبي فراس

وإلى مُفارقة عَمْرُو أَخَاهُ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَصَيْرُورَتِهِ مَعَ أَعْدَائِهِ ، وَإِلَى مُفارقة عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَخَاهُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَصَيْرُورَتِهِ مَعَ مُعَاوِيَةَ ، وَحُضُورِهِ مَعَهُ حَرْبِ صِفِّينَ ، أَشَارَ أَبُو فِرَاسٍ بِقَوْلِهِ :

نَعَمْ دَعَتِ الدُّنْيَا إِلَى الْغَدْرِ دَعْوَةً أَجَابَ إِلَيْهَا عَالَمٌ وَجَهْلٌ
وَفَارَقَ عَمْرُو بْنُ الزُّبَيْرِ شَقِيقَهُ وَخَلَّى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَقِيلَ

(١) أَيْلَةٌ : مَدِينَةٌ عَلَى سَاحِلِ بَحْرِ الْقَلْزَمِ مَا يَلِي الشَّامَ .

(٢) السَّحْرُ : الرُّثَّةُ . وَهَذِهِ كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلْجَبَانِ .

(٣) السَّبْلَانِي : الطَّوِيلُ السَّبْلَةَ ، وَهِيَ شَعْرَاتُ تَكُونُ فِي الْمَنْحَرِ .

أخبار مالك بن أبي السَّمَح

هو مالك بن أبي السَّمَح . واسم أبي السَّمَح : جابر بن ثعلبة الطَّائِي ، أحد
بنى ثعل ، ثم أحد بنى عمرو بن دَرَمَاء . ويُكنى أبا الوليد . وأمه قُرَشِيَّة من بنى مخزوم .
وكان أبوه مُنْقَطِعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . وكان مالك يَتِيماً في حجره ،
أوصى به أبوه إليه . وكان ابن جعفر يكفله وَيُؤَنِّه ، وأدخله وسائر إخوته في
دَعْوَةِ بنى هاشم .

نسبه وكنيته وثبته
من صفاته

وأخذ الغناء عن جَمِيلَةٍ ، ومُعَبَّد . ومُعَرَّ حتى أدرك الدَّوْلَةَ العَبَّاسِيَّة .
وكان مُنْقَطِعاً إلى سُلَيْمَانَ بن عَلِيٍّ بن عبد الله بن العباس . ومات في خلافة
أبي جعفر المنصور .

عن أخذ الغناء
وعمره

وفي مالك هذا يقول الحسين بن عُبَيْد الله بن العباس :
لا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكَ بن أبي السَّمَحِ مَحْ فلا تَلَحْنِي ولا تَلِمِ
أَبْيَضُ كالْبَدْرِ أو كما يَلْمَعُ الدُّ بَارِقٌ في حالِك من الظُّلَمِ
مَنْ لَيْسَ يَعْصِيكَ إِنْ رَشَدْتَ وَلَا يَهْتِكُ حَقَّ الإِسْلَامِ والحُرْمِ
يُصِيبُ من لَذَّةِ الكَرِيمِ وَلَا يَجْهَلُ آتَى التَّرْخِيسِ في (١) اللَّمَمِ
يَارُبُّ يَوْمٍ لَنَا كَحَاشِيَةِ الدُّ بُرْدٍ وَيَوْمٍ كَذَاكَ لَمْ يَدُمِ
نَعْمَتْ فِيهِ وَمَالِكُ بن أبي السَّمَحِ مَحْ الكَرِيمِ الأخلاق والشِّيمِ
وقيل : إِنْ مَالِكاً لَمَّا سَمِعَ هَذَا الشَّعْرَ قَالَ : لا وَاللَّهِ ، وَلَا إِنْ غَوَيْتَ
أَيْضاً أَعْصِيكَ .

شعر الحسين بن
عبيد الله فيه

(١) اللَّمَمُ : مقارنة الذنب من غير مقاومة . قال تعالى : (الذين يَحْتَبِئُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ

إِلَّا اللَّمَمَ) .

وحكى أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لمعبد المغنّي : قد آذنتي ولولتُك
 هذه ! وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلاك هذا ! فاطلبا لي رجلاً يكون مذهبه
 متوسطاً بين مذهبيكما . فقالا له : مالك بن أبي السّمح . فكتب في إشخاصه
 إليه وسائر مغنّي الحجاز المذكورين . فلما قدم مالكٌ على الوليد ، فيمن معه من
 المغنّين ، نزل على الغمر بن يزيد . فأدخله على الوليد ، فغناه فلم يُعجبه . فلما
 انصرف الغمر قال : إن أمير المؤمنين لم يُعجبه شيء من غنائك . فقال له : جعلني الله
 فداك ! اطلب لي الإذن عليه مرة أخرى ، فإن أعجبه شيء مما أغنيته وإلا انصرفتُ
 إلى بلادي . فلما جلس الوليدُ مجلس اللّهُوذ كره الغمر ، فطلب له الإذن وقال له :
 إنّه هابك فَحَصِر ، فأذن له . فبعث إليه . فأمر مالكُ الغلام فسقاه ثلاث
 صُراحياتٍ^(١) صِرْفاً ، وخرج حتى دخل عليه يَخْطُر في مشيته . فلما بلغ باب
 المجلس وقف ولم يُسلم ، وأخذ بَحْلَقَة الباب ففَقَعَهَا ، ثم رفع صوته فغنى :

لَا عَيْشَ إِلَّا بِمَالِكَ بْنِ أَبِي السَّـ مَنْحُ فَلَا تَلَحَّنِي وَلَا تَلُمُ

فطرب الوليدُ ورفع يديه مادّاً لهما إليه حتى بان إبطاه ، وقام فاعتنقه وقال له :
 أدن يا بن أخي . فدنا حتى اعتنقه . ولما انتهى مالكٌ إلى قوله :

أَبْيَضُ كَالسَّيْفِ أَوْ كَمَا يَلْمَعُ الْـ بَارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

قال له الوليد بن يزيد :

أَحْوَلُ كَالْقِرْدِ أَوْ كَمَا يَرْقُبُ السَّـ بَارِقُ فِي حَالِكٍ مِنَ الظُّلَمِ

وكان مالك طويلاً أحنى فيه حَوَل .

ثم أخذ مالكٌ في صوته ، فلم يزالوا فيه أَيْاماً . ثم أجزل له العطيّة حين
 أراد الانصراف .

(١) الصراحيات : آنية للخمر .

وحكى ابن عائشة قال :

بين ابن عائشة
وابن أبي السّمح
في مقتل الوليد

حضرنا الوليد بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السّمح ، وكان
من أحمق الخلق ، فلما قُتل الوليد قال : اهرُب بنا . فقُلت : وما يُريدون منا ؟ قال :
وما يُؤمنك أن يأخذوا رأسينا فيجعلوا رأسه بينهما ليحسّنا بذلك أمرهم .
قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطُّ قبل ذلك اليوم .

أخبار النهدي والوليد بن عُقبة

ابن أبي معيط

أما النهدي، فذكر أن الحارث بن مارية الجفني الغساني كان مُكرِّماً لزهير
ابن جَنَاب الكَلْبِي، يُنادمه ويُحدِّثه^(١). فَقَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ رَجُلَانِ مِنْ بَنِي نَهْدٍ
ابن زَيْد، يُقَالُ لَهَا: سَهْلٌ، وَحَزَنٌ، ابنا رِزَاح. وَكَانَ عِنْدَهَا حَدِيثٌ مِنْ
أَحَادِيثِ الْعَرَبِ وَأَخْبَارِهَا. فَاجْتَبَاهَا الْمَلِكُ، وَنَزَلَ مِنْهُ الْمَكَانَ الْأَثِيرَ. فَحَسَدَهَا
زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ، هَا وَاللَّهِ عَيْنُ الْمُنْذِرِ عَلَيْكَ — يَعْنِي الْمُنْذِرَ
الْأَكْبَرَ جَدَّ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ — وَهِيَ يَكْتُبَانِ إِلَيْهِ بِعَوْرَتِكَ وَخَلَّلَ مَا يَرِيَانِ مِنْكَ.
فَقَالَ: لَا. فَلَمْ يَزَلْ بِهِ زُهَيْرٌ حَتَّى أَوْغَرَ صَدْرَهُ. وَكَانَ إِذَا رَكِبَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمَا بَعِيرَيْنِ.
فَبَعَثَ إِلَيْهِمَا بَنَاقَةً وَاحِدَةً، فَقَرَفَا الشَّرَّ، فَلَمْ يَرْكَبْ أَحَدُهُمَا، فَقَالَ لَهُ الْآخَرُ:
فَالَا تَجْلَلُهَا يُعَالُوكَ^(٢) فَوْقَهَا وَكَيْفَ تَوَقَّى ظَهْرَ مَا أَنْتَ رَاكِبُهُ
فَرَكَبَاهَا هُوَ وَأَخُوهُ، وَمَضَى بِهِمَا فُقْتَلَا.

وهذا البيتُ من أبياتٍ للوليد بن عُقبة، وهو الشعرُ الذي فيه الغناء، وافتتح
به أبو الفرج أخبار النهدي والوليد. وأبيات الوليد:

نَعَمْ^(٣) قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا غَدَرْتُ يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَاذِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ خَلُّوا^(٤) سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحِلُّ مَنَاهِبُهُ

(١) في بعض الأصول من الأغاني: «يحادثه».

(٢) تجللها، أي تجللها، مضارع حذفت تاءه. وتجلل الشيء: علاه. وعلاه:

رفعه.

(٣) في بعض أصول الأغاني: «هم» مكان «نعم».

(٤) في بعض أصول الأغاني: «ردوا» مكان «خلوا».

حديث إيفار زهير
صدر الحارث
الغساني على
النهديين

حديث مقتل رزاح

قيل : إن الملك الحارث بحث عن أمر التهديتين بعد ذلك فوجده باطلاً ، فشتم زهيراً وطرده . فانصرف إلى بلاد قومه . وقدم رزاح أبو الغلامين ، فأكرمه الملك وأعطاه دية ابنه . وبلغ زهير بن جناب مكانه ، فدعا ابناً له يقال له : عامر ، وكان من فتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إن رزاحاً قد قدم على الملك ، فالحق به واحتل في أن تكفينيه ، واذممني عند الملك ، وتبرأ مني . وأثر به آثاراً . فخرج الغلام حتى قدم الشام ، فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه . فأعجبه ما رأى منه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا عامر بن زهير بن جناب . قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادر الكذوب الساعي ! فقال له : نعم ، فلا حيّا الله ! انظر أيها الملك ما صنع بظمري . وأراه الضرب . فقبل منه ذلك وأدخله في نُدماه . فبينما هو يوماً يحدثه إذ قال له : أيها الملك ، إن أبي وإن كان مُسيئاً فلست أدع أن أقول الحق ، قد والله نصحك أبي . ثم أنشأ يقول :

فيا لك نصحة لما نذقتها أراها نصحة ذهب ضلّالا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيها الملك ، ماتقول في حيّة قطعت ذنبها وبقى رأسها ؟ قال : ذاك أبوك وصنيعه بالرجلين ما صنع . قال : أبيت اللعن ! والله ما قدم رزاح إلا ليثأر بهما . فقال : وما آية ذلك ؟ قال : اسقه الخمر ثم ابعث إليه عينا يأكل بخبره . ففعل ، فلما انتشى صرفه إلى بيته ومعه بنت له ، وبعث إليه عيوناً . فلما دخل قبته ، قامت ابنته تُسانده ، فقال :

دعيني من سِنادك إن حَزناً وسهلاً ليس بعدها رُقودُ
ألا تسلين عن شِئبليّ ماذا أصابهما إذا اهترش^(١) الأسود
فإني لو تأرتُ المرءَ حَزناً وسهلاً قد بدا لك ما أريد

(١) اهترشت الأسود : تقائلت وتواثبت .

فرجع القوم إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النهدي ، وردَّ زهيراً إلى موضعه .

وأما الوليد بن عقبة

نسب الوليد بن عقبة

فيكنى أبا وهب . وهو أخو عثمان بن عفان رضي الله عنه لأمه أروى بنت كرز . وأمه البضاء ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان من فتيان قريش وشجعانهم وكرمائهم ، وكان فاسقاً . ولأه عثمان تولى الكوفة رضي الله عنه الكوفة ، فشرب الخمر ، وشهد عليه بذلك ، فخذّه عثمان رضي الله عنه وعزّله .

وذُكر أن سبب توليته الكوفة أن عثمان رضي الله عنه لم يكن يجلس معه على سريره إلا العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن حرب ، والحكم بن أبي العاص ، والوليد بن عقبة . فأقبل الوليد يوماً فجلس ، ثم أقبل الحكم ، فلما رآه الوليد زحل^(١) له عن مجلسه . فلما قام الحكم قال الوليد : والله يا أمير المؤمنين لقد تلجلج في صدري بيتان قلتهما حين رأيتك آثرت عمك على ابن أمك . فقال له عثمان : إنه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قلت ؟ قال : قلت :

رأيت لعمّ المرء زلّفى قرابةً دُوّينَ أخيه حادثاً لم يكن قدماً

فأمّلتُ عمراً أن يشبَّ وخالداً لكي يدعوانى يومَ مَرَحَةٍ^(٢) عماً

يعنى : عمراً ، وخالداً ، ابني عثمان . فرق له عثمان وقال : قد وليتكَ العراق ، يعنى الكوفة .

قليل :

سيرته
في الكوفة

(١) زحل : تنحى وتباعد .

(٢) في بعض الأصول : « يشيب » مكان « يشب » و « مزجة » مكان « مرحة » .

لما ولده عثمان رضى الله عنه الكوفة ، وعليها سعد بن أبى وقاص ، فأخبر بقدمه
فقال : وما صنع ؟ قال : وقف فى الشوق فهو يحدث الناس هناك ، ولسنا نكر
شيئاً من شأنه . فلم يلبث أن جاءه نصف النهار ، فاستأذن على سعد ، فأذن له ،
فسلم عليه بالإمرة وجلس معه . فقال له سعد : ما أقدمك أباً وهب ؟ قال : أحببت
زيارتك . قال : وعلى ذلك أجبت بريداً ؟ قال : أنا أرزئ من ذلك ، ولكن
القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملنى أمير المؤمنين على الكوفة .
فكث طويلاً ثم قال :

خُذْنِي وَجُرِّبْنِي ضِبَاغُ وَأَبْشِرِي بِلَحْمٍ أَمْرِي لَمْ يَشْهَدْ الْيَوْمَ نَاصِرُهُ
فقال الوليد : أما والله لأنا أقول للشعر وأزوى له منك ! وإن شئت
لأجبتك ، ولكنى أدع ذلك لما لا تعلم^(١) . نعم والله ، وقد أمرت بمحاسبتك
والنظر فى أمر عمالك . ثم بعث إلى عماله فحبسهم وضيق عليهم . فكتبوا إلى سعد
يستغيثون . فكلّمه فيهم ، فقال : أوّ للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله !
فخلّى سبيلهم .

وذُكر أن الوليد صلى بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ، ثم التفت إليهم
فقال : أزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : ما زلنا معك فى زيادة
منذ اليوم .

وقال الخطيئة فيه ، حين شهد عليه بشرب الخمر :

شعر الخطيئة
فى شربه الخمر

شَهِدَ الْخُطِيئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَلِيدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ
نَادَى وَقَدْ تَمَّتْ صَلَاتُهُمْ أَأَزِيدُكُمْ سُكْرًا وَمَا يَدْرِ
فَأَبَوْا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ أَذِنُوا لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّعْفِ وَالْوَتْرِ
كَفُّوا عِنَانَكَ إِذْ جَرَيْتَ وَلَوْ تَرَكَوْا عِنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرَى

(١) فى بعض أصول الأغاني : « لما تعلم » .

وقال الحطيئة أيضاً :

تكلّم في الصّلاة وزاد فيها علانيةً وجاهر بالنفاق
ومجّ الخمر في سنن المصلّي ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني وما لكم وما لي من خلاق
وذُكر أن الوليد تقيّاً الخمر في المحراب وقرأ في الصلاة رافعاً صوته :

حده وخديث ذلك

علّق القلبُ الرَّبَّابَاً بعد ما شابت وشاباً

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه بحبره ، وشهدوا عليه بشربه الخمر .
فأتى به وأمر رجلاً ليضربه الحدّ . فلما دنا منه قال : نشدتك الله وقرابتي
من أمير المؤمنين . فخاف عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه أن يعطّل الحدّ ، فقام
إليه فحده . فقال الوليد : نشدتك الله والقرابة ! فقال له عليّ : اسكت يا أبا وهب .
فإنما هلكت بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدود ! وقال : لتدعوني قريش بعد
هذا جلادها .

وقيل :

إن عثمان رضى الله عنه لما قال لعليّ رضى الله عنه : قم فاضربه . فقال له
الحسن : مالك ولهذا ؟ يكفيك غيرك . فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه .
فضربه بمخضرة^(١) فيها سيرٌ لها رأسان . فلما بلغ أربعين قال : حسبك ! أمسك ،
جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وكمّلها عمر
ثمانين ، وكلّ سنة .

وقيل :

كان أبو زيد الطائي نديماً للوليد بن عقبة أيام ولايته الكوفة . فلما شهد
عليه بالشكر من الخمر وخرج عن الكوفة ، قال أبو زيد الطائي :

شعر أبي زيد
في هذا

(١) المخضرة : العصا ، والمقرعة ، ونحوهما .

مَن بَرَى الْعِرَّ لَا بَنَ أُرْوَى عَلَى ظَهْرِهِ
 يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الضَّلَّلَ أَنْ الـ
 لَيْتَ شِعْرِي كَذَا كَمِ الْعَهْدِ أَمْ كَا
 بَعْدَ مَا تَعْلَمِينَ يَا أُمَ زَيْدٍ
 وَوُجُوهٌ تَوَدُّنَا^(١) مُشْرِقَاتُ
 وَلَعَمْرُو الْإِلَهِ لَوْ كَانَتْ لِلسَّيِّدِ
 مَا تَنَاسَيْتُكَ الصَّفَاءُ وَلَا الْوُ
 قُولُهُمْ شُرْبُكَ الْحَرَامَ وَقَدْ كَا
 وَأَبَى الظَّاهِرُ الْعَدَاوَةَ إِلَّا
 مَن يَخْنُكَ الصَّفَاءُ أَوْ يَتَبَدَّلُ
 فَاعْلَمَنَّ أَنَّنِي أَخُوكَ أَخُو الْوُ
 وَلَكَ النَّصْرُ بِاللِّسَانِ وَبِالْكَ
 رَ الْمَرْوَرَى حُدَاتِهِنَّ بِجَمَالٍ
 دَهْرٌ فِيهِ النَّكْرَاءُ وَالزَّلْزَالُ
 نُوا أَنْسَاءً كَمَنْ يَزُولُ فَزَالُوا
 كَانَ فِيهِمْ عِزٌّ لَنَا وَجَمَالُ
 وَنَوَالٍ إِذَا يُعْمَدُ النَّوَالُ
 فَ مَصَالٍ وَلِلَّسَانِ مَقَالُ
 دَّ وَلَا حَالُ دُونَكَ الْأَشْغَالُ
 نَ شَرَابُ سِوَى الْحَرَامِ حَلَالُ
 شَنَاةً وَقَوْلٌ مَا لَا يُقَالُ
 أَوْ يَزُلْ مِثْلَ مَا تَزُولُ الظَّلَالُ
 دَّ حِيَاتِي حَتَّى تَزُولَ الْجِبَالُ
 فَ إِذَا كَانَ لِلْيَدَيْنِ مَصَالُ

وذكُرَ أَنَّهُ لَمَّا قَدَّمَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ الْكُوفَةَ ، قَدَّمَ عَلَيْهِ أَبُو زَيْدٍ الطَّائِي ، وَهُوَ
 نَصْرَانِيٌّ ، فَأَنَزَلَهُ دَارَ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ . فَكَانَ مِمَّا احْتَجَّ بِهِ
 عَلَى الْوَلِيدِ أَهْلُ الْكُوفَةِ أَنَّ أَبَا زَيْدٍ كَانَ يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْ دَارِهِ يَخْتَرِقُ الْمَسْجِدَ فَيَجْعَلُهُ
 طَرِيقًا ، وَيَسْمُرُ عِنْدَهُ وَيَشْرَبُ مَعَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَشُقُّ الْمَسْجِدَ وَهُوَ سَكْرَانٌ .

مثل من تقرّبه
لأبي زبيد

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ
 فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) إِنَّمَا نَزَلَ فِي الْوَلِيدِ
 ابْنِ عُقْبَةَ هَذَا . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مُصَدِّقًا ،
 فَلَمَّا رَأَوْهُ أَقْبَلُوا نَحْوَهُ ، فَهَابَهُمْ . فَرَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ

ما نزل فيه من
القرآن

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بَوْدُنَا » مَكَانُ « تَوْدُنَا » .

قد ارتدوا عن الإسلام . فبعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وأمره أن يثبت ولا يعجل . فانطلق خالد حتى أتاهم ليلاً ، فبعث عيونهم ، فجاءوه فأخبروه أنهم متمسكون بالإسلام ، وسمعوا آذانهم وصلاتهم . فلما أصبحوا أتاهم خالد فرأى ما أعجبه ، فرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره .

الرسول صلى الله عليه وسلم بين امرأته

وحدث علي بن أبي طالب رضي الله عنه : أن امرأة الوليد بن عقبة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تستكي الوليد ، وقالت : إنه يضربها . فقال لها : ارجعي وقولي له : إن رسول الله قد أجارني . فانطلقت فمكثت ساعة ثم رجعت ، فقالت : ما أوقع عني . فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هُدبة من ثوبه ثم قال : امضي بها ثم قولي : إن رسول الله أجارني . فانطلقت ، فمكثت ساعة ثم رجعت فقالت : يا رسول الله ، ما زادني إلا ضرباً . فرفع صلى الله عليه وسلم يده وقال : اللهم عليك الوليد ! مرتين أو ثلاثاً .

قدوم أمه به على النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي

وقيل :

إن الوليد بن عقبة قال : لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، جعل أهل مكة يأتونه بصبيانهم ، فيدعوهم بالبركة ويمسح بيده على رؤوسهم . فجاء به إليه وأنا مخلق^(١) ، فلم يمسنى ، وما منعه إلا أن أمي خلقتني بخلق ! فلم يمسنى من أجل ذلك .

حديثه مع جندب حين قتل الساحر

وقيل :

كان عند الوليد بن عقبة ، وهو والى الكوفة ، رجلٌ ساحر ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج . فراه جندب بن كعب ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيفٍ ، فلما دخل الساحر في البقرة قال جندب : أتاؤون السحر وأتم تبصرون !

(١) مخلق : مطيب بالخلق ، وهو الزعفران .

ثم ضَرَبَ وسطَ البقرة ففَقَطَعَهَا وقَطَعَ السَّاحِرَ . فاندَعر النَّاسُ . فسَجَنه الوليدُ ، وكتبَ بذلكَ إلى عثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وكانَ السَّجَنُ يفتحُ له بالليلِ فيذهبُ إلى أهله ، فإذا أصبحَ دخلَ السَّجَنَ . وكانَ على السَّجَنِ رجلٌ ، فلما رأى جُنْدَبًا يَقُومُ ويُصبحُ صائمًا ، قالَ : واللهِ إنَّ قومًا هذا شرُّهم لِقَوْمٍ صِدْقٍ . فوَكَّلَ بالسَّجَنِ رجلًا ودخلَ الكوفةَ ، وكانَ السَّجَنُ خارجًا ، فسألَ عن أَفْضَلِ أَهْلِ الكوفةِ . فقالوا : الأَشعثُ بنُ قيسٍ . فاستضافه . فجعلَ الأَشعثُ ينامُ الليلَ ثم يُصبحُ فيدعو بَعْدَاءَهُ . فخرجَ من عنده فسألَ : أى أَهْلِ الكوفةِ أَفْضَلُ ؟ فقالوا : جريرُ بنُ عبدِ اللهِ . فوجده ينامُ الليلَ ثم يُصبحُ فيدعو بَعْدَاءَهُ . فاستقبلَ السَّجَنُ القَبلةَ وقالَ : ربِّي ربُّ جُنْدَبٍ ، ودينى على دينِ جُنْدَبٍ ، وأسلمَ .

وقيل :

ذكر الرسول صلى
الله عليه وسلم
لابن صوحان
وجندب

لَمَّا انصرفَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غَزَاةِ بَنِي المُصْطَلِقِ ، نَزَلَ رجلٌ فَسَاقَ بالقومِ وَرَجَزَ ، ثم آخرَ فسَاقَ وَرَجَزَ . ثم بدا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُؤاسى أصحابه ، فَنَزَلَ فَسَاقَ بالقومِ وَرَجَزَ ، وجعلَ يقولُ : جُنْدَبُ وما جُنْدَبُ ! والأَقْطَعُ الخَيْرُ زَيْدُ ! فدنا منه أصحابُهُ فقالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما يَنْفَعُنَا مَسِيرُكَ خَافَةً أَنْ تَلْسَعَكَ دَابَّةٌ أَوْ تُصِيبَكَ نَكْبَةٌ . فركبَ . ودَنَوْا منه وقالوا : قُلْتَ قولًا ما نَدْرِي ما هو ! قالَ : وما ذاكُ ؟ قالوا : قولك : جُنْدَبُ وما جُنْدَبُ ، والأَقْطَعُ الخَيْرُ زَيْدُ . قالَ : رجالانِ يَكُونانِ في هذه الأُمَّةِ يَضْرِبُ أَحَدُهُما ضَرْبَةً تَفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ ، وتَقْطَعُ يَدَ الْآخِرِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُتَّبِعِ اللهُ الْآخَرَ جَسَدَهُ بِأَوَّلِهِ .

وكانَ زَيْدُ بنُ صُوحانَ قُطعت يده في سَبِيلِ اللهِ يومَ جُلُولاءَ^(١) ، وقُتِلَ يومَ الجَلَمِ مع عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وجُنْدَبُ هو الذى تَقَدَّمَ ذكره .

(١) جُلُولاءُ : يومُ للمسلمين على الفرس .

ولما عزل عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ عَنْ الْكُوفَةِ أَمَرَ عَلَيْهَا سَعِيدَ
ابن العاص بن أمية ، ولما أقبل عائداً إلى الكوفة جعل يَرْتَجِزُ في طريقه :

وَيْلٌ لِّشَبَّانٍ^(١) الْعِرَاقَ مَنِيَّ كَأَنِّي سَمِعَمَعٌ^(٢) مِنْ جِنٍّ

فلما قَدِمَ الْكُوفَةَ قَالَ : اغسلوا هذا الْمَنِيرَ ، فَإِنَّ الْوَلِيدَ كَانَ رِجْسًا نَجِسًا .
فَلَمْ يَضَعْدِهِ حَتَّى غُسِلَ ، عَيَّيًّا عَلَى الْوَلِيدِ . وَكَانَ الْوَلِيدُ أَسْنَنَ مِنْهُ وَأَسْخَى وَأَلَيْنَ جَانِبًا
وَأَرْضَى عِنْدَهُمْ . فَقَالَ بَعْضُ شَعْرَاهُمْ :

وَجَاءَنَا مِنْ بَعْدِهِ سَعِيدٌ يَنْقُصُ فِي الصَّاعِ وَلَا يَزِيدُ

ولما قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أُرْسِلَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ فَأَخَذَ مَا كَانَ فِي دَارِهِ
وَأَبْلَأَ مِنْ إِبْلِ الصَّدَقَةِ . فَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ يَرَى عُثْمَانَ أَخَاهُ وَيُعَرِّضُ بَعْلِي
رَضَى اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ الشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ :

أَلَا مَنْ لَّيْلِ لَا تَغُورُ كَوَاكِبُهُ إِذَا غَارَ^(٣) نَجْمٌ لَاحَ نَجْمٌ يُرَاقِبُهُ
بَنِي هَاشِمٍ رُدُّوا سِلَاحَ ابْنِ أُخْتِكُمْ وَلَا تَنْهَبُوهُ لَا تَحُلْ مِنْهُ
بَنِي هَاشِمٍ لَا تَعْجَلُوا فَإِنَّهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا قَاتِلَاهُ وَسَالِبُهُ
فَقَدْ يُجْبِرُ الْعَظَمُ الْكَسِيرَ وَيَنْتَبِرِي لَذِي الْحَقِّ يَوْمًا حَقُّهُ فَيُطَالِبُهُ
وَأَنَا وَإِيَّاكُمْ وَمَا كَانَ مِنْكُمْ كَصَدْعِ الصَّفَا لَا يَرَأْبُ الصَّدْعَ شَاعِبُهُ
لِعَمْرُكَ لَا أُنْسَى أَبْنَ أَرَوَى وَقَتْلَهُ وَهَلْ يَنْسِينُ الْمَاءُ مَا عَاشَ شَارِبُهُ
هُمْ قَتَلُوهُ كَيْ يَكُونُوا مَكَانَهُ كَمَا فَعَلْتُ^(٤) يَوْمًا بِكَسْرَى مَرَازِبُهُ
وَإِنِّي لِمُجْتَابٌ إِلَيْكُمْ بِحُفْلٍ يُصِمُّ السَّمِيعَ جَرُّهُ^(٥) وَجَلَائِبُهُ

(١) في بعض أصول الأغاني : « ويل لنيات » .

(٢) السميع : السريع الخفيف .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « لاح » مكان « غار » .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « غدرت » مكان « فعلت » .

(٥) الجرس : الصوت .

ابن العاص بن أمية
بعد الوليد على
الكوفة

شعر الوليد في مقتل
عثمان والنمي على
على فيما أخذ

للفضل في الرد
عليه

فأجابه الفضلُ بن العباس بن عُتبة بن أبي لهب :

فلا تسألونا بالسَّلاح فإنَّه أضيع وألقاه لدى الرِّوع صاحبه
وشبهته كسرى وقد^(١) كان مثله شبيهاً بكسرى هذيه ومذاهبه

شعر الوليد
في التحريض على
الأخذ بثأر عثمان

وقال الوليدُ يرثي عثمان ويحرض معاوية بن أبي سفيان على أخذ ثأره :
والله ما هندتُ بأملك إن مضى الله بهارُ ولم يثار بعُمان ثأرُ
أقتلُ عبدُ القوم سيِّدَ أهله ولم تقتلوه ليت أملك عاقر
وإنَّا متى نقتلهم لا يقيدُ بهم مُقيدٌ فقد دارت علينا الدوائر

لأشجع السلمي
فيه وفي أبي زبيد
وقد مر بقبريهما

وتوفي الوليد بن عُتبة فويق الرقة ، ومات أبو زبيد صديقه هناك ، فدُفنا جميعاً
في موضع واحد ، فمرَّ بقبريهما أشجع السلمي فقال :

مررتُ على عظام أبي زبيد وقد لاحت ببلقعة^(٢) صلود

وكان له الوليد نديم صدق فنادم قبره قبر الوليد

ثم استطرد أبو الفرج بذكره حكايةً تتعلّق بقول الوليد « هم قتلوه » فذكرها :
حكى إبراهيم بن المهدي قال :

الأمين في آخر
عهده

أرسل إلى الأمين محمد بن زبيدة في ليلة من ليالى الصَّيف مُقمرة ، فقال :
يا عم ، إنَّ الحرب بيني وبين طاهر قد سكنت ، فصرَّ إلىَّ ، فإني إليك مُشتاق .
فجثته وقد بسط له على سطح زبيدة ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كساء
رُودباري^(٣) وقلنسوة طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعفُ جاريته عنده . فقال
لها : غنى ، فقد سررتُ بعمومتي . فاندفعتُ تغنيه :

هم قتلوه كي يكونوا مكانه كما فعلت يوماً بكسرى مرازبه

بنى هاشم كيف التَّواصل بيننا وعند أخيه سيفه ونجائبه

(١) في الاستيعاب : « وما » . (٢) البلقعة : الأرض القفر . والصلود : الفلاة الصلبة التي لا تنبت شيئاً .

(٣) رودباري : نسبة إلى رودبار : مكان .

فَغَضِبَ وَتَطَيَّرَ وَقَالَ : وَيْحَكَ ! مَا قَصَّتَكَ ؟ ائْتِنِي وَانْتَبِهِ وَغَنِّنِي مَا يُسُرُّنِي .
فَانْدَفَعَتْ وَغَنَّتْ :

هَذَا مَقَامُ مُطَرَّدٍ^(١) هُدِمَتْ مَنَازِلُهُ وَدُورُهُ

فَازْدَادَ تَطَيُّرًا . ثُمَّ قَالَ : وَيْحَكَ ! اُنْتَبِهِ وَغَنِّي غَيْرَ هَذَا . فَغَنَّتْ :

كَلِيبُ لَعْمَرَى كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا وَأَيْسَرَ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّجٌ بِالْدَّمِ
فَقَالَ لَهَا : قُومِي إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! فَوُثِّبَتْ ، وَكَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَدْحٌ بِلُورٍ كَانَ لِحُبِّهِ
إِيَّاهُ سَمَاءٌ « مُحَمَّدًا » بِاسْمِهِ ، فَأَصَابَهُ طَرَفُ ذَيْلِهَا فَسَقَطَ عَلَى بَعْضِ الصَّوَانِي فَانْكَسَرَ
وَتَقَتَّتْ . فَأَقْبَلَ عَلَىَّ وَقَالَ : أَرَى وَاللَّهِ يَا عَمُّ أَنْ هَذَا آخِرُ أَمْرِنَا . فَقُلْتُ : كَلَّا ،
بَلْ يُبْقِيكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيُسْرِكَ . قَالَ : وَدِجَلَةٌ وَاللَّهِ هَادِئَةٌ مَا فِيهَا صَوْتُ
مُجْدَافٍ وَلَا أَحَدٍ يَتَحَرَّكُ ، وَلَا هِيَ إِلَّا كَالطَّاسِ هَادِئَةٌ ، فَسَمِعْتُ هَاتِفًا يَهْتَفُ :
(قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . فَقَالَ لِي : أَسَمِعْتَ يَا عَمُّ مَا سَمِعْتُ ؟ فَقُلْتُ :
وَمَا هُوَ ؟ وَقَدْ وَاللَّهِ سَمِعْتُهُ . فَقَالَ : الصَّوْتُ الَّذِي جَاءَ السَّاعَةَ مِنْ دِجَلَةٍ . فَقُلْتُ :
مَا سَمِعْتُ شَيْئًا وَلَا هَذَا إِلَّا تَوَهُّمٌ . وَإِذَا الصَّوْتُ قَدْ عَادَ يَقُولُ : (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي
فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) . فَقَالَ : انْصَرَفَ يَا عَمُّ إِلَى بَيْتِكَ أَثَابَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ ، فُحَالٌ إِلَّا أَنْ
تَكُونَ الْآنَ قَدْ سَمِعْتَ مَا سَمِعْتُ . فَانْصَرَفْتُ ، وَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ .

(١) مطرد : مطرود .

أخبار إبراهيم الموصلي

نسبه وأصله
هو إبراهيم بن ماهان . وأصله من الفرس ، وله بيتٌ شريف في العجم .
وكان يقال له : إبراهيم بن ميمون . وسببُ نسبته أنه كتب إلى صديق له فعنون
كتابَه : « من إبراهيم بن ماهان » . فقال له بعض فتيان الكوفة : أما تستحي
من هذا الاسم ؟ فقال : هذا اسم أبي . قال : فغيّره . قال : كيف أغيّره ؟ فأخذ
الكتاب فمحا « ماهان » وكتب ميمون .

أمه
وأمه من بنات الدّهاقين الذين هربوا من فارس لما هرب أبو إبراهيم .
فنزّلوا جميعاً الكوفة ، فتزوّجها « ماهان » بالكوفة فولدت له إبراهيم . ومات
في الطاعون الجارف ، وخلف إبراهيم طفلاً .

مولده ووفاته
وكان مولده سنة خمس وعشرين ومائة . وتوفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة .
وعمر ثلاثاً وستين سنة .

ولأوه
وكان مقام إبراهيم مع أمه وأخواله حتى ترعرع ، فكان مع ولد خزيمة
ابن خازم . فبهذا السبب صار ولأوه لبنى تميم .

سبب تلقيبه
بالموصلي
وإنما قيل له : الموصلي ، لأنه لما نشأ وأدرك صحب الفتيان واشتفى الغناء ،
فطلبه . واشتدّ أخواله عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرب إلى الموصل فأقام بها نحواً
من سنة ، فلما رجع إلى الكوفة قال له إخوانه من الفتيان : مرحباً بالفتى الموصلي .
فغلبت عليه .

أول من صحب
وغنى عنده
وأول هاشميّ صحبه إبراهيم وغنى عنده : عيسى بن سليمان بن عليّ ، أخو جعفر ،
ومحمد ، وكان فتاهم ظرفاً ولهوياً وسماحةً . وأول خليفة سمع غناءه المهديّ ،
ووصف له فأخذه من عيسى .

حبس المهدي له
في شربه الخمر
ومنع إياه من
الدخول على إبنه

وحكى إبراهيم الموصلي قال :

كان المهدي لا يشرب ، فأرادني على مُلازمته وترك الشرب ، فأبيت عليه .
وكنتُ أغيب عنه الأيام ، فإذا جئته جئته مُنتشياً . فغاظه ذلك ، فضر بني
وحبسنى ، فحذقت الكتابة والقراءة في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي
في منازل النَّاس والتبذل معهم . فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنما تعلمتُ هذه الصنعة
للذَّي وعِشرة إخواني ، ولو أمكنني تركها وجميع ما أنا فيه لتركها والله (١) .
فغضب غضباً شديداً وقال : لا تدخل على موسى وهارون ، فوالله إن دخلتَ
عليهما لأعلننَّ ولأصنعنَّ . فقلتُ له : نعم . ثم بلغه أنَّي كنتُ معهما في نزهة لهما ،
ومعهما أبا ن الخادم ، فسمي بهما وبني إلى المهديَّ وحدثه بما كنَّا فيه . فدعاني
فسألني ، فأنكرتُ . فأمر بني فجُرِّدتُ ، فضر بني ثلثائة وستين صوتاً . فقلتُ له ،
وهو يضربني : إن جرمتُ ليس من الأجرام التي يحلُّ بها سفك دمي ، والله
لو كان سرُّ أبنائك تحت قدمي مارفعتهما عنه ولو قطعتُ ، ولو فعلتُ ذلك كنتُ
في حال أبا ن الساعي العبد ! فلما قلتُ له هذا ، ضربني بالسيف في جفنه ،
فسقطتُ مغشياً علىَّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيَّ فوقعتا على عيني المهديَّ ، فرأيتُهما
عينيَّ نادِم . وقال لعبد الله بن مالك : خذه إليك . فأخرجني عبدُ الله إلى داره ،
وأنا أرى الدنيا في عينيَّ صفراء وخضراء وسحراء ، من حرِّ السَّوْط ، وأمره أن
يتَّخذ لي شبيهاً بالقبر فيحبسنى فيه . فدعا عبدُ الله بكبشٍ فدُبَّح وسُلخ وألبسنى
جلده ليسكن ألم الضرب ، ودفعني إلى خادم له فصيرني في ذلك القبر ، ووكل بي
جارية . فتأذيتُ بنزِّ كان في ذلك القبر والبق ، وكان فيه خلاء أستريح إليه .
فقلتُ للجارية : اطلبي لي آجرةً عليها فحم وكُنْدُر يذهب عني هذا البق . فلما
دَخَنْتُ أظلم القبرُ علىَّ حتى كادت نفسي تخرج ، فاسترحتُ إلى النَّزِّ والصلقتُ
أنفي به حتى خفَّ الدُّخان . فلما ظننتُ أنَّي قد استرحتُ مما كنتُ فيه ، إذا حيَّتان

(١) في بعض أصول الأغاني : « لله جل وعز » .

مُقبلتان نحوى من شقِّ القبر يدوران حولي بحفيف شديد . فهممت أن آخذ
واحدةً بيدي اليمنى والأخرى بيدي اليسرى ، فأما على وإمالي ، ثم كفيهما .
فدخلتا في الثقب الذي خرجتا منه . فكشئتُ في ذلك القبر ما شاء الله .

وقال إبراهيم في تحبسه ذلك :

ألا طال ليلى أراعى النجوم أعالج في الساق كنبلاً ثقيلاً
بدارِ الموم^(١) وشرِّ الديار أسامُ بها الحسَفَ صبراً جميلاً
كثيرَ الأخلاء عند الرِّخاء فلما حُبستُ أراهم قليلاً
لطول بلائى قلَّ الصديقُ فلا يأمننَّ خليلُ خليلاً

قال :

ثم أخرجني المهدي وحلفني بالطلاق والعِتاق وكلَّ يمين لا فُسحةَ فيها
ألا أدخل على ابنته : موسى وهارون أبداً ، ولا أغنيهما . وخلص سبيلي .

فلما مات المهدي وولي موسى الهادي الخلافة استتر إبراهيمُ منه ولم يظهر له ،
بسبب الأيمان التي حلفه بها . وكان منزله ومنازل أهله تُكبس في كل وقت .
وأهله يُروِّعون بطلبه ، حتَّى أصابوه ، فمضوا به إليه . فلما حضر عنده غناه لحناً
في شعره :

يا بن خير الملوك لا تتركني غرضاً للعدوِّ يزعمي حِيالي
إنني في هواك فارقتُ أهلي ثم عرَّضتُ مُهْجتي للزَّوال
ولقد غفَّت في هواك حياتي وتغرَّبتُ بين أهلي ومالي

فمَوَّله الهادي وخوَّله ، وأخذ منه في يوم واحد مائة ألف وخمسين ألف دينار .

وحكى أن إسحاق بن إبراهيم قال لابنه حماد :

حطيت حماد عن
غراء إبراهيم وكرمه

(١) في بعض الأصول : « الموان » .

نظرتُ إلى ما صار إلى جدِّك من الأموال والصَّلات ، وثنى ما باع من جوائزه ، فوجدته أربعة وعشرين ألفَ درهمٍ ، سوى أرزاقه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهمٍ في كل شهر ، سوى غلات ضياعه ، وسوى الصَّلات النَّزرة التي لم يحصها . ولا والله ما رأيتُ أكرم منه ، كان له طعامٌ مُعدُّ أبداً في كلِّ وقت . قال حماد : يا أباي ، كيف يُمكنه ذلك ؟ قال : كان له في كل يوم ثلاثُ شياهِ : واحدة مقطَّعة في القدور ، وأخرى مَسْلُوخة معلقة ، وأخرى حيَّة ، فإذا أتاه قوم طعموا ما في القدور ، وإذا فرغت قطعت الشاة المعلقة ونُصبت القدور ، ودُبجت الشاة الثالثة وعُلِّقت ، وأتى بأخرى وهي حيَّة في المطبخ . وكانت وظيفته لطعامه وطيبه وما يتخذ له في كل شهر ثلاثين ألفَ درهمٍ ، سوى ما كان يُجرى وسوى كُسوته . ولقد اتفق عنده مرةً من الجوارى الودائع لإخوانه ثمانون جاريةً ، ما منهنَّ واحدةٌ إلا ويُجرى عليها من الطعام والكسوة والطيب مثلُ ما يُجرى لأخصَّ جواريه ، فإذا رُدَّت الواحدةُ منهن إلى مولاهنَّ وصلها وكساها . ومات وما في ملكه إلا ثلاثة آلاف دينار ، وعليه سبعمائة دينار ، قُضيت منها .

وقال إسحاق بن إبراهيم :

حديث الجارية
التي اشتراها منه
الرشيد

اشترى الرشيدُ من أبي جاريةٍ بَستةً وثلاثين ألفَ دينار ، فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضل بن الرِّبيع : إنا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحسب أنها من بابِتنا^(١) ، وليست كما ظنَّنا ، وما قرَّبنا ، وقد ثقل على الثمن ، وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه واسأله أن يُحطَّنا من ثمنها ستة آلاف دينار . فصار الفضل إليه فاستأذن . فخرج فتلَقَّاه . فقال : دَعْنِي من هذه الكرامة التي لا مَوُونَة فيها ، لستُ ممن يُخدَع ، وقد جئتُك في أمر أصدُقك عنه . ثم أخبره الخبرَ كُلَّهُ . فقال له إبراهيم : إنما أراد أن يَبْلُوَ قدرَكَ عندي . ثم قال : ما لي

(١) أى تصلح لنا .

في المساكين صدقة إن لم أضعفه لك ، قد حططتُك اثني عشر ألف دينار . فرجع الفضل إليه بالخبر ، فقال : ويلك ! احمل إلى هذا ماله ، فما رأيت سوقاً قط أنبل نفساً منه . قال إسحاق : وكنت قد أتيتُه وقلتُ له : ما كان لحطيطة هذا المال معي وما هو بقليل . فقال لي : أنت أحق ! أنا أعرفُ الناس به . والله لو أخذتُ المال منه مكملاً ما أخذته إلا وهو كارهٌ له ، ويحقد عليّ ذلك ، وكنت أكون عنده صغير القدر ، وقد مننتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتُ نفسه ونشط وعظم قدرى عنده ، وإنما اشتريتُ الجارية بأربعين ألف درهم ، وقد أخذتُ بها أربعةً وعشرين ألف دينار . فلما حمل المال إليه بدون حطيطة دعاني وقال : كيف رأيتُ يا إسحاق ! من البصير أنا أم أنت ؟ فقلت : جعلني الله فداك ! أنت .

وقيل :

أخرجه الرشيد من
الحبس فغناه فوصله

غضب الرشيد عليه يوماً مرةً فقيده وحبسه بالرقّة . ثم جلس للشرب يوماً في مجلس ، قد زينّه وحسّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلّسنا عيب ؟ قال : نعم ، غيبة إبراهيم الموصلي عنه . فأمر بإحضاره ، فأحضر في قيوده ، فككت عنه بين يديه ، وأمرهم فناولوه عُوداً ، وقال : غني إبراهيم ، فغناه :
تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتِ
فاستعاده وشرب وطرب وقال : هنأني يومى وسأهنيك بالصّلة ، قد وهبتُ لك الهني والمرى ، وهما قريتان عظيمتان من قرى الرقة . فلما أصبح عوّضه عنهما مائتي ألف درهم .

وحكى إبراهيم قال :

فنى بيتاً أنشدّه
يحيى وغناه فيه
فأجازّه

رأيتُ يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشّامسيّة يريد قصره الذي بباب البردّان^(١) ، وهو يتمثل :

(١) البردان : قرية من قرى بغداد .

هَوَىٰ بَهَامَةٍ وَهَوَىٰ بَنَجْدٍ فَاتْلَفْنِي ^(١) التَّهَامُ وَالنُّجُودُ
فَزِدْتُهُ عَلَيْهِ :

أُقِيمُ بِذَا وَأُذْكَرُ عَهْدُ هَذَا فِلي مَا بَيْنَ ذَاكَ هَوَىٰ جَدِيدُ
وَصَنَعْتُ فِيهِ لِحْنًا ثُمَّ صَرْتُ إِلَيْهِ فَغَنَيْتُهُ . فَأَمَرُ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ وَبِدَابَّتِهِ الَّتِي
كَانَتْ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ بِسَرَجِهِ وَلِجَامِهِ . فَقُلْتُ : جَزَاكَ اللَّهُ مِنْ سَيِّدٍ خَيْرًا ! فَإِنَّكَ تَأْتِي
الْأَنْفُسَ وَهِيَ شَوَارِدُ فَتَقْرِهَا ، وَالْأَهْوَاءَ وَهِيَ سَقِيمَةٌ فَتُصَحِّهَا . فَأَمَرُ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ
أُخْرَى . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : ثُمَّ ضَرَبَ الدَّهْرُ مِنْ ضَرْبِهِ ^(٢) ، فَيِينَا أَنَا أُسِيرُ مَعَهُ ، إِذْ لَقِيَهُ
الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ ، وَكَانَ سَاخِطًا عَلَيْهِ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَتَرَجَّلَ لَهُ وَأَنَشَدَهُ :

بِاللَّهِ يَا غَضَبَانُ إِلَّا رَضِيتُ أَذَا كَرُّهُ لِلْعَهْدِ أَمْ قَدْ نَسِيتُ
فَقُلْتُ : بَلْ ذَاكَ كَرُّ يَأْبَا الْفَضْلِ . وَأَضَفْتُ إِلَيْهِ هَذَا الْبَيْتَ :

لَوْ كُنْتُ أَبْغِي غَيْرَ مَا تَشْتَهِي دَعَوْتُ أَنْ تُبْلِيَ كَمَا قَدْ بُلِيتُ
وَصَنَعْتُ فِيهِ لِحْنًا وَغَنَيْتُهُ بِهِ . فَأَمَرُ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَصَحِيحِكَ . فَقُلْتُ : مِنْ
أَيِّ شَيْءٍ تَضْحَكُ يَا سَيِّدِي ؟ لَا زِلْتَ ضَاحِكًا مَسْرُورًا . قَالَ : ذَكَرْتُ مَا جَرَى
فِي الصَّوْتِ الْأَوَّلِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مَعَ الْجَائِزَةِ دَابَّةٌ بِسَرَجِهِ وَلِجَامِهِ ، وَلَنْ تَنْصَرِفَ اللَّيْلَةُ
إِلَّا بِمِثْلِهِ . فَقُمْتُ فَقَبَّلْتُ يَدَهُ . فَأَمَرُ لِي بِأَلْفِ دِينَارٍ أُخْرَى وَقَالَ : تِلْكَ الْكَرَّةُ
شَكَرْتَ عَلَى الْجَائِزَةِ بِكَلَامٍ وَزِدْنَاكَ ، وَالْآنَ شَكَرْتَ بِفَعْلٍ أَوْجِبُ الزِّيَادَةَ ، وَلَوْلَا
أَنْتَ مُضِيقٌ فِي هَذَا الْوَقْتِ لَضَاعَفْتُهَا ، وَلَكِنَّ الدَّهْرَ يَبْنِنَا مُسْتَأْنَف .

قِيلَ :

وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي بَرَاعَتِهِ فِي الْغِنَاءِ وَتَقَدُّمِهِ فِيهِ كَالرَّجُلِ الْمَفُودِ ، إِنْ خَاطَبَ
أَحْسَنَ ، وَإِنْ كَتَبَ أَحْسَنَ ، وَإِنْ قَالَ شِعْرًا أَحْسَنَ ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُغَنِّينَ .

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « فَأَبْلَيْتَنِي » . (٢) أَيُّ مَرٍّ مِنْ مَرِّهِ وَمَضَى بَعْضُهُ .

شعر أبي العتاهية له
في حبسه

وذكر أنه لما حبس الرشيد إبراهيم الموصلي قال أبو العتاهية مخاطبه :

أَيَا عَمِّي لَعَمَّكَ يَا خَلِيلِي وَيَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَيَا عَوِيلِي
يَعَزُّ عَلَيَّ أَنَّكَ لَا تَرَانِي وَأَنْتَ لَا أَرَاكَ وَلَا رَسُولِي
وَأَنَّكَ فِي مَحَلٍّ أَذَى وَضِيقٍ وَلَيْسَ إِلَيَّ لِقَائِكَ مِنْ سَبِيلِ
وَأَنْتَ لَسْتَ أُمْلَكَ عَنْكَ دَفْعًا وَقَدْ فُوجِئْتَ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ

وقال أيضاً في حبسه :

سَلِّمْ يَا سَلِّمْ لَيْسَ دُونَكَ ^(١) سِرٌّ حُبْسُ الْمَوْصِلِيِّ فَالْعَيْشُ مُرٌّ
مَا اسْتَطَابَ اللَّذَاتِ مُذْغَابٌ فِي الْمَطِّ بَقِيَ رَأْسُ اللَّذَاتِ فِي النَّاسِ حُرٌّ
تَرَكَ الْمَوْصِلِيُّ مَنْ خَلَقَ اللَّهُ جَمِيعًا وَعَيْشُهُمْ مَكْفَهَرٌ
حُبْسُ اللَّهِوُ وَالشَّرُّورُ فَمَا فِي الْإِ أَرْضُ شَيْءٍ لَا يُلْهِمِي بِهِ أَوْ يَسْرُ

وحكى مخارق قال :

هو ومخارق
وأخذهما دراهم من
يحيى البرمكي
وأولاده

اشتغل الرشيد يوماً واصطبج مع الحرم ، وقد أصبحت السماء مُتَغَيِّمَةً تَطِشُ
طِشًا خَفِيفًا . فقلتُ : والله لأذهبن إلي أستاذي إبراهيم فأعرف خبره ، ثم أعود .
فأمرت من عندي أن يسووا مجلساً لنا إلى وقت رُجوعي ، فجئتُ إلى إبراهيم
الموصلي ، وإذا الباب مفتوح والذهليز قد كنس والبواب قاعد ، فقلتُ : ما خبر
أستاذي ؟ فقال : أدخل . فدخلتُ ، فإذا هو جالسٌ في رِواق له وبين يديه قُدُورٌ
تُغْرِغُ وأباريق تزهر ، والستارة منصوبة والجواري خلفها ، وإذا قدأمه طستٌ
فيه رطلية وكوز وكأس . فدخلتُ أترنم ببعض الأصوات ، وقلتُ له : ما بال
الستارة لست أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعد ويحك ! إني أصبحتُ على
الذي ظننت ، فجاءني خبر ضيعة تجاورني ، وقد والله طلبتها زماناً وتمنيتها

(١) في بعض أصول الأغاني : « ستر » مكان « سر »

ولم أملكها . وقد أعطى بها صاحبها مائة ألف درهم . فقلت له : ما يمنعك منها ؟
فوالله لقد أعطاك الله أضعاف هذا المال وأكثر . فقال : صدقت ، ولكن لست
أطيب نفساً بأن أخرج هذا المال . فقلت : فمن يعطيك الساعة مائة ألف درهم ؟
والله ما أطمع في ذلك من الرشيد فكيف بمن دونه ! فقال : أجلس ، خذ هذا
الصوت . ثم ترق بقضيب على الدواة وألقى هذا الصوت على :

نام الخليلون عن هم وعن ^(١) سقم . وبت من كثرة الأحزان لم أتم
يا طالب الجود والمعروف مجتهداً . أعهد ليحيى حليف الجود والكرم
والشعر لأبي النصير ^(٢) يمدح به يحيى بن خالد بن برمك . قال : فأخذته
وأحكمته . ثم قال لي : أمض الساعة إلى الوزير يحيى بن خالد فإنك تجد الناس
عليه قبل أن يفتح الباب ، ثم تجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعد ، فاستأذن عليه
قبل أن يصل إليه أحد ، فإنه سيُنكر مجيئك ويقول : من أين أقبلت في هذا
الوقت ؟ فحذثه بقصدك إياي وما ألقيت إليك من خبر الضيعة ، وأعلمه أنني قد
صنعت هذا الصوت وأعجبني ، ولم أر أحداً يستحقه إلا جاريته فلانة ، وأني
ألقيته عليك حتى أحكمته لتطرحه عليها . فسيدعوها ويأمر بالسِتارة فتُنصب
ويُوضع لها كرسي ويقول لك : أطرحه عليها بحضرتي . فافعل وأتني بما يكون
بعد ذلك من الخبر . قال : فحُت باب يحيى بن خالد ، فوجدته كما وصف . وسألني ،
فأعلمته بما أمرني به . ففعل كل شيء قال لي إبراهيم . وأحضر الجارية فألقيته عليها .
ثم قال : تقيم عندنا يا أبا المهنا أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف ، أطل الله بقاءك ،
فقد عامت ما أذن لنا فيه . فقال : يا غلام ، احمل مع أبي المهنا عشرة آلاف

(١) في بعض أصول الأغاني : « من هم ومن سقم » .

(٢) هو عمر بن عبد الملك البصري ، شاعر من شعراء البصرة ، وكان يغني على جوار له مولدات ،
وكان صديقاً لأبان اللاحق ثم افترقا وتهاجيا . وانقطع أبو النصير إلى البرامكة إلى أن مات . وسرد
ترجمته .

درهم ، واحمل إلى أبى إسحاق مائة ألف درهم ثمن هذه الضيعة . فحملت العشرة آلاف معي ، وأتيت منزلي وقلت : أسرتُ يومى وأشرب وأسرّ من عندي . ومضى الرسول بالمال إلى إبراهيم . فدخلت منزلي ونثرت على من عندي من الجوارى دراهم من تلك البادرة ، وتوسدتها وأكلت وشربت يومى كله . فلما أصبحت قلت : والله لآتين أستاذى ولأعرفن خبره . فأتيته فوجدت الباب كهيئته بالأمس . ودخلت فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنمت وطربت ، فلم يتلق ذلك بما يجب . فقلت : ما الخبر ؟ ألم يأتك المال ؟ قال : بلى . فما كان خبرك أنت ؟ فأخبرته بما كان وذهب لى ، وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ؟ فقال : ارفع السجف . فرفعته فإذا عشر بدر . فقلت : فأى شيء بقى عليك فى أمر الضيعة ؟ فقال : ويحك ! ما هو والله إلا أن دخلت منزلي حتى شجحت عليها وصارت مثل ما حويت قديماً . فقلت : سبحان الله العظيم ! فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى ألقى عليك صوتاً صنعته يفوق ذلك . فقمْتُ فجلست بين يديه . فألقى على :
ويفرح بالمولود من آل برمك بغاة الندى والسيف والرمح والنصل
وتنشط الأموال فيه لفضله ولا سيما إن كان من ولد الفضل
والشعر لأبى النصير .

قال : فلما ألقى على الصوت سمعت ما لم أسمع بمثله قط وصغر فى عيني الأول ، فأحكته . ثم قال : امض الساعة إلى الفضل بن يحيى ، فإنك تجده لم يأذن لأحد بعد ، وهو يريد الخلوة مع جواريه اليوم ، فأستأذن عليه وحديثه بجديتنا أمس . وما كان من أبيه إلينا وإليك . وأعلمه أنى قد صنعته بالأمس وأنى ألقيته عليك حتى أحكته . ووجهت بك قاصداً لتلقيه على فلانة جاريتيه . فصرت إلى باب الفضل فوجدت الأمر على ما ذكره ، واستأذنت فوصلت ، وسألنى عن الخبر ، فأعلمته بخبرى وما وصل إلى وإليه من المال . فقال : أخزى الله إبراهيم ! ما أبخله

على نفسه ! ثم دعا خادماً فقال : اضرب الستارة ، فضربها . ثم قال : ألقه .
فلما غنيتُهُ لم أتمه حتى أقبل يجر مطرفه ، ثم قعد على وسادة دون الستارة وقال :
أحسن والله أستاذك ! وأحسنت أنت يا مخارق ! فلم أبرح حتى أخذته الجارية
فأحكمته . فسُرّ بذلك سُروراً شديداً وقال : أقيم عندي اليوم . فقلتُ : ياسيدي ،
إنما بقى لنا يومٌ واحد ، ولولا أنني أحب سُرورك لم أخرج من منزلي . فقال :
يا غلام ، احمل مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم ، وإلى أبي إسحاق مائتي ألف درهم .
فانصرفتُ إلى منزلي بالمال . وفتحتُ بكرةً فنثرتُ منها على الجواري وشربتُ
أنا ومن عندي . فلما أصبحتُ بكرتُ إلى إبراهيم أنعرف خبره وأعرفه خبري .
فوجدته على الحال التي كان عليها أولاً وآخرأ . فدخلتُ أترنّم وأصقّق . فقال لي :
أذن . فقلتُ : ما بقى ؟ فقال : اجلس وارفع سِجف هذا الباب . ففعلتُ ، فإذا
عشرون بكرةً مع العشرة . فقلتُ : ما تنتظر ؟ فقال : ويحك ! ماهو والله إلا أن
حصلتُ حتى جرتُ مجزى ما تقدم . فقلتُ : والله ما أظن أن أحداً نال في هذه
الدولة ما نلت ، فلم تبخل على نفسك بشيء تمنيتَه دهرأ ، وقد ملكك الله
أضعافه ؟ فقال : اجلس فخذ هذا الصوت . فجلستُ ، فألقى على صوتاً أنساني صوتي
الأولين ، وهو :

أفي كل يومٍ أنت صبّ وليلةٍ إلى أمّ بكرٍ لا تُفريق فتقصرُ
أحبُّ على الهجران أكناف بيتها فيالك من بيتٍ يحبّ ويهجّر
إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ (١) جسرةٍ طواها سراها نحوّه والتهجّر
إلى واسعٍ للمجتدين فناؤه ترّوح عطاياه عليهم وتبكرُ
والشعر لمروان بن أبي حفصة .

قال مخارق : ثم قال لى إبراهيم : هل سمعت مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعت قطُّ مثله . فلم يزل يُردِّده علىَّ حتى أخذته . ثم قال لى : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأبيه وأخيه . قال : فضيتُ ففعلتُ مثلَ ذلك ، وخبرتهُ ما كان ، وعرضتُ الصوتَ ، فسُرَّ به . ودعا خادماً فأمره بضرب الستارة ، وأحضر الجارية وقعد على كرسيٍّ ثم قال : هاتِ يا مخارق . فاندفعتُ فألقيتُ الصوتَ عليها حتى أخذته . فقال : أحسنتِ يا مخارق ! وأحسن أستاذك ! فهل لك فى المقام عندنا اليوم ؟ فقلت : ياسيدى ، هذا آخر أيامنا ، وإنما جئتُ لموقع الصوتِ منى حتى ألقيته على الجارية . فقال : يا غلام ، تحمل مع مخارق ثلاثين ألف درهم ، وإلى الموصلِ ثلثمائة ألف درهم . فصرْتُ إلى منزلى بالمال ، وأقمتُ ومن عندى مسرورين ، نشربُ طولَ يومنا ونطرب . ثم بكرتُ إلى إبراهيم فتلقانى قائماً ، ثم قال : أحسنتِ يا مخارق ! فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس . فجلستُ . وقال لمن خلف الستارة : خذوا فيما أنتم فيه . ثم رُفع السَّجف . فإذا المألُ . فقلت : ما خبر الضيعة . فأدخل يده تحتِ مسورة^(١) وهو مُتَّكئ عليها ، فقال : هذا صكُّ بالضيعة ، سئل عن صاحبها فوجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد وكتب إلى : قد علمتُ أنك لا تسخو نفسك بشراء هذه الضيعة من مالٍ يحصلُ لك ولو حَوَّيتُ الدنيا كلها ، وقد ابتعتها لك من مالى . ووجهه إلىَّ بصَّغها وهذا المال كما ترى . ثم بكى وقال : يا مخارق ، إذا عاشرتَ فعاشراً مثلَ هؤلاء ، وإذا احتكرتَ فاحتكر^(٢) مثل هؤلاء ، ستمائة ألف ، وضيعة بمائة ألف ، وستون ألف درهم لك . حصَّلنا ذلك أجمع وأنا جالسٌ فى بيتي لم أبرح منه ، فتى يُدرك مثلَ هؤلاء .

وحكى إبراهيم للموصلى قال :

أعطاه الفضل بن
يحيى بعد أن حبس
الخليفة عنه يده

(١) المسورة : الوسادة .

(٢) فى بعض أصول الأغاني : « خنكرت فخنكر لمثل هؤلاء » . وخنكر ، أى غنى ، فارسي .

أتيتُ الفضل بن يحيى يوماً فقلتُ له : يا أبا العباس ، جُعِلْتُ فِدَاكَ ! هبْ لي دَراهم فإن الخليفة قد حَسبَ يَدَه عَنِّي . فقال : يا أبا العباس ، ما عندى ما أَرْضاه لك . ثم قال : هاه ، إِلَّا أَنْ هَاهُنَا خَصْلَةٌ^(١) : أَتَانَا رَسُولُ صَاحِبِ الْيَمَنِ فَقَضَيْنَا حَوَائِجَهُ ، وَوَجَّهَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَشْتَرِي لَنَا بِهَا مَحَبَّتَنَا ، فَمَا فَعَلْتَ فَلَانَةُ جَارِيَتِكَ ؟ قلتُ : عندى ، جُعِلْتُ فِدَاكَ . قال : فهوذا ، أَقُولُ لَهُمْ يَشْتَرُونَهَا مِنْكَ ، فَلَا تَنْقُصْهَا مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ انصَرَفْتُ . فَبَكَرْتُ عَلَى رَسُولِ صَاحِبِ الْيَمَنِ وَمَعَهُ صَدِيقٌ لَهُ وَلِي ، فَقَالَ : جَارِيَتُكَ فَلَانَةُ عِنْدَكَ ؟ فقلتُ : عندى . قال : اعرضها على . فَأَخْرَجْتُهَا . فقال : بكم ؟ فقلتُ : بخمسين ألفَ دينار ، وَلَا أَتَقْصُصُ مِنْهَا دِينَاراً وَاحِداً . وَقَدْ أَعْطَانِي الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى أَمْسِي هَذِهِ الْعَطِيَّةَ . فَقَالَ لِي : هَلْ لَكَ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ مُسَلَّمةً لَكَ ؟ وَكَانَ شِرَائِي الْجَارِيَةَ بِأَرْبَعَةِ مِائَةِ دِينَارٍ . فَلَمَّا وَقَعَ فِي أُذُنِي ذِكْرُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ ، أُرْتَجَّ عَلَى وَلِحَقْنِي زَمْعٌ^(٢) . وَأَشَارَ عَلَى صَدِيقِي الَّذِي مَعَهُ بِالْبَيْعِ ، وَخِفْتُ وَاللَّهِ أَنْ يَحْدُثَ بِالْجَارِيَةِ حَدَثٌ أَوْ بِي أَوْ بِالْفَضْلِ ابْنِ يَحْيَى ، فَسَلَّمْتُهَا وَأَخَذْتُ الْمَالَ . ثُمَّ بَكَرْتُ عَلَى الْفَضْلِ ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ . فَلَمَّا نَظَرُ إِلَى ضَحْكَ وَقَالَ لِي : يَا ضَيْقَ الْعَطَنِ وَالْحَوْصَلَةِ^(٣) ، حَرَمْتَ نَفْسَكَ عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فقلتُ له : جُعِلْتُ فِدَاكَ ! دَعِ ذَا عَنكَ فَوَاللَّهِ ، لَقَدْ دَخَلَنِي شَيْءٌ أَعْجَزُ عَنْ وَصْفِهِ ، وَخِفْتُ أَنْ يَحْدُثَ بِي حَدَثٌ أَوْ بِالْجَارِيَةِ أَوْ بِالْمُشْتَرَى أَوْ بَكَ ، أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، فَبَادَرْتُ بِقَبُولِ الثَّلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا ضَيْرَ ، يَا غُلَامَ ، جِئْتُ بِالْجَارِيَةِ . فَجِئْتُ بِهَا بَعَيْنَيْهَا . فَقَالَ : خُذْ بِيَدِهَا وَانصَرَفَ مَبَارَكاً لَكَ فِيهَا . فَمَا أَرَدْنَا إِلَّا مَنْفَعَتَكَ وَلَمْ نَزِدْ الْجَارِيَةَ . فَلَمَّا نَهَضْتُ قَالَ لِي :

(١) الخصلة : إصابة الهدف . يريد : حلا ومخرجاً .

(٢) زمع : شبه رعدة .

(٣) العطن : مبرك الإبل . والحوصلة ، من الطير معروفة . ويكنى بضيقهما عن قلة الصبر ،

كما يكنى بها عن البخل .

مكانك ، إن رسول صاحب أرمينية قد جاءنا فقَضينا حوائجَه ونفَذنا كُتبه . وقد ذكر أنه جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري بها لنا ما نُحب ، فاعرض عليه جاريتك ولا تنقصها من ثلاثين ألف دينار . فانصرفت بالجارية . وبكرت على رسول صاحب أرمينية ومعه صديق لى آخر . فقاولنى بالجارية ، فقلت له : لست أنقصها من ثلاثين ألف دينار . فقال لى : معى عشرون ألف دينار مُسلمة ، خُذها بارك الله لك فيها . فدخلنى والله مثل الذى دخلنى فى المرة الأولى وخفتُ مثل خوفى الأول . فسلَّمتُها وأخذتُ المال . وبكرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحده . فلما رآنى ضحك وضرب برجله ثم قال : ويحك ! حرمت نفسك عشرة آلاف دينار ! فقلت : أصلحك الله ! خِفْتُ والله مثل ما خفتُ فى المرة الأولى . فقال : لا ضير ، يا غلام ، جاريتَه . فحُببها . فقال : خُذها ، ما أردناها ولا أردنا إلا منفعتك . فلما ولَّت الجارية سُحَّتُ بها : أرجعى . فرجعت . فقلت : أشهدك ، جُعِلْتُ فداك ، أنها حُرَّة لوجه الله وأنى قد تزوجتها على عشرة آلاف درهم ، كسبت لى فى يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلا هذا . فقال : وفَّقْتَ إن شاء الله .

وذكر أن إبراهيم الموصلى أتى محمد بن يحيى بن خالد بن برمك فى يوم مَهْرَجان ، فسأله محمد أن يقيم عنده . فقال : ليس يُمكننى ، لأن رسول أمير المؤمنين أتانى . قال : فتمر بنا إذا انصرفت ولك عندنا كُلُّ ما يُهدى إلى اليوم . فقال : نعم ، وترك فى المجلس صديقاً له يُحصى ما يُبعث به إليه . قال : فجاءت هدايا عجيبة من كل ضرب . وأهدى له تمثال فيل من ذهب عَيْناه ياقوتتان . فقال محمد للرجل : لا تخبره بهذا لِنَبْعَث به إلى فلانة . ففعل . وانصرف إبراهيم إليه فقال : أحضرنى ما أهدى إليك . فأحضره ذلك كُلَّه إلا التمثال . ثم قال له : لا بُدَّ من صدقك ، كان الأمر كذا وكذا . فقال : لا . إلا على الشريطة وكما ضمنت . فحُببها بالتمثال . فقال إبراهيم : أليس الهدية لى أعمل فيها ما أريد ؟ قال :

هو محمد بن يحيى
فى يوم مَهْرَجان .

بلى . فردَّ التَّمثال على الجارية ، وجعل يُفرِّق الهدايا على جُلساء محمد شيئاً فشيئاً ، وعلى جميع مَنْ حَضَرَ من إخوانه وغلما نه ، وعلى مَنْ في دُور الحُرَم ، حتى لم يَبَقَ منها شيء . ثم أخذ من المجلس تَفَاحَتَيْنِ لَمَّا أراد الانصراف وقال : هَذَا لِي ، وانصرف . فجعل محمد يَعَجِب من كِبَرِ نَفْسِهِ ونُبْلِهِ .

وَحَكَى إِبْرَاهِيمُ قَالَ :

هو والرَّشيد في ليلة
بلغه فيها ما أغضبه
فغناه حتى سرى عنه

بينَا أَنَا عَشِيَّةً فِي بَيْتِي إِذْ أَتَانِي خَادِمٌ مِنْ خَدَمِ الرَّشِيدِ ، فَاسْتَحَنَّنِي بِرُكُوبِي إِلَيْهِ . فَخَرَجْتَ شَبِيهًا بِالرَّكَضِ . فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى الدَّارِ عُدَلْتُ بِي عَنْ الْمَدْخَلِ إِلَى دَارٍ لَا أَعْرِفُهَا ، فَأَتَيْتُ بِي إِلَى دَارٍ جَدِيدَةٍ الْبِنَاءِ . فَدَخَلْتُ صَحْنًا وَاسِعًا ، وَكَانَ الرَّشِيدُ يَشْتَهِي الصُّحُونِ الْوَاسِعَةِ . فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسَى فِي وَسْطِ ذَلِكَ الصَّحْنِ لَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا خَادِمٌ يَسْقِيهِ ، وَإِذَا هُوَ فِي لِبْسَتِهِ الَّتِي كَانَ يَلْبَسُهَا فِي الصَّيْفِ : غِلَالَةٌ رَقِيقَةٌ مَتَوَشَّحٌ عَلَيْهَا بِإِزَارِ رَشِيدِي عَرِيضِ الْقَلَمِ أَحْمَرٍ . فَلَمَّا رَأَى هَشًّا لِي وَسُرًّا وَقَالَ : يَا مَوْصِلِي ، إِنِّي اشْتَهَيْتُ أَنْ أَجْلِسَ فِي هَذَا الصَّحْنِ فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي إِلَّا الْيَوْمَ ، وَأَحْبَبْتُ أَلَّا يَكُونَ مَعِيَ وَمَعَكَ أَحَدٌ . ثُمَّ صَاحَ : يَا غَلَامَ ، فَأَتَاهُ مَائَةٌ وَصَيْفٌ . وَإِذَا هُمْ فِي الْأَرْوَقَةِ مُسْتَتِرُونَ بِالْأَسَاطِينِ ^(١) حَيْثُ لَا يَرَاهُمْ ، فَلَمَّا نَادَاهُمْ جَاءُوا جَمِيعًا . فَقَالَ : مُقَطَّعَةٌ لِإِبْرَاهِيمِ . وَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ قَطَعَ الْمُصَلِّيَّاتِ . فَأَتَيْتُ بِمَقْعَدٍ فَأَلْقَى لِي تَجَاهَ وَجْهِهِ بِالْقُرْبِ مِنْهُ . وَدَعَا بِعُودٍ وَقَالَ : بِحَيَاتِي أَطْرَبُ بَنِي مَا قَدَرْتُ . قَالَ : فَفَعَلْتُ وَاجْتَهَدْتُ فِي ذَلِكَ وَنَشِطْتُ لَهُ وَرَجَوْتُ الْجَائِزَةَ فِي عَشِيَّتِي . فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ مَسْرُورُ الْكَبِيرِ فَمَامَ مَقَامًا كَانَ إِذَا قَامَهُ عُلْمٌ أَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُسَارَهُ بِشَيْءٍ . فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ ، فَأَلْقَى فِي أُذُنِهِ كَلِمَةً خَفِيفَةً ثُمَّ تَنَحَّى . فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا وَاحْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، ثُمَّ قَالَ : حَتَّامٌ أَصْبِرُ عَلَى آلِ بَنِي أَبِي طَالِبٍ ! وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُهُمْ وَلَا أَقْتُلَنَّ شِيعَتَهُمْ وَلَا أَفْعَلَنَّ ! فَقُلْتُ : إِنْ لَكَ ! لَيْسَ وَاللَّهِ عِنْدَ هَذَا أَحَدٌ يُخْرِجُ غَضَبَهُ عَلَيْهِ غَيْرِي ، أَحْسِبُهُ وَاللَّهِ سَيُوقِعُ بِي ، فَاَنْدَفَعْتُ فَعَنَيْتُ :

نِعْمَ عَوْنًا عَلَى الْهُمُومِ ثَلَاثُ مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدَهِنَّ ثَلَاثُ
 بَعْدَهَا أَرْبَعُ تَتَمَّةُ عَشْرِ لَا بَطَاءَ لَكِنَّهُنَّ ^(١) حِشَاتُ
 فَإِذَا نَاولَتْكُهُنَّ جَوَارٍ عَطِرَاتُ بَيْضِ الْوُجُوهِ خِنَاثُ
 تَمَّ فِيهَا لَكَ الشَّرُّورُ وَمَا طَيَّ بَ عِشًا إِلَّا الْخِنَاثُ الْإِنَاثُ
 فَقَالَ : وَيْحَكَ ! اسْقِنِي ثَلَاثًا لَا أَمُوتُ ^(٢) هَمًّا . فَشَرِبَ ثَلَاثًا مُتَابَعَةً ، ثُمَّ قَالَ :
 أَعِدُّ . فَعَنَيْتُ . فَلَمَّا قَلْتُ :

* ثَلَاثُ * مُتْرَعَاتٍ مِنْ بَعْدَهِنَّ ثَلَاثُ *

قَالَ : هَاتِ وَيْلَكَ ثَلَاثًا ! ثُمَّ قَالَ لِي : غَنِّ . فَلَمَسَا عَنَيْتُهُ ، قَالَ : حُثَّ عَلَى
 بِأَرْبَعِ تَتَمَّةِ الْعَشْرِ . فَفَعَلَ . فَوَاللَّهِ مَا اسْتَوَيْتُ آخِرَهُنَّ حَتَّى سَكِرَ وَنَامَ . فَتَهَضَّ
 لِيَدْخُلَ وَقَالَ : قُمْ يَا مُوصِلِي فَأُنْصِرَفْ ، يَا مَسْرُورَ ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِحَيَاتِي وَبِحَقِّي
 إِلَّا سَبَقْتَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، لَا أُسْتَأْمَرُ فِيهَا وَلَا فِي شَيْءٍ مِنْهَا . فَخَرَجْتُ وَاللَّهِ وَقَدْ
 أَمَنْتُ خَوْفِي ، وَأَدْرَكْتُ مَا رَجَوْتُ ، وَوَأَفَيْتُ مَنْزِلِي وَقَدْ سَبَقَنِي بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

وَحَكَى إِبْرَاهِيمُ قَالَ :

حديث مع الرشيد
 في جارية عرض
 بها في مجلسه

قَالَ لِي الرَّشِيدُ يَوْمًا : يَا إِبْرَاهِيمُ ، بَكَرْتُ عَلَى غَدَاً حَتَّى نَصْطَبِحَ . فَقُلْتُ لَهُ :
 أَنَا وَالصُّبْحُ كَفَرَسَى رِهَانٍ . فَبَكَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِهِ خَالِيًا وَبَيْنَ يَدَيْهِ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا
 خُوطُ بَانٍ أَوْ جَدَلُ عَنَانٍ ، حُلُوةُ الْمَنْظَرِ ، دَمِثَةُ الشَّمَائِلِ ، وَفِي يَدَيْهَا عَوْدٌ . فَقَالَ لَهَا :
 غَنِّي . فَعَنَيْتُ فِي شِعْرَ أَبِي نُوَّاسَ :

تَوَهَّمَهُ قَلْبِي فَأَصْبَحَ خَدُّهُ وَفِيهِ مَكَانُ الْوَهْمِ مِنْ نَظَرِي أُثْرُ
 وَمَرَّ بَقَلْبِي ^(٣) خَاطِرًا فَجَرَحَتْهُ وَلَمْ أَرَجِسًا قَطُّ يَجْرَحُهُ الْفِكْرُ
 وَصَاحَفَهُ كَفِّي فَالْمُ كَفَّهُ فَمِنْ غَمَزِ كَفِّي ^(٤) فِي أَنَامِلِهِ عَقْرُ

(١) حِشَاتُ : مَسْرَعَاتُ . (٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « لَا أَمْتُ » .

(٣) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بُوْهِي » . (٤) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « قَلْبِي .. قَلْبِي » .

قال إبراهيم : فذهبتُ والله بعقلي حتى كدتُ أفتضح ، فقلتُ : من هذه
يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذه التي يقول فيها الشاعر :

لها قلبي الغداة وقلبيها لي فنحن كذلك في جسدَيْن رُوح
ثم قال : غنى . فغنت :

تقول غداة البين إحدى نسائمهم لي الكبدُ الحرَّى فسرَّ ولك الصبرُ
وقد خنقتها عبرة فدموعها على خدَّها بيضٌ وفي نحرها صُفرُ
والشعر لأبي الشَّيص الخراعي .

قال : فشرب ، ثم سقاني وسقاها . وقال : غنَّ يا إبراهيم . فغنتُ :

تَشْرَب قلبي حُبَّها ومَشَى به تَمْشَى حُمَيَّا الكأس في جِسم شَارِب
ودبَّ هواها في عِظامي فَشَفَّها كادِب في اللَّسوع سَمُّ العقارب
فقطنٍ لتعريضي ، وكانت جهالةً مِنِّي . فأمرني بالانصراف ولم يدعني شهراً
ولا حضرتُ مجلسه . فلما كان بعد شهر دسَّ إلى خادماً معه رقعةً فيها مكتوب :
قد تخوفتُ أن أموت من الوجع يد ولم يدُر من هويتُ بما بي
يا كتابي فاقِر السَّلام على من لا أَسْمِي وقلْ له يا كِتَابِي
إنَّ كفاً إليك قد ^(١) بعثني في شقاء مُواصلٍ وعذاب

فأتاني الخادمُ بالرقعة ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : رقعةُ فلانة الجارية التي
غنَّتكَ بين يدي أمير المؤمنين . فأحسستُ بالقصة ، فشتمتُ الغلام ووثبتُ إليه
فضربتُه ضرباً شفيتُ به نفسي وغيظي . وركبتُ إلى الرشيد من فوري فأخبرته ،
وأعطيتُه الرقعة . فضحك حتى كاد يستلقي وقال : على عمْد فعلتُ ذاك بك
لأمتحنك وأعرف مذهبك وطريقتك . ثم دعا بالخادم ، فخرج ، فلما رآني قال :

(١) في الأصل : « كتبتني » مكان « بعثني » .

قطع الله يدَيْكَ ورجلَيْكَ ! قتلتنى ! فقلتُ : القتلُ والله كان بعض حَقِّكَ لِمَا
وردتَ به علىَّ ، ولكنى رحمتُكَ فأبقيتَ عليك وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتى فى
عُقوبتك بما تستحقه . فأمر لى الرشيدُ بصلة سَنِيَّة . والله يعلم ما فعلتَ ذلك عَفَافًا
ولكن خوفًا .

وحكى إبراهيم قال :

هو وإبليس

استأذنتُ الرشيدَ فى أن يَهَبَ لى يوماً من الجمعة لا يبعثُ إلى فيه بوجه
ولا سَبَب ، لأخلُو فيه بجوارى وإخوانى . فأذن لى فى يوم السبت وقال : هذا يومٌ
أستنقله ، فالهُ فيه بما شئتُ . فقعدتُ فى منزلى وتقدّمتُ بإصلاح طعامى وشرابى .
وما أحتاج إليه ، وأمرتُ بَوَّابى فأغلق الأبواب ، وتقدّمتُ إليه ألا يأذن لأحد
علىّ البتة . فبينما أنا فى مجلسى والحُرم قد حَفُّوا بى وجوارى يتردّدن بين يديَّ ،
إذا أنا بشيخ ذى هيئة وجمال ، عليه خُفَّان قصيران وقميصان ، وروائح الطيب
تفوح منه حتى ملأ البيت والدار . فدخلى لدُخوله علىَّ مع ما تقدّمتُ فيه غيظٌ
ما دخلنى قطُّ مثله ، وهَمَمْتُ بطرد بَوَّابى ومن يحجبُنى لأجله . فسلمَ علىَّ أحسن
سلام . فرددتُ عليه وأمرته بالجلوس . ثم أخذ فى أحاديث الناس وأيام العرب
وأشعارها حتى سلَّ ما كان بى من الغضب ، وظننتُ أن غلمانى تخيروا مسرّتى
بإدخال مثله علىّ لأدبه وظرفه . فقلتُ له : هل لك فى الطعام ؟ فقال : لا حاجة لى
فيه . فقلتُ : هل لك فى الشراب ؟ قال : ذاك إليك . فشربتُ رطلاً وسقيته
مثله . فقال لى : يا أبا إسحاق ، أريد أن تُغْنى لنا شيئاً فنسمع من صنعتك ما نفقتَ
به عند الملوك والخاصّ والعام . فعاظنى قوله ، ثم سهلتُ الأمر على نفسى ، فأخذتُ
العود وجسّسته ، ثم ضربتُ وغنّيتُ . فقال : أحسنتَ يا إبراهيم ! فزاد غيظى .
وقلتُ : ما رضى بما فعله من دُخوله علىَّ بغير إذنى ، واقتراحه أن أُغْنيه ، حتى
سمّانى ولم يُكِنِّنى ولم يُجمل مُحاطبَتى ! ثم قال : هل لك فى أن تزيد ؟ فتدّمتُ

وأخذتُ العودَ فغنَّيتُ . فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق . فأتمَّ حتى نكافئك وتغنَّيك .
فأخذتُ العودَ وتغنَّيتُ وتحفَّظتُ ، وقُمتُ بما غنَّيته إِيَّاهُ قِيامًا تامًّا ما تحفَّظتُ مثله ،
ولا قُمتُ بغناء كما قُمتُ به له بين يدي خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله : أكافئك .
فطَرِبَ وقال : أحسنتَ يا سيدي ويا أوثقَ عُددي . ثم قال : أتاذنُ لِعبدك في
الغناء ؟ فقلت : شأناك . واستضعفتُ عقله في أن يُغنيَ بحضرتي بعد ما سمَّعه مِنِّي .
فأخذ العودَ وجسَّه ، فوالله لقد خِلْتُ أنه ينطق بلسان عربيٍّ ، لحسن ما سمعته
من صوته . ثم غنَّى :

ولى كِبْدٌ مقروحةٌ من يديعى بها كِبْدًا لستُ بذاتِ قُروح
أبأها على النَّاسِ ما يَشْتَرُونَهَا وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عُرَةٍ ^(١) بصحيح
أُنْثَى مِنَ الشَّوْقِ الذَّى فى جَوَانِحِي أَنْيْنَ غَصِيصٍ بِالشَّرَابِ جَرِيح
قال إبراهيم : فوالله لقد ظننتُ أنَّ الحِيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما فى البيتِ
يُحْيِيهِ وَيُغْنِيْ مَعَهُ مِنْ حُسْنِ غَنَائِهِ ، حتَّى خِلْتُ أَنِّي أسمعُ أَعْضَائِي وَثِيَابِي تُجَاوِبُهُ ،
وَبَقِيَتْ مُبْهَوْتًا لَا أُسْتَطِيعُ الكَلَامَ وَلَا الجَوَابَ وَلَا الحَرَكَهَ بِمَا خالطَ قلبي . ثم غنَّى :
ألا يا حَامِاتِ اللّوَّى عُدْنَ عَوْدَةً فإِنِّي إلى أصواتِكُنَّ ^(٢) حزينُ
فَعُدْنَ فَلَمَّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِثَّنِي وَكِدْتَ بِأَسْرَارِ ^(٣) لَهْنِ أُبَيْنِ
دَعَوْنَ بِتَرْدَادِ الهَدِيدِ كَأَمَّا شَرِبْنَ ^(٤) سُلَافًا أَوْ بَهَنَ جُنُونِ
فَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَهُنَّ حَامِمًا بَكَيْنَ وَلَمْ تَدْمَعْ لَهْنِ عُيُونِ
قال : فكاد عَقْلِي أن يذهبَ طَرِبًا وارتياحًا لِمَا سمعتهُ . ثم غنَّى :
ألا يا صَبَا تَجِدِ مَتَى هِجَّتَ مِنْ نَجْدِ لقد زَادَنِي مَسْرَاكُ وَجَدًا عَلَى وَجْدِ

(١) العرة : الجرب . وفى بعض أصول الأغاني : « علة » .

(٢) فى الأصل : « حنين » مكان « حزين » .

(٣) فى بعض أصول الأغاني : « بأسرارى » .

(٤) فى بعض أصول الأغاني : « الهدير ... سقين » .

أَنَّ هَتَفْتُ فِي جُنْحٍ لَيْلٍ حَامَةٍ عَلَى غُصْنٍ غَضَّ النَّبَاتِ مِنْ (١) الرِّندِ
بَكَيْتُ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ (٢) صَبَابَةً وَذُبْتُ مِنَ الْحَزَنِ الْمُبْرِحِ وَالْجَهْدِ
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّةَ إِذَا دَنَا يَمَلُّ وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوِينَا فَلَمْ يُشَفَّ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخوري ، فخذْ وَأُنْمَحْ نَحْوَهُ فِي غَنَائِكَ وَعَلَّمَهُ
جَوَارِيكَ . فقلت : أعدده علي . فقال : لستَ محتاج ، قد أخذته وفرغت منه .
ثم غاب عني . فارتعتُ وقُمتُ إلى السَّيْفِ فخرَّدته وعدوتُ إلى الأبواب فوجدتها
مُغْلَقَةً ، وقلت للجواري : أى شيء سمعتنَ عندي ؟ فقلن : سمعنا أحسنَ غناء
سُمع . فخرجت متحيرةً إلى باب الدار ، فوجدته مُغْلَقًا ، فسألت البواب عن الشَّيْخ .
فقال : أى شيخ ! والله ما دخل الباب اليوم أحدٌ . فرجعتُ لأتأملَ أَمْرِي ، فإذا
هو قد هَتَفَ بي من بعض جوانب البيت : لا بأس عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس ،
وأنا كنتُ نديمك اليوم .

فركبتُ إلى الرشيد وقلت : لا أطرفه أبداً بطرفة مثل هذه . فدخلتُ إليه
وحدثته الحديث ، فقال : ويحك ! تأمل هذه الأصوات : هل أخذتها ؟ فأخذتُ
العود فامتحنتها ، فإذا هي راسخةٌ في قلبي كأنها لم تزل . فطربَ الرشيدُ عليها وجلس
يشرب ، ولم يكن عَزَمَ على الشراب . وأمر لي بصلَة وَحْمَلَانِ (٣) ، وقال : الشَّيْخُ
كَانَ أَعْلَمَ بِمَا قَالَ مِنْ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا وَفَرِغْتَ مِنْهَا ، فليته أمتعنا بنفسه يوماً واحداً
كما أمتعك .

(١) الرند : شجر طيب الرائحة . والرواية في بعض أصول الأغاني :

أَنَّ هَتَفَ وَرَقَاهُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرِّندِ

(٢) في بعض الأصول : « الحزين » .

(٣) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

حديث اختصاصه
بشعر ذي الرمة يغني
فيه الرشيد

وحكى إبراهيم الموصلي قال :

قال لي جعفر بن يحيى ، وقد علم أن الرشيد قد أذن لي والمغنين جميعاً في
الأنصراف يومئذ : صِرْ إليّ حتى أهب لك شيئاً حسناً . فصرت إليه ، فقال :
أيما أحب لك : الشيء الحسن ، أو أرشدك إلى شيء تكسب به ألف ألف درهم ؟
فقلت : لا بل يُرشدني الوزير — أعزه الله — إلى هذا الوجه ، فإنه يقوم مقام
إعطائه إياي هذا المال . فقال : إن أمير المؤمنين يحفظ شعر ذي الرمة حفظ الصبي
ويعجبه ويؤثره ، فإذا سمع فيه غناء أطر به أكثر مما يُطر به غيره مما لا يحفظ
شعره ، فإذا غنيتَه فاطر به وأمر لك بجائزة ، فقم على رجلك وقبل الأرض بين
يديه وقل : إن لي حاجة غير الجائزة أريد أن أسألها أمير المؤمنين ، وهي حاجة
تقوم عندي مقام كل فائدة ، ولا تضره ولا ترزؤه . فإنه سيقول لك : أي شيء
حاجتك ؟ فقل : قطعة تقطعنيها سهلة عليك ولا قيمة لها ولا منفعة لأحد فيها ،
فإذا أجابك إلى ذلك فقل : تقطعني شعر ذي الرمة أغني فيه ما أختاره ، وتحظر
على المغنين جميعاً أن يداخلوني فيه ، فإني أحب شعره وأستحسنه ، ولا أحب أن
ينغصه على أحد منهم . وتوثق منه في ذلك . فقيلت ذلك القول منه ،
وما انصرفت مع ذلك القول إلا بجائزة . وتوخيْتُ وقتاً للكلام في هذا المعنى
حتى وجدته ، فقمْتُ فسألت كما قال لي ، فرأيت الشرور في وجهه ، وقال : ما سألتَ
شططاً ، قد أقطعتك ما سألت . فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد
استضخمت القطيعة ! وهو ساكت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أأذن لي في التوثق ؟
فقال : توثق كيف شئت . فقلت : بالله وبرسوله وتربة أمير المؤمنين المهدي
إلا جعلتني على ثقة من ذلك ، بأن تحلف أنك لا تعطى أحداً من المغنين جائزة
على شيء يُغنيه من شعر ذي الرمة ، فإن ذلك وثيقتي . فحلف عليها مجتهداً لن أغني
أحد منهم في شعر ذي الرمة لا أثابه ولا برّه ولا سمع غناءه . فشكرت فِعْله
وقبلت الأرض بين يديه ، وانصرفنا .

فغنيته مائة صوتٍ وزيادة عليها في شعر ذى الرثمة ، فكان إذا سمع منها صوتاً
طرب وزاد طربُه ووصلني وأجزل . ولم ينتفع أحدٌ منهم به غيرى . فأخذتُ منه
ألف ألف درهم ، وألف ألف درهم .

وذُكر أن الرشيد كان يجد بماردة ، أم ولده المعتصم ، وجداً شديداً ، فعضبت
عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجر . فأمر جعفر بن يحيى العباس بن
الأحنف ، فقال :

قرضى الرشيد
ماردة بشعر غناه
هو فيه

رَاجِعْ أَحَبَّكَ الَّذِينَ هَجَرْتَهُمْ إِنَّ الْمُنِيمَ قَلْبًا يَتَجَنَّبُ
إِنْ التَّجَنَّبَ إِنْ تَطَاوَلَ مِنْكَ دَبَّ السُّلُوءُ وَعَزَّ مِنْكَ الْمَطْلَبُ
وأمر إبراهيم الموصلي أن يُغني به الرشيد . فلما سمعه بادر إلى ماردة فترضاها .
فسألت عن السبب في ذلك فعرفته . فأمرت لكل واحد من العباس وإبراهيم
بعشرين ألف درهم ، وسألت الرشيد أن يكافئهما . فأمر لها بأربعين ألف درهم .
وقيل :

أول جائزة
خرجت من الرشيد
لشاعر كانت له

أول جائزة خرجت لشاعر من الرشيد ، لما ولى الخلافة، جائزة إبراهيم الموصلي ؛
فإنه قال يمدحه لما ولى :

أَلَمْ تَرَأَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا وَلَّى هَارُونُ أَشْرَقَ نُورُهَا
تَلَبَّسْتُ^(١) الدُّنْيَا جَمَالًا بِوَجْهِهِ فَهَارُونُ وَالْيَا وَيَحْيَى وَزَيْرِهَا
فأمر له بمائة ألف درهم . وأمر له يحيى بن خالد بخمسين ألف درهم .

وحكى إبراهيم الموصلي قال : قال لى الرشيد يوماً : إني قد جعلتُ غداً للحرم ،
وجعلتُ ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مُقتصر من المغنين عليك ، فلا تشغل غداً
بشيء ولا تشرب نبيذاً ، وكُنْ بِمَحْضَرَتِي فِي وَقْتِ عِشَاءِ الْآخِرَةِ . فقلتُ : السَّمْعُ

هو والرشيد
وقصة الزنبيل

(١) في بعض أصول الأغاني : « فالبت » .

والطاعة لأمير المؤمنين . فقال : وحقّ أبي لو تأخّرت أو اعتللت بشيء لأضربن عنقك ! أفهمت ؟ قلت : نعم . وخرجت . فما جاءني أحد من إخواني إلا أحتجبت عنه ، ولا قرأت رُقعةً لأحدٍ ، حتى إذا صليت المغرب ركبت قاصداً إليه . فلما قرّبت من داره مررت بفناء قصرٍ ، فإذا زنبيل كبير مُستوثق منه بحبال وأربع عُرى ، قد دُلّي من القصر ، وجارية قائمة تنتظر إنساناً قد وعد ليجلس . فنازعته نفسي إليه ، فقلت : هذا خطأ ، فلعله يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك . فلم أزل أنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتني . فنزلت فيه ، ومُدّ الزنبيل حتى صار بأعلى القصر . ثم خرجت فنزلت . فإذا جوارٍ كأنهنّ للمها جُلوسٌ ، فضحكُن وطربن وقلن : قد جاء والله ! فلما رأيته من قريب تبادلن الحجاب وقلن : يا عدو الله ! ما الذي أدخلك علينا ؟ فقلت : يا عدوات الله ! من الذي أردتن إدخاله ؟ ولم صار أولى مني بهذا ؟ فلم يزل ذلك دأبنا ، وهن يضحكن وأضحك معهن . فقالت إحداهن : أما من أردناه فقد فات ، وما هذا إلا ظريف ، فهلم نعاشره عشرة جميلة . فأخرج لي طعام فدُعيتُ إلى أكله ، ولم يكن في فضلة ، إلا أنني كرهت أن أنسب إلى سوء العشرة ، فأصبت منه إصابةً مُعذِّراً^(١) . ثم جىء بالشراب فجعلنا نشرب ، وأخرجن إلى ثلاث جوارٍ لهن ، فغنّين غناءً مليحاً ، فغنّت إحداهن صوتاً لمعبد . فقالت إحدى الثلاث من وراء الستارة : أحسن إبراهيم الموصلي ! هذا له . فقلت : كذبت ! ليس هذا له ، هذا لمعبد . فقالت : يا فاسق ، وما يدريك الغناء ما هو ! ثم غنّت الأخرى صوتاً للغريص . فقالت تلك : أحسن إبراهيم ! هذا أيضاً له . فقلت : كذبت ! هذا للغريص . فقالت : اللهم أخزه ، ويك ! وما يدريك ! ثم غنّت الجارية صوتاً لي . فقالت تلك : أحسن ابنُ سُريح ! هذا له . فقلت : كذبت ، هذا لإبراهيم ، وأنت تنسبين غناء الناس إليه وغناء إليهم . فقالت :

رويلك ! وما يدريك ؟ فقلت : أنا إبراهيم . فتباشرن بذلك جميعاً وظهرن كلهن
وقلن : اكتبتمنا نفسك وقد سررتنا . فقلت : أنا الآن أستودعن الله . فقلن : وما
السبب ؟ فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد . فقلن : الآن طاب حبسك ، علينا وعلينا
إن خرجت الأسبوعاً . فقلت : هو والله القتل . فقلن : إلى لعنة الله ! فأقمت عندهم
أسبوعاً لا أزول . فلما كان بعد أسبوع ودعني ، وقلن : إن سلمك الله فأنت
بعد ثلاثة أعدينا . فأجلسني في الزنجيل وسرحت . فمضيت من وجهي ^(١) إلى دار
الرشيد ، فإذا النداء في طلبي في بغداد ، وأن من أحضرني فقد سوغ ملكي
وأقطع مالي . فاستأذنت . فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد ، فلما رأي شتمني
وقال : السليف والنطع ! إيه يا إبراهيم ! تهاونت بأمرى وتشاغل بالعوام عما
أمرتك به ! وجلست مع أشباهك من السفهاء حتى أفدت على لذاتي ! فقلت :
يا أمير المؤمنين ، أنا بين يديك ، وما أمرت به غير فائت ، ولي حديث عجيب ما سمع
بمثله قط ، وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختياراً ، فإن كان عذراً فأقبله
وإلا فأنت أعلم . فقال : هاته ، فليس بمنجيك . فحدثته . فوجم ساعة ثم قال : إن
هذا لعجب ! أفتحضرني معك هذا الموضع ؟ فقلت : نعم ، وأجلسك معهن إذا
شئت قبلي حتى تحصل معهن ، وإن شئت فعلى موعد . قال : بل على موعد .
قلت : أفعل ، فقال : انظر . قلت : ذلك حاصل لك متى شئت . فعدل عن رأيه
وأجلسني وشرباً وطرب . فلما أصبحنا أمرني بالانصراف وأن أجيئه من الغد .
فمضيت إليهن في وقت الموعد . فلما وافيت الموضع إذا الزنجيل معلق ، فجلست فيه ،
ومدَّه الجوارى فصعدت . فلما رأيتهن تباشرن وحمدن الله على سلامتي . فأقمت ليلتي .
فلما أردت الانصراف قلت : إن لي أخاً هو عدل نفسي عندي ، وقد أحب معاشرتك
ووعده بذلك . فقلن : إن كنت ترضاه فمرحبا به . فوعدتهن ليلة غد ، وانصرفت

(١) في بعض أصول الأغاني : « لوجهي » .

فَأْتَيْتُ الرَّشِيدَ فَأَخْبَرْتُهُ . فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ خَرَجَ مَعِيَ مُتَخَفِيًّا حَتَّى أَتَيْنَا الْمَوْضِعَ .
فَصَعَدْتُ وَصَعِدَ بَعْدِي ، وَنَزَلْنَا جَمِيعًا . وَقَدْ كَانَ اللَّهُ وَقَفَنِي لِأَن قُلْتُ لَهُنَّ : إِذَا
جَاءَ صَدِيقِي فَاسْتَتَرْنِ عَنْهُ وَعَنِّي وَلَا يَسْمَعَنَّ لَكُنْ نَظْقَةً ، وَلَيْكُنْ مَا تَخْتَرُهُ
مِنْ غَنَاءٍ أَوْ تَقْلَانِهِ مِنْ قَوْلِ مُرَاسَلَةٍ . فَلَمْ يَتَعَدَّ بَيْنَ ذَلِكَ ، وَأَقَمَّنِ عَلَى أَتَمِّ سِتْرٍ وَخَفَرٍ .
وَشَرِبْنَا كَثِيرًا . وَقَدْ كَانَ أَمْرُنِي إِلَّا أَخَاطَبُهُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمَّا أَخَذَ مِنِّي الشُّكْرَ
قُلْتُ سَهْوًا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَوَاتَبَنِي مِنْ وَرَاءِ السِتَارَةِ حَتَّى غَابَتْ عَنَّا حَرَكَاتُهُنَّ .
فَقَالَ لِي : يَا إِبْرَاهِيمَ ، قَدْ أَفْلَتَ مِنْ أَمْرٍ عَظِيمٍ ، وَاللَّهِ لَوْ بَرَزْتَ لَكَ وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ
لَضَرَبْتُ عُنُقَكَ ! قُمْ بِنَا . فَانْصَرَفْنَا . فَإِذَا هُنَّ جَوَارِي لَهُ قَدْ غَضِبَ عَلَيْهِنَّ فَحَبَسَهُنَّ
فِي ذَلِكَ الْقَصْرِ . ثُمَّ وَجَّهَ مِنْ غَدٍ بِخَدَمٍ لَهُ فَرَدَّهِنَّ إِلَى قَصْرِهِ ، وَوَهَبَ لِي مِائَةَ أَلْفِ
دِرْهَمٍ . وَكَانَتْ الْهَدَايَا وَالْأَلَطَافُ تَأْتِينِي بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ .

شعره في مرضه

وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، قال :

لَمَّا دَخَلْتُ سَنَةَ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةَ اشْتَدَّ أَمْرُ الْقَوْلَانِجِ عَلَى أَبِي وَلَزَمَهُ ، وَكَانَ
يَعْتَادُهُ فِي الْأَحْيَانِ ، فَقَعَدَ عَنْ خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ وَعَنْ نَوْبَتِهِ فِي دَارِهِ ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

مَلَّ وَاللَّهِ طَبِيبِي عَنْ مُقَاسَاةِ الَّذِي بِي
سَوْفَ أَنْعَى عَنْ قَرِيبٍ لِعُدْوٍ وَحَبِيبٍ

وَوَضَعَ فِيهِ لَحْنًا . وَكَانَ آخِرَ شَعْرٍ قَالَهُ ، وَآخِرَ لَحْنٍ وَضَعَهُ .

زيارة الرشيد له
في علة الموت

وَحُكِيَ أَنَّ الرَّشِيدَ رَكِبَ حِمَارًا وَدَخَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَهُوَ فِي الْأَبْزَنِ ^(١)

جَالِسٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا إِبْرَاهِيمَ ؟ قَالَ : أَنَا وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

سَقِيمٌ مَلٌّ مِنْهُ أَقْرَبُوه وَأَسْلَمَهُ الْمَدَاوِي وَالْحَمِيمُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ : إِنَّا لِلَّهِ ! وَخَرَجَ . فَمَا بَعُدَ حَتَّى سَمِعَ الْوَاعِيَةَ ^(٢) عَلَيْهِ .

(١) الْأَبْزَنُ : حَوْضٌ مِنْ نَحَاسٍ يَسْتَنْقِعُ فِيهِ ، مَعْرَبٌ . (٢) الْوَاعِيَةُ : الصَّرَاخُ عَلَى الْمَيِّتِ .

تقديم المأمون
لابن الأحنف
عليه في الصلاة
عليهما

ومات إبراهيم في هذه السنة — أعنى سنة ثمان وثمانين ومائة — ومات
في ذلك اليوم العباس بن الأحنف ، وهشيمة الحمارة . فرُفع ذلك إلى
الرَّشيد ، فأمر المأمون أن يُصَلَّى عليهم . فخرج فصَفُّوا بين يديه . فقال : من هذا
الأول ؟ قالوا : إبراهيم الموصلي . فقال : أخرروه وقدموا العباس بن الأحنف . فقدم
فصَلَّى عليهم . فلما فرغ دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعي فقال له :
يا سيدي ، كيف آثرت العباس بالتَّقدِّمة على من حَصَرَ ؟ قال لقوله :

وسعى بها ناسٌ وقالوا إنها لى التى تشقى بها وتكابدُ
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم إني ليعجبني المحبُّ الجاحدُ
ثم قال : آمحفظها ؟ قلت : نعم . قال : فأنشدني باقيها . فأنشدته :

لما رأيتُ الليلَ سدَّ طريقه عني وعدَّ بنى الظلامُ الرَّاكِدُ
والنَّجمُ في كَبِدِ السَّمَاءِ كأنه أعمى تَحَيَّرَ ما لديه قائدُ
ناديتُ من طَرَدِ الرُّقَادِ بصدَّه عما أعالج وهو خُلُوهُ هاجدُ
ياذا الذى صدَّعَ الفُؤادَ ^(١) بهجره أنت البلاء طريفه والتَّالِدُ
أُقيتَ بين جُفون عيني ^(٢) حُرقة فإلى متى أنا ساهِرٌ يراقِدُ
فقال لى المأمون : أليس من قال هذا حَقِيقٌ بالتَّقدِّمة ؟ قلت : بلى
والله يا سيدي .

شعر ابنه إسحاق
في رثائه

ولما توفى إبراهيم الموصلي رثاه ابنه إسحاق بقوله :
سلامٌ على القبر الذى لا يُجيبنا ونحن نُحْيِي تَرْبَهُ ونُخاطِبُهُ
ستَبْكِيه أشرافُ الملوك إذا رأوا محلَّ التَّصَابِي قد خلا منه جانبُهُ
ويبكيه أهلُ الظَّرْفِ طُرًّا كما بكى عليه أميرُ المؤمنين وحاجِبُهُ

(١) فى الأصل : « بصدّه » مكان « بهجره » .

(٢) فى الأصل : « جفوة » مكان « حرقه » .

ولمَّا بدا لي اليأسُ منه وأنزفتُ عيونُ^(١) بواكيه وملّت نواذيه
وصار شِفاه النَّفس من بعد^(٢) فقدّه إفاضة دمع تسهل سواكيه
جعلتُ على عينيّ للصبحِ عَبرةً ولَّيل أُخرى ما بدت لي كواكيه
وقال أيضاً يرثيه :

عليك سلامُ الله من قبرٍ فاجع وجادك من نوّ السما كين وابل
هل أنت تُحيي القبر أم أنت سائل وكيف تُحيي تربةً وجنادل
أظللُ كأني لم تُصنني مُصيبةً وبالصدّر من وجدٍ عليك بلابل
وهوّن عندي فقدّه أن شَخَصَه على كُلِّ حالٍ بين عينيّ مائل
وحكى إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال :

الرشيديعزي إسحاق
ابنه فيه ويصله

دخلت إلى الرّشيد بعقب وفاة أبي ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلما
جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه دمعتُ عيناى ، فكفكفتُهما
وتصبّرت . ولمّحنى الرّشيد فدعاني إليه فأدنانى منه . فقبّلتُ يده ورجله والأرض
بين يديه . فاستعبر ، وكان رقيقاً . فوثبتُ قائماً بين يديه وقلت :

في بقاء الخليفة الميمون خلفٌ من مُصيبة المحزون
لا يَضِيرُ المصابَ حُزنٌ^(٣) إذا ما كان ذا مَفزَعٍ إلى هارون
فقال لي : كذاك هو والله ، ولن تَفقد من أهلك ما دُمتُ حيّاً إلا شَخَصَه .
وأمر بإضافة رِزقه إلى رِزقي . فقلتُ : بل يأمر به أميرُ المؤمنين لولده ، ففي خِدمتي
إيَّاه ما يُغنيني . فقال : اجعلوا رِزق إبراهيم لولده وأضعفوا رِزق إسحاق .

(١) أنزفت العيون : نفذ ماؤها .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « بعض ما بها » مكان « بعد فقدّه » .

(٣) في بعض أصول الأغاني : « رزء » .

أخبار إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيته
وَيُكْنَى أَبُو مُحَمَّدٍ . وَكَانَ الرَّشِيدُ يُولَعُ بِهِ فَيَكْنِيهِ أَبُو صَفْوَانَ . وَهَذِهِ كُنْيَةُ
أَوْقَعَهَا عَلَيْهِ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُصْعَبٍ مَزْحًا .

منزلته في العلم
والغناء
وموضعه من العلم ، ومكانه من الأدب ، ومحله من الرواية ، وتقدمه
في الشعر ، ومنزلته في سائر المجالس ، أشهر من أن يدلّ عليه فيها بوصف . أما
الغناء فكان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به ، وإن كاب الغالب عليه وعلى ما كان
يُحْسِنُهُ ، فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ فِي سَائِرِ أَدْوَانِهِ نَظَرٌ وَأَكْفَاءٌ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي هَذَا نَظِيرٌ ،
لَحِقَ بِهِ مَضَى فِيهِ وَسَبَقَ مِنْ قَدْ بَقِيَ ، فَهُوَ إِمَامُ أَهْلِ صِنَاعَتِهِ وَقُدُوتِهِمْ وَرَأْسِهِمْ
وَمَعْلَمُهُمْ ، وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُنْسَبَ إِلَى الْغِنَاءِ غَايَةَ الْكَرَاهِيَةِ .

تمناه المأمون
للقضاء
وَذُكِرَ أَنَّ الْمَأْمُونَ قَالَ : لَوْلَا مَا سَبَقَ لِإِسْحَاقَ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ وَشُهْرَتِهِ
عِنْدَهُمْ مِنَ الْغِنَاءِ لَوَلِيْتُهُ الْقَضَاءَ بِخَضْرَتِي ؛ فَإِنَّهُ أَعَفٌّ وَأَصْدَقُ وَأَكْثَرُ دِينًا وَأَمَانَةً
مِنْ هَؤُلَاءِ الْقُضَاةِ .

مشايخه في الحديث
وَرَوَى الْحَدِيثَ وَلَقِيَ أَهْلَهُ ؛ مِثْلُ : مَالِكٍ ، وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ ، وَهُشَيْمِ بْنِ بَشِيرٍ ،
وَإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ ، وَأَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ ، وَرَوْحِ بْنِ عُبَادَةَ ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ شُيُوخِ
الْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ .

ضنه بالغناء وما
أحدثه فيه
وَكَانَ مَعَ كَرَاهِيَتِهِ الْغِنَاءَ أَضَنَّ خَلَقَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ بُخْلًا بِهِ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ ،
حَتَّى عَلَى جَوَارِيهِ وَغِلْمَانِهِ وَمَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ .
وَصَحَّحَ أَجْنَاسَ الْغِنَاءِ وَطَرَاتِقَهُ وَمَيِّزَهَا تَمَيِّزًا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ بَعْدَهُ .

أمه
وَأُمُّ إِسْحَاقَ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ ، يُقَالُ لَهَا : شَاهِكُ .

وحكى إسحاق قال : بقيتُ دهرًا من دهرى أغلَس كلَّ يوم إلى هُشيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكسائي ، والفرّاء ، وابن غزّالة ، فأقرأ عليه جزءًا من القرآن . ثم آتى منصورًا ، المعروف بزكزل ، فيضار بنى طَرَقَيْن^(١) أو ثلاثة ، ثم آتى عاتكة بنت شهدة فأخذ منها صوتًا أو صوتين ، ثم آتى الأصمعي وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدّثهما وأستفيد منهما ، ثم صير إلى أبي فاعله ماصنعتُ ومن لقيتُ وما أخذتُ ، وأتعدى معه ، فإذا كان العشاء صرتُ إلى أمير المؤمنين الرشيد .

وحكى أن الواثق بالله كان يقول : ما غنّاني إسحاق قطُّ إلا ظننتُ أنه قد قد زيد في مُلكي ، ولا سمعته قطُّ يغنى غناء ابن سُرّيج إلا ظننتُ أن ابن سُرّيج فيه نُشر ، وإنّه ليحضرنى غيره ، إذا لم يكن حاضرًا ، فيتقدمه عندى بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعنا عندى رأيتُ إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُ أنه يتقدمه ينقص . وإن إسحاق لنعمةٌ من نعم الملوك التي لا يُحصى^(٢) أحدٌ بمثلها ، ولو أن العمر والشباب والنشاط مما يُشترى لا شترتُهُن له بشطر مُلكي .

وذكر أنه سأل إسحاق الموصلي المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والزّواة ، لا مع المغنّين ، فإذا أراد الغناء غنّاه . فأجابه إلى ذلك . ثم سأله بعد مدة طويلة أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ، فأذن له . فقيس : إنَّ محمد بن الحارث بن سُخْرٍ وعَلّويه ومُحارقًا كانوا في حُجرة لهم جلوسًا ينتظرون جلوس المأمون لهم وخروج الناس من عنده ، إذ دخل القاضي يحيى بن أكثم وعليه سواده وطويلته^(٣) ويده في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون . فكاد علّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، سمعتم بأعجب من هذا ! يدخل قاضي القضاة ويده في يد مُعَنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! ثم مضت مدة على ذلك . فسأل إسحاق

(١) الطرق : الصوت والنغمة . (٢) في بعض أصول الأغاني : « لم نخط » .

(٣) السواد : شعار العباسيين . والطويلة : القلنسوة .

هو والمأمون وقد
سأله الدخول مع
العلماء ثم مع الفقهاء

المأمون في لبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة . فضحك المأمون وقال :
ولا كل هذا بإسحاق ! وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ، وأمر له بها .

وذكر أن المغنين كانوا يحضرون مجلس الواثق وعيدانهم معهم ، إلا إسحاق فإنه يحضر بلا عود للشرب والمجالسة . فإذا أمره الخليفة أن يفتي أحضر له عود ، وإذا فرغ وغنى سل من بين يديه إلى أن يطلبه .

شأنه بين المغنين
في حضرة الواثق

وكان الواثق كثيراً ما يكتيه ، رفعا له أن يدعو به باسمه . وكان إذا غنى وفرغ الخليفة من شرب قدحه قطع الغناء ولم يعد منه حرفاً ، إلا أن يكون في بعض بيت فيتمه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

وحكى إسحاق قال :

غنى المأمون في
شعر لذي الرمة
فأجازه وحديث
ذلك

خرجت مخموراً من داري أتسم الهواء ، فمرت برجل يذشد رجلاً معه
لذي الرمة :

ألم تعلمي يا محي أتي وبيننا مهاو لطرف العين فيهن^(١) مطمح
ذكرتك أن مرت بنا^(٢) أم شادن أمام المطايا تشرئب وتسبح
من المؤلفات الرمل أدماه حرّة شعاع الضحى في منها يتوضح
هي الشبه أعطافاً وجيداً ومقلّة وميّة منها بعد أبهى وأملح
لئن كانت الدنيا على كما أرى تباريح من حي فلاموت أروح

فأعجبني وصنعت فيه لحناً غنيت به المأمون ، فأخذت منه مائة ألف درهم .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

هو وإبراهيم بن
المهدي في صوت
غناه عند الرشيد

كنت عند الرشيد يوماً وعنده نداموه وخاصته وإبراهيم بن المهدي ، فقال

الرشيد : غنّ :

(١) في غير التجريد : « مطرح » مكان « مطمح » . (٢) أم شادن : الظبية .

شَرَبْتُ مُدَامَةً وَسُقِيتُ أُخْرَى وَرَاحَ الْمُتَشَشُونَ وَمَا أُنتَشِيتُ
وَقَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

أَعَاذَلُ مَا كَبَّرْتُ فِيَّ مَلَهَى وَلَوْ أَدْرَكْتُ غَايَتَكَ أَتَيْتُ

فَغَنَيْتُهُ . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ فَقَالَ لِي : مَا أَصَبْتَ يَا إِسْحَاقُ
وَلَا أَحْسَنْتَ ! فَقُلْتُ : لَيْسَ هَذَا مِمَّا تَعْرِفُهُ وَلَا تُحْسِنُهُ ! وَإِنْ شِئْتَ فَغَنَّهُ ، فَإِنْ
لَمْ أَجِدْكَ أَنْتَ تُحْطِئُ فِيهِ مِنْذُ ابْتِدَائِكَ إِلَى اتِّهَانِكَ فَدَعَيْ حِلَالٌ . ثُمَّ أَقْبَلْتُ
عَلَى الرَّشِيدِ فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَذِهِ صِنَاعَتِي وَصِنَاعَةُ أَبِي ، وَهِيَ الَّتِي قَرَّبَتْنا
مِنْكَ وَاسْتَخْدَمَتْنا لَكَ ، فَإِذَا نَارَعْنَا أَحَدًا بِلَا عِلْمٍ لَمْ نَجِدْ بُدًّا مِنَ الْإِيضَاحِ وَالذَّبِّ .
فَقَالَ : لَا غَرَوْ وَلَا لَوْمَ عَلَيْكَ . وَقَامَ الرَّشِيدُ لِيُبُولَ ، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ
وَقَالَ : يَا إِسْحَاقُ ، وَيْحَكَ ! تَجْتَرِيءُ عَلَيَّ وَتَقُولُ لِي مَا قُلْتَ يَا بَنَ الْفَاعِلَةِ !
لَا يَكُنِّي . فَدَخَلَنِي مَا لَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي مَعَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَنْتَ تَشْتُمْنِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى
إِجَابَتِكَ ، وَأَنْتَ ابْنُ الْخَلِيفَةِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكُنْتُ أَقُولُ لَكَ : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، كَمَا قُلْتُ لِي :
يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ! أَوْ تَرَانِي كُنْتُ لَا أَحْسَنُ أَنْ أَقُولَ : يَا بَنَ الزَّانِيَةِ ، وَلَكِنْ قَوْلِي فِي
ذِمِّكَ يَنْصَرِفُ كُلُّهُ إِلَى خَالِكَ الْأَعْلَمِ^(١) ، وَلَوْلَاكَ لَذَكَرْتُ صِنَاعَتَهُ وَمَذْهَبَهُ — قَالَ
إِسْحَاقُ : وَكَانَ بِيْطَارًا — قَالَ : ثُمَّ سَكَتُ وَعِلِمْتُ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ سَوْفَ يَشْكُونِي إِلَى
الرَّشِيدِ ، وَسَوْفَ يَسْأَلُ مَنْ يَحْضُرُ عَمَّا جَرَى ، فَيُخْبِرُونَهُ . فَتَلَا فِتْ ذَلِكَ بِأَنْ قُلْتُ :
أَنْتَ تَظُنُّ أَنَّ الْخِلَافَةَ تَصِيرُ لَكَ ، فَلَا تَزَالُ تَتَهَدَّدُنِي بِذَلِكَ وَتُعَادِينِي كَمَا تُعَادِي سَائِرَ
أَوْلِيَاءِ أَخِيكَ حَسَدًا لَهُ وَلَوْلَدِهِ عَلَى الْأَمْرِ ، وَأَنْتَ تَضْمُفُ عَنْهُمْ وَتَسْتَخْفُ
بِأَوْلِيائِهِمْ تَشْفِيًّا ، وَأَرْجُو أَلَّا يُخْرِجَهَا اللَّهُ عَنِ الرَّشِيدِ وَوَلَدِهِ ، وَأَنْ يَقْتَلَكَ دُونَهَا .
فَإِنْ صَارَتْ إِلَيْكَ — وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ — فَحَرَامٌ عَلَيَّ يَوْمُئِذٍ الْعَيْشُ ، وَالْمَوْتُ
أَطْيَبُ لِي مِنَ الْحَيَاةِ مَعَكَ ، فَاصْنَعْ حِينَئِذٍ مَا بَدَا لَكَ . قَالَ : فَلَمَّا خَرَجَ الرَّشِيدُ

(١) الْأَعْلَمُ : الْمَشْقُوقُ الشَّفَّةُ الْعَلِيَا .

وثب إبراهيم وجلس بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين ، شتمنى وذكر أُمى
وُسْتُخَفَّ بى . فَغَضِبَ وقال لى : ويلك ! ما تقول ؟ قلت : لا أعلم ، فَسَلَّ مَنْ
حضر . فَأَقْبَلَ عَلَى مَسْرُورٍ وَحْنَيْنٍ وَسَأَلَهُمَا عَنِ الْقِصَّةِ — فُجِعَا يُخْبِرَانِهِ وَوَجْهُهُ
يَتَرَبَّدُ ^(١) إِلَى أَنْ اتَّهَمَا إِلَى ذِكْرِ الْخِلَافَةِ — فَسُرِّي عَنْهُ وَرَجَعَ لَوْنُهُ . وقال
لِإِبْرَاهِيمَ : لا ذَنْبَ لَهُ ، شَتَمْتَهُ فَعَرَّفَكَ أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى جَوَابِكَ ، ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ
وَأَمْسِكْ عَنْ هَذَا . فَلَمَّا انْقَضَى الْجُلُوسُ وَانْصَرَفَ النَّاسُ أَمَرَ بِأَلَا أُبْرَحَ . وَخَرَجَ
كُلُّ مَنْ حَضَرَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِ . فَسَاءَ ظَنِّي وَأَهْمَنِي نَفْسِي . فَأَقْبَلَ عَلَى وَقَالَ :
يَا إِسْحَاقُ ، أَتُرَانِي لَمْ أَفْهَمْ قَوْلَكَ وَمَرَادَكَ ! قَدْ وَاللَّهِ زَيْنَتُهُ ثَلَاثَ مَرَاتٍ . أَتُرَانِي
لَا أَعْرِفُ وَقَائِعَكَ وَأَقْدَامَكَ وَأَيْنَ ذَهَبْتَ ! وَيْلَكَ ! لَا تَعُدْ . حَدَّثَنِي عَنْكَ :
لَوْ ضَرَبَكَ إِبْرَاهِيمُ أَكُنْتُ أَقْتَصُّ لَكَ مِنْهُ فَأُضْرِبُهُ يَا جَاهِلٌ وَهُوَ أَخِي ! أَتُرَادُ
لَوْ أَمَرَ غُلَامَانَهُ فَقَتَلُوكَ أَكُنْتُ أَقْتُلُهُ بِكَ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ وَاللَّهِ
قَتَلْتَنِي بِهَذَا الْكَلَامِ ، وَلَئِنْ بَلَغَهُ لَيَقْتُلَنِي ، وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُ الْآنَ .
فَصَاحَ بِمَسْرُورٍ وَقَالَ : عَلَى يَا إِبْرَاهِيمَ . فَأَحْضَرَ . فَقَالَ لِي : قُمْ فَأَنْصُرْ . فَقُلْتُ
لِلْمَجَاعَةِ مِنَ الْخُدَمِ ، وَكُلُّهُمْ كَانَ لِي مَحَبًّا وَإِلَيَّ مَائِلًا مُطِيعًا : أَخْبِرُونِي بِمَا يَجْرِي مِنْ
غَدٍ . فَأَخْبَرُونِي أَنَّهُ لَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَبَحَّه وَجَّهَهُ وَقَالَ : أَنْتُخَفُّ بِخَادِمِي وَصَنِيعَتِي ،
وَأَبْنِ خَادِمِي وَصَنِيعَتِي ، وَصَنِيعَةُ أَبِي فِي مَجْلِسِي ، وَتُقَدِّمُ عَلَيَّ ذَلِكَ ، وَتُسْتُخَفُّ بِمَجْلِسِي
وَحَضَرَتْنِي ! هَاهُ ! هَاهُ ! هَاهُ ! أَتُقَدِّمُ عَلَى هَذَا وَأَمْثَالِهِ ! وَأَنْتَ مَالِكٌ وَلِلْغِنَاءِ ؟
وَمَا يُدْرِيكَ مَا هُوَ ؟ وَمَنْ أَخَذَكَ بِهِ وَطَارَحَكَ إِيَّاهُ حَتَّى تَتَوَهَّمُ أَنَّكَ تَبْلُغُ مَبْلَغَ
إِسْحَاقَ الَّذِي غُذِيَ بِهِ وَعُلِّمَهُ وَهُوَ مِنْ صِنَاعَتِهِ ؟ ثُمَّ تَظُنُّ أَنَّكَ تُخَطِّئُهُ فِيمَا لَا تَدْرِيهِ ،
وَيَدْعُوكَ إِلَى إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ فَلَا تُثَبِّتُ لِدَلَالِكَ وَتَعْتَصِمُ بِشَتْمِهِ ، هَذَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
السَّقُوطِ وَضَعْفِ الْعَقْلِ وَسُوءِ الْأَدَبِ مِنْ دُخُولِكَ فِيمَا لَا يَنْسُبُكَ إِلَّا إِلَى فُرْطِ الْجَهْلِ .
أَلَا تَعْلَمُ — وَيْحَكَ — أَنَّ هَذَا سُوءُ أَدَبٍ وَقَلَّةُ مَعْرِفَةٍ وَقَلَّةُ مُبَالَاةٍ بِالْخَطَا وَالتَّكْذِيبِ

والردّ القبيح ! ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلا فأنا بريء من المهلكي ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجر من السماء ، أو سقط من دابّته ، أو سقط عليه سقف ، أو مات فجأة ، لأقتلنك به . والله ، والله ، والله ، وأنت أعلم ، فلا تعرض له . قم الآن فأخرج . فخرج وقد كاد أن يموت .

فلما كان بعد ذلك دخلت عليه وإبراهيم عنده ، فجعل ينظر إليه امرأة وإلى مرة ويضحك ، ثم قال له : إني أعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه وإلى الأخذ عنه ، وأن هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلا بعد أن يرضى ، والرضى لا يكون بمكرهه ، ولكن أحسن إليه وأكرمه وأعرف حقه وبرّه وصلّه ، فإذا فعلت ثم خالف ما تهواه عاقبته بيد مستطيلة منبسطة ولسان منطلق . ثم قال لي : قم إلى مولاك وابن مولاك فقبل رأسه . فقمّت إليه وقام إليّ وأصلح الرشد بيننا .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

صنع في بيتين ودع
بهما الفضل بن
يحيى غناء فأجازوه

لما أراد الفضل بن يحيى بن خالد الخروج إلى خراسان ودعته ، ثم أنشدته
بعد التوديع :

فراقك مثل فراق الحياة وفقدك مثل افتقاد الدائم

عليك السلام فكم من وفاء أفارق فيك وكم من كرم

قال : فضمّني إليه وأمر لي بألف دينار وقال : يا أبا محمد ، لو خلّيت هذين
البيتين بصنعة وأودعتهما من يصحبنا لأهديت لي بذلك أنسا وأدكرتني
بنفسك . ففعلت ذلك وطرحته على بعض الغنّين . فأمر لي بألف دينار .
وكان كتابه لا يزال يرد عليّ ومعه ألف دينار ، يصلني بذلك كلما غني بهذا
الصوت .

أنشد المعتصم بهشته
بالخلافة فأجازه

وحكى إسحاق قال :

لما ولي المعتصم الخلافة دخلتُ إليه في مُجلة الجُلساء والشُعراء ، فهنَّاهُ القوم
نُثْراً ونظماً ؛ وهو ينظرُ إلى مُستنطقاً ، فأُشْدتْهُ :

لاح بالفرق منك القَتِيرُ وذوى غُصْنُ الشَّبابِ النَّصِيرُ
هزئتُ أسماءَ مني وقالت أنت يا ابن الموصليَّ كبير
ورأتُ شيئاً علاني^(١) فصَدَّتْ وأبْنُ سَتَيْنِ بِشَيْبِ جَدِير
قد يفلُّ السَّيفُ وهو جُرَّازُ ويَصُولُ اللَّيْثُ وهو عَقِير^(٢)
يا بَنَى العَبَّاسِ أتمَّ شِفَاءً وضيَاءُ الْقُلُوبِ ونُور
أتمُّ أَهْلُ الخِلافةِ فينا ولكم مِنْبَرُها والسَّرِير
لا يزالُ الْمَلِكُ فيكم مَدَى الدَّهْرِ ر مُقِمّاً ما أقام^(٣) ثَبِير
وأبو إسحاق خَيْرُ إِمَامٍ ماله في الْعَالَمِينَ نَظِير
ماله فيما يَرِيشُ وَيَبْرِى غير تَوْفِيقِ الْإِلَهِ وَزِير
واضحُ الْعُرَّةِ^(٤) لِلْخَيْرِ فِيهِ حين يَبْدُو شَاهِدٌ وبَشِير
زانه هَدَى تَقَى وَجَلالُ وعَفافٌ وَوَفاءُ^(٥) وَخِير
لو تُبَارَى جُودَه الرِّيحُ يوماً نَزَحَتْ وهى طَلِيحٌ^(٦) حَسِير

قال : فأمر لي بِجائزَةٍ فَضَّلاني فيها على الجماعة .

وحكى أحمد بن يحيى المكي قال :

دعاني الفضلُ بن الرَّبِيعِ ودعا عَلَويَه ومُحارِقاً ، وذلك في أَيَّامِ المأمون بعد

هو وعلويه في
مجلس الفضل
ابن الربيع

(١) في بعض أصول الأغاني : « برأسي » مكان « علاني » .

(٢) يفل : يثلم . ونجراز : قاطع . وعقير : مجروح .

(٣) ثبير : جبل بمكة . (٤) في بعض أصول الأغاني : « والخير » مكان « للخير » .

(٥) في بعض أصول الأغاني : « ووقار » . (٦) طليح : هزيل تعب . وحسير :

كايل . والرواية في بعض أصول الأغاني : « نزعته وهى . . . » .

رجوعه له ورضاه عنه ، إلا أن حاله كانت ناقصةً مُتضعفة . فلما اجتمعنا عنده
 كتب إلى إسحاق الموصلي يسأله أن يصير إليه ويعلمه الحال في اجتماعنا عنده .
 فكتب إليه : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلتُ ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة .
 فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قُرب الظهر ^(١) . ثم وافى إسحاق وجاء غلامه
 بقطرميز ^(٢) نبذ قوضه ناحية ، وأمر صاحب الشراب بإسقاؤه منه . وكان علويه
 يُغني الفضل صوتاً . فقال له إسحاق : يا أبا الحسن ، أخطأت في أداء هذا الصوت
 وأنا أصلحه لك . فجُنَّ علويه واغتاض وقامت قيامته . فأقبل إسحاق على علويه
 وقال له : يا حبيبي ، ما أردتُ الوضع منك بما قلته لك ، وإنما أردتُ تهذيك
 وتقويمك لأنك منسوب الخطأ والصواب إلى أبي ، فإن كرهت ذلك تركتُك
 وقلت لك : أجمت وأحسن ! فقال علويه : والله ما أردت هذا ، ولا أردت إلا
 ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ! أخبرني عنك حين تجيء هذا الوقت لما دعاك
 الأمير وعرفك أنه قد نشط للاصطباح ، فما حملك على الترفع عليه في مُباكرته
 وخِدمته ؟ أشغل شغلك عنه مع صنائعه عندك ؟ ولا يقطعك عنه قاطع إلا أن يكون
 الخليفة ! ثم تَجِيئه ومعك قطرميز نبذ ترفعاً عن شرابه كما ترفع عن طعامه
 ومُجالسته ، إلا كما تشتهي وحين تنشط ، كما يفعل الأكفاء ، بل تزيد على فعل
 الأكفاء ! ثم تعمد إلى صوت قد اشتهاه وأقترحه وسمعه كلُّ من حضر ، فما عابه
 منهم أحد ، فتعيبه لِيَتِمَّ تنغيصُك إياه لذته ! أما والله لو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر ،
 لا والله بل بعض أتباعهم ، دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير ، لبادرت وما تأخرت
 ولا اعتذرت ! فأمسك الفضل عن الجواب إعجاباً بما خاطب به علويه إسحاق :
 فقال له إسحاق : أما ما ذكرته من تأخري عنه إلى هذا الوقت الذي ذكرت

(١) هذه رواية الأصل . والذي في الأغاني : « العصر » .

(٢) القطرميز : القلة الكبيرة من الزجاج .

وحضرتُ فيه ، فهو يعلم أنى لا أتأخر فيه إلا بعائق قاطع ، فإن وثق بذلك متى وإلا ذكرتُ له الحجة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل .
وأما ترفعى عنه فكيف أترفع عنه وأنا أنتسب إلى صنّاعه وأستمنحه وأعيشُ في فضله مذكنتُ أنا وأبى ، وهذا تضريب ^(١) لا أبالى به منك . وأما حملى التّبيذ معنى ، فإن لى فى التّبيذ شرطاً من طعمه وريحه إن لم أجده لم أقدر على الشّرب وتنفّص علىّ يومئذ ، وإنما حملته معى ليم نساطى فينتفع بى . وأما طعنى على ما اختاره ، فإنى لم أطعن على اختياره ، وإنما أردتُ تقويمك ، ولست والله ترانى مُتّبِعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقوِّماً شيئاً من خطئك ، وأنا أغنى له — أعزّه الله — هذا الصوت فيعلم وتعلم ويعلم الحاضرون أنك قد أخطأت فيه وقصّرت . وأما البرامكة فأمرهم أشهر من أن أجحده ، وإنى لحقيق فيه بالمعذرة ، وأحرى أن أشكرهم على صنيعهم وبأن أذيعه وأنشره ، وذلك والله أقل ما يستحقونه منى . ثم أقبل على الفضل — وقد غاظه مدحُ للبرامكة — وقال : أسمع منى شيئاً أخبرك به مما فعلوه بى ، ليس بكثير فى صنائعهم عندى ولا عند أبى قبلى ، فإن وجدت لى فى ذلك عُذراً وإلا فلم : كنتُ فى ابتداء أمرى نازلاً مع أبى فى داره ، فكان لا يزال يجرى بين غلمانى وغلمانة وجوّارى وجوّاريه الخُصومة ، كما يجرى بين هذه الطّيقات ، فيشكونهم إليه ، فأتين الضّجر والتّكبر فى وجهه . فاستأجرتُ داراً بقربه أنتقلتُ إليها أنا وغلمانى وجوّارى ، وكانت داراً واسعة ، فلم أرضَ ما معى من الآلة لها ولا لمن يدخل إلى من إخوانى أن يروا مثله عندى ، ففكرتُ فى ذلك وكيف أصنع فيه ، وزاد فِكرى حتى خطر بقلبي قُبْحُ الأحداثِ من نزول مثلى فى دارٍ بأجرة ، ولا آمن فى وقت أن يستأذن علىّ صاحبُ دارى وعندى من أحشمه ولا يعلم حالى ، فيقول لى غلامى : صاحب دارك على الباب . أو يوجّه

في وقتٍ فيطلبُ أجرة الدار وعندى من أحتشمه ، فضاق بذلك صدرى ضيقاً شديداً حتى جاوز الحد . فأمرتُ غلامى أن يسرج لى حماراً كان عندى لأمضى إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخلنى . فأسرجه . فركبتُ برداء ونعل . فأفضى بى المسير ، وأنا مفكر لا أميز الطريق التى أسلك فيها ، حتى همم بى على باب يحيى ابن خالد ، فوثب غلمانهُ وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير . فدَخَلوا وأستأذنوا لى ، وخرج الحاجبُ فأمرنى بالدخول ، وبقيتُ خَجِلاً قد وقعتُ فى أمرين قبيحين : إن دخلتُ عليه فى رداء ونعل وأعلمتُهُ أنّى قصدته فى تلك الحال كان سوء أدب ، وإن قلتُ له : كنتُ مُجتازاً ولم أقصدك فجعلتُك طريقاً ، كان قبيحاً . ثم عزمتُ على صدقه فدخلتُ . فلما رآنى تبسّم وقال : ما هذا الزى يا أبا محمد ! احتسبنا لك بالبرّ والقصد والتفقد ، ثم علمنا أنك جعلتنا طريقاً . فقلت : لا والله أيها الوزير ولكنى أصدّقك . قال : هات . فأخبرته القصة من أولها إلى آخرها . فقال : هذا حقٌ مستور ، أفهذا شغل قلبك ؟ فقلت : إى والله ! وزاد فقال : لا تشغل قلبك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلمة . فجاءونى بخِلمة تامة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلتُ ، ووُضع النيذ فشربتُ وشرب ، فغنيته . ودعا فى وسط ذلك بدواة فكتب أربع رِقايع ظننتُ بعضها جائزة لى ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليهِ الرِقايع وسارّه بشيء ، فزاد طمعى فى الجائزة . ومضى الرجلُ وجلسنا نشرب وأنا أنتظر ، فلا أرى شيئاً إلى العتمة . ثم أتكا يحيى فنام ، وقتُ من عنده منكسراً خائباً ، فخرجتُ وقُدّم إلى حمارى . فلما تجاوزتُ الدار قال لى غلامى : إلى أين تَمْضى ؟ قلت : إلى البيت . قال : قد والله بيعت دارك وأشهد على صاحبها وأبيع الدرب كُلّه ووُزن ثمنهُ ، والمشتري جالسٌ على بابك ينتظرك ليُعرفك ، وأظنّه أبيع ذلك كُلّه للسُلطان ، لأننى رأيتُ الأمر فى مجلته واستحثّاه أمراً سلطانياً . فوقعتُ من ذلك فيما لم يكن فى حسابى ،

وأنا لا أدري ما أعمل . فلما نزلتُ على باب دارى إذا أنا بالوكيل الذى سارّه
الوزير يحيى قد قام إلىَّ فقال : أدخل دارك حتى أدخل إليك فى أمر أحتاج فيه
إلى مخاطبتك . فطابتُ نفسى بذلك ، فدخلتُ . فأقرأنى الكتاب وتوقيع يحيى :
يُطلق لأبى محمد مائة ألف درهم يُبتاع له بها داره وجميع ما يُجاورها ويُلصقها .
والتوقيع الثانى إلى ابنه الفضل : قد أمرتُ لأبى محمد بمائة ألف درهم يُبتاع له بها
داره ، فأطلق له مثلها لينفقها على إصلاح الدار كما يريدو بنائها كما يشتهى .
والتوقيع الثالث إلى جعفر : قد أمرتُ لأبى محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له
بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بمائة ألف درهم يُنفقها على بنائها وممرتها على
ما يريد ، فأطلق له أنت مائة ألف درهم يُبتاع له بها فرش لمنزله . والتوقيع الرابع
إلى محمد : قد أمرتُ أنا وأخوأك لأبى محمد إسحاق بثلاثمائة ألف درهم لمنزل يُبتاعه ،
ونفقة يُنفقها عليه ، وفرش يُبتذله فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم يصرفها فى سائر
نفقته . وقال لى الوكيل : قد حملتُ المال فأبتعتُ كل شيء جاورك بتسعين ألف
درهم ، وهذه كتب الأبتاعات بأسمى والإقرار لك . وهذا المال بُورك لك فيه
فأقبضه . فقبضته وأصبحتُ أحسن حالاً من أبى فى منزلى وفرشى وآلتى ،
ولا والله ما هذا بأكبر شيء فعلوه معى ، أفألام على شكرهم ! فبكى الفضلُ
ابن الربيع وكُل من حضر وقالوا : لا والله لا تلام على شكر هؤلاء .

ثم قال له الفضل : بحياتى غنَّ الصوت ولا تبخل على أبى الحسن علويه بأن
تقومه له . فقال : أفعَل . فغناه ، وتبين علويه أنه كما قال . فقام فقبل رأسه
وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا وأحتملنا من كل أحد . وردده
إسحاق مراتٍ حتى أَسْتوى لعلويه .

وحكى إسحاق الموصلى قال :

قال لى الواثق : لقد ضحك الشَّيب فى عارضيك . فقلت : نعم ، وبكى . ثم
قلت أحياناً فى الوقت وغنيتُ فيها ، وهى :

ذكره الواثق
بالشَّيب ، فبكى
وقال شعراً غنى فيه

تولّى شبابك إلّا قليلاً وحلّ المشيبُ فصبراً جميلاً
كفى حزنًا بفراق الصّبا وإن أصبح الشيبُ منه بديلاً
ولما رأى الغاياتُ المشدّ سبّ أغضينَ دونك طَرْفاً كليلاً
سأندُب عهداً مضى للصّبا وأبكى الشبابُ بكاءً طويلاً

قال : فبكي الواثق وحزن وقال : والله لو قدرتُ على ردّ شبابك لفعلتُ
ولو بشطرٍ ملكي . فلم يكن لكلامه عندى جواب إلا تقبيل البساط بين يديه .
وحكى إسحاق قال :

قلتُ في ليلة من الليالي :

هل إلى نظرةٍ إليك سبيلُ يُرو^(١) منها الصّدَى ويُسقى الغليلُ
إن ما قلّ منك يكثرُ عندى وكثيرٌ ممن تُحب القليل
فلما أصبحتُ أنشدتهما الأصمعي ، فقال : هذا الديباجُ الخُشرواني^(٢) ! هذا
الوشى الإسكندراني ! لمن هذا ؟ فقلتُ : إنه ابن ليلته . فتبينتُ الحسد في وجهه
وقال : أفسدته ! أفسدته ! أما إنّ التوليد فيه بين .

وذكر عليّ بن يحيى أنّ إسحاق الموصلي كان يُعجب بمعنى هذين البيتين
بينه وبين عليّ ابن يحيى في معنى
المدكورين ويكرره في شعره ويرى أنه ما سبق إليه . فمن ذلك قوله :
كان يستجيده

أيها الظبي الغريرُ هل لنا منك مُجيرُ
إن ما نولتني منك وإن قلّ كثيرُ

قال : فقلت له : إنك سُبقتَ إلى هذا المعنى . فقال : ما علمتُ أن أحداً
سَبَقني إليه . فأنشدته لأعرابي من بني عُقيل :

(١) جزم الفعل هنا لضرورة الشعر .

(٢) نسبة إلى خسرو شاه ، من الأكاسرة ، وكان ينسب إليه نوع من الثياب .

قَفِي وَدَعِينَا يَا مُلِيحٌ بِنَظَرَةٍ فَقَدْ حَانَ مِنَّا يَا مُلِيحَ رَحِيلِ
أَلَيْسَ قَلِيلاً نَظَرَةٌ إِنْ نَظَرْتُهَا إِلَيْكَ وَكَلاَّ لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلِ
عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مَلَاثُ^(١) إِزَارَهَا فَدَغِصُ^(٢) وَأَمَّا خَضَرُهَا فَنَحِيلِ
أَيَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَيَا غَايَةَ الْمَنَى وَيَا سُؤْلَ نَفْسِي هَلْ إِلَيْكَ سَبِيلِ
أَرَا جَعَلْتُ نَفْسِي إِلَى فَأَغْتَدِي مَعَ الرَّكْبِ لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْكَ قَتِيلِ^(٣)
فَمَا كُلَّ يَوْمٍ لِي بِأَرْضِكَ حَاجَةٌ وَلَا كُلَّ يَوْمٍ لِي إِلَيْكَ رَسُولِ
قال : خلف أنه ما سمع بذلك قط . قال علي بن يحيى : صدق ، ما سمع بها .

وحكى الأصمعيُّ قال :

نال جائزة الرشيد
دون الأصمعي

دخلتُ أنا وإسحاق بن إبراهيم الموصلي يوماً على الرشيد ، فرأيتُه لَقِسَ
النَّفْسَ^(٤) فأنشده إسحاق :

وَأَمْرَةٍ بِالْبُخْلِ قَلْتُ لَهَا أَقْصُرِي فَذَلِكَ شَيْءٌ مَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
أَرَى النَّاسَ خُلَّانَ الْكَرِيمِ وَلَا أَرَى بَخِيلًا لَهُ حَتَّى الْمَمَاتِ خَلِيلِ
وَإِنِّي رَأَيْتُ الْبُخْلَ يُزْرِي بِأَهْلِهِ فَأَكْرَمْتُ نَفْسِي أَنْ يُقَالَ بِخِيلِ
وَمَنْ خَيْرَ خَلَاتٍ الْفَتَى قَدْ^(٥) عَلِمْتِهِ إِذَا نَالَ خَيْرًا أَنْ يُقَالَ نَبِيلِ
فَعَالِي فَمَالُ الْمُكَثَرِينَ تَجْمُلًا وَمَالِي كَمَا قَدْ تَعْلَمِينَ قَلِيلِ
وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقْرَ أَوْ أَحْرَمُ الْغِنَى وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيلِ
فقال الرشيد : لَا تَخَفْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ دُرُّ أَيْبَاتِ تَأْتِينَا بِهَا !
مَا أَشَدُّ أَصُولَهَا ! وَأَحْسَنُ فُصُولَهَا ! وَأَقْلَّ فُضُولَهَا ! وَأَمْرٌ لَهُ بِخَمْسِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ .

(١) ملاث الإزار : ما دون الحصر .

(٢) الدغص ، بالكسر : القور من الرمل . والرواية في الأغاني : « فوعث » . والوعث : اللين .

(٣) في الأغاني : « لم يقتل » .

(٤) لقس النفس : غشا .

(٥) الرواية في الأغاني والأمالى (١ : ٧١) : « ومن خير حالات الفتى لو علمته » .

فقال له إسحاق : وَصَّفُكَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِشِعْرِي أَحْسَنُ مِنْهُ ، فَعَلَامُ آخُذُ
الْجَائِزَةَ ! فَضَحَكَ الرَّشِيدُ وَقَالَ : أَجْعَلُوا لِهَذَا الْقَوْلِ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

قال الأصمعي : فَعَلِمْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ إِسْحَاقَ أَحْذَقَ بِصَيْدِ الدَّرَاهِمِ مِنِّي .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

حضر عند الفضل
دخول ابن ابنه
عبد الله عليه
فقال شعراً سره به

كُنْتُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ يَوْمًا ، فَدَخَلَ إِلَيْهِ ابْنُ أُنْتَهَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ
ابن الفضل ، وهو طفل ، وكان يَرْقِّ عَلَيْهِ لِأَنَّ وَالِدَهُ مَاتَ فِي حَيَاتِهِ . فَأَجْلَسَهُ
فِي حِجْرِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَنْشَأْتُ أَقُولُ :

مَدَّ لَكَ اللَّهُ الْحَيَاةَ مَدًّا حَتَّى تَرَى ^(١) أَبْنَكَ هَذَا جَدًّا
مُؤْتَزَّرًا بِمَجْدِهِ ^(٢) مُرْدَى ثُمَّ يُفْدَى مِثْلَ مَا تُفْدَى
أَشْبَهَ مِنْكَ سُنَّةً ^(٣) وَخَدًّا وَشِيئًا مَرْضِيَّةً وَبَجْدًا
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدَّى شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا

قال : فَتَبَسَّمَ الْفَضْلُ وَقَالَ : أَمَتْنِي اللَّهُ بِكَ أَبَا مُحَمَّدٍ ، فَقَدْ عُوْضْتُ مِنَ الْحُزَنِ
سُرُورًا ، وَتَيَمَّمْتُ ^(٤) بِقَوْلِكَ ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وحكى إسحاق قال :

غضب عليه
الفضل بسبب
ابن دخان
فترضاه بشعر

أَتَانِي الزُّبَيْرُ بْنُ دَخَانَ يَوْمًا مُسَلِّمًا فَاحْتَبَسْتُهُ ، فَقَالَ لِي : قَدْ أَمَرَنِي الْفَضْلُ
ابن الربيع بالمصير إليه . فَقُلْتُ لَهُ :

أَقِمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ وَيْحَكَ نَشْرِبِ وَنَلْهُو مَعَ اللَّاهِبِينَ يَوْمًا وَنَطْرِبِ
إِذَا مَا رَأَيْتَ الْيَوْمَ قَدْ بَانَ خَيْرُهُ فَخُذْهُ بِشُكْرٍ وَأَتْرُكْ الْفَضْلَ يَغْضِبِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « يَكُونُ » .

(٢) مُؤْتَزَّرٌ : مِنَ الْإِزَارِ . وَمُرْدَى : مِنَ الرَّدَاءِ . وَالرَّوَايَةُ فِي غَيْرِ التَّجْرِيدِ : « مُؤْزَّرًا ... » .

(٣) السَّنَةُ : الْوَجْهُ .

(٤) فِي الْأَغَانِي : « وَتَسْلَيْتُ » .

قال : فأقام عندى وشربنا يوماً . ثم صار إلى الفضل بن الربيع ، فسأله عن سبب تأخيره عنه . فحدثه الحديث وأشده الشعر . فغضب على وحول وجهه عني وأمر حاجبه عوناً ألا يدخلني ، ولا يستأذن لي عليه ، ولا يوصل لي رقعة إليه . فقلت :

حرامٌ علىِّ الراح^(١) ما دمتَ غضباناً وما لم يعد عني رضاك كما كانا
فأحسنُ فإني قد أسأتُ ولم تزلْ تعودني عند الإساءة إحساناً
قال : فأشدته إياها . فرضى عني وعاد إلى ما كان عليه لي .

وذُكر أن جعفر بن يحيى عتب على إسحاق الموصلي في عدم غشيانه له . فاعتذر بأن حاجبه — وكان اسمه نافذاً — لا يأذن له عليه ، وأنه كلما جاء يحجبه عنه . فقال له جعفر : إذا حجبك فنل منه^(٢) . قال إسحاق : فأقمتُ أياماً ثم كتبتُ إلى جعفر :

جعلتُ فداءك من كل سوء إلى حسن رأيك أشكو أناساً
يحولون بيني وبين السلام فلست أسلم إلا اختلاسا
وأنفدتُ أمرك في نافذ فما زاده ذاك إلا شماسا
فلما وقف عليها جعفر بعث فأحضرني . فلما دخلتُ إليه ، أحضر نافذاً وقرأ الأبيات عليه وقال لي : فعلتها يا عدو الله ! فغضب نافذ حتى كاد يبيكي ، وجعفر يصفق ويضحك . ثم لم يعد نافذ إلى التعرض لي .

وذُكر إن إسحاق الموصلي كان عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعب ، فلما جلس للشراب جعل الغلمان يستقون من حضر . فجاء غلام قبيح الوجه إلى إسحاق بقدح فيه نبيذ ، فلم يأخذه منه ، وراه إسحاق المصعبى فقال له : لم لا تشرب ؟ فكتب إليه إسحاق الموصلي :

(١) في الأغاني : « الكأس » .

(٢) مكان هذه الكلمة في الأصول أخرى صريحة .

هو وجعفر
ابن يحيى و غلامه
نافذ وقد حجبه

شعره في غلام
قبيح للمصعبى أبي
القدح منه

أَصْبَحْ نَدِيمَكَ أَقْداحاً مُسْلَسَةً مِنْ الشَّمُولِ^(١) وَأَتَّبِعْهَا بِأَقْداحِ
 مِنْ كَفِّ رَيْمٍ مَلِيحٍ الدَّلَّ رَيْقَتُهُ بَعْدَ الْهُجُوعِ كَمِسْكَ أَوْ كَتْفُفَاحِ
 لَا أَشْرَبُ الرِّاحَ إِلَّا مِنْ يَدَيِ رَشَاءٍ تَقْبِيلُ رَاحَتِهِ أَشْهَى مِنَ الرِّاحِ
 فضحك ثم قال : صدقت والله ! ثم دعا بوضيفة كأنها صورة ، تامه الحسن ،
 لطيفة الخصر ، في زى غلام ، عليها أقبية^(٢) ومنطقة ، فقال لها : تَوَلَّى سَقَى
 أبي محمد . فما زالت تسقيه حتى سكر ، ثم أمر بتوجيهها إليه وجميع مالها .
 فحملت معه .

هو وطلحة يدوقعة
 الشراة وجوانزه إليه

وحكى إسحاق الموصلي قال :

بعث إلى طلحة بن طاهر بن الحسين ، وقد أنصرف من وقعة الشراة^(٣) ،
 وقد أصابته ضربة في وجهه ، فقال لى الخادم : أجب الأمير . فقلت : وما يعمل ؟
 قال : يشرب . فمضيت إليه ، فإذا هو جالس قد عصب ضربته وتقلنس بقلنسوة .
 فقلت له : سبحان الله ! ما حملك على لبس هذا أيها الأمير ! قال : التبرم بغيره .
 ثم قال : غَنَيْتُ :

إِنِّي لَا كُنِي بِأَجْبَالٍ عَنْ أُجْبُلِهَا وَبِأَسْمِ أوديةٍ عَنْ أَسْمِ وادِيهَا
 عَمْدًا لِيَحْسِبَهَا الْوَاشُونَ غَانِيَةً أُخْرَى وَتَحْسِبُ أَنِّي لَا أَبَالِيهَا
 وَلَا يُغَيِّرُ وَدِّي أَنْ أَهَاجِرَهَا وَلَا فِرَاقُ نَوَى فِي الدَّارِ أَنْوِيهَا
 وَلِلْقُلُوصِ وَلِي مِنْهَا إِذَا بَعُدَتْ بَوَارِحُ الشَّوْقِ تُنْضِيْنِي وَأُنْضِيهَا
 قال : فغَنَيْتُهُ إِيَّاهُ . فقال : أَحَسَنْتَ وَاللَّهِ ! أَعِذْ . فَأَعِدْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَشْرَبُ ،
 حَتَّى صَلَّى الْعَتَمَةَ ، وَأَنَا أُغْنِيهِ إِيَّاهُ . فَأَقْبَلَ عَلَى خَادِمٍ لَهُ بِالْحَضْرَةِ وَقَالَ لَهُ : كَمْ عِنْدَكَ ؟
 قال : مَقْدَارُ سَبْعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . قال : تَحْمِلْ مَعَهُ . فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ تَبِعَنِي

(١) الشمول : الخمر . والرواية في بعض الأصول : « يسلسلها » مكان « مسلسلة » .

(٢) الأقبية : ثياب تلبس فوق الثياب . الواحد : قباء .

(٣) الشراة : الخوارج .

جماعة من العلماء يسألونني ، فوزعت المال بينهم . فرُفع الخبر إليه فأغضبه ، ولم يُوجِّه إليّ ثلاثاً . فجلستُ وتناولت الدواء والقرطاس فقلت :

علمني جُودُكَ السَّامِحَ فما أبقيتُ شيئاً لذيٍّ من صِلَتِكَ
لم أبقِ شيئاً إلا سمحتُ به كأنَّ لي قُدْرَةً كَمَقْدَرَتِكَ
تُتلف في اليوم بالهبات وفي السَّاعة ما تَجْتَنِيهِ في سَنَتِكَ
فلستُ أدرى من أين تُنفق لو لا أَنَّ ربي يَمْزِي على هِبَتِكَ

فلما كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصرتُ إليه فدخلتُ عليه وسلمت .
فرفع بصره إليّ وقال : أسقوه رطلاً . فسقيته . فأمر لي بآخِر . فشربت ثلاثة .
ثم قال : غني :

* إني لأَكْنِي بأَجبالٍ عن أَجْلِها *

فغنيته إياه ، ثم أتبعته الأبيات التي قلتها . وقد كنتُ غنيته فيها لحناً في طريقة
الصَّوت . فقال لي : أدن . فدنوتُ . فقال : اجلس . فجلستُ . فأستعاد الصوتُ
الذي صنعتُهُ . فأعدتُهُ . فلما فهمه وعرف المعنى في الشعر قال لخادم له : أحضر لي
فلاناً . فأحضره . فقال : كم قبلك من مال الضَّياع ؟ قال : ثمانمائة ألف درهم .
قال : أحضرنيها الساعة . فجيء بثمانين بَدْرَةً . فقال للخادم : جئني بثمانين غلاماً
مملوكاً . فأحضروا . فقال : أحملوا المال . ثم قال لي : يا أبا محمد ، خذ المال والمالِك
حتى لا تحتاج إلى أحد تُعْطيه شيئاً^(١) .

وحكى إسحاق قال :

استدنانِي المأمونُ يوماً وهو مُستلقٍ على فراشٍ حتى صارت رُكبتِي على
الفراش ، ثم قال : يا أبا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل
كذا ، حتى عدَدَ جماعةً من خواصِّه . فقلت له : أنت يا سيدي بتفضلك عليّ
وحسن رأيك في ظننتَ أنّي ممن يُشاور في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدِّي ، وهذا

شكا إليه المأمون
أصحابه ، ثم غناه
فأجازه

(١) الرواية في الأغاني : « حتى لا تحتاج أن تعطى لأحد منهم شيئاً » .

رَأَى يَجَلَّ عَنِّي وَلَا يَبْلُغُهُ قَدْرِي . فقال : وَلَمْ وَأَنْتَ عَالِمٌ عَاقِلٌ نَاصِحٌ ؟ فقلت : هذه
الْمَنْزِلَةُ عِنْدَ سَيِّدِي عَلَّمَتْنِي أَلَّا أَقُولُ إِلَّا مَا أَعْرِفُ وَلَا أَطْلُبُ إِلَّا مَا أُنَالُ . فضحك
وقال : قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ صَنَعْتَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ لِحْنًا فِي شِعْرِ الرَّاعِي وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْكَ .
فقلت : يَا سَيِّدِي ، مَا سَمِعَهُ أَحَدٌ إِلَّا جَوَارِيَّ ، وَلَا حَضَرْتُ عِنْدَكَ مِنْذُ صَنَعْتُهُ .
فقال : غَنَّهُ . فقلت : الْهَيْبَةُ وَالصَّحْوُ يَمْنَعَانِي أَنْ أُؤْذِيَهُ كَمَا أُرِيدُ ، فَلَوْ أَنَّ سَ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَهُ بِشَيْءٍ يُطْرَبُهُ وَيَقْوَى طَبِيعَتَهُ كَانَ أَجُودَ . فَأَمَرَ لِي بِالْغَدَاءِ ، فَتَغَدَّيْنَا .
وَمُدَّتِ السَّتَارَةُ وَتَغْنَى مَنْ وِرَاءَهَا ، وَشَرَبْنَا أَقْدَاحًا . فقال : يَا إِسْحَاقُ ، أَمَّا جَاءَ
أَوَانُ الصَّوْتِ ؟ فقلت : بَلَى يَا سَيِّدِي . وَغَنِيَّتُهُ لِحْنِي هَذَا فِي شِعْرِ الرَّاعِي :

أَلَمْ تَسْأَلْ بَعَارِمَةَ^(١) الدِّيَارَا عَنْ الْحَيِّ الْمُفَارِقِ أَيْنَ سَارَا
بَلَى سَاءَ لَهَا فَأَبَتْ جَوَابًا وَكَيْفَ تُسَائِلُ الدَّمْنَ الْقِفَارَا

فَأَسْتَحْسِنُهُ ، وَمَا زَالَ يَشْرَبُ عَلَيْهِ سَائِرُ يَوْمِهِ ، وَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، لَا طَلَبَ
بَعْدَ وَجُودِ الْبُعْيَةِ ! مَا أَشْرَبَ بَقِيَّةَ يَوْمِي إِلَّا عَلَى هَذَا الصَّوْتِ . ثُمَّ وَصَلَنِي وَخَلَعَ
عَلَيَّ خَلْعَةً مِنْ ثِيَابِهِ .

وحكى إسحاق قال :

صلة الواصل له
وقد خرج معه إلى
النجف

مَا وَصَلَنِي أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ قَطُّ بِمِثْلِ مَا وَصَلَنِي الْوَائِقُ ، وَقَدْ أُنْحَدَرْتُ مَعَهُ إِلَى
النَّجَفِ ، فقلت له : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ قَلْتُ فِي النَّجَفِ قَصِيدَةً . فقال : هَاتِهَا .
فَأَنشَدْتُهُ :

لَمْ يَنْزِلِ النَّاسُ فِي سَهْلٍ وَلَا جَبَلٍ أَصْفَى هَوَاءَ وَلَا أَعْدَى^(٢) مِنَ النَّجَفِ
حُفَّتْ بَيْرٌ وَبَحْرٌ مِنْ جَوَانِبِهَا فَالْبُرُّ فِي طَرْفٍ وَالْبَحْرُ فِي طَرْفٍ
وَمَا يَزَالُ نَسِيمٌ مِنْ يَمَانِيَةٍ يَأْتِيكَ مِنْهَا بَرِيًّا رَوْضَةً أَنْفِ

(١) عارمة : موضع في ديار بني عامر بنجد .

(٢) أعذى : أطيب هواء .

فقال : صدقت يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أنشدته حتى انتهت إلى قولى
فى مدحه :

لا يحسب الجودَ يُفنى ماله أبداً ولا يرى بذل ما يحوى من السرف
ومضيتُ فيها حتى أتممتها . فطرب وقال : أحسنت والله يا أبا محمد ! وكنائى
يومئذ ، وأمر لى بمائة ألف درهم . فأنحدرنا إلى الصالحية ، فذكرت الصبيان
وبغداد فقلت :

أتبكي على بغدادَ وهى قريبةٌ فكيف إذا ما أزددتَ عنها غداً بُعداً
لعمرك ما فارقتُ بغدادَ عن قلى لو أننا وجدنا عن فراق لها بُعداً
إذا ذكرتُ بغدادَ نفسى تقطعتُ من الشوق أو كادتُ تهيم بها وجداً
كفى حزناً أن رُحْتُ لم أستطع لها وداعاً ولم أحدثُ لساكنها عهداً

قال : فقال لى : يا موصلى ، أشتقت إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ،
ولكن من أجل الصبيان قد حضرني بيتان . فقال : هاتهما . فأنشدته :

حننتَ إلى أصيبةٍ صغارٍ فشاقتك منهم قربُ المزارِ
وأبرحُ ما يكون الشوقُ يوماً إذا دنتِ الديار من الديارِ

فقال لى : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغدادَ فأقم مع عيالك شهراً ثم سِرْ إلينا ، وقد
أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

قيل :

صنع الوراق لحناً
وصنع هو خيراً
منه

وكان الوراق عالماً بصناعة الغناء ، فعمل لحناً فى قول بعض الأعراب :
فيا نُحْيِ الموتى أعنى على^(١) التى بها نهات نفسى سقاماً وعلتِ

(١) الرواية فى الأغانى : « أيا منشر الموق أقفى من التى » .

وهذا البيت من أبيات غزلة رقيقة ، وهى :

ألا قاتل الله الحمامة غُدوةً على الأيِّك ماذا هيَّجَتْ حين غَنَّتِ
تَفَنَّتْ بصوت أعجميٍّ فهَيَّجَتْ من الوجد ما كانت ضلوعى أجَنَّتِ
فلو قطرت عينُ امرئٍ من صبايةٍ دماً قطرت عيني دماً أو أَلَمَّتِ
فما سكنت حتى أُوِيْتُ لصوتها وقلتُ أرى^(١) هذى الحمامة جُنَّتِ
ولى زفراتٌ لو يَدُمن قتلنى بشوقٍ إلى نأىِ التى قد تَوَلَّتِ
إذا قلتُ هذى زفرةٌ اليوم قد مضتُ فمن لى بأخرى فى غدٍ قد أَظَلَّتِ
فيا نحى الموتى أعني على^(٢) التى بها نهلت نفسى سقاماً وعلَّتِ
فقد بَحَلْتُ حتى لو أنى سألْتُها قَذَى العين من سافى التراب لَضَنَّتِ
فقلتُ أرحلاً يا صاحبي فليتنى أرى كُلَّ نفسٍ أعطيت ما تَمَنَّتِ
حلفتُ لها بالله ما أمُّ واحدٍ إذا ذكرته آخرَ الليل^(٣) أنْتِ
وما وَجَدُ أعرابيةً قذفتُ بها صُروفُ النوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
تَمَنَّتْ^(٤) أحوالِبَ الرِّعاء وخيمَةً بنجدٍ فلم يَقْدِرْ لها ما تَمَنَّتِ
إذا ذكرتُ ماءَ العِصاه وطيبه وبرَدَ الحِمى من بطن خَبَتِ^(٥) أَرَنْتِ
بأكثر منى لوعةٍ غير أننى أَجْمِجُ أحشائى على ما أَجَنَّتِ

وكان الواثق إذا صَنع فى شعر غناء قال لإسحاق الموصلي : هذا وقع الباردة فأسمعه . فكان ربما أصلح فيه الشيء بعد الشيء .

(١) فى أصول الأغانى : « ترى » .

(٢) فى أصول الأغانى : « أفلدى من » .

(٣) فى أصول الأغانى : « حنت مكان » أنت .

(٤) هذا البيت ساقط من أصول الأغانى . والأحوالِب : جمع إحلاب ، وهو اللبن المحلوب .

(٥) العِصاه : ضرب من الشجر له شوك . والخبِيت : ما اطمان من الأرض .

فكاده مُخارق عند إسحاق وقال : إنما يَسْتَجِدُّ صَنَعَتَكَ إِذَا حَضَرَ لِيُقَارِبَكَ
وَيَسْتَخْرِجُ مَا عِنْدَكَ ، فَإِذَا فَارَقَ حَضْرَتَكَ قَالَ فِي صَنَعَتِكَ غَيْرَ مَا تَسْمَعُ : فَقَالَ
الوَائِقُ : فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقِفَ عَلَى ذَلِكَ . قَالَ مُخَارِقُ : فَأَنَا أَغْنِيهِ : « أَيَا مُحْيِي
الْمَوْتِ » فَإِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ لَكَ وَلَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَحَدٍ . فَلَمَّا دَخَلَ إِسْحَاقُ غَنَاهُ مُخَارِقُ
وَتَعَمَّدَ لِأَنَّهُ يُفْسِدُهُ بِجَهْدِهِ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ خَفِيَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا الْوَائِقُ مِنْ
قِسْمَتِهِ . فَلَمَّا غَنَاهُ ، قَالَ الْوَائِقُ لِإِسْحَاقَ : كَيْفَ تَرَى هَذَا الصَّوْتُ ؟ قَالَ : فَاسِدٌ
غَيْرَ مَرْضِيٍّ . فَأَمَرَ بِهِ فَسُحِبَ مِنَ الْمَجْلِسِ حَتَّى أُخْرِجَ عَنْهُ ، وَأَمَرَ بِنَفْيِهِ إِلَى
بَغْدَادٍ . ثُمَّ جَرَى ذِكْرُهُ يَوْمًا ، فَقَالَتْ لَهُ قَرِيدَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَادَهُ
مُخَارِقُ فَأَفْسَدَ الصَّوْتُ مِنْ حَيْثُ أَوْهَمَكَ أَنَّهُ زَادَ فِيهِ بِحَذْفِهِ نَعْمًا وَجَوْدَهُ ، وَإِسْحَاقُ
يَأْخُذُ نَفْسَهُ بِقَوْلِ الْحَقِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ سَاءَ أَوْ سَرَّهَ . وَيَقْفَهُمْ مِنْ غَامِضٍ عِلَلِ
الصَّنَاعَةِ مَا لَا يَقِفُهُمْ غَيْرُهُ ، فَلْيُحْضِرْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلْيَحْلِفْهُ بِغَلِيظِ الْإِيمَانِ أَنْ
يَصْدُقَهُ عَمَّا يَسْمَعُ ، وَأَغْنِيَهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقِفَ عَلَى حَقِيقَةِ الصَّوْتِ ، فَإِنْ كَانَ فَاسِدًا
فَصَدَقَ عَنْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ عَتَبٌ ، وَوَاقِفْنَاهُ عَلَيْهِ حَتَّى يَسْتَوِيَ ، فَلَيْسَ يَجُوزُ أَنْ نَتْرَكَهُ
إِنْ كَانَ فِيهِ فَسَادٌ . وَإِنْ كَانَ صَحِيحًا قَالَ فِيهِ مَا عِنْدَهُ . فَأَمَرَ بِالْكِتَابِ بِحَمَلِهِ ،
فَحُمِلَ وَأُحْضِرَ ، وَأُظْهِرَ لَهُ الرَّضَى عَنْهُ ، وَلَزِمَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ أَحْلَفَهُ أَنْ يَصْدُقَهُ عَمَّا
يَمُرُّ فِي مَجْلِسِهِ . فَخَلَفَ لَهُ . ثُمَّ غَنَى الْوَائِقُ أَصْوَاتًا يَسْأَلُهُ عَنْهَا أَجْمَعُ ، فَيُخْبِرُهُ فِيهَا بِمَا
عِنْدَهُ . ثُمَّ غَنَتْهُ قَرِيدَةُ هَذَا الصَّوْتِ ، وَسَأَلَهُ الْوَائِقُ عَنْهُ ، فَرَضِيَهُ وَأُسْتَجَادَهُ وَقَالَ :
لَيْسَ عَلَى هَذَا سَمْعَتُهُ الْمَرَّةَ الْأُولَى ، وَأَبَانَ عَنِ الْمَوَاضِعِ الْفَاسِدَةِ ، وَأَخْبَرَ بِإِفْسَادِ
مُخَارِقِ إِيَّاهَا . فَسَكَنَ غَضَبُهُ الَّذِي كَانَ ، وَوَصَلَ إِسْحَاقُ وَتَكَرَّرَ لِمُخَارِقِ مُدَّةً .

وقيل :

غنى الأمين بشعر
مدحه به فأجازه

إن إسحاق غنى محمداً الأمين بن الرشيد لحنًا صنعه في شعر له يمدحه به :

يَأْتِيهَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ فَدَتُ نَفْسَكَ نَفْسِي بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ
بَسَطَتِ لِلنَّاسِ إِذْ وَلِيَتْهُمْ يَدًا مِنْ الْجُودِ فَوْقَ كُلِّ يَدٍ
فَأَمَرَ لَهُ بِأَنْفِ دَرْهَمٍ . فَأَدْخَلَتْ إِلَى مَنْزِلِهِ يَحْمِلُهَا مَائَةٌ فَرَّاشَ .

وذكر أنه دخل مروان بن أبي حفصة على إبراهيم الموصلي ، فجعلا يتحدثان ،
إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم مروان لنفسه :

(١) إِذَا مُضِرَّ الْحِمَاءِ كَانَتْ أَرْوَمَتِي وَقَامَ بَنَصْرِي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ
عَطَسْتُ بِأَنْفِي شَامِخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
وَجَعَلَ إِبْرَاهِيمُ يُحَدِّثُ مَرْوَانَ ، وَهُوَ عَنْهُ مَشْغُولٌ سَاهٍ لَا يَفْهَمُ عَنْهُ شَيْئًا . فَقَالَ
لَهُ : مَا لَكَ لَا تُجِيبُنِي ؟ فَقَالَ : لِأَنَّكَ وَاللَّهِ لَا تَدْرِي مَا أَفْرَغَ أُنْبُكَ فِي أُذُنِي .

طرب لشعر
أعرابي وسكر عليه

وحكى يعقوب بن بشير قال :

كُنْتُ مَعَ إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيِّ فِي نَزْهَةٍ ، فَمَرَّ بِنَا أَعْرَابِيٌّ ، فَوَجَّهَ إِسْحَاقُ خَلْفَهُ
بُغْلَامَ ، فَوَافَاهُ الْأَعْرَابِيَّ . فَلَمَّا شَرِبَ وَسَمِعَ حَنِينَ الدَّوَالِيبِ قَالَ :

بَكَرْتُ تَحَنُّنٌ وَمَا بَهَا وَجَدِي وَأَحِنُّ مِنْ وَجْدٍ إِلَى تَجْدٍ
فَدُمُوعُهَا تَحْيَا الرِّيَاضُ بِهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي أَفْرَحَتْ خَدِّي
وَبَسَا كَيْ تَجْدٍ كَلِفْتُ وَمَا يُفْنِي لَهْمُ كَلْفِي وَلَا وَجْدِي
لَوْ قِيسُ وَجْدُ الْعَاشِقِينَ إِلَى وَجْدِي لَزَادَ عَلَيْهِ مَا عِنْدِي
فَمَا أَنْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ إِلَّا مَحْمُولًا سُكْرًا ، وَمَا شَرِبَ إِلَّا عَلَى هَذِهِ الْأَبْيَاتِ .

من شعره في الوراق

وحكى إسحاق قال :

قَدِمْتُ عَلَى الْوَائِقِ فِي بَعْضِ قَدَمَاتِي ، فَقَالَ لِي : أَمَا أَشَقَقْتَ إِلَيَّ ؟ فَقُلْتُ :
بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْشَدْتُهُ فِي ذَلِكَ :

(١) في رواية :

إذا كانت الأحرار أصلي ومنصبي ودافع ضيبي خازم وابن خازم

أشكو إلى الله بُعْدَى عن خَلِيفَتِهِ وما أعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرٍ
 لا أستطيع رَحِيلًا إنْ هَمَمْتُ به يوماً إليه ولا أقوى على السَّفَرِ
 أنورى الرَّحِيلَ إليه ثم يَمْنَعُنِي ما أحدث الدهرُ والأيامُ في بَصَرِي
 وقال ، وقد أشخصه إليه ، قصيدته الدالية التي أولها :

ضَنَّتْ سَعَادَ غَدَاةَ الْبَيْنِ بِالزَّادِ وأخلفتك فما تُوفِّي بِمِيعَادِ
 ما أنْسَ لا أنْسَ فيها إذ ^(١) تودَّعُنِي والحزن منها وإن لم تُبْدِه بَادِي
 لما أمرتْ بِأَشْخَاصِي إِلَيْكَ هَفَاً قَلْبِي حَنِينًا إِلَى أَهْلِي وَأَوْلَادِي
 يقول فيها :

ثم أَعْتَزَمْتُ ولم أَحْفَلْ بَيْنَهُمْ وطابتِ النَّفْسُ عن فَضْلٍ وَحَمَادِ
 كم نِعْمَةٍ لَأَيِّكَ الْخَيْرَ أَفْرَدَنِي بها وعمَّ بِأُخْرَى بعد إِفْرَادِ
 فلو شَكَرْتُ أَيَادِيَكُمْ وَأَنْعَمَكُمْ لما أحاط بها وَصْفِي وتَعْدَادِي
 لأشْكُرَنَّكَ ما نَاحَ الْجَمَامُ وما حَدَّاعِي الصُّبْحِ في إِثْرِ الدُّجَى حَادِي
 وحكى إِسْحَاقُ المَوْصِلِيُّ قال :

قصة خروجه
 إلى تل عزاز

كنتُ مع الرَّشِيدِ حينَ خَرَجَ مِنْهَا إِلَى الرَّقَّةِ ، فدخل يوماً إلى النِّسَاءِ ،
 وخرجتُ فمضيتُ إلى تل عَزَّاز ، فنزلتُ عند حَمَّارَةٍ هُناكَ ، فسقنتي شَرَابًا لم أَرَّ
 مثله حُسْنًا وطيبًا ورأحةً ، في بيت مَرشُوشٍ ورِيحانٍ غَضٍّ ، وبرزتُ بنتٌ لها كُنْهَا
 خُوطُ بَانٍ ^(٢) أو جَدَلٍ ^(٣) عِنَانٍ ، لم أَرَّ أَحْسَنَ مِنْهَا قَدًّا ، ولا أَمِيلَ مِنْهَا خَدًّا ،
 ولا أَعْتَقُ وَجْهًا ، ولا أَبْرِعُ ظَرْفًا ، ولا أَقْنَنَ طَرْفًا ، ولا أَحْسَنَ كَلَامًا ، ولا أَتَمَّ
 تَمَامًا . فأقمتُ عندها ثَلَاثًا والرَّشِيدُ يَطْلُبُنِي ولا يَقْدِرُ عَلَيَّ . ثم أنصرفتُ فذهبتُ

(١) في أصول الأغاني : « تودعنا » مكان « تودعني » .

(٢) الخوط : النصف الناعم .

(٣) الجدَل : الحبل المفتول .

بِ رِسلِهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ غَضَبَانٌ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ خَظَرْتُ فِي مِشْقِي وَرَقَصْتُ ،
وَكَانَتْ فِي فَضْلَةٍ مِنَ الشُّكْرِ ، وَغَنَيْتُ :

إِنَّ قَلْبِي بِالتَّلِّ تَلٍّ عَزَازٍ عِنْدَ ظَنِّي مِنَ الطَّبَاءِ ^(١) الْجَوَازِي
يَا لَقَوْمِي لَبِنتُ قَسًّا أَصَابَتْ مِنْكَ صَفْوُ الْهَوَى وَلَيْسَتْ تُجَازِي
حَلَفْتُ بِالْمَسِيحِ أَنْ تُنْجِزَ الْوَعْدَ وَلَيْسَتْ تَهْمُ ^(٢) بِالْإِنْجَازِ

فَسَكَنَ غَضَبُهُ ، ثُمَّ قَالَ : فَأَيْنَ كُنْتَ ؟ فَأَخْبَرْتُهُ . فَضَحَكَ ثُمَّ قَالَ : إِنْ مِثْلُ
هَذَا إِذَا اتَّفَقَ لَطِيبٌ . أَعَدَّ غَنَاءَكَ ، فَأَعَدَّتُهُ . فَأَعْجَبَ بِهِ وَأَمَرَنِي أَنْ أُعِيدَهُ لَيْلَةً
مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا . فَأَخَذَهُ الْمُغَنُّونَ مِنِّي جَمِيعًا ، وَشَرَبْنَا إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ . ثُمَّ
أَنْصَرَفْنَا . فَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ ثُمَّ نَمْتُ . فَمَا اسْتَقَرَرْنَا حَتَّى أَتَانِي رَسُولُ الرَّشِيدِ يَأْمُرُنِي
بِالْحُضُورِ . فَرَكِبْتُ وَمَضَيْتُ ، فَلَمَّا دَخَلْتُ وَجَدْتُ ابْنَ جَامِعٍ قَدْ طَرَحَ نَفْسَهُ يَتَمَرَّغُ
عَلَى دُكَّانٍ ^(٣) فِي الدَّارِ لَعَلَّه الشُّكْرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرِي لِمَ دُعِينَا ؟ قُلْتُ : لَا
وَاللَّهِ . قَالَ : لَكِنِّي أَدْرِي ، بِسَبَبِ نَصْرَانِيَّتِكَ ، عَلَيْكَ وَعَلَيْهَا لَعْنَةُ اللَّهِ ! فَضَحَكْتُ .
فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ أَخْبَرْتُهُ بِالْقِصَّةِ . فَضَحَكَ وَقَالَ : صَدَقَ ، عُودُوا فِيهِ ، فَإِنِّي
اسْتَنْتْتُ إِلَى مَا كُنَّا فِيهِ لَمَّا فَارَقْتُمُونِي . فَعُدْنَا فِيهِ يَوْمَنَا كُلَّهُ حَتَّى أَنْصَرَفْنَا .

وَحَكَى إِسْحَاقُ الْمَوْصِلِيُّ قَالَ :

جَفَاهُ الْمَأْمُونُ
فَدَسَّ عَلَيْهِ عُلُوبَةً
فَفَشَاهُ فَرَضَى عَنْهُ

لَمَّا قَدِمَ الْمَأْمُونُ ، يَعْنِي الْعِرَاقَ ، مِنْ خُرَّاسَانَ . أَقَامَ بَعْدَ قُدُومِهِ عَشْرِينَ شَهْرًا
لَمْ يَسْمَعْ حَرْفًا مِنَ الْأَغَانِي . ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَنْ تَغَنَّى بِحَضْرَتِهِ أَبُو عَيْسَى بْنُ الرَّشِيدِ .
ثُمَّ وَاضَبَ عَلَى السَّمَاعِ مُسْتَتِرًا ، مِتَشَبِّهًا فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ بِالرَّشِيدِ . وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ أَرْبَعَ
حَجَجٍ . ثُمَّ ظَهَرَ لِلنَّدَمَاءِ وَالْمُغَنِّينَ ، وَكَانَ حِينَ أَحَبَّ السَّمَاعَ سَأَلَ عَنِّي . فُجِرْتُ
بِحَضْرَتِهِ ، وَقَالَ الطَّاعِنُ عَلِيٌّ : مَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي رَجُلٍ يَدَّيْهِ عَلَى الْخِلَافَةِ !

(١) الْجَوَازِي ، بِالْهَمْزِ وَسَهْلٍ : الطَّبَاءُ اسْتَغْنَتْ بِالرَّطْبِ عَنِ الْمَاءِ ؛ الْوَاحِدَةُ جَازِفَةٌ .

(٢) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « تَجُودٌ » .

(٣) الدَّكَانُ : الْمَصْطَبَةُ .

فقال : ما أبقي هذا شيئاً من التّيه إلا استعمله . فأمسك عن ذكري وجفاني من كان يُقرّبني . حتى جاءني علّويه فقال : أتأذن لي في ذكرك ، فإننا قد دُعينا اليوم؟ فقلت : لا ، ولكن غنّه بهذا الشعر :

يا سَرَحَةَ الماء ^(١) قد سُدَّتْ موارِدُهُ أما إليك طريقٌ غيرُ مسدودٍ
لحامٍ حامٍ حتّى ^(٢) لا حِيَامَ لَهُ مُحَلَّلاً ^(٣) عن طريق الماء مطرود
قال : فمضى علّويه . فلما استقرّ به المجلس غناه الشعر الذي أمره به . فماعد المأمون أن سمع الغناء حتى قال : ويلك يا علّويه ! لمن هذا الشعر؟ فقال : ياسيدي ، لعبدك وأبن عبدك الذي جفوته واطرحته لغير جُرم . فقال : إسحاق تعني؟ فقال : نعم . فقال : يحضر الساعة . فجاءني رسوله ، فصرتُ إليه . فلما دخلتُ عليه ، قال : أدن . فدَنوتُ منه ، فرفع يديه مادّاً لهما إليّ ، فأكبتُ عليه ، فأحتضني بيديه ، وأظهر من برّي وإكرامي ما لو أظهره صديقٌ مُؤانس لصديقه لسره .

وقيل :

فساد ما بينه
وبين الأصمعي
وحديث ذلك

كان إسحاق الموصليّ يأخذ الرواية عن الأصمعيّ ويذكر عنه ^(٤) ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلبه وكشف للرّشيد معايبه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخله وضعة نفسه ، وأنّ الصّنيعة لا تتركو عنده ، ووصف له أبا عُبيدة معمر بن المُثنّى بالثقة والصدق والسّماحة والعلم ، وأستعان بالفضل بن الرّبيع في ذلك . ولم يزل حتى وُضع مرّتبة الأصمعيّ وأسقطه عندهم . وأنفذوا إلى أبي عُبيدة من أقدمه . فقال الأصمعيّ في إسحاق :

(١) سرحة الماء ، يكتئ بها عن المرأة .

(٢) الرواية في اللسان : « لا حراك به » مكان « لا حيام له » .

(٣) المحلّ : المطرود .

(٤) في أصول الأغاني : « يأخذ عن الأصمعي ويكثر الرواية عنه » .

إِنَّ تَغْنَيْتَ لِلشَّرْبِ الْكَرَامَ^(١) «ألا
وقيل أنت حُسانُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
فما بهـ — إذا تقوم النّادياتُ ولا
وما قاله إسحاق في الأصمعيّ :

أليس من العجائب أن قِرْدًا
ويزعم أنه قد كان يُفْتَى
إذا ما قال قال أبي عجبنا
وما إن كان يدري ما دِيرُ
أَصَمِّعَ باهليًّا يَسْتَطِيلُ
أبا عمرو ويسأله^(٢) الخليل
لما يأتي به ولما يقول
أبوه إن سألت^(٣) وما قبيل

بينه وبين غلامه
فتح

وذكر أنه كان لإسحاق غلام يقال له : فَتَحْ ، يَسْتَقِي الْمَاءَ [لأهل داره] على
بَغْلَيْنِ مِنْ بَغَالِهِ . فقال إسحاق : فقلتُ له يوما : أَى شَيْءٍ خَبَرْتُكَ يَا فَتَحُ ؟ قال :
خَبَرْتُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَشَقِي مِنِّي وَمَنْكَ ، أَنْتَ تُطْعِمُ أَهْلَ الدَّارِ الْخُبْزَ وَأَنَا
أُسْقِيهِمُ الْمَاءَ . فاستظرفْتُ قَوْلَهُ وَضَحَكَتُ مِنْهُ ، فقلتُ له : فَأَيَّ شَيْءٍ تُحِبُّ ؟
قال : تُعْتَقِنِي وَتَهَبَ لِي الْبَغْلَيْنِ أَسْتَقِي عَلَيْهِمَا . فقلتُ له : قد فعلتُ .

سأله الفضل أن
يفنيه وكان الرشيد
نهاه وقصة ذلك

وحكى أن إسحاق قال :

نَهَانِي الرَّشِيدُ أَنْ أُغْنِيَ أَحَدًا غَيْرَهُ . ثُمَّ أَسْتَوْهِنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى وَسَأَلَهُ أَنْ
يَأْذَنَ لِي أَنْ أُغْنِيَهُ ، ففعل . وأتفقنا يوما عند جعفر ، وعنده أخوه الفضل ،
والرشيدُ يومئذُ بَعَقَبَ عَلَّةٌ قَدْ عُوْفِيَ مِنْهَا وَلَيْسَ يَشْرَبُ . فقال لي الفضلُ :
انصرف الليلةَ إلَيَّ حَتَّى أَهْبَ لَكَ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ . فقلتُ له : إنَّ الرَّشِيدَ قَدْ

(١) في الأغاني : «الأرد الخليط جمال الحى فانفروا» .

(٢) أبو عمرو ، هو ابن العلاء ، أعلم الناس بالقراءات العربية . مات سنة ١٥٩ هـ .
والخليل ، هو ابن أحد اللغويين النحويين العروضي . مات سنة ١٧٥ هـ .

(٣) يقال : فلان لا يعرف ما قبيله وما دبيره ، أى لا يعرف ما قدمه وما خلفه .

نَهَانِي أَنْ أَغْنَى إِلَّا لَهُ أَوْ لَا أُخِيكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ خَبْرِي، وَأَنَا مُتَّهِمٌ بِالْمِيلِ إِلَيْكُمْ،
وَلَسْتُ أَتَعَرَّضُ لَهُ وَلَا أَعْرِضُكَ . فَلَمَّا نَكَبَ الرَّشِيدُ الْبِرَامِكَةَ قَالَ : إِيَّاهُ
يَا إِسْحَاقُ ! تَرَكْتَنِي بِالرَّقَّةِ وَجَلَسْتَ بِيَعْدَادَ تَغْنَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى ! خَلَفْتُ بِمَحَاتِهِ
أَنِّي مَا جَالَسْتُهُ قَطُّ إِلَّا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمُذَاكِرَةِ ، وَأَنَّهُ مَا سَمِعَنِي قَطُّ إِلَّا عِنْدَ أَخِيهِ .
وَحَلَفْتُهُ بِتُرْبَةِ الْمَهْدِيِّ أَنْ يَسْأَلَ عَن هَذَا مَنْ فِي دَارِهِ مِنْ نَسَائِهِمْ . فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَخَذِّثْ
بِمَا ذَكَرْتُهُ ، وَعَرَفَ خَبَرَ الْمِائَةِ الْأَلْفِ الَّتِي بَذَلَهَا فَرَدَدْتُهَا . فَلَمَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ ضَحَكَ
إِلَيَّ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَأَلْتُ عَنْ أَمْرِكَ فَعَرَفْتُ مِنْهُ مِثْلَ مَا عَرَفْتَنِي ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ
أَلْفِ دِرْهَمٍ عِوَضًا عَمَّا بَذَلَهُ لَكَ الْفَضْلُ .

وَحَكَى إِسْحَاقُ قَالَ :

بينه وبين أعرابي
أنشده شعره

أَنْشَدْتُ بَعْضَ الْأَعْرَابِ شِعْرًا لِي أَقُولُ فِيهِ :

لَمَّا جَرَى لَكَ سَانِحٌ بِفِرَاقٍ	أَجَرْتُ سَوَابِقُ دَمْعِكَ الْمُهْرَاقِ
هَاجَتْ عَلَيْكَ صَبَابَةُ الْمُشْتَاكِ	إِنَّ الظَّلَّاعَيْنِ يَوْمَ (١) صَانِعَةِ اللَّوَى
مَنْهَنَ بِيضَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقٍ	لَمْ أُنْسَ إِذَ الْمَحْنَنِ فِي رِقْبَةٍ
مُحَرِّ كَهْدَابِ الدِّمْقَسِ (٢) دِقَاقٍ	وَأَشْرَنْ إِذْ وَدَعْنَا بَأْنَامِلَ
بَاغَرَّ عَذْبَ بَارِدٍ بَرَّاقٍ	وَرَمْتِكَ هِنْدُ يَوْمَ ذَاكَ فَأَقْصَدْتُ
نَفْسًا تَصْعَدُ فِي حَشَى خَفَاقٍ	وَتَنْفَسْتُ لَمَّا رَأَيْتُكَ صَبَابَةً
حَتَّى صُرِعْتُ مَصَارِعَ الْعُشَّاقِ	وَلَقَدْ حَذَرْتُ فَمَا نَجَوْتُ مَسْلَمًا
لَمَّا تَحَمَّلَهَا أَبُو إِسْحَاقِ	إِنَّ الْخِلَافَةَ أَثْبِتَتْ أَوْتَادُهَا
نُورُ الْخِلَافَةِ سَاطِعَ الْإِشْرَاقِ	مَلِكٌ أَغْرَّ يَلُوحُ فَوْقَ جَبِينِهِ
هَدَى التَّقَى وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ	كُسِيَ الْجَلَالَ مَعَ الْجَمَالِ وَزَانَهُ

(١) صَانِعَةُ : من نواحي المدينة . وقيل : موضع حجازي قريب من ذي طوى . وفي الأغاني :
« ناصفة اللوى » .

(٢) في الأغاني : « رقاق » .

صَحَّتْ عُروْقُكَ فِي الْحِيَادِ وَإِنَّمَا
ذَخَرَ الْمُلُوكُ فَكَانَ أَفْضَلُ دُخْرِهِمْ
وَذَخَرْتَ أَبْنَاءَ الْحُرُوبِ كَأَنَّهُمْ
كَمْ مِنْ كَرِيمَةٍ مَعَشَرَ قَدْ أَنْكَحَتْ
وَعَزِيزَةً فِي أَهْلِهَا ^(٢) وَقَطِينَهَا
يَجْرَى الْجَوَادُ بِصَحَّةِ الْأَعْرَاقِ
لِلْمُلْكِ مَا يَجْمَعُونَ ^(١) مِنَ الْأَوْرَاقِ
أُسْدُ الْعَرِينِ عَلَى مُتُونِ عِتَاقِ
بَسِوْفِهِمْ قَسْرًا بَغِيرَ صَدَاقِ
قَدْ فَارَقْتَ بَعْلًا بَغِيرَ طَلَاقِ
قَالَ : فَقَالَ لِي : أَفَلَيْتَ وَاللَّهِ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ ! قُلْتَ : وَمَا أَفَلَيْتَ ! قَالَ : رَعَيْتَ
فَلَاةً لَمْ يَرَعْهَا غَيْرُكَ .

ذكره الفضل
ابن الربيع بالشيب

وحكى إسحاق قال :

دَخَلْتُ عَلَى الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ فَقَالَ لِي : يَا إِسْحَاقُ ، كَثُرَ وَاللَّهِ شَيْبُكَ ! قُلْتَ :
أَنَا وَذَاكَ — أَصْلَحَكَ اللَّهُ — كَمَا قَالَ أَخُو ثَقِيف :

الشَّيْبُ إِنْ يَظْهَرُ فَإِنَّ وَرَاءَهُ
لَمْ يَنْتَهَيْصْ مَنِ الْمَشَيْبُ قَلَامَةً
عُمَرَاءُ يَكُونُ خِلَالَهُ مُتَنَفِّسُ
وَلَنَحْنُ حِينَ بَدَأَ الْبُؤْسُ وَأَكْبَسُ
فَقَالَ : هَاتِ يَا غَلَامُ دَوَاءً وَقِرَاطًا ، أَكْتُبُهُمَا لِي لِأَتَسَلَّى بِهِمَا .

حدث عن غائب
في مجلس المعتصم
فأجازه

وحكى إسحاق قال :

ذَكَرَ الْمُعْتَصِمُ يَوْمًا بَعْضَ أَصْحَابِهِ وَقَدْ غَابَ عَنْهُ ، فَقَالَ : تَعَالَوْا حَتَّى نَقُولَ مَا
يَصْنَعُ فِي هَذَا الْوَقْتِ . فَقَالَ قَوْمٌ : يَلْعَبُ بِاللَّتْرِ . وَقَالَ قَوْمٌ : يَغْنَى . وَبَلَغَتْنِي النَّوْبَةُ .
فَقَالَ : قُلْ يَا إِسْحَاقُ . قُلْتَ : إِذْنُ أَقُولُ فَأُصِيبُ . فَقَالَ : أَلَتَعْلَمُ الْغَيْبُ ؟ قُلْتَ :
لَا ، وَلَسَكُنِّي أَفْهَمُ مَا يَصْنَعُ وَأَقْدَرُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ . قَالَ : فَإِذَا لَمْ تُصِبْ : قُلْتَ : فَإِنْ
أُصِيبْتُ ؟ قَالَ : لَكَ حُكْمُكَ . قَالَ : وَإِنْ لَمْ تُصِبْ ؟ قُلْتَ : لَكَ دَمِي . قَالَ : وَجِبَ .

(١) الأوراق : الدراهم .

(٢) قطينها : إمّاؤها وحشمها .

قلت : وَجِب . قال : قُل . قلت : يَتَنَفَّس . قال : فَإِنْ كَانَ مَيِّتًا ؟ قلت : تُحْفَظ
السَّاعَةُ الَّتِي تَكَلَّمْتُ فِيهَا ، فَإِنْ كَانَ مَاتَ فِيهَا أَوْ قَبْلَهَا فَقَدْ قَمَرْتَنِي . قال : قد
أَنْصَفْتَ . قلت : فَالْحُكْم . قال : أَحْكَمْ مَا شِئْتَ . قلت : مَا حُكِمَ إِلَّا
رِضَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فَإِنْ رَضَى لَكَ ، وَقَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ،
أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَوْلَاكَ بِذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فَإِنَّهَا مِائَتَا أَلْفِ دِرْهَمٍ .
أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَحْوَجَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى ذَلِكَ . قال : فَإِنَّهَا ثَلَاثَةُ
أَلْفِ دِرْهَمٍ ، أَتَرَى مَزِيدًا ؟ قلت : مَا أَوْلَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ . فقال : يَا صَفِيْقُ
الْوَجْهَ ، مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذَا ؟

وحكى إسحاق قال :

أجازته المخلوع على
آيات في سفينة له

عمل محمد المخلوع - يعنى الأمين بن الرشيد - سفينة ، فأعجب بها وركب
فيها يُريد الأنبار ، فلما أَمَعْنُ وَأَنَا مُقْبِلٌ عَلَى بَعْضِ أَبْوَابِ السَّفِينَةِ صَاحُوا : إِسْحَاقُ !
إِسْحَاقُ ! فَوُثِّبْتُ فَدَنَوْتُ مِنْهُ . فقال لى : كَيْفَ تَرَى سَفِينَتِي ؟ فقلت : حَسَنَةً يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، عَمَّرَهَا اللَّهُ بِبَقَائِكَ . فقام يُريد الخلاء وقال لى : قُلْ فِيهَا آيَاتًا . فقلت :
وَخَرَجَ ، وَقَمْتُ بِالْآيَاتِ إِلَيْهِ ، فَاشْتَهَاهَا جَدًّا وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا إِسْحَاقُ ! وَحَيَاتِكَ
لَأَهْبِنَّ لَكَ عَشْرَةَ آلَافِ دِينَارٍ . فقلت : مَتَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ إِذْ وَسِعَ اللَّهُ عَلَيْكَ !
فَضَحِكُ وَدَعَا بِهَا عَلَى الْمَكَانِ .

وحكى إسحاق قال :

حديث دخول
عبد الملك بن صالح
على جعفر بن يحيى
وهو يناديه

لَمْ أَرْ قَطُّ مِثْلَ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى ، كَانَتْ لَهُ فَتَوَةٌ وَظَرْفٌ وَأَدَبٌ وَحُسْنُ غِنَاءٍ
وَضَرْبُ بِالطَّبْلِ ، وَكَانَ يَأْخُذُ بِأَجْزَلِ حِطٍّ مِنْ كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْأَدَبِ وَالْفَتَوَةِ .
فَحَضَرْتُ دَارَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقِيلَ لى : إِنَّهُ نَأَمٌ ، فَانْصَرَفْتُ ، فَلَقِيَنِي جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى
فَقَالَ لى : مَا الْخَبَرُ ؟ فقلت : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَأَمٌ . فقال لى : قِفْ مَكَانَكَ . وَمَضَى
إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَخَرَجَ إِلَيْهِ الْحَاجِبُ فَأَعْلَمَهُ أَنَّهُ نَأَمٌ . فَرَجَعَ وَقَالَ : قَدْ نَامَ

أمير المؤمنين فصر بنا إلى المنزل حتى نخلو جميعاً بقيّة يومنا ، وأغنيك وتغنيني
ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا . فقلت : نعم . فصرنا إلى منزله ، فطرحنا ثيابنا ، ودعا
بالطعام فطعمنا ، وأمر بإخراج الجوّاري وقال : لتبرزن ، فليس عندنا من نحتشمه .
فلما وضع الشراب دعا بقميص قلبسه ، ودعا بخلوق فتخلّق به ، ودعا لي بمثل ذلك .
وجعل يغنيني وأغنّيه . ثم دعا بالحاجب ، فتقدّم إليه ، وأمره ألا يأذن لأحد من
الناس كلهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعلمه أنه مشغول . واحتاط في ذلك
وتقدّم فيه إلى جميع الحجاب والخدم ، ثم قال : إن جاء عبد الملك فأذنوا له
— يعني رجلاً كان يأنس به ويمارحه ويحضّر خلواته — ثم أخذنا في شأننا .
فوالله إننا لعلّ حال سارة عجيبة إذ رفع الستّر ، فإذا عبد الملك بن صالح الهاشمي
قد أقبل . وغلّط الحاحب فلم يفرّق بينه وبين الذي يأنس به جعفر بن يحيى .
وكان عبد الملك بن صالح من جلاله القدر والتشّرف والامتناع من منادمة الخلفاء
على أمر جليل ، وكان الرّشيد قد أجهّد به أن يشرب معه أو عنده أقداحاً ، فلم
يفعل رفّعاً لنفسه . فلما رأيناه مقبلاً أقبل كلّ واحد منا ينظر إلى صاحبه ،
وكاد جعفر أن ينشق غيظاً . وفهم الرجل حالنا ، فأقبل نحونا ، حتى إذا صار
إلى الرّواق الذي نحن فيه نزع قلنسوته فرمى بها مع طيلسانه جانباً ، ثم قال :
أطعمونا شيئاً . فدعا له جعفر بالطعام ، وهو منتفخ غيظاً وغضباً ، فطعم ، ثم دعا
برطل فشربه ، ثم أقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأخذ بعضادتي الباب ، ثم
قال : أشركونا فيما أتم فيه . فقال جعفر : أدخل . ثم دعا بقميص حرير وخلوق ،
فلبس وتخلّق ، ثم دعا برطل وبرطل حتى شرب عدة أرطال ، ثم أندفع يغنيننا .
فكان والله أحسننا جميعاً غناء . فلما طابت نفس جعفر وسرّي عنه ما كان به
التفت إليه وقال له : أرفع حوائجك . قال : ليس هذا موضع حوائج . قال : لتفعلن ،
ولم يزل يلح عليه حتى قال له : أمير المؤمنين على واجد وأحب أن ترضاه . قال :

فإنَّ أمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك ، فهاتِ حوائجك . قال : هذه كانت حاجتى .
قال : أرفع حوائجك كما أقول لك . قال : فإنَّ علىَّ ديناً فادحاً قدره أربعة آلاف
درهم . قال : هذه أربعة آلاف ألف درهم ، فإنَّ أحببتَ أنْ تقبضها فأقبضها من
منزلى الساعة ، فإنه لم يَمْنَعْنِي من إعطائك إياها إلا أنْ قدرك يَجْلُ عن أن يصل
مثلُ مثلك ، لكنى ضامنٌ لها حتى تُحمِلَ إليك من مال أمير المؤمنين غداً ، فسل
أيضاً حوائجك . قال : أبنى ، تَكَلَّمْ أمير المؤمنين حتى ينوّه بأسمه . قال : قد
ولاه أمير المؤمنين مصر وزوجه أبنته العالِية ومهرها ألفي ألف درهم . قال إسحاق :
فقلت في نفسى : سكر الرجل - يعنى جعفر - فلما أصبحتُ لم تكن لى هِمة إلا
حُضورَ دار الرشيد ، فإذا جعفر بن يحيى قد بكر ، ووجدتُ فى الدار جَلْبَةَ ،
فإذا أبو يوسف القاضى ونظراؤه قد دُعِيَ بهم . ثم دُعِيَ بعبد الملك بن صالح وأبنة
فأدخلا على الرشيد . فقال الرشيد لعبد الملك : إنَّ أمير المؤمنين كان واجداً عليك
وقد رَضِيَ عنك ، وأمر لك بأربعة آلاف ألف درهم ، فأقبضها من جعفر بن يحيى
الساعة . ثم دعا بأبنة فقال : أشهدوا علىَّ أنى قد زوجتُ العالِية بنت أمير المؤمنين
وأمهرتها عنه من مالى ألفي ألف درهم ، ووليتها مصر . فلما خرج جعفر بن يحيى
سألته عن الخبر ، فقال : بكرتُ إلى أمير المؤمنين فحكيتُ له جميع ما كان بيننا
وما كُنَّا فيه حَرْفاً حرفاً ، وحكيتُ له دُخول عبد الملك وما صنع . فعَجِبَ لذلك
وسرّه . ثم قلت له : إني قد ضمنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضمانة . قال : ماهو؟
فأعلمته . فقال : أوفِ بضمانك . وأمر باحضاره ، فكان ما رأيت .

وحكى إسحاق قال :

شعر كتب به وهو
معتل إلى ابن هشام

كَتَبْتُ إلى على بن هشام ، وقد اعتلت أيتاماً ، فلم يأتنى رسوله :
أنا عليلٌ منذ فارقتنى وأنت عمن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنت ولا هكذا فيما مضى كنت بنا تفعل

فلما وصلت رُفقتي إليه ركب وجاءني عائداً .

شعر له في خروجه
الأول إلى البصرة

وحكى حماد بن إسحاق قال :

لما خرج أبي إلى البصرة خَرَجَتْهُ الأُولَى وعاد ، أنشدني لنفسه في ذلك :
ما كنت أعرف ما في البين من حَزَنٍ حتى تنادَوْا بأن قد جِئْتُ بالسُّفْنِ
قامتْ تُودِّعُنِي والعينُ تَغْلِبُهَا فجمجتُ^(١) بعضَ ما قالت ولم تُبَيِّنْ
مالت علىَّ تُفدِّئُنِي وتَرْشِفُنِي كما يَمِيلُ نَسِيمُ الرِّيحِ بالغُصْنِ
وأعرضتْ ثم قالت وهي باكيةٌ ياليتَ معرِفَتِي إِيَّاكَ لم تَكُنْ
لما أفرقنا على كُرهِ لفرقتها أيقنْتُ أني رَهينُ الهمِّ والحَزَنِ

هو وجماعة
من المغنين عند
إسحاق المصعبي

وحكى إسحاق الموصلي قال :

دعاني إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذ ،
فوجه إلى ، فحضرت وحضر علويه ومُحَارِقٌ وغيرُهم من المغنين ، فبينما هم على شراهم
وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافى رسولُ المأمون فقال له : أجب أميرَ المؤمنين . فقال :
السَّمْعُ والطاعة . ودعا بثيابه فلبسها ، ثم ألتفت إلى محمد بن راشد الخنّاق فقال له :
قد بلغني أنك أحفظُ الناسَ لما يدور في المجالس ، فاحفظ كُلَّ صوتٍ يَمُرُّ ، وما
يشربه كُلُّ أحدٍ ، حتى إذا عُدْتُ أعدتَ على الأصوات ، وشربتُ ما فاتني .
فقال : نعم . أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخص إلى بابك^(٢)
من غدٍ ، وتقدّم إليه بما يحتاج إليه ، ورجع من عنده . فلما دخل ووضع ثيابه قال :
يا محمد ، ما صنعتَ فيما تقدمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُ ، أصلح الله الأمير . ثم
أخبره بما شربه القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده . فأمر أن يُجمع له أكثرُ

(١) جمجت : لم تفصح .

(٢) هو بابك الخرمي . وكان قد خرج على الدولة العباسية . وتبعه خلق كثير بأذربيجان .

فلما كانت أيام المعتصم ، أخذ هو وأخوه إسحاق وصلبا .

ما شربه واحد منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه كل صوت مما حفظ ، حتى أستوفي النبيل والأصوات . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إني قد عملتُ في مُنصرفي من عند أمير المؤمنين أبحاثاً ، فاسمعي . فقلت : هايتها أعزك الله . فأنشدني :

ألا من لقلبٍ مُسلمٍ للتَّوَّابِ أحاطتْ به الأُحْزَانُ من كُلِّ جانبِ
تَبَيَّنَ يومَ البَيِّنِ أنْ أعْتَزَّاهُ على الصَّبْرِ من إحدى الطُّنُونِ الكَوَازِبِ
حَرَامٌ عَلَى رَايِ فُؤَادِي بِسَهْمِهِ دَمٌ صَبَّهُ بَيْنَ الْحَشَى وَالتَّوَّابِ
أَرَأَيْتَ دَمًا لَوْلَا الْمَسْوِيُّ مَا أَرَاهُ فَهَلْ بَدَمِي مِنْ ثَائِرٍ أَوْ مُطَالِبِ

قال : فقلتُ له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطُّ . فقال لي : فأُصنع فيه لحناً ، وأُحضرني وصيفةً له ، فألقيتهُ عليها حتى أخذته . وقال : إنما أردتُ أنْ أتسلى به في طريقي وتذكرني الجاريةُ أمرك إذا غنته . فكان كلما ذكر أتانِي برُّه ، إلى أن قدم ، عدة دَفَعَات .

وحكى إسحاق قال :

خروجه مع الرشيد
إلى الرقة وقصته
بدير القائم وتلعزاز

خرجنا مع أمير المؤمنين هارون الرشيد يريد الرقة ، فلما صرنا بالموضع الذي يقال له : دير القائم^(١) نزلنا وخرج يتصيد وخرجنا معه ، فأبعد في الصيد وطلبه ، ولاح لي دَيْرُ فقصدته وقد تعبْتُ . فأشرفتُ على صاحبه ، فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إي والله ، وإني إلى ذلك مُحْتَاج . فنزل ففتح لي الباب وجلس يُحدِّثني ، وكان شيخاً كبيراً قد أدرك دولة بني أمية ، فجعل يُخبرني عن نَزَلِ به من القوم ومواليهم وحشَمهم^(٢) ، وعرض عليَّ الطَّعام . فأجبتُه . فقدم إليَّ طعاماً من طعام الدِّيَّارات نظيفاً طيباً ، فأكلتُ منه . وأتاني بشراب وريحان طريٍّ ، فشربتُ

(١) في الأغاني : « القائم » مكان « دير القائم » . ودير القائم : على شاطئ الفرات من جانبه الغربي .

(٢) في الأغاني : « وجيوشهم » .

منه . ووكل بي وبخِذمتي جاريةً راهبةً لم أر أحسن منها وجهاً ولا أشكل .
فشربتُ حتى سكرتُ . ونمتُ فأتبَّهتُ عشاءً ، فقلتُ في ذلك :

بدَّير القاسم الأَقصى غزالٌ شاردٌ أحوى
برى حُبِّي له جِسْمي ولا يَعْلَم ما أَلقي
وأخفى حُبَّه جُهْدِي ولا والله ما يَخْفَى

وركبتُ ولحقتُ بالعسكر ، والرَّشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أوجد . فأخبرتُ
بذلك . فغَنَّيتُ في الأبيات ودخلتُ إليه . فقال لي : أين كنتِ ؟ ويحك ! فأخبرتهُ
الخبْر وغَنَّيته الصوت . فطَرَبَ وشَرَبَ عليه حتى سكر وأخَّرَ الرحيلَ في غد ،
ومَضِينا إلى الدَّيْرِ فنزَله ، ورأى الشيخَ فأستنطقه ، ورأى الجارية التي كانت بالأمس
تخدُمُني . فدعا بالطعام فأصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأمر الجارية أن تتولَّى خِدْمَتَه
وسَقِيَه ، ففعلتُ وشرب . حتى طابتُ نفسه . ثم أمر للدَّيْراني بألف دينار ، وأمر
بأَحْمَالِ خراج مزارع كانت له سَبْعَ سنين ، ورحلنا .

وحكى إسحاقُ قال :

دخل على الرشيد
مغنياً فأجازه

دخلتُ على الرَّشيد يوماً في عِمامةٍ قد كوَّرتها على رأسي ، فقال : ما هذه
العِمامة ؟ كأنك من أهل الأنبار . فلما كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى
دخل المغنُّون جميعاً . ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شدتُ وسطى بِمِشْدَةٍ حرير ،
ولبستُ لباساً مُشْتَهِراً ، وأخذتُ يَسْدِي صَفَاقَتَيْنِ ، وأقبلتُ أخطِرُ وأضربُ
بالصَفَاقَتَيْنِ وأغني :

أسمعُ لصوتٍ مَليحٍ من صَنَعَةِ الأَنْبَارِ
صوتٍ خَفِيفٍ ظَرِيفٍ يطيرُ في الأوتار

فبسط يديه إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ !

أحسنْتُ ! حتى جَلستُ . ثم شَرِب عليه بقيَّة يومه ، ما أَسْتعادَ غَيْرَه ، وأمر لى
بعشرين ألف درهم .

وحكى إسحاقُ قال :

اغتم لصوت أخذه
عنه أحد العامة

ما اغتممتُ بشيء قطُّ كما اغتممتُ بصوت مليح صنعتهُ فى هذا الشعر :

كان لى قلبٌ أعيش به فأكتوى بالنَّار فأحترقاً
أنا لم أرزقُ محبَّتَها إنما للعبد ما رزقاً
من يَكُن ما ذاق طعمَ رَدَى ذاقه لا شكَّ إن عَشِقاً

فإني صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أرَدَّده فى جَنَاح لى سَحَرًا ، فأظُن أن إنساناً
مرَّ بى فسمعه فأخذه منى . وبكرتُ من الغد إلى المُعتمَص لأُغنيه به ، فإذا بسوَّاط
يسوِّط الناطف^(١) ويُغنى اللحن بعينه ، إلا أنه غناء فاسد . فعجبتُ وقلت : ترى
من أين لهذا السوَّاط هذا الصوت ! ولعلَّ إذ غنيته أن يكون قد مرَّ بى هذا
فسمعتُ أغنيه ! وبقيت متحيراً . ثم قلت : يا فتى ، ممن سمعت هذا الصوت ؟ فلم
يُجبنى ، وألّفت إلى شريكه ، فقال : هذا يسألنى ممن سمعته ! هذا غنائى ! والله لو
سمعه إسحاق الخرىء فى سراويله . فبادرتُ والله هارباً خوفاً من أن يمرَّ بى إنسان
فيسمع ما جرى علىَّ فأفتضح ، وما علم الله أنى نطقت بذلك الصوت بعدها .

وحكى إسحاق الموصلى قال :

دخوله بيتاً متطفلاً

غدوتُ يوماً وأناضجرُ من مُلازمة دارِ الخليفة والخِدْمَة فيها . فخرجتُ وركبتُ
بُكْرَةً وعزمتُ على أن أطوف الصحراء وأنفِرَج ، وقلتُ لعلَّمانى : إن جاء رسولُ
للخليفة أو لغيره فعرفوه أنى بكرتُ فى بعض مُهمَّاتى ، وأنكم لا تعرفون أين

(١) السوَّاط ، من ساط الشيء ، إذا خلطه . والناطف : ضرب من الحلوى ، لأنه ينطف

قبل استضرابه .

توجهت . ومضيت فطفت ما بدالى ، ثم عدت وقد حجي النهار ، فوقفت في شارع
المُحَرَّم^(١) في فناء شديد الظل وجناح رَحْب على الطريق لأستريح ، فلم ألبث أن
جاء خادم يقود حملاً عليه جارية راكبة ، تحتها منديل دَبِيق^(٢) ، وعليهما اللباس
الفاخر ما لا غاية بعده ، ورأيت لها قواماً حسناً وطرفاً قاتراً وشمائل حسنة .
فخرصت^(٣) عليها أنها مُغْنِيَة . فدخلت الدار التي كنت واقفاً عليها . ثم لم ألبث أن
أقبل رجلان شابان جميلان ، فاستأذنا فأذن لهما . فنزلا ، ونزلت معهما ودخلت .
فظناً أن صاحب البيت دعاني ، وظن صاحب البيت أتى معهما . فجلسنا . وأتى بالطعام
فأكلنا ، وبالشراب فوُضِع . وخرجت الجارية وفي يدها عود ، فغنت وشرَبنا ،
وقمت قومة . فسأل صاحب الدار الرجلين عني . فأخبرا أنهما لا يعرفاني . فقال :
هذا طفيلي ولكنه ظريف ، فأجملوا عِشرته . وجئت فجلست ، فغنت الجارية
في لحن لي :

ذ كرتك أن مرت بنا أم شادن أمام المطايا تشرَّب وتَسْنَحُ
فأذته أداء صالحاً ، وشربت . ثم غنت أصواتاً شتى ، وغنت في أضعافها
من صنعتي :

الطلول الدَّوَّارِسُ فارقتها الأوانسُ
أقفرت بعد أهلها فهي قفرٌ بسايسُ
فكان أمرها فيه أصلح من الأول . ثم غنت أصواتاً من القديم والحديث ،
في أضعافها من صنعتي :

قل لمن صدَّ عاتباً ونأى عنك جانباً
قد بلغت الذي أردت تو إن كنت لاعباً

(١) المخرم : بالجانب الغربي من بغداد .

(٢) نسبة إلى دبيق ، بليدة بمصر كانت بين الفرما ومنفيس .

(٣) خرصت : ظننت وخمنت .

فكان أصلح ما غنته . فاستعدته منها لأصلحه لها . فأقبل على رجل من
الرجلين فقال : ما رأيت طفلياً أصفق وجهاً منك ، لم ترض بالتطفل حتى أقترحت ،
وهذا غاية المثل : طفلي مقترح ! فأطرق ولم أجبه ، وجعل صاحبه يكفه عنى . ثم
قاموا للصلاة وتأخرت قليلاً ، وأخذت العود وشددت طبقتها وأصلحته إصلاحاً
مُحكماً ، ثم عدت إلى موضعى فصليت ، وعادوا . فأخذ ذلك الرجل فى عربده
على وأنا صامت . ثم أخذت الجارية العود نجسته وأنكرت حاله ، وقالت :
من مس عودى ؟ قالوا : ما مسه أحد . قالت : بلى ! والله قد مسه حاذق متقدم
وشدّ طبقتة وأصلحه إصلاحاً متمكّن من صناعته . فقلت لها : أنا أصلحته .
فقال : بارك الله عليك ! خذّه وأضرب به . فأخذته وضربت به مبدأً ظريفاً
عجيباً صعباً ، فيه نقرات مُحكمة .^(١) فما بقى منهم أحد إلا وثب وجلس بين
يدى وقال : بالله يا سيدنا أنفنى ؟ قلت : نعم ، وأعرّفكم نفسى : أنا إسحاق
ابن إبراهيم الموصلى ، والله إني لأتبه على الخليفة إذا طلبنى وأنتم تسمعوننى ما
أكره منذ اليوم لأنى تملحتُ معكم ، والله لا نطق ببحرف ولا جلستُ معكم
حتى تخرجوا هذا المعربد المقيت الغث . فقال له صاحبه : من هذا حذرتُ عليك .
فأخذ يعتذر . فقلت : والله لا نطق ببحرف ولا جلستُ معكم حتى يخرج . قال :
فأخذوا بيده فأخرجوه وعادوا . فغنيت الأصوات التى غنتها الجارية من صنعى .
فقال لى الرجل : هل لك فى خصلة ؟ فقلت : وما هى ؟ قال : تقيم عندى شهراً
والجارية والخادم والحمائر لك ، مع ما عليها من حلى ؟ قلت : أفعل . فأقمت عنده
ثلاثين يوماً لا يعرف أحد أين أنا ، والمأمون يطلبنى فى كل موضع فلا يعرف لى
خبراً . فلما كان بعد ثلاثين يوماً سلم إلى الجارية والحمائر والخادم . فجنّت بذلك
إلى منزلى وركبت إلى المأمون من وقتى . فلما رآنى قال : إسحاق ؟ ويحك !

(١) فى الأغاني : « محرّكة » .

أين تكون؟ فأخبرته . فقال : على الرَّجل الساعة . فدللتهم عليه ، فأحضروه .
وسأله المأمون عن القصة ، فأخبره . فقال له : أنت رجلٌ ذو مروءة وسيلك أن
تُعان على مروءتك . فأمر له بمائة ألف درهم . وأمر لي بخمسين ألف درهم . وقال :
أحضرنى الجارية فأحضرتها . ففتته . فقال لي : قد جعلتُ عليها نوبةً في كل
يوم ثلاثاء تُغنيني من وراء الستارة مع الجوارى . وأمرتُ لها بخمسين ألف درهم .
فربحتُ والله بتلك الرِّكبة وأُربحتُ .

وحكى إسحاق الموصلي قال :

هو والواثق في دير
مارت مريم

لما خرجتُ مع الواثق إلى النجف دُرنا بالحيرة ومَررنا بدياراتها . فرأيتُ دير
مارت مريم بالحيرة ، فأعجبني موقعه وحسن بنائه ، فقلتُ :

نِعْمَ المحلُّ لمن يسعى للذَّته دَيْرُ مَرْيَمَ فوق الظَّهر مَعْمُورُ
ظِلِّ ظَلِيلٍ وماءٌ غيرُ ذِي أَسَنِ وقاصراتُ كأَمْثالِ الدَّمَى حُورُ

فقال الواثق : لا نَصْطَبِحُ والله إلَّا فيه غداً ، وأمر بأن يُعدَّ ما يصلحُ من
الليل فيه . وباكرناه وأصْطَبَحْنَا فيه على هذا الصوت . فأمر بمالٍ يُفَرَّقُ على أهل
ذلك الدَّير ، وأمر لي بجائزة .

وحكى إسحاق قال :

غنى عبد الله
ابن طاهر فوصله

خرج إلى عبدُ الله بن طاهر بيتي شعري رُقعة وقال : هذان البيتان وجدتهما
على بساط طَبْرَى أَصْبَهْ بَذِي^(١) أَهْدَى إلى من طَبْرِ سَتَان ، فأحب أن تُغْنِيَ لي
فيهما . فقرأتُهما فإذا فيهما :

لَجَّ بِالْعَيْنِ واكْفُ مِنْ هَوَى لا يُسَاعِفُ
كَلَّمَا كَفَّ^(٢) غَرَبُهَا هَيَّجَتْهُ المَعَارِفُ

(١) نسبة إلى أصبهذان : بلد بالديلم .

(٢) الغرب : الدمع .

قال : فغنيت فيهما وغدوت بهما إليه . فأعجب بالصوت ووصلني صلاةً سنّية .
وكان يشتهي ويقترحه . وطرحته على جواريه ، وشاع خبر إعجابه . فبينما المعتصم
جالسٌ يُعرض عليه فرشُ الرَّبيعِ إذ مرَّ به بساطٌ ديباج في نهاية الحسن عليه هذان
البيتان ، ومعهما :

إنما الموتُ أن تُقا رق من أنت ألفُ
لك حُبّان في القُوا د تليدُ وطارفُ

فأمر بالبساط فحمل إلى عبد الله بن طاهر . وقال للرسول : قل له : إني
عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلما وقع هذا البساطُ أحببتُ أن يتمَّ
سرورك به . فشكر عبدُ الله بن طاهر ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظم مقداره ،
وقال لي : يا أبا محمد ، لسُروري بتمام الشعر أحبُّ إلى من سُروري بكل شيء !
ألحقهما بالغناء في البيتين الأولين . فألحقتهما .

هو بعد أن كف وحكى أن إسحاق كفَّ بصره في آخر عمره . ولما أفضت الخلافةُ إلى المتوكل
في حضرة المتوكل ابن المعتصم سأل عنه ، فعرف أنه كفَّ بصره وأنه في منزله ببغداد ، فكتب في
إحضاره . فلما دخل إليه رفعه حتى أجلسه قدام سريريه وأعطاه مِخدةً وقال له :
بلغني أن المعتصم دفع إليك مِخدةً في أول يوم جلست بين يديه وهو خليفة وقال : إنه
لا يُستجلب ما عند حرٍّ بمثل الكرامة . ثم سأله : هل أكل ؟ قال : نعم . فأمر أن
يُسقى . فلما شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمد عوداً . فجاء به . فأندفع يغني
بشعره ولحنه :

ما علّةُ الشَّيخ عيناہ ^(١) بأربعةٍ تغرورقان بدمعٍ ثم تنسكبُ
فما بقي غلامٌ من الغلمان الوقوف على الخير ^(٢) إلا وجدته يرقص طرباً وهو لا يعلم

(١) أي عيناہ تدسمان بأربعة آماق ، وذلك أشد البكاء .

(٢) الخير : قصر للمتوكل يسر من رأى . وفي التجريد : « الخيل » .

بما يفعل . فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال المتوكل لأبن حمدون : تحسن أن تغني هذا الصوت ؟ فقال : نعم . فقال : غنّه . فترنّم به . فقال إسحاق : من هذا الذي يحكي ؟ فقال حمدون : أنت عرّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكل إلى رقة بوضراً ،^(١) وكان يستطيعها لكثرة تغريد الطير فيها . فغنّاه إسحاق :

أَنْ هَتَفْتُ وَرَقَاهُ فِي رَوْنَقِ الضُّحَى عَلَى غُصْنِ غَضِّ النَّبَاتِ^(٢) مِنْ الرَّيْدِ
بَكَيْتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَكُنْ جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ^(٣) يَبْدَى
فضحك المتوكل ثم قال له : يا إسحاق . هذه أخت فعلتك بالوائق لما غنيتَه^(٤) بالصالحية :

طَرَبْتُ إِلَى الْأَصْيَبِيَّةِ الصَّغَارِ وَذَكَّرَنِي الْهَوَى قُرْبَ الزَّارِ
فكم أعطاك لما أذن لك في الأنصراف ؟ قال : مائة ألف درهم . فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذن له بالانصراف إلى بغداد . فكان آخر عهده به .

وذكر أن إسحاق كان يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج ، لما رأى من صُعوبته مرضه ولونه على أبيه إبراهيم . فأرى في منامه كأن قائلاً يقول له : قد أُجِيت دعوتك ولست تموت بالقولنج ولكنك تموت بضده . فأصابه ذرّب في شهر رمضان سنة خمس وثلاثين ومائتين . فكان يتصدق في كل يوم يمكنه صومه بمائة درهم ، ثم ضعف من الصوم فلم يطقه . ومات في شهر رمضان من هذه السنة .

ولما نعى إسحاق إلى المتوكل عمّه وحزّن عليه وقال : ذهب صدرّ عظيم من حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى

(١) بوضراً : من قرى بغداد .

(٢) في الأغاني : « الشباب » .

(٣) الرواية في الأغاني :

بكيت كما يبكي الحزين صباية وشوقاً وتابعت الحنين إلى نجد

(٤) الصالحية : قرية قرب الرها اختطها عبد الملك بن صالح .

جَمالُ الْمَلِكِ وَبَهائِهِ وَزِينَتِهِ . ثُمَّ نَعَى إِلَيْهِ بَعْدَهُ أَحْمَدُ بْنُ عِيسَى بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ
ابنُ الْحُسَيْنِ ، فَقَالَ : تَكَافَأَتِ الْحَالانُ ، وَقَامَ الْفَتْحُ بِوَفَاةِ أَحْمَدَ — وَمَا كُنْتُ آمِنَ
وَتَبْتُهُ عَلَى — مَقَامِ الْفَجِيعَةِ بِإِسْحَاقَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ .

لبعضهم عن وفاته وحكى بعضهم قال :

رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّاسُ قَائِلًا يَقُولُ :

مَاتَ الْحُسَيْنُ ابْنُ الْحَسَنِ وَمَاتَ إِحْسَانُ الزَّمَانِ

فَأَصْبَحْتُ مِنْ غَدٍ فَرَكِبْتُ فِي بَعْضِ حَوَائِجِي ، فَتَلَقَّانِي خَبَرُ وَفَاةِ إِسْحَاقَ الْمُوصِلِيِّ .

ورثاه أحمد بن إبراهيم بقوله :

شعر أحمد بن
إبراهيم في رثائه

لِلَّهِ أَيْ قَتَى إِلَى دَارِ الْبَلَى حَمَلَ الرِّجَالُ ضُحًى عَلَى الْأَعْوَادِ
كَمْ مِنْ كَرِيمٍ مَا تَجِفُّ دُمُوعُهُ مِنْ حَاضِرٍ يَبْكِي عَلَيْهِ وَبَادِي
أَسَى يُؤَيِّنُهُ وَيَعْرِفُ ^(١) قَدْرَهُ مِنْ كَانَ يَتْلِبُهُ مِنَ الْحَسَادِ
فَسَقَتَكَ يَا بَنَ الْمُوصِلِيِّ رَوَّاحٌ تَرُوي صَدَاكَ بِصَوْبِهَا وَغَوَادِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصُولِ : « فَضْلُهُ » مَكَانَ « قَدْرُهُ » .

أخبار الصّمة القشيري

هو الصّمة بن عبد الله بن الطّفيل بن قُرة بن هُبيرة بن عامر بن مَسَلَمَة
الخَلير بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر
ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر
ابن نِزار .

نسبه

شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية .

طبقته

وجدّه قُرة بن هُبيرة ، له صُحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو أحد الوافدين
عليه صلى الله عليه وسلم .

شئ عن جده
حديث حبه
وزواجه

قيل : كان الصّمة القشيري يَهْوِي امرأةً من قومه ، ثم بنى عمّه ، يقال لها :
العامرية بنت غُطَيْف بن حبيب بن قُرة ، فخطبها إلى أبيها ، فأبى أن يزوجه إياها .
وخطبها عامرُ بن بشر بن أبي براء عامر بن مالك مُلاعب الأُسنة بن
جعفر بن كلاب ، فزوجه إياها . وكان عامرٌ قصيراً قبيحاً ، فلما بنى بها عامرٌ وجد
عليها الصّمة وجداً شديداً ، فزوجه أهله امرأة منهم ، فأقام معها ، ثم رحل إلى
الشام ، وقال :

لَعَمْرِي لئن كنتم على النأي والقلي
إذا زفرت الحبّ صعدن في الحشَى
بكم مثل ما بي إنكم لصديق
رُدْدن فلم ينهج لهنّ طريق

وقال أيضاً :

إذا ما أتنّا الرّيح من نحو أرضكم
أتنّا برياً كم فطاب هبوبها
أتنّا بريح المسك خالطاً عنبراً
وريح الخزامى باكرتها جنوبها

وقال أيضاً :

أَلَا تَسْأَلَانِ اللَّهَ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى بَلَى فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى ^(١) وَالْمَطَالِيَا
وَأَسْأَلُ مِنْ لَاقِتُهُ هَلْ مُطَرِ الْحِمَى فَهَلْ يَسْأَلُنْ أَهْلُ الْحِمَى ^(٢) كَيْفَ حَالِيَا

موتيه بطبرستان

وذكر أن الصمّة خرج في عسكر للمسلمين لغزو الديلم ، فمات بطبرستان .
فحكى رجلٌ من أهل طبرستان قال : بينا أنا أمشي في ضيعة لي فيها ألوانٌ من
الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار ، وإذا أنا بإنسان في البستان مطروح ،
عليه أثوابٌ خلّقان ، فدنوتُ منه فإذا هو لا يتحرك ولا يتكلم ، فأصغيتُ إليه ،
وإذا هو يقول بصوت خفيّ :

نَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بِشَامَ ^(٣) الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فَوَادِي مِنْ تَذَكَّرَهُ الْحِمَى وَأَهْلَ الْحِمَى يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرِ
فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه . فسألتُ عنه ، فقيل لي : هذا
الصمّة بن عبد الله القشيريّ .

قيل :

أبيات له
كان يستحسنها
ابن الأعرابي

وكان ابنُ الأعرابيّ يستحسن قولَ الصمة :

أَمَّا وَجَلَالُ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذِكْرِيكَ مَا كَفَفْتُ لِلْعَيْنِ مَدْمَعَا
بَلَى وَجَلَالُ اللَّهِ ^(٤) ذَكَرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لِتَصَدَّعَا

(١) المطالي : الروضات ؛ الواحدة : مطلى ، بالقصر . وقيل : هي المواضع التي تغزو فيها
الوحش أعلامها .

(٢) رواية الأغاني : « فهل يسألن عنى الحمى » .

(٣) البشام : شجر طيب الريح والطعم يستاك به .

(٤) في الأغاني : « فقالت بلى والله » .

وهذا الشعر من قصيدة يقول فيها :

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارَكَ مِنْ رِيًّا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

ومن هذه القصيدة أبياتٌ ذُكرت في أخبار المجنون ، عَزَاهَا أَبُو الْفَرَجِ إِلَيْهِ.

شعره الذي فيه
الفناء

وَالشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغِنَاءُ لَهُ ، وَافْتَتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَهُ ، هُوَ :

أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْوَلَّى مِنْ مَحَلَّةٍ وَقَاتِلَ دُنْيَانَا بِهَا كَيْفَ ^(١) ذَلَّتْ

غَنِينَا زَمَانًا بِاللَّوَى ثُمَّ أَصْبَحَتْ عِرَاضُ الْوَلَّى مِنْ أَهْلِهَا قَدْ تَخَلَّتْ

(١) في التجريد : « ولت » مكان « ذلت » .

أخبار داود بن سلم

ولاؤه ونسبه هو مولى آل تيم بن مرة . فقيل : إنه مولى آل أبي بكر رضى الله عنه .
وقيل : إن أباه رجل من النبط ، وقيل : مولى آل طلحة . وأمه بنت حوط ، مولى
عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي . فأنتسب إلى ولأه أمه .
طبقته وهو شاعر مخضرم الدولتين : العباسية والأموية .

سبب كنيته بالأدلم وكان يقال له : الأدلم ، لشدة سواده .
شيء عن بخله ودُّ كر أنه كان من أبخل الناس ، فطرقه قومٌ وهو بالعقيق فصاحوا به :
العشاء والقرى يا بن سلم ! فقال لهم ، لا عشاء لكم عندى ولا قرى . قالوا : فأين
قولك في قصيدتك :

يادارَ هَندٍ أَلَا حُيِّتَ مِنْ دَارٍ لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَاتِي وَأَوْطَارِي
إِذْ تَقُولُ فِيهَا :

عُودْتُ نَفْسِي إِذَا مَا الضَّيْفُ بُنِّهَنِي عَقَرُ الْعِشَارِ^(١) عَلَى يُسْرِي وَإِعْسَارِي
فَقَالَ : لَسْتُ مِنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ عَنِتُّ .

وقيل :

شعره يمدح قثم بن
العباس

كان داود بن سلم منقطعاً إلى قثم بن العباس الهاشمي ، وفيه يقول :

أَعْتَقْتُ مِنْ حَلٍّ وَمِنْ^(٢) رِحْلَةٍ يَانَاقُ إِنِّ أَدْنَيْتَنِي مِنْ قُثَمٍ

(١) العشار : من النوق ما مضى لحملها عشرة أشهر ؛ الواحدة عشراء . والرواية في بعض
أصول الأغاني : « عودت فيها » مكان « عودت نفسي » .

(٢) في الأغاني :

* عتقت من حلٍّ ومن رحلتى *

إِنَّكَ إِنْ أَذْنَيْتَ مِنْهُ غَدًا حَالَفَنِي الْيُسْرَ وَمَاتَ الْعَدَمُ
فِي وَجْهِهِ بَدْرٌ وَفِي كَفِّهِ بَحْرٌ وَفِي الْعَرْنَيْنِ مِنْهُ شَمَمٌ
أَصَمُّ عَنْ قِيلِ الْخَنَّا سَمْعُهُ وَمَا عَنِ الْخَيْرِ بِهِ مِنْ صَمَمٍ
لَمْ يَدْرِ مَا «لَا» وَ«بَلَى» قَدْ دَرَى فَعَافَهَا وَأَعْتَاضَ مِنْهَا «نَعَمْ»

وحكى داود قال :

كُنْتُ يَوْمًا جَالِسًا مَعَ قُتَيْبِ بْنِ الْعَبَّاسِ قَبْلَ أَنْ يُمْلِكُوا بَغْنَاءَهُ ، فَمَرْتُ بِنَا
جَارِيَةٍ فَأَعْجَبَ بِهَا قُتَيْبٌ وَتَمَنَّاها ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ ثَمْنُهَا . فَلَمَّا وَلِيَ قُتَيْبُ الْيَمَامَةَ اشْتَرَى
الْجَارِيَةَ إِنْسَانٌ يُقَالُ لَهُ : صَالِحٌ . فَكَتَبْتُ إِلَى قُتَيْبٍ :

يَا صَاحِبَ الْعَيْسِ ثُمَّ رَاكِبَهَا بَلَّغْ إِذَا مَا لَقَيْتَهُ قُتَيْبًا
أَنَّ الْغَزَالَ الَّذِي أَجَازَ بِنَا مُعَارِضًا إِذْ تَوَسَّطَ الْحَرَمَا
حَوَّلَهُ صَالِحٌ فَصَارَ مَعَ الْإِنْسِ وَخَلَّى الْوَحُوشَ وَالسَّلَامَا
فَأَرْسَلَ قُتَيْبٌ فِي طَلَبِ الْجَارِيَةِ لِشْتَرِيهَا ، فَوَجَدَهَا قَدْ مَاتَتْ .

وقيل : أَتَى دَاوُدُ بْنُ سَلَمٍ إِلَى حَرْبِ بْنِ خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ .
فلما نَزَلَ بِهِ حَظًّا غِلْمَانُهُ مُتَنَاعٍ دَاوُدَ وَحَلُّوا عَنْ رَاحِلَتِهِ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ :

وَلَمَّا دَفَعْتُ لَأَبْوَابِهِمْ وَلَا قِيْتُ حَرْبًا لَقِيْتُ النَّجَاحَا
رَأَيْنَاهُ ^(١) يَحْمَدُهُ الْمُجْتَدُونَ وَيَأْتِي عَلَى الْعُسْرِ إِلَّا سَمَاحَا
وَيُعْشَوْنَ حَتَّى يُرَى كَلْبُهُمْ يَهَابُ الْهَرِيرِ وَيَنْسَى النَّبَاحَا

فَأَجَازَهُ بِجَائِزَةٍ عَظِيمَةٍ . ثُمَّ اسْتَأْذَنَهُ فِي الْخُرُوجِ ، فَأَذِنَ لَهُ وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ .
فَلَمْ يُعْنِهِ أَحَدٌ مِنْ غِلْمَانِهِ وَلَمْ يَقُومُوا إِلَيْهِ ، فَظَنَّ أَنَّ حَرْبًا سَاخَطُ عَلَيْهِ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَجَدْنَاهُ » .

شعره في جارية
هو بها قُتَيْبٌ وفاته
شراؤها

ملح حرب بن خالد
فأجازه

فأخبره بما رأى من غلمانہ . فقال له : سألهم لم فعلوا بك ذلك ؟ فسألهم . فقالوا :
 إنا نزل من جاءنا ولا نزل من يخرج عنا . فسمع الغاضرى حديثه ، فأتاه
 فحدثه ، فقال : أنا يهودى إن لم يكن الذى قال لك الغلمان أحسن من شعرك !
 ومن جيد شعر داود قوله :

من جيد شعره

وما ذرّ قرن الشمس إلا ذكرتها وأذكرها فى وقت كل غروب
 وأذكرها ما بين ذاك وهذه وبالليل أحلامى وعند هبوبى
 وقد شفى شوقى وأبلانى ^(١) الهوى وأعيا الذى بى طب كل طيب
 وأعجب منى ^(٢) لا أموت صباة وما كمد من عاشق بعجيب
 وكل محب قد سلا غيرأتى غريب الهوى يا وىج كل غريب
 وكلامنى ^(٣) فيها أنخ ذو نصيحة فقلت له أقصر ففيرى مصيب
 أتأمر إنسانا بفرقة قلبه أتصلح أجسام بغير قلوب

والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار داود بن سلم ، هو :

شعره الذى فيه
الغناء

قل لأسماء أنجزى الميعادا وأنظرى أن تزودى منك زادا
 إن تكونى حلت ربعا من الشأ م وجاورت حنيرا أو مرادا
 أو تنأت بك النوى فلقد قد ت فوادى لحينه فأثقادا
 ذاك أنى علقت منك جوى الحب وليدا فزدت سنا فزادا

(١) فى الأغاني : « وأبعدنى » .

(٢) فى الأغاني : « أنى » .

(٣) فى الأغاني : « وكلم لام فيها » .

أَخْبَار دَحْمَانَ

وهو عبد الرحمن بن عمرو ، مولى بنى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .
ويكنى : أبا عمرو . ودَحْمَان لقب لُقَب به . وكان يقال له : دَحْمَان الأَشْقَر . وكان
مُعَدَّلاً مَقْبُول الشهادة عند القضاة بالمدينة . وكان من رُوَاة مَعْبِد وِغْلَمَانَة المتقدِّمين .

وقيل :
ما أفاده من
المهدى مرة

إنه وفد إلى المهدى ورجع من عنده وحاصله مائة ألف دينار .

هو والمهدى
وضيعة تان وهما له

وغنى المهدى ليلة في شعر الأحوص :

قَطُوفُ الْمَشَى إِذْ تَمَشَى تَرَى فِي مَشْيِهَا ^(١) خَرَقًا

فطربوا استخفه السرو رُحَى قال لدَحْمَان : سَلْنِي . فقال : ضَيِّعَتَانِ بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ
لِهَا : رِيَانٌ وَغَالِبٌ . فَأَقْطَعُهُ إِيَّاهُمَا . فَلَمَّا خَرَجَ التَّوْقِيعَ بِذَلِكَ إِلَى أَبِي عُبَيْدِ اللَّهِ ، ^(٢)
وَعُمَرَ بْنِ بَزِيعٍ ، رَاجِعَا الْمَهْدَى فِيهِ وَقَالَا : إِنْ هَاتَيْنِ الضَّيْعَتَيْنِ لَمْ يَمْلِكْهُمَا قَطُّ إِلَّا
خَلِيفَةٌ ، وَقَدْ اسْتَقْطَعَهُمَا وَلَاةُ الْعُيُودِ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةٍ فَلَمْ يُقْطَعُوهُمَا . فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَا أَرْجِعُ فِيهِمَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَرْضَى . فَصُورُحَ عَلَى سَحْسِينِ أَلْفَ دِينَارٍ .

حديثه مع الوليد
في جارية اشتراها
منه ثم ردها إليه

وقيل :

كَانَ دَحْمَانُ جَمَّالًا يُكْرَى إِلَى الْمَوَاضِعِ وَيَتَجَرَّ ، وَكَانَتْ لَهُ مُرُوءَةٌ ، فَبَيْنَا هُوَ
ذَاتَ يَوْمٍ قَدْ أَكْرَى وَأَخَذَ مَالَهُ إِذْ سَمِعَ رَنَّةً . فَاتَّبَعَ الصَّوْتَ فَإِذَا جَارِيَةٌ قَدْ خَرَجَتْ
تَبْكِي ، فَقَالَ لَهَا : أُمْلُوكَةُ أَنْتِ ! قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : لِمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : لَأَمْرَأَةٍ

(١) قَطُوفُ الْمَشَى : بطيئة . والخرق : التحير والدهش . يصفها بالخضر والحياة .

(٢) هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري الكاتب الوزير .

من قُرَيْشٍ ، نَسَبَتْهَا لَهُ . فَدَخَلَ فَسَامَهَا بِهَا حَتَّى اسْتَقَرَّ أَمْرُ الثَّمَنِ بَيْنَهُمَا . ثُمَّ اشْتَرَاهَا مِنْهَا بِمِائَتِي دِينَارٍ ، وَنَقَدَهَا الثَّمَنَ ، وَأَنْصَرَفَ بِالْجَارِيَةِ . قَالَ دَحْمَانُ : فَأَقَامَتْ عِنْدِي مُدَّةً أَطْرَحُ عَلَيْهَا وَيَطْرَحُ عَلَيْهَا مَعْبِدٌ وَالْأَبْجَرُ وَنُظَرَاؤُهُمَا مِنَ الْمُغْنِيِّينَ . ثُمَّ خَرَجْتُ بِهَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى الشَّامِ ، وَقَدْ حَذَقْتُ ، فَكُنْتُ لَا أَزَالُ إِذَا نَزَلْنَا أَنْزَلَ الْأَكْرِيَاءَ نَاحِيَةً ، وَأَنْزَلَ بِهَا مَعْتَزِلًا نَاحِيَةً فِي حِمْلٍ ، وَأَطْرَحُ عَلَى الْحِمْلِ مِنْ أُعْبِيَةِ^(١) الْجَمَّالِينَ ، وَأَجْلِسُ أَنَا وَهِيَ مَعِيَ تَحْتَ ظِلِّهَا ، فَأُخْرِجُ شَيْئًا فَنَأْكُلُهُ ، وَأَضَعُ رَكْوَةً^(٢) فِيهَا شَرَابٌ ، فَتَشْرَبُ وَتَتَغَنَّى حَتَّى نَرَحَلَ . فَلَمْ نَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَرُبْنَا مِنَ الشَّامِ ، فَبَيْنَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ نَازِلٌ ، وَأَنَا أُلْقِي عَلَيْهَا لَحْيً :

لَوْ رَدَّ ذَوْ شَفَقٍ حِمَامَ مَنِيَّةٍ لَرَدَدْتُ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ حِمَامًا
صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ مِنْ مُسْتَوْدَعٍ جَاوَرَتْ رِمًا^(٣) فِي الْقُبُورِ وَهَامَا

وَالشَّعْرَ لِإِسْمَاعِيلَ بْنِ يَسَارٍ .^(٤) قَالَ : فَרَدَدْتُهُ عَلَيْهَا حَتَّى أَخَذْتُهُ وَأَنْدَفَعْتُ تَغْنِيَهُ ، فَإِذَا أَنَا بِرَاكِبٍ قَدْ طَلَعَ يَسْلَمٌ عَلَيْنَا . فَرَدَدْنَا عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَالَ : أَتَأْذَنُونَ لِي أَنْ أَنْزَلَ تَحْتَ ظِلِّكُمْ هَذَا سَاعَةً ؟ قُلْنَا : نَعَمْ . فَنَزَلَ . وَعَرَضْنَا عَلَيْهِ طَعَامَنَا وَشَرَابَنَا فَأَجَابَ . فَقَدَّمْنَا إِلَيْهِ الشَّفْرَةَ ، فَأَكَلَ وَشَرِبَ مَعَنَا ، وَأَسْتَعَادَ الصَّوْتُ مَرَارًا . ثُمَّ قَالَ لِلْجَارِيَةِ : أَتُغْنِيَنِ لِدَحْمَانَ شَيْئًا ؟ قَالَتْ : نَعَمْ . قَالَ : فَغَنِّينِي صَوْتًا مِنْ صَنَعْتِهِ . فَغَنَّتْهُ أَصْوَاتًا مِنْ صَنَعَتِي ، وَغَمَزَتْهَا أَلَّا تُعْرِفَهُ أُنَى دَحْمَانَ . فَطَرَبَ وَأَمْتَلَأَ فَرْحًا وَسُرُورًا ، وَشَرِبَ أَقْدَاحًا ، وَالْجَارِيَةُ تَغْنِيَهُ ، حَتَّى قَرُبَ وَقْتُ الرَّحِيلِ . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ وَقَالَ : أَتَبْدِيْعِي هَذِهِ الْجَارِيَةَ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . فَقَالَ : بَكَمْ ؟ فَقُلْتُ لَهُ ، كَالْعَابِثِ : بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ . فَقَالَ : قَدْ أَخَذْتُهَا ، فَهَلُمَّ قِرْطَاسًا وَدَوَاةً . فَجِئْتُ بِذَلِكَ .

(١) الْأُعْبِيَةُ : الْأَكْسِيَةُ : جَمْعٌ : عِبَاءٌ .

(٢) الرِّكْوَةُ : إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « بَوْمَا » .

(٤) رَوَى هَذَا الشَّعْرُ فِي الْأَغَانِي لِكَثِيرٍ . وَقِيلَ : هُوَ لِعَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ الْهَشَامِيِّ .

فكتب : أدفع إلى حامل كتابي هذا ساعة تقرأه عشرة آلاف دينار ، وأستوص به خيراً ، وأعلمني بمكانه . وختم الكتاب ثم قال : أتدفع لي الجارية أم تكون معك حتى تقبض مالك ؟ قلت : بل أدفعها إليك . فحملها ثم قال : إذا جئت البخراء ^(١) فاسأل عن فلان وأدفع كتابي هذا إليه وأقبض منه مالك . وأنصرف بالجارية . قال : ومضيت ، فلما وردت البخراء سألت عن أسم الرجل ، فدللت عليه ، فإذا داره دارٌ مُلك ، فدخلت عليه ودفعت التوقيع إليه . فقبله ووضع علي عينيه ودعا بعشرة آلاف دينار وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال : أجلس حتى أعلم أمير المؤمنين بك . فقلت له : حيث كنتُ فأنا عبدك وبين يديك . وكان أمر لي بأنزال ، ^(٢) وكان بجيلاً ، فأغتنمت ذلك فارتحلت . وقد كنتُ أصبتُ بجملين . وكانت عدة أجمالي خمسة عشر فصارت ثلاثة عشر . وسأل عني الوليد فلم يدر القهرمان أين يطلبني . فقال له الوليد : عدة أجماله خمسة عشر جملاً ، فأردده إلي ، ولم يعرف اسمي فیسأل عني . وأقامت الجارية عنده شهراً لا يسأل عنها ، ثم دعاها ، بعد أن استبرئت ^(٣) وأصلح شأنها . وظلّ معها يومه ، حتى إذا كان في آخر النهار قال لها : غني لدحمان . فغنت . فقال لها : زیدی . فزادت . ثم أقبلت عليه وقالت : يا أمير المؤمنين ، أو ما سمعت غناء دحمان منه ؟ قال : لا . قالت : بلى والله لقد سمعته ؟ قال : وما ذاك ؟ ويحك ! قالت : إن الرجل الذي اشتريتنى منه هو دحمان . قال : أو ذلك هو ؟ قالت : نعم . هو هو . قال : وكيف لم أعلم ! قالت : غمّزني ألا أعلمك . فأمر فكتب إلى عامل المدينة بأن يحمل إليه دحمان . فحمل إليه . فلم يزل أثيراً عنده .

(١) البخراء : على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

(٢) الأنزال : جمع نزل ، بضم ن ، أو ضم فسكون ، وهي ما يهيا للضيف لينزل عليه .

(٣) استبراء الجارية : ألا تمس بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبين أحامل هي أم لا .

أخبار أعش همدان

اسمه هو عبدُ الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن ظالم^(١) بن جُشم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الجن^(٢) بن جُشم بن حاشد بن جُشم بن خير بن نوف بن همدان بن مالك بن زيد بن نزار بن أوسلة بن ربيعة بن الحباب^(٣) ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

كنيته ويكنى : أبا المصباح .

طبقته وشيء عنه شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة الأموية . وكان زوج أخت الشعبي الفقيه ، والشعبي زوج أخته . وكان الأعشى الهمداني أحد القراء والفُهاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر .

روياً أوله الشعي وحكى أنه قال للشعبي يوماً :

إني رأيتُ في منامي كأنى أدخل بيتاً فيه حنطة وشعير ، فقيل لي : خذ أيهما شئت . فأخذتُ الشعير . فقال له الشعبي : إن صدقتَ رؤياك تركتَ القرآنَ وقراءته وقلتَ الشعر . فكان كما قال .

أسره وحديثه مع بنت الملك وذُكر أن الحجاج بن يوسف أغراه الدَّيلم فأسر ، فلم يزل أسيراً في أيدي الدَّيلم مدة . ثم إن بنتاً للعِلاج الذي أسره هويته وصارت إليه ليلاً ومكثته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمان مرّات . فقالت الدَّيلمية : يا معشر المسلمين ، هكذا تفعلون

(١) في الأغاني : « نظام » .

(٢) في الأغاني : « عبد الحر » .

(٣) في الأغاني : « الحيار » .

بنسائكم؟ فقال لها: هكذا نفعل كلنا. فقالت: بهذا العمل نصرتكم، أفرأيت إن خلصتُك أنصطفيني لنفسك؟ فقال: نعم، وعاهدها. فلما كان الليل حلت قيوده وأخذت به طريقاً تعرفها حتى خلصته. فقال شاعر من أسرى المسلمين: فن كان يقديه من الأسر ماله فهمدانُ تغديها الغداة أيورها
وقال الأعشى قصيدته في أسره، التي أولها:

لَمِنَ الظَّعَّائِنُ سَيْرُهُنَّ تَرْجُفُ عَوَمَ السَّفِينِ إِذَا تَقَاعَسَ ^(١) تَجَذِفُ
مَرَّتْ بِذِي خُشْبٍ ^(٢) كَأَنَّ حُمُولَهَا تَحُلُّ بِيَثْرِبِ حَمْلُهُ مُتَضَعِفُ
ومنها:

بَابُ الْخَلِيطِ وَفَاتَنِي بِرَحِيلِهِ خَوَذُ إِذَا ذُكِرْتُ لِقَلْبِكَ يُشْغَفُ
تَجْلُو بِمَسْوَكَ الْأَرَاكِ مُنْظَمًا عَذْبًا إِذَا ضَحَكَتْ تَهْلَلُ يَنْطَفُ
وَكَأَنَّ رِيْقَتَهَا عَلَى عِلَلِ الْكَرَى عَسَلُ مُصَفًى فِي الْقِلَالِ ^(٣) وَقَرْقَفُ
وَكَأَنَّهَا نَظَرْتُ بَعَيْنِي ظَلِيَّةٍ تَحْنُو عَلَى خِشْفٍ لَهَا وَتَعْطَفُ
وَإِذَا تَنَوَّءَ إِلَى الْقِيَامِ تَدَافَعْتُ مِثْلَ النَّزِيفِ ^(٤) يَنْوُءُ مُمَّتْ يَضْعَفُ
ثَقُلْتُ رَوَادِفُهَا وَمَالَ بِخَصَرِهَا كَغَلٍّ كَمَا مَالَ النَّقَا الْمُتَقَصِّفُ
ومنها:

تلك التي كانت هوائى وحاجتى لو أن داراً بالأحبة تُسْعِفُ
وإذا تُصِيبُكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَأَصْبِرْ فَكُلُّ مُصِيبَةٍ سَتَكْشِفُ

(١) تجذف: تسرع. وفي بعض أصول الأغاني: «مجدف».

(٢) ذو خشب: واد على مسيرة ليلة من المدينة.

(٣) القلال: جمع قلة، وهى الكوز الصغير، أو الجرة ما كانت. والقرقف: الخمر.

(٤) النزيف: السكران.

ولئن بكيتُ من الفراق صَبَابَةً وإنَّ الكبير إذا بكى لِيُعْنَفَ
عجباً من الأيام كيف تَصَرَّفَتْ والدارُ تدنو مرةً^(١) وتَقْذَفُ
أصبحتُ رهناً للعداة مُكَبَّلًا أمسى وأصبح في الأدهم أَرْسُفَ
وأستنكرتُ ساقِ الوثاقِ وساعِدِي وأنا أمرؤُ بادي الأشاجع^(٢) أعْجَبُ
ولقد تُضَرِّسُنِي الحُرُوبُ وإِنِّي ألْفِي بكلِّ مخافةٍ أُنْعَسَفُ
ومنها يفتخر .

إِنِّي لَطَلَّابُ السَّمَرَاتِ مُطَلَّبٌ وبكُلِّ أَسبابِ النية أشرف
باقٍ على الحِدْمَانِ غيرُ مَكْذَبٍ لا كاسفٍ بَالِي ولا مُتَأَسِّفٍ
إِنِّي نِلْتُ لَمْ أَفْرَحْ بِشَيْءٍ نِلْتُهُ وإذا سُبِقْتُ بِهِ فَلَا أَتْلَهَفُ
إِنِّي لِأَحْيَى فِي الْمَضِيقِ قَوَارِسِي وَأَكْرُ خَلْفَ الْمُسْتَضَافِ^(٣) وَأُعْطِفُ
وَأَشْدُّ إِذْ يَنْبُو^(٤) الْجَبَانُ وَأُضْطَلِّي حَرَّ الْأَسْنَةِ وَالْأَسْنَةِ تَرْعُفُ
فلئن أَصَابَتْنِي الحُرُوبُ فَإِنِّي أَدْعِي إِذَا مُنِعَ الرَّدَائُ فَأُرْدِفُ
وَلَرَبَّمَا يَرْوِي بِكَفِّي لَهْذَمٌ ماضٍ وَمُطَرِّدُ الْكُعُوبِ^(٥) مُنْقَفٌ
وَأَغِيرُ غَارَاتٍ وَأَشْهَدُ مَشْهَدًا قَلْبُ الْجَبَانِ بِهِ يَطِيرُ وَيَرْجُفُ
وَأَرَى مَغَانِمَ لَوْ أَشَاءَ حَوَيْتُهَا فَيَصُونُنِي^(٦) عَنْهَا غِنَى وَتَعْفُفُ

قليل :

ملح النعمان
ابن بشير لوساطته
في عطاء

إن أعشى همدان خرج إلى الشام في خلافة مروان بن الحكم، فلم ينل فيها

(١) تقذف : تبعث .

(٢) الأشاجع : أصول الأصابع . وأعجف : قليل اللحم .

(٣) المستضاف : من يفرع إليه غيره ويلتجئ إليه . يريد الشجاع الحامي لما وراءه .

(٤) في بعض أصول الأغاني : « يَكْبُو » .

(٥) الهذم : السيف . ومطرّد الكعوب : الرمح المتتابعة كعوبه . والمتقف : المسوى .

(٦) في الأغاني : « فيصدنِي » .

حظاً ، فجاء إلى النعمان بن بشير الأنصاري ، وهو عامل على حصص ، فكلّم له النعمان اليمانية وقال لهم : هذا شاعر اليمن ولسانها ، واستأجروهم له . فقالوا : نعم ، يُعطيه كل رجل منّا دينارين من عطائه . فقال : لا ، بل أعطوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعَجَّلاً . فقالوا : أعطه إياه من بيت المال واحتسبها على كل منّا من عطائه . ففعل النعمان . فكانوا عشرين ألف رجل ، فأعطاه عشرين ألف دينار ، وأرتجعها منهم عند العطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان بن بشير :

فلم أرَ للحاجات عند التماسها كنُعمانَ نعمانِ الندى ابنِ بشيرِ
إذا قال أوفى ما يقولُ ولم يكن كمدلٍ إلى الأقوامِ جبلٌ غرورِ
متى أكفرُ النعمانَ لم ألفَ شاكراً وما خيرُ من لا يقتدي بشكورِ
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازِلٍ نوى ما نوى لم ينقلب^(١) بنكيرِ

طلق زوجه
وتزوج أخرى

وذكر أن الأعشى كانت عنده امرأة من قومه ، يقال لها : أم الجلال ، فطلّقت مدتها عنده فأبغضها . ثم خطب امرأة يقال لها : جَزَلَة ، فقالت : لا ، حتى تطلق أم الجلال . فطلقها وقال في ذلك :

تَقَادِمُ وَدَكِ أُمُّ الْجَلالِ فطاشتِ نبأك عند النضالِ
وطال لزومك لي حِقْبَةً فرثت قوى الحبل عند الوصالِ^(٢)
ومنها :

وكان الفؤاد بها مُعَجَبًا فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالي
فبعض العتاب فلا تهلكي فلا لك في ذاك خيرٌ ولا لي
ولما بدا لي منها البذا صبحتُ بثلاثٍ عجمالِ

(١) النكير : النكته في ظهر النواة . يضرب بها المثل للقليل .

(٢) في الأغاني : « بعد » .

ثلاث^(١) خرجن جميعاً بها فخلّيتهن ذات بيتٍ ومال
إلى أهلها غير مخلوعةٍ وما مسّها عندنا من نكال
فحنيّ حنينك وأستيقني بأنّا أطرحناك ذات الشمال
وأنّ لا رجوع فلا تُكذّبني من ما حنت النيبُ إثر الفصل
ولا تحسبي أنني^(٢) قد ندّمْتُ كلاً وخالفنا ذى الجلال

فقال له أمّ الجلال : بئس والله بعلُ الحرّة وقرينُ الزوجة المسلمة أنت !
أعددتَ طول الحرمة والصُّحبة ذنباً تسبني به وتهجونى له ! ثم دعت عليه أن
يُبغضه الله إلى زوجته التي اختارها ، وفارقتهُ . فلما أنتقلت « جَزَلَة » إليه ودخل
بها لم يحظْ عندها ، وتركته وتنكرت له ، وأشدّتْ شغفه بها ، وقال فيها قصيدته
التي منها الأبيات التي فيها الغناء ، وأفتتح بها أبو الفرج أخباره ، وأولّها :

حيّياً جَزَلَةً منى بالسَّلامِ دُرّة البحر ومِصباح الظَّلامِ
لا تُصدّي بعد ودّي ثابتٍ وأسمعي يا أمّ عيسى من كلامي
إن تدومي لي فوصلي دائماً أو تهمني لي بهجرٍ وأنصرام
أو تكوني مثلَ برقي خُلبٍ خادعٍ يلمع في عُرض النّعامِ
أو كتخيّل سرابٍ مُعرضٍ بفلاة أو طُروقٍ في المنامِ
فأعلمي إن كنت لما تعلمي ومتى ما تفعلّي ذاك تُلامي
بعد ما كان الذي كان فلا تُنبعي الإحسان إلاّ بالتمامِ
وأذكرى الوعد الذي واعدتني ليلة النّصف من الشهر الحرامِ
لا تناسي كلّ ما أعطيتني من عهود ومَوائيق عظامِ

(١) في الأغاني : « ثلاثا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « ولا تحسبيني بأنّي ندمت » .

راجي الوصل ورُدِّي نظرة
وإذا أنكرت مني شيمة
فأذكرها لي أزل عنها ولا
وأرى حبلك رثاً خلقاً
ورأت جسي عليه^(٢) كبرة
وهي ييضاء على منكبها
وإذا تضحك تبدي حباً
كملت ما بين قرن إلى
وأراها اليوم لي قد أحدثت

لا تلجى في طمّاح وأنام
فلقد يُنكر ما ليس بدام
تُسفح عينيك بالدمع السّجام
وجبالي جدداً غير^(١) رمام
وصُروف الدهر قد أبلت عظامي
قطط جعد وميال^(٣) سُحامي
كرضاب المسك في الراح المدام
موضع الخلل من تحت^(٤) الخدام
خلقاً ليس على العهد القدام

وقيل :

أملق أعشى همدان ، فأتي خالد بن عتاب بن ورقاء ، وأنشده :

رأيتُ ثناء الناس بالغيب^(٥) طيباً
بني الحارث السّامين للجد إنكم
هنيئاً لما أعطاكم الله وأعلموا
فإن يك عتاب مضي لسبيله
فأمر له بخمسة آلاف درهم .

عليك وقالوا ماجد وابن ماجد
بنيتُ بناء ذِكره غيرُ بائد
بأني سأطرى خالداً في القصائد
فما مات من أبقى^(٦) له مثل خالد

(١) رمام : بالية .

(٢) في الأغاني : « علاه » .

(٣) القطط : القصير . والسحامي : الأسود ، على النسبة ، وخفف للشعر . وفي الأغاني :

« سخام » بالخاء المعجمة . وهو اللين الحسن من الشعر . وعلى هذه الرواية في البيت إقواء .

(٤) الخدام : الخللخال . والرواية في الأغاني : « الخللخال منها والخدام » .

(٥) في الأغاني : « بالقول » مكان « بالغيب » .

(٦) في الأغاني : « يبق » .

وقيل :

أنشد سابق لعمر
ابن عبد العزيز
من شعره فأبكاه

إنَّ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يوماً لسابق البربري، وقد دخل عليه :
أنشدني يا سابق شيئاً من شعرك تذكرني به . قال : أو خيراً من شعري ؟ قال :
هات . فأنشده للأعشى الممداني :

وبينا المرء يُمسي ناعماً جَذِلاً في أهله مُعجَباً بالعِش^(١) ذا أنقِ
غِراً أُتيح له من حينه عَرَضٌ فما تلبث حتى مات كالصَّعِقِ
ثُمَّتْ أَضْحَى ضُحًى مِنْ غِبِّ ثَالِثَةٍ مُقَنَّعاً غَيْرَ ذِي رُوحٍ وَلَا رَمَقِ
فما تَزَوَّدَ ممَّا كان يَجْمَعُهُ إِلَّا حَنُوطاً وما واره من^(٢) خِرَقِ
وغيرَ نَفْحَةٍ أعواد تُشَبُّ له وقلَّ ذلك من زادٍ لمُنْطَلِقِ
فبكي عُمر رحمه الله تعالى حتى أُخْضِلَّت لحيته .

ذكر مقتل الأعشى

مقتله

قيل : بعث الحجاج بن يوسف الثقفي ، وهو يومئذ أميرُ العراق ، لعبد الملك
ابن مروان . عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدِيُّ ، في عسكر
كثيف لقتال التُّرك ، وفي ذلك الجيش الأعشى وخلق من القراء والوجوه
وأهل النباهة . وكانت وطأة الحجاج قد ثقلت على الناس . فأجمعوا على خلع الحجاج .
فخلعوه وبايعوا عبد الرحمن بن الأشعث . فأقبل بالناس يُريد العراق للاستيلاء
عليه وطرُد الحجاج منه . وجعل الأعشى يقول الشعر في ابن الأشعث يمدحه
ويحرِّض أهل الكوفة بأشعاره على القتال . فكان مما قاله في ذلك :

(١) الأنق : الفرح والسرور .

(٢) رواية الأصل : « إِلَّا حَنُوطاً غداة البين أو خرق » . والحنوط : طيب يعد للموتى .

يَأبَى إِلَهِ وَعِزَّةُ ابْنِ مُحَمَّدٍ وجدودُ مَلِكٍ قَبْلَ آلِ ثَمُودِ
 أَنْ تَأْنِسُوا بِمُدَّ مَيْنِ عُرُوقِهِمْ فِي النَّاسِ إِنْ نُسِبُوا عُرُوقُ عَبِيدِ
 كَمَنْ مِنْ أَبٍ لَكَ كَانَ يَعْقِدُ تَاجَهُ بِجَبِينِ أَبْلَجٍ مَقُولِ صَنِيدِ
 وَإِذَا سَأَلْتَ لِلْمَجْدِ أَيْنَ مَحَلُّهُ فَالْجَدُّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَسَعِيدِ
 بَيْنَ الْأَشْجِ وَبَيْنَ قَيْسٍ بِاذْخِ بَخْ بَخْ لَوْلَا لَدَهُ وَلِلْمَوْلُودِ
 مَا قَصَّرَتْ بِكَ أَنْ تَنَالَ مَدَى الْعَلَا أَخْلَاقُ مَكْرُمَةٍ وَإِثْرُ جُدُودِ
 قَرْمٌ إِذَا سَامَى الْقُرُومَ تَرَى لَهُ أَعْرَاقَ تَجْدٍ طَارِفٍ وَتَلِيدِ
 وَإِذَا دَعَا لِعَظِيمَةٍ حُشِدَتْ لَهُ هَمْدَانُ تَحْتَ لَوَائِهِ الْمَقْعُودِ
 يَمْشُونَ فِي حَلَقِ الْحَدِيدِ كَأَنَّهُمْ أَسَدُ الْأَبَاءِ ^(١) سَمِيعُ زَارِ أَسُودِ
 وَإِذَا دَعَوْتَ بَالِ كَنْدَةَ أَجْفَلُوا بِكُھُولِ صِدْقٍ سَيِّدٍ وَمَسُودِ
 وَشَبَابٍ مَأْسَدَةٍ كَأَنَّ سِيُوفَهُمْ فِي كُلِّ مَلْحَمَةٍ بُرُوقُ رُعُودِ
 مَا إِنْ تَرَى قَيْسًا يُقَارِبُ قَيْسَكُمْ فِي الْمَكْرُمَاتِ وَلَا تَرَى كَسْعِيدِ

وجاءت الحجاج الأمداد من الشام ، وكانت بينه وبين ابن الأشعث الوقعة العظيمة المعروفة بوقعة الجاحم ، وغيرها . وكان الأعشى شديد التّحريض على الحجاج في تلك الحروب . فذكر أن أصحاب ابن الأشعث جالوا جولة ثم عادوا ، فنزل الأعشى عن سرجه ونزعه عن فرسه ونزع درّعه فوضعهما فوق السّرج ثم جلس على الدّرع فأحدث في السّرج ، والناس يروّنه ، ثم قال لهم : لعلمكم أنكرتم ما صنعت ؟ قالوا : أوليس هذا بمنكر ؟ قال : كلّمكم قد سلّح في سرجه ودّعه خوفاً وفرقاً ، ولكنكم ستزتموه وأظهرته . فحى القوم وقاتلوا قتالاً شديداً

(١) الأباء : جمع أباءة ، وهى الأبهة .

يومهم إلى الليل . وشاع فيهم الجراحُ والقتل . وأنهم أصحاب الحجاج يومئذ .
ثم عاودوهم من غدٍ وقد نكأتهم الحربُ وجاءهم مدد من الشام ، فباكروهم القتال
وهم مُستريحون ، فأنهزم ابن الأشعث أقبحَ هزيمة .

هو والحجاج ومقتله قيل :

وأنى الحجاجُ بالأعشى أسيراً ، فقال له الحجاج : الحمد لله الذى مكن منك ،
ألست القائل :

لَمَّا سَمَوْنَا^(١) لِلْكَفُورِ الْفَتَّانِ بِالسَّيِّدِ الْفَطْرِيفِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
سَارِ بِمَجْمَعٍ كَالْقَطَا مِنْ قَحْطَانِ وَمِنْ مَعَدٍ قَدْ آتَى ابْنُ عَدْنَانَ
أَمْكَنَ رَبِّي مِنْ ثَقِيفٍ هَمْدَانِ يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ يُسَلِّي مَا كَانَ
إِنَّ ثَقِيفًا مِنْهُمْ الْكَذَّابَانِ كَذَّابُهَا الْمَاضِي وَكَذَّابُ نَانَ
أُولِست القائل :

يَا بْنَ الْأَشَجِّ قَرِيعَ^(٢) كِنْدَةَ لَا أَبَالِي فِيكَ عَتَبَا
أَنْتَ الرَّئِيسُ ابْنُ الرَّئِيدِ سِ وَأَنْتَ أَعْلَى النَّاسِ كَعْبَا
نُبِئْتُ حَجَّاجَ بْنَ يُو سَفَا خَرَّ مِنْ زَلَقٍ فَتَبَا
فَأَنْهَضَ هُدَيْتَ لَعْلَهُ يَجْلُو بِكَ الرَّحْمَنُ كَرَبَا
وَأَبْعَثَ عَطِيَّةً فِي^(٣) الْجُدُ هُوَ دِيكَبْنِ عَلَيْهِ كَتَبَا

كَلَّا يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ هُوَ الَّذِي خَرَّ مِنْ زَلَقٍ فَتَبَّ ، وَخَارَ^(٤)

(١) في بعض أصول الأغاني : « سفونا » . و سفا : خف وأسرع .

(٢) الأشج : الأشعث بن قيس الكندي ، جد عبد الرحمن بن محمد ، مخاطب الأعشى في هذا الشعر . والقرييع : السيد .

(٣) عطية ، هو ابن عمرو العبدي . كان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأشعث ، وكان لا يلقى خيلاً إلا ضربها .

(٤) خار : انكسر وضعف . ورواية الأغاني : « حار » .

وأنكبت ، وما لقي ما أحب . ورفع بها صوته وأربد بها وجهه وأهتز منكباه .
فلم يبق في المجلس أحدٌ إلا هَمَّتْهُ نفسه وأرتعدت فرائضه . فقال له الأعشى :
أنا القائل أيها الأمير :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتَخُودَا
وَيُنْزِلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ كَمَا تَقْضُوا الْعَهْدَ الْوَثِيقَ الْمُؤَكَّدَا
وَمَا لَبِثَ الْحِجَّاجُ أَنْ سَلَ سَيْفَهُ عَلَيْنَا فَوَلَّى جَمْعُنَا مُتَبَدِّدَا
وَمَا زَا حَفَ الْحِجَّاجُ إِلَّا رَأَيْتَهُ حُسَامًا مُلْتَقًى لِلْحُرُوبِ مُعَوَّدَا
فَكَيْفَ رَأَيْتَ اللَّهَ فَرَّقَ جَمْعَهُمْ وَفَرَّقَهُمْ عُرْضَ الْبِلَادِ وَشَرَّدَا
بِمَا نَكُنُوا مِنْ بَيْعَةٍ بَعْدَ بَيْعَةٍ إِذَا ضَمِنُوهَا الْيَوْمَ خَاسُوا بِهَا غَدَا
وَمَا أَحْدَثُوا مِنْ بِدْعَةٍ وَعَظِيمَةٍ مِنَ الْقَوْلِ لَمْ تَصْعُدْ إِلَى اللَّهِ مَصْعَدَا
فَضَارَبْنَا^(١) الْحِجَّاجَ دُونَ صُقُوفِنَا كِفَاحًا وَلَمْ يَضْرِبْ لَذَلِكَ مَوْعِدَا
يَجْنُدُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَخَيْلَهُ وَسُلْطَانَهُ أَمْسَى مُعَانًا مُؤَيَّدَا
لِيَهْنِئَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظُهُورُهُ عَلَى أُمَّةٍ كَانُوا بُغَاةً وَحُسَّادَا
وَجَدْنَا بَنِي مَرْوَانَ خَيْرَ أُمَّةٍ وَأَعْظَمَ هَذَا الْخَلْقِ حِلْمًا وَسُودَا
وَخَيْرَ قُرَيْشٍ مِنْ قُرَيْشِ أَرْوَمَةٍ وَأَكْرَمَهُمْ إِلَّا النَّبِيَّ مُحَمَّدَا
إِذَا مَا تَدَبَّرْنَا عَوَاقِبَ أَمْرِنَا وَجَدْنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسَدَّدَا
سَيُغْلِبُ قَوْمٌ غَالِبُوا اللَّهَ^(٢) جَهْلَةً وَإِنْ كَايِدُوهُ كَانَ أَقْوَى وَأَكِيدَا
كَذَاكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مَرِيضًا وَمَنْ وَالى النِّفَاقَ وَالْخُدَا
وَقَدْ تَرَكُوا الْأَمْوَالَ وَالْأَهْلَ خَلْفَهُمْ وَبِيضًا عَلَيْهِمُ الْجَلَالِيْبُ^(٣) خُرْدَا

(١) في الأغاني : « فصادمنا » .

(٢) ويروى : « سيغلب قوماً غالبوا الله جهرة » .

(٣) الخرد : الخفريات من النساء . جمع نادر لخريدة .

يُنَادِينِهِمْ مُسْتَعْبِرَاتٍ إِلَيْهِمْ وَيُذَرِّينَ دَمْعًا فِي الْخُدُودِ وَإِثْمًا
فَلَا تَتَاوَلَهُنَّ مِنْكَ ^(١) بَرَحْمَةٌ يَكُنَّ سَبَايَا وَالْبُعُولَةُ أَغْبُودًا
تَعَطَّفَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ فَقَدْ تَرَكَوْا أَمْرَ السَّفَاهَةِ وَالرَّدَى
لَعَلَّهُمْ أَنْ يُحْدِثُوا الْعَامَ تَوْبَةً وَتَعْرِفَ نَصْحًا مِنْهُمْ وَتَوُدُّدًا

فقال من حضر من أهل الشام : قد أحسن أيها الأمير ، فخلّ سبيله . فقال :
أتظنون أنه أراد المدح ؟ لا والله ! ولكنه قال هذا أسفًا لعلبتكم إياه ، وأراد
أن يحض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال : أظننت يا عدوّ الله أنك تتخدعنى بهذا
الشعر وتقلت منى حتى تنجو ! ألسنت القائل ويحك :

بين الأشجّ وبين قيس باذخُ بَخْ بَخْ لوالده وللمولود

والله لا تنجح بعدها أبدًا ! ألسنت القائل :

وأصابنى قومٌ وكنْتُ أُصِيبُهُمْ فَالْيَوْمَ أَصْبِرُ لِلزَّمانِ وَأَعْرِفُ

كذبتَ والله ! ما كنتَ صبوراً ولا عروفاً ! ثم قلت بعده :

وَإِذَا تُصِيبُكَ مِنَ الْحَوَادِثِ نَكْبَةٌ فَاصْبِرْ فَكُلَّ غَيَابَةٍ سَتَكْشِفُ

أما والله لتكونن نكبة لا تنكشف غيابتها أبدًا . يا حرسى ، أضرب عنقه .
فضربت عنقه .

قلت :

مصير ابن الأشعث

وكان آخر أمر ابن الأشعث أن هرب إلى ملك الترك فاستجار به . فكاتب
الحجاج ملك الترك في تسليمه إليه وبذل له بذلاً ، والتزم أنه لا يغزوه مدّة .
فسلمه ملك الترك إلى من ورد إليه من عند الحجاج . فضوّا به إليه . فبات ليلة

(١) فى الأصل : « فَلَا تَتَاوَلَهُنَّ مِنْكُمْ » .

على سَطْح عالٍ في بعض المنازل ، وأغتم غفلةً ممن يحرسه ، ثم رمى بنفسه من السَّطح ، فأت أنفةً وحميةً لئلا يقع في يد الحجاج . وفي ذلك يقول أبو بكر ابن دُرَيْد :

وَأَبْنُ الْأَشَجِّ الْقِيلُ ^(١) قَادَ نَفْسَهُ إِلَى الرَّدَى حِذَارَ إِثْمَاتِ الْعِدَا

(١) القيل : الملك .

أخبار حماد الراوية

هو حماد بن ميسرة . وقيل : ابن سابور ، مولى بنى شيان .

نسبه وولاه

وكان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها .
وكانت ملوك بنى أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره . ويقدم عليهم وينادهم ، ويسألونه
عن أيام العرب وعلموها ويجزلون صلته .

علمه وصلة بنى أمية
له عليه

وذُكر أن الوليد بن يزيد قال له : بما استحققتَ هذا اللقب ، فقيل لك :
حماد الراوية ؟ قال : بأني أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ،
ثم أروى لأكثر منهم ممن تعرف بأنك لم تعرفهم ولم تسمع بهم ، ولا أنشد شعراً
لقديم ولا أحدث إلا ميزت القديم منه من المحدث . فقال : إن هذا العلم وأبيك
لكثير ! فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثير ، ولكنني أنشدك على
أى حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية ،
دون شعر الإسلام . قال : سأمتحنك في هذا الأمر . وأمره بالإشاد . فأنشد
حتى صجر الوليد ، ثم وكل به من استخلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه .
فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهليين . وأخبر الوليد بذلك . فأمر له
بمائة ألف .

بينه وبين الوليد
ابن يزيد وقد سأله
عن لقبه

وقيل :

الحمادون الثلاثة

كان بالكوفة ثلاثة نفر يقال لهم : الحمادون — حماد عجير ، وحماد
الراوية ، وحماد بن الزبرقان — يتنادمون على الشراب ، ويتناشدون الأشعار ،
ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنهم نفس واحدة ، وكانوا يرمون
بالزندقة جميعاً .

(١) وقيل أخبار حماد ساق أبو الفرج « أخبار أحمد النصبى » المنفى في صفحات قليلة ،
ولكن ابن واصل أضرب عن ذكرها .

وفوده إلى هشام بن
عبد الملك

وحكى حماد قال :

كان أنقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان هشام يحفوني لذلك دون سائر
أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إلى هشام جفاني ،
ومكنت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرّاً ، فلما لم أسمع
أحدًا يذكرني سنة أمنتُ وخرجتُ فصليتُ الجمعة ، ثم جلستُ عند باب
القيل ، فإذا شرطيان قد وقفا عليّ وقالوا : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر^(١) .
فقلتُ في نفسي : من هذا كنتُ أحذر . ثم قلتُ للشرطين : هل لكما أن
تدعاني آتي أهلي فأودّعهم وداع من لا يرجع إليهم أبداً ، ثم أصير إليه ؟ فقالا :
ما إلى ذلك من سبيل . فأستسلمتُ في أيديهما وصرتُ إلى يوسف بن عمر ،
وهو في الإيوان الأحمر ، فردّ عليّ السلام ورَمَى إليّ كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر .
أما بعد . فإذا قرأتَ كتابي هذا فأبعثْ إلى حماد الراوية من يأتيك به غير
مُرَوَّع ولا مُتَعَتِّع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مهرياً^(٢) يسير عليه أثنى عشرة
ليلة إلى دمشق .

قال : فأخذتُ الخمسمائة دينار ، ونظرتُ فإذا جمل مرّحول ، فوضعتُ رجلي
في الفرز^(٣) وسيرتُ أثنى عشرة ليلة ، حتى وافيتُ بابَ هشام ، فأستأذنتُ
فأذن لي ، فدخلتُ عليه في دار قوراء^(٤) مفروشة بالرخام ، وبين كل رُخامتَيْن
قضيْبُ ذهبٍ ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالسٌ على طِنْفِسَةٍ حمراء ، قد تَضَمَّحَ

(١) لعله خالد بن عبد الله القسري ، لأنه عندما تولى هشام الخلافة سنة ١٠٥ هـ عزل عمر بن
هيرة عن ولاية العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري ، فبقى على العراق حتى سنة ١٢٠ هـ .
ف عزل هشام وولى العراق يوسف بن عمر .

(٢) نسبة إلى : مهرة بن حيدان ، حي من قبيلة من عرب اليمن . تنسب إليهم نجائب الإبل .

(٣) الفرز : ركاب الرحل .

(٤) قوراء : واسعة .

بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني الذهب ، يقبله بيديه فتفوح
روائحهم ، فسلمت فرد على السلام ، وأستدنانى ، فدنوت حتى قبلت رجله ، وإذا
جاريتان لم أر مثلهما ، فى أذنى كل واحدة منهما حلقتان من ذهب فيهما لؤلؤتان
تتوقدان . فقال : كيف أنت يا حماد ؟ وكيف حالك ؟ فقلت : بخير يا أمير المؤمنين .
قال : أتدرى فيم بعثت إليك ؟ قلت : لا . قال : بعثت إليك لبيت خطر ببالى
لم أدر من قاله ؟ قلت : وما هو ؟ فقال :

فدعوا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ فى يَمِينِها إِبْرِيقُ
فقلت : هذا يقوله عدي بن زيد فى قصيدة له . قال : فأنشدنيها . فأنشدته :
بَكَرَ الْعَاذِلُونَ فى وَضَحِ الصُّبِّ ح يَقُولُونَ لى أَمَّا تَسْتَفِيقُ
لست أدرى إذا كثروا العذل عندى أَعْدُوْهُ يُلْمِنِى أَوْ صَدِيقُ
وَيُلْمِنُونَ فىكَ يَا بَنِيَّةَ عَبْدِ اللَّهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ ^(١) مَوْهُوقُ
زَانِهَا حُسْنُهَا وَفَرَّغَ عَمِيمُ وَأَثِثُ صَلْتُ الْجَبِينِ ^(٢) أَنْيَقُ
وَنَسَايَا مُفْلَجَاتِ عِذابٍ لَا قِصَارَ تُرَى وَلَا هُنَّ ^(٣) رُوقُ
فدعوا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنَةٌ فى يَمِينِها إِبْرِيقُ
قدَّمْتُهُ على عُقَارِ كَعِينِ الدِّيكِ صَفَى سُلَافِهَا ^(٤) الرَّاؤُوقُ
ثم كان المِزَاجُ ماءً سَمَاءً غَيْرَ مَا آجِنٍ وَلَا مَطْرُوقُ
فطرب وقال : أحسنت والله يا حماد ! يا جارية أسقيه . فسقتنى شربة ذهب
بثلث عقلى ، وقال : أعد . فأعدت . فاستخف الطرب حتى نزل عن فرشه . ثم قال :
للجارية الأخرى : أسقيه شربة . فسقتنى ، فذهبت بثلث عقلى . فقلت : إن سقيت الثالثة

(١) موهوق : مشدود بالوهق ، وهو الحبل المغار .

(٢) الفرع : الشعر . والأثيث : الكثير . والصلت : الواضح . (٣) روق : طوال .

(٤) الراووق : المصفاة .

أفتضحتُ . فقال : سل حوائجك . فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم . قلت : إحدى الجاريتين . قال : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما . ثم قال للأولى : أسقيه . فسقتني شربة سقطت معها ، فلم أعقل . فلما أصبحت إذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عشرة من الخدم مع كل واحدٍ منهم بدرة . فقال لي أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها في سفرك . فأخذتها والجاريتين وأنصرفتُ .

ثم ذكر أبو الفرج روايةً أخرى لم يذكر فيها أنه سقاه . ورجحها أبو الفرج ، لأن هشام بن عبد الملك لم يثبت عنه أنه كان يشرب مُسكرًا ولا يسقيه بمحضرة ، وكان يعيب الشكر ويعاقب عليه .

وذكر أن جعفر بن أبي جعفر المنصور ، المعروف بأبن الكردية ، كان توسط مطيع له عند جعفر وسوء حفظ يستخف مطيع بن إياس ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه ، وله معه منزلة حسنة . فذكر مطيع حماداً الراوية لجعفر ، وكان صديقه ، وكان حماد مطرّحاً في أيام بني العباس ، وإنما كانت سعادته في أيام بني أمية . فقال له جعفر : أثنتا به لنراه . فأثنى مطيع حماداً فأخبره بذلك ، وأمره بالمسير إليه معه . فقال له حماد : دعني ، فإن دولتي كانت مع بني أمية ، ومالي عند هؤلاء خير . فأبى مطيع إلا الذهاب إليه . فاستعار حماد سواداً وسيفاً ثم أتاه . فمضى به مطيع إلى جعفر ، فلما دخل عليه سلمّ سلاماً حسناً وأثنى عليه وذكر فضله . فردّ عليه وأمره بالجلوس ، فجلس . فقال له جعفر : أنشدني . فقال : لمن أيها الأمير ؟ لشاعر بعينه أو لمن حضر ؟ قال : لجرير . قال : فسلخ الله شعر جرير من قلبي إلا قوله :

بَابُ الْخَلِيطِ بِرَامَتَيْنِ فودّعوا أَوْ كَلَّمَا اعْتَمَزُوا لَبِينَ تَجَزَعُ

فاندفعتُ أنشدته لِيَاها حتى أتهيتُ إلى قوله :

وتقول بوزعُ قد دببتَ على العصا هَلَّا هَزَنْتِ بغيرنا يا بوزعُ
قال حماد : فقال لي جعفر : أعد . فأعدته . فقال لي : بوزع ، أى شيء هو ؟
فقلت : امرأة أسمها بوزع . فقال : هو برىء من الله ورسوله ، ونفى من العباس
ابن عبد المطلب إن كان بوزع إلا غولاً ! تركتني والله يا هذا لا أنام الليلة من
فزع بوزع ! يا غلمان ، قفاه ! فضففتُ والله حتى لم أدر أين أنا . ثم قال جُرؤوا
برجله . فجرؤوا برجلي حتى خرجتُ من بين يديه مسحوباً ؛ فتخرق السواد ،
وأنكسر جفنُ السيف ، ولقيتُ شرّاً عظيماً مما جرى عليّ . وكان أغلظَ من ذلك
كلّه وأشدّه بلاءً إغرامى ثمن السواد وجفن السيف . فلما أنصرفتُ أتاني مُطيع
يتوجّع لي . فقلتُ له : ألم أخبرك أنّي لا أصيب منهم خيراً ، وأن حظّي مضى
مع بنى أمية .

وقيل :

طلب من بعض
الرؤساء حاجة
فقضاها له

كتب حماد إلى بعض أشراف الرؤساء :

إنّ لي حاجةً فرأيتُ فيها لك نفسى فدّى من الأوصابِ
وهي ليست مما يُبلغها غيًى رى ولا يستطيعها فى كتاب
غير أنّى أقولها حين ألقا ك رويداً أسرها فى حجاب
فكتب إليه الرّجلُ : أكتبُ بحاجتك ولا تشهرنى بشعرك . فكتب
إليه حماد :

إنّى عاشقٌ لجبتك الدّكُ ناء عشقاً قد حال دون الشّرابِ
فاكسنيها فدنك نفسى وأهلى أتباهى بها على الأصحاب
ولك الله والأمانة أن أجعلها عمرها أمير ثيابى

فبعث إليه بها .

وذكر أن حماداً كان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص ،
فنقب ليلة على رجل وأخذ ماله ، فكان فيه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد
وأستحلاه وتحفظه ، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد
ذلك ، وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ .

وذكر أن المفضل الضبي كان يقول :

رأى المفضل فيه

قد سُلط على الشعر من حماد ما أفسده فلا يصلح أبداً ! فقيل له : وكيف
ذلك ؟ أخطيء في روايته أو يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإن أهل العلم يردون
من أخطأ إلى الصواب ، لا ، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب
الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله
في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق ، فيختلط بأشعار القدماء ، ولا يتميز
الصحيح منها إلا عند عالم ناقد ، وأين ذاك !

وحكى بعضهم قال :

رأى المهدي فيه
وفي المفضل

كُنَّا في دار أمير المؤمنين المهدي بعباسا^(١) ، وقد اجتمع فيها عدة من
الرؤاة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب
المهدي ، فدعا بالمفضل الضبي الراوية ، فدخل . فمكث ملياً . ثم خرج ذلك
الرجل بعينه فدعا بحماد الراوية . فدخل . فمكث ملياً . ثم خرج إلينا ومعه حماد
والمفضل جميعاً ، وقد بان في وجه حماد الانكسار ، وفي وجه المفضل النشاط .
ثم خرج حسين الخادم بعدهما ، فقال : يا معشر من حضر من أهل العلم ، إن
أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماداً الشاعر بعشرين ألف درهم ، لجودة

(١) كانت شرقى بغداد .

شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار العرب ما ليس فيها ، ووصل المُفضَّل
بِحَمْسِينَ أَلْفًا لَصِدْقِهِ وَصَحَّةِ رَوَايَتِهِ ، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً مُحَدَّثاً فَلْيَسْمَعْ
من حمَّاد ، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها من المُفضَّل .

فسألنا عن السَّبَب في ذلك ، فأخبرنا أن المَهْدِيَّ قال للمُفضَّل ، لما دعا به
وحده : إني رأيت زهير بن أبي سُلمى قد أفتتح قصيدته بأن قال :

دَعِ ذَا وَعَدِّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْكُهُولِ وَسَيِّدَ الْحَضَرِ

ولم يتقدَّم قولٌ قبل ذلك ، فما الذى أمر نفسه بتركه ؟ فقال له المُفضَّل :
ما سمعتُ في هذا يا أمير المؤمنين شيئاً ، إلا أنى توهمته يُفكر في قول ليقوله ،
أو يُروى في أن يقول شعراً ، فعدل عنه إلى مدح هَرَمٍ ، فقال : دَعِ ذَا . أو كان
مفكراً في شيء من شأنه فتركه ، وقال : دَعِ ذَا ، أى دع ما أنت فيه من الفكر
وعدِّ القول في هَرَمٍ . فأمسك المَهْدِيُّ عنه . ثم دعا بحمَّاد فسأله عن مثل ما سأل
عنه المُفضَّل . فقال : ليس هكذا قال زهير يا أمير المؤمنين . قال : فكيف قال ؟
فأنشده :

لَمِنَ الدِّيارِ بُقَّةُ الْحَجَرِ أَقْوَيْنَ مِنْ حِجَجٍ وَمِنْ^(١) دَهْرٍ
قَفَرٍ بِمَنْدَفَعِ النَّحَائِثِ مِنْ ضَفْوَى بِذَاتِ الضَّالِّ^(٢) وَالسَّدْرِ
دَعِ ذَا وَعَدِّ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ خَيْرَ الْكُهُولِ وَسَيِّدَ الْحَضَرِ

فأطرق المَهْدِيُّ ساعةً ، ثم أقبل على حماد فقال له : قد بلغ أمير المؤمنين عنك
خبرٌ لا بدُّ من استحلافك عليه . ثم استحلفه بأيمان البيعة وكلِّ أيمان مُحَرِّجة

(١) القننة : أعلى الجبل ، وما أشرف من الأرض . والحجر : موضع . ورواية الأغاني :
« مذ حجج ومزدهر » .

(٢) النحائث : آبار بعينها . وضفوى : دون المدينة . والضال : الصدر البرى ، فإن نبت
على شطوط الأنهار ، فهو عبرى . وهو يريد به الأول ، فعطف عليه للمغايرة . والرواية في الأغاني :
« ضفوى أولات » .

لَيَصْدُقَنَّه عن كل ما يسأله عنه ، خلف له . فلما توثق منه قال : أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير ؟ فأقر له حينئذ أنه قائلها . فأمر فيه وفي المفضل بما أمر به من شهرة أمرها وكشفه .

الشعر الذي فيه الغناء

والشعر الذي فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار حماد ، هو :

تَنَكَّرَ مِنْ سَعْدَى وَأَقْفَرَ مِنْ هِنْدٍ مَقَامُهُمَا بَيْنَ الرَّغَامَيْنِ ^(١) فَالْفَرْدُ
مَحَلٌّ لِسُعْدَى طَالَمَا سَكَنْتَ بِهِ فَأَوْحَشَ مَنْ كَانَ يَسْكُنُهُ بَعْدَى

قلت :

الصوت الذي فيه
غناء عبادل

ثم أتبع أبو الفرج أخبار حماد الراوية بأخبار عبادل المغنى ، ولم أجد فيها ما اختاره . ثم أتبع ذلك بذكر صوت فيه الغناء ، وهو :

لَيْسَتْ نَعْمُ مِنْكَ لِلْعَافِينَ ^(٢) مُسَجَّلَةٌ مِنْ التَّخَلُّقِ لَكِنْ شَيْمَةٌ خُلِقُ
يَكَادُ بِأَبْنِكَ مِنْ عِلْمٍ بِصَاحِبِهِ مِنْ دُونِ بَوَابِهِ لِلنَّاسِ ^(٣) يَنْدَلِقُ

وذُكِرَ أَنَّ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ مِنْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لَطَرِيحِ الثَّقَفِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ يَمْدَحُ بِهَا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ ، وَالثَّانِي لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ هَرَمَةَ .

قصيدة طرريح

فأما القصيدة التي لطرريح فإنه يقول في تشبيها :

تَقُولُ وَالْعَيْسُ قَدْ شَدَّتْ ^(٤) بَارْحُلُنَا أَلْحَقَّ أَتُكِّى مِنْهَا الْيَوْمَ مُنْطَلِقُ
قُلْتُ نَعَمْ فَأَكْظِمِي قَالَتْ وَمَا جَلَدِي وَلَا أَظُنُّ اجْتِمَاعًا حِينَ نَفْتَرِقُ
قُلْتُ إِنَّ أَخِي لَا أَطُولُ بِعَادِكُمْ وَكَيْفَ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ عِنْدَكُمْ ^(٥) غَلَقُ
فَارْقُمُهَا لَا فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهَا سَالِي الْهَمُومِ وَلَا حَبْلِي لَهَا خَلَقُ

(١) الرغام : رملة من نواحي البصرة . وثناه الشاعر للضرورة . والفرد : موضع .

(٢) مسجلة : مبدولة أو مرسلّة .

(٣) يندلق : يفتتح في خفة وشدة .

(٤) في رواية : « بَارْحُلَهَا » .

(٥) غلق : أى لا فكاك له .

فاضت على إثرهم عينك^(١) أدمعها
فأستبق عينك لا يودى البكاء بها
ليس الشئون وإن جادت بباقيّة
ولا الجفون على هذا ولا الحدق

يقول في المديح :

وما نغم منك للعافين مسجلة
سأهت فيها وفي «لا» فأختصت بها
قوم هم شرف الدنيا وسوددها
إن حاربوا وضعوا أو سألوا رفعوا
من التخلّق لكن شيمة خلق
وطار قوم بلا والذم فأنطلقوا
صفو على الناس لم يخلط بهم رنق
أو عاقدوا أخكموا^(٣) أو حدّثوا صدقوا

* * *

[رجع إلى أخبار ابن هرمة] .

وأما البيت الثاني المنسوب إلى ابن هرمة ، فذكر أبو الفرج أن العباس
ابن الوليد بن عبد الملك بن مروان كان بخيلاً لا يحب أن يعطى أحداً شيئاً ، فقال :
ما للشعراء تمدح أهل بيتي أجمع ولا تمدحني ! فبلغ ذلك ابن هرمة ، وكان قد
مدحه فلم يثبه ، فقال يعرض به ويمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك
ابن مروان :

ابن هرمة والعباس
ابن الوليد

ومعجب بمدح الشعر يمنعه
يا آبي المدح من قول يحبره
إنك والمدح كالغذراء يعجبها
من المديح ثواب الشعر^(٤) والشفق
ذو نية في حواشي شعره^(٥) أنق
حسن الرجال ويثني قلبها الفرق

(١) في الأغاني : « دمعها » .

(٢) في الأغاني : « بوادر دمع منك » .

(٣) في الأغاني : « ضمنوا » .

(٤) في الأغاني : « المدح » .

(٥) يحبره : يحجده ويحسنه . والنية : التجود في الأمر والمبالغة فيه . والأنق : الروعة

والحسن .

لكن بَمَدِينٍ مِنْ مُقْضَى^(١) سُوَيْمَرَةٍ مِنْ لَا يُدْخِلُ وَلَا يُسْنَأُ لَهُ خُلُقُ
أَهْلُ الْمَدَائِحِ تَأْتِيهِ فَمَدَحُهُ وَالْمَادِحُونَ إِذَا قَالُوا لَهُ صَدَقُوا

يقول فيها :

يَكَادُ بِأَبْكَ مِنْ جُودٍ وَمِنْ كَرَمٍ مِنْ دُونِ بَوَابِهِ لِلنَّاسِ يَنْدَلِقُ
حَكِي أَبُو هَرْمَةَ قَالَ :

ابن هرمة
وعبد الواحد
ابن سليمان

كَانَ أَوَّلُ مَنْ رَفَعَنِي فِي الشَّعْرِ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَخَذَ عَلَيَّ أَلَا أَمْدَحُ غَيْرَهُ ، وَكَانَ وَالِيًّا عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَكَانَ لَا يَدْعُ بَرِّي وَصِلَتِي وَالْقِيَامَ بِمَوْتِي . فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ عُزِّلَ وَوُلِّيَ غَيْرَهُ مَكَانَهُ . وَكَانَ الْوَالِي مِنْ بَنِي الْحَارِثِ أَبُو كَعْبٍ . فَدَعَعْتَنِي نَفْسِي إِلَى مَدْحِهِ طَمَعًا أَنْ يَهَبَ لِي ، كَمَا كَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ يَهَبُ لِي ، فَمَدَحْتُهُ ، فَلَمْ يَصْنَعْ بِي مَا ظَنَنْتُ . ثُمَّ قَدَّمَ عَبْدُ الْوَاحِدِ الْمَدِينَةَ فَأَخْبَرَ أَنِّي مَدَحْتُ الَّذِي عُزِّلَ بِهِ . فَأَمَرَ بِي فَحُجِّبَتْ عَنْهُ ، وَرُمَتْ الدُّخُولُ عَلَيْهِ ، فَمُنَعْتُ . فَلَمْ أَدْعُ بِالْمَدِينَةِ وَجْهًا وَلَا رَجُلًا لَهُ نَبَاهَةٌ وَقَدَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَّا سَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعُ لِي فِي أَنْ يُعِيدَنِي إِلَى مَنْزِلَتِي ، فَيَأْتِي ذَلِكَ وَلَا يَفْعَلُهُ . فَلَمَّا أُعْزِزْتَنِي الْحِلِيلُ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، فَقُلْتُ : يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ أَكْرَمَنِي وَأَخَذَ عَلَيَّ أَلَا أَمْدَحُ أَحَدًا غَيْرَهُ ، فَأَعْطَيْتُهُ بِذَلِكَ عَهْدًا ، ثُمَّ دَعَانِي الشَّرُّ وَالنَّسَكُ إِلَى أَنْ مَدَحْتُ الْوَالِيَّ بَعْدَهُ . وَقَصَصْتُ عَلَيْهِ قِصَّتِي وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَشْفَعُ لِي . فَرَكَبَ مَعِيَ . فَأَخْبَرَنِي الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِ عَبْدِ الْوَاحِدِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَمَّا دَخَلَ ، قَامَ عَبْدُ الْوَاحِدِ فَعَانَقَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ثُمَّ قَالَ : أَحَاجَةٌ غَدَتْ بِكَ أَصْلَحُكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : كُلُّ حَاجَةٍ مُقْضِيَةٌ إِلَّا أَبُو هَرْمَةَ . قَالَ : إِنْ رَأَيْتَ أَلَا تَسْتَتِنِي فِي حَاجَتِي فَأَفْعَلْ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .

(١) مَدِين : تَجَاهُ تَبُوكَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ . وَسُوَيْمَرَةُ : فِي نَوَاحِي الْمَدِينَةِ .

قال : فحاجتى أبنُ هرمة . قال : قد رَضِيتُ عنه وأعدته إلى منزلته . قال : فتأذن
له أن يُنشدك ؟ قال : فتعفنى من هذه ؟ قال : أسألك أن تفعل . قال أثنوا به .
فدخلتُ عليه وأنشدته قولى فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح
فغضب عبدُ الله بن الحسن حتى أُنقطع رِزُّه ^(١) ، ثم وثب مُغضباً . وأوجزت
فى الإنشاد ، ثم لحقته فقلت : جزاك الله خيراً يا بن رسول الله ! قال : لكن
لا جزاك خيراً يا ماصَّ بَظُر أمه ! تقول لأبن مروان :

* وكان أبوك قادمة الجناح *

بِحَضْرَتِي ، وأنا أبنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبن على بن أبى طالب ؟
فقلت : جعلنى الله فداك ! إني قلتُ قولاً أخدعه به طلباً للدُّنيا ، ووالله ما قِسْتُ
بكم أحداً قطُّ ، ألم تسمعنى قد قلتُ :

* وبعض القول يذهب بالرياح *

فضحك عبدُ الله وقال : قاتلك الله ! ما أظرفك !

قال أبو الفرج :

وهذه القصيدة الحائية ، التى مدح بها أبنُ هرمة عبدَ الواحد بن سُلَيْمان ، من
فاخر الشعرونادر الكلام ومن جَيِّد شعر أبن هرمة خاصةً ، وأولها :

صَرَمْتَ حَبَائِلًا مِنْ حُبِّ سَلَمَى	لَهْنَدٍ مَا عَمَدْتَ الْمُسْتَرَحِ
فإِنَّكَ إِنْ تُقِمَّ لَمْ تَلَقْ هِنْدًا	وإن تَرَحَّلْ فقلْبُكَ غَيْرُ صَاحِي
يَفْظُلُ نَهَارَهُ يَهْدِي بِهِنْدٍ	وَيَأْرَقُ لَيْلَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ
أَغْبَدَ الْوَاحِدَ الْمُحْبُودَ إِنْى	أَغْضُ حِذَارِ سُخْطِكَ بِالْقَرَّاحِ

فُشِلَتْ رَاحَتَايَ وَمَالَ مُهْرِي وَأَلْقَانِي بِمُشْتَجَرِ الرِّمَاحِ
وَأَقْعَدْنِي الزَّمَانُ فَبِتُّ صِيفَرًا مِنْ الْمَالِ الْمُعْزَبِ ^(١) وَالْمِرَاحِ
إِذَا فَخَّمْتُ غَيْرَكَ فِي ثَنَائِي وَنُضِحِي فِي الْمَغِيَةِ وَأُمْتِدَاحِي
كَأَنَّ قِصَائِدِي لَكَ فَأُصْطَنِعِي كَرَامٌ قَدْ عُضِلْنَ ^(٢) عَنِ النَّكَاحِ
فَإِنِ أَكُ قَدْ هَفَوْتُ إِلَى أَمِيرٍ فَعَنْ غَيْرِ التَّطَوُّعِ وَالسَّمَاحِ
وَلَكِنْ سَقَطَةُ كُتِبَتْ ^(٣) عَلَيْنَا وَبَعْضُ الْقَوْلِ يَذْهَبُ فِي الرِّيَاحِ
لِعَمْرِكَ إِنِّي وَبَنَى عَاشِدِي وَمَنْ يَهْوَى رَشَادِي أَوْ صِلَاحِي
إِذَا لَمْ تَرْضَ عَنِّي أَوْ تَصِلْنِي لَنِي حِينَ أُعَالِجُهُ مُتَّحِاحِ
وَإِنَّكَ إِنِ حَطَطْتَ إِلَيْكَ رَحْلِي بَغْرِي الشَّرَاةِ ^(٤) لَذُو أَرْتِيحِ
هَشَشْتَ لِحَاجَةٍ وَوَعَدْتَ أُخْرَى وَلَمْ تَبْخُلْ بِنَاجِزَةِ السَّرَاحِ
وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ
إِذَا جَعَلَ الْبَخِيلُ الْبُخْلُ تُرْسًا وَكَانَ سِلَاحَهُ دُونَ السَّلَاحِ
فَإِنَّ سِلَاحَكَ الْمَعْرُوفُ حَتَّى تَقْوَزَ بَعْرُضُ ذِي شِمَمٍ صِحَاحِ

وَذَكَرَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْجُمَحِيُّ قَالَ :

بين الجمحي وبينه
في مدحه عبد الواحد

قُلْتُ لِأَبْنِ هَرْمَةَ : أَتَمْدَحُ عَبْدَ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيْمَانَ بِشَعْرٍ مَا مَدَحْتَ بِهِ أَحَدًا

غَيْرَهُ ، فَتَقُولُ فِيهِ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الْجَنَاحِ
أَعْبَدُ الْوَاحِدَ الْمَحْمُودَ إِنِّي أَغْصُ حِذَارَ سُخْطِكَ بِالْقَرَّاحِ

(١) المال : الإبل . والمعزب : الذي يبني في المرعى ولم يرح . والمراح : الذي رد إلى مأواه .

(٢) عضلن : منعن . (٣) في رواية : « عييت » . (٤) الشراة : صقع بالشام .

م ٤٨ ج ٢ - ق ١ - تجريد الأغاني

فبأى شيء أستوجب هذا منك ؟ فقال : أخبرك بالقصة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحمة^(١) بالمدينة ، فاستنهضتني أبنة عمي للخروج ، فقلت لها : إنه ليس عندي ما يُقِلُّ جناحي . فقالت : أنا أنهضك بما أمكنني . وكانت عندي ناب لي ، فنهضت عليها حتى دفعتني إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره ، إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنه البدر ، فدنا فأذن وصلى ركعتين ، فتأملتُه فإذا هو عبد الواحد ، فقممت فدنوت منه وسلمت عليه . فقال : يا أبا إسحاق ، أهلاً ومرحباً . فقلت : لبيك ، بأبي أنت وأمي ، حيّاك الله بالسّلام وقرّبك من رضوانه . فقال : أما آن لك أن تزورنا ! فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، ما وراءك ؟ فقلت : لا تسألني بأبي أنت وأمي ، فإنّ الدهر قد أخنى عليّ ، فما وجدتُ مُستغاثاً غيرك . فقال : لا ترعُ ، فقد قدمت على ما تحبّ إن شاء الله . فوالله إني لأخاطبه إذا بثلاثة فتية كأنهم الأشطان^(٢) ، فسلموا عليه . فاستدني الأكبر منهم فهمس إليّ بشيء دُون أخويني . فمضى إلى البيت ثم رجع فجلس إليّ فكلّمه بشيء ثم ولى . فلم يلبث أن خرج ومعه عبد ضابط^(٣) يحمل عنباً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ . ثم همس إليّ ثانية ، فعاد . وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : أذن أبا إسحاق ، فإني أعلم أنك لم تصر إلىّ حتى تفارق صدّك ، فخذ هذا وأرجع إلى عيالك ، فوالله ما سلّلنا لك هذا إلّا من أشدّاق عيالنّا، ودفع إليّ ألف دينار ، وقال لي : قم فأرحل فأغث من وراءك . فقممت إلى

(١) القحمة : القحط والسنة الشديدة .

(٢) الأشطان : جمع شطن ، وهو الحبل .

(٣) ضابط : قوى شديد .

الباب ، فلما نظرتُ إلى ناقتي ضِقتُ . فقال لي : ما أظُن هذه مُبْلِغتك ! يا غلام ،
قَدِّم إليهِ جَملي فلانًا . فوالله لَكنتُ بالجل أشدَّ سُروراً مِني بِكُلِّ ما نِلتُهُ .
فلا تَلومني أن أَعْصَ حِذار سُخْط هذا بالقَراح .

وذكر أن ابن هرمة دخل على المنصور فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بين المهدي وأبيه
المنصور وقد قصر في جائزته
كعب^(١) في آل المهلب :

بِرَاكُ اللَّهِ حينَ بَراكَ بِحِجْراً وفَجَّرَ مِنكَ أنهاراً غِزاراً

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا . قال : هاتِ . فأنشده :

لَهُ لَحَظَاتٌ عَن حِفاقٍ سَريِرِهِ إذا كَرَّها فِيها عِقَابٌ وَنائِلٌ
فَأُمُّ الذِي أَمِنْتَ أَمَنَةُ الرَّدَى وأُمُّ الذِي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ نائِلٌ

فأمرَ له بأربعة آلاف دِرهم . فقال له أبنه المهدى : يا أمير المؤمنين ، قد
تَكَلَّفَ إليكَ في سَفَرِهِ نَحوها . فقال له المنصور : يا بُنى ، قد وهبتُ له ما هو أعظم
مِن ذاك ، وهبتُ له نَفْسَهُ ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سُلَيمان :

إذا قِيلَ مِن خَيْرٍ مَّن يُرَجَى لَمُعْتَرٍ^(٢) فَهَرٍ وَمُحْتَاجِها

وَمَن يُعْجَلُ الخَلِيلَ يَوْمَ الوَغَى بِالجَماها قَبْلَ إِسراجِها

أشارتُ نِساءَ بَنى مالِكٍ إِلَيكَ بِها قَبْلَ أَزواجِها

وهذا الشُّعرُ مِن فَاخِرِ شِعْرِ ابنِ هَرَمَةَ ، وأولُها :

أَجارتَنّا رَوْحِي نَفْمةً على هائِمِ النَفْسِ مُهْتَاجِها

فلا خَيْرَ في وُدِّ مُسْتَكْرِهٍ ولا حَاجةٍ قَبْلَ إِنْجَاجِها

(١) هو كعب بن معدان ، من الأزدي ، وأمه من عبد القيس . وستأتى ترجمته .

(٢) المعتر : المتعرض للمعروف دون أن يسأل .

يقول فى المديح :

إلى مَلِكٍ لا إلى سُوقَةٍ كَسَتْهُ المُلُوكُ ذُرًّا تَاجَهَا
تَحُلُّ الوُفُودُ بِأَبْوَابِهِ فَتَلْقَى الغَنَى قَبْلَ إِرْتَاجَهَا
رَكَودَ الجِفَانِ غَدَاةَ الصَّبَا وَيَوْمَ الشَّمَالِ^(١) وَإِرْهَاجَهَا

وَحَكَى مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمَانَ بْنِ المَنْصُورِ قَالَ :

هو ورسول
المنصور وقد دسه
عليه

وَجَّهَ المَنْصُورُ رِسُولًا قَاصِدًا إِلَى ابْنِ هَرَمَةَ وَدَفَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ دِينَارٍ وَخِلْعَةً ،
وَوَصَفَهُ لَهُ وَقَالَ : أَمْضُ إِلَيْهِ ، فَإِنَّكَ تَرَاهُ فِي مَجْلَسِ كَذَا مِنَ المَسْجِدِ ، فَأَتَسَبَّ لَهُ
إِلَى بَنِي أُمَيَّةَ وَمَوَالِيهِمْ ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُنْشِدَكَ قَصِيدَتَهُ الحَائِثِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا عَبْدَ الوَاحِدِ
أَبْنَ سُلَيْمَانَ :

وَجَدْنَا غَالِبًا كَانَتْ جَنَاحًا وَكَانَ أَبُوكَ قَادِمَةً الجَنَاحِ

فَإِنْ أَنْشَدَكُمَا فَأَخْرَجَهُ مِنَ المَسْجِدِ وَأَضْرَبَ عُنُقَهُ وَجَتْنِي بِرَأْسِهِ ، وَإِنْ أَنْشَدَكَ
قَصِيدَتِي اللَامِيَّةَ الَّتِي يَمْدَحُنِي فِيهَا ، فَأَدْفَعْ إِلَيْهِ الأَلْفَ الدِينَارِ وَالْخِلْعَةَ ، وَمَا أَرَاهُ
يُنْشِدُكَ غَيْرَهَا ، وَلَا يَعْتَرِفُ بِالحَائِثِيَّةِ . وَأَتَاهُ الرِّسُولُ فَوَجَدَهُ كَمَا قَالَ المَنْصُورُ ، فَجَلَسَ
فَأَسْتَنْشَدَهُ قَصِيدَتَهُ فِي عَبْدِ الوَاحِدِ . فَقَالَ : مَا قَلْتُ هَذِهِ القَصِيدَةَ وَلَا أَعْرِفُهَا ،
وَأِنَّمَا نَحْلُهَا إِيَّايَ مِنْ يُعَادِيَنِي . وَلَكِنْ إِنْ شِئْتَ أَنْشُدْتُكَ أَحْسَنَ مِنْهَا . فَقَالَ :
قَدْ شِئْتُ فِهَاتِ . فَأَنْشَدَهُ :

* سَرَى ثَوْبَهُ عَنْكَ الصَّبَا الْمُتَخَايِلِ *

حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا . ثُمَّ قَالَ : هَاتِ مَا أَمَرْتُ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَدْفَعَهُ
إِلَيَّ . فَقَالَ : أَى شَيْءٍ هُوَ يَا هَذَا ؟ فَقَالَ : دَعِ ذَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ مَا بَعَثَ بِكَ إِلَّا

(١) الرُّكُودُ مِنَ الجِفَانِ : الثَّقِيلُ المَمْلُوءُ . وَالْإِرْهَاجُ : الِامْطَارُ .

ومعك مالٌ وكسوة ، وأمرُك أن تسألني عن هذه القصيدة ، فإن أنشدتُك إيَّاهَا
 ضربتَ عُنُقِي وَحَمَلْتَ رَأْسِي إِلَيْهِ ، وإن أنشدتُك هذه دفعتَ إِلَيَّ مَا حَمَلَكَ إِيَّاهُ .
 فضحك الرَّسُولُ وقال : صدقتَ لَعَمْرِي ! ودفعَ إِلَيْهِ الألفَ دينارَ والخِلعةَ .
 قال : فما سمعنا شيئاً أعجبَ مِن حَدِيثِهِمَا ^(١) .

(١) وجاء هنا آخر مخطوطة المتحف البريطاني: « والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

تم كتاب الأغاني بحمد الله تعالى على يد العبد الفقير محمد بن عبد الله
 خطيب جامع الشيخ علوان بحماه المحمية ، من كل بلية ، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين
 في العشر للآخر من شهر رمضان المعظم من شهر سنة ألف ومائة وعشر . والحمد لله على التمام
 وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام

أخبار المرقشين

الأكبر والأصغر

الأكبر وشيء عنه أما الأكبر منهما فأسمه عمرو — وقيل : عوف — ابن سعد بن مالك ابن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . وإنما لقب المرقش لقوله :

الدار وحشٌ والرُسوم كما رُقش في ظهر الأديم قلمٌ
وهو أحد من قال شعراً فلقب به . وهو أحد المتيمين ، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن ضبيعة .

الأصغر وشيء عنه وأما الأصغر فهو ابن أخي المرقش الأكبر . وهو ربيعة بن سفيان بن سعد ابن مالك — وقيل : عمرو بن حرمة بن سعد بن مالك — وهو أحد المتيمين أيضاً ، كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر ويُسبب بها .

من شجاعتها وكان للمرقشين معاً موقع ، في بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأس وشجاعة ، ونجدة وتقدم في المشاهد ، ونكاية في العدو وحسن أثر .

عم الأكبر وشيء من شجاعته وكان عوف بن مالك بن ضبيعة ، عم المرقش الأكبر ، من فرسان بكر ابن وائل ، وهو القاتل يوم قِصية ، وهو أحد الأيام التي كانت فيها الحرب بين بكر وتغلب : أفي كل يوم فرار ! أما وتحلوفي لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلا ضربته بسيفي . فسمي « البرك » يومئذ .

أخو الأكبر وشيء من شجاعته وكان أخوه عمرو بن مالك من فرسان بكر . وهو الذي أسر مهلهل بن ربيعة ، أخا كليب : التقيا في خيلين من غير مُزاحفة ، في بعض الفارات بين بكر

وتغلب، في موضع يقال له : نَقَا الرَّمْل. فأنهزمت خيلُ مُهلَهل، وأدركه عمرو بن مالك فأَسْرَه، فأَنتَلَق به إلى قومه، وهم في نواحي هَجَرَ، فأحسن إيساره. ومرو عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هَجَرَ، وكان صديقاً لمُهلَهل يشتري منه الخمر. فأهدى إليه وهو أسير زِقَّ خمر، فأُجْتَمِع إليه بنو مالك فنَحَرُوا عنده بكراً وشربوا عند مهلهل في بيته. وقد أفرد له عمرو بيتاً يكون فيه. فلما أخذ فيهم الشرابُ تَغَنَّى مُهلَهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب. فسَمِع ذلك عمرو بن مالك، فقال : إنه لَرِيَّان، والله لا يشرب عندي ماء حتى يَرِدَ رَيْبٌ — يعني جملاً كان لعمرو بن مالك، كان يتناول الدَّهَّاسَ^(١) من أجواف هَجَرَ فيرعى فيها غِيباً بعد عَشْرٍ في حَمَارَةِ القَيْظ — فطلبت رُكبانُ بني مالك رَيْباً، وهم حِرَاصٌ على ألا يُقْتَلَ مُهلَهل، فلم يَقْدِرُوا على البعير حتى مات مُهلَهل عطشاً. وكان هَبْنَقَةُ القَيْسِي، أحد بني قيس بن ثعلبة، وأسمه يزيد بن ثروان، مُحَقَّقاً، وهو الذي تَضَرَّب به العرب المثل في الحُقم، يقول : لا يكون لي جَمَلٌ أبداً إلا سَمِيَتْهُ رَيْباً. يعني أن رَيْباً مُباركاً لَقَتْلَهُ مُهلَهلاً.

وذكر أن المَرْقَشَ الأكبر عَشِقَ ابنة عمه أسماء بنت عَوْف بن مالك، تعشقه ابنة عمه وحدث زواجها وموته وهو الْبُرْكُ، فخطبها إلى أبيها، فقال : لا أَزُوجُكِ حتى تُعَرِّفَ بالبأس — وهذا قَبْلَ أن تَخْرُجَ ربيعة من أرض اليم — وكان يَعِدُه فيها المَوَاعِيدَ. ثم أُنْطَلِقَ مَرْقَشٌ إلى مَلِكٍ من المُلُوكِ، فكان عنده زماناً، ومَدَحُه فأجازَه. وأصاب عَوْفاً زمانٌ شديد، فأَتاه رجلٌ من مُراد، أحد بني غُطَيْف، فأَرغَبه في المال، فزَوَّجَه أَسْمَاءَ على مائة من الإبل، ثم تَنَحَّى عن بني سَعْد بن مالك. ورجع مَرْقَشُ. فقال إخوته : لا تُخْبِرُوهُ إلا أنها ماتت. فذَبَحُوا كِبشاً وأَكَلُوا لَحْمَه ودَفَنُوا عِظَامَه وَلَقَّوْها في مِلْحَقَةٍ ثم قَبَرُوها. فلما قَدِمَ مَرْقَشُ عليهم أَخْبَرُوهُ أنها ماتت، وأنَّوْا به

(١) الدهاس : المكان السهل ليس برمل ولا تراب .

موضع القبر ، فنظر إليه . وكان بعد ذلك يعتاده ويؤوره . فبينما هو ذات يوم مضطجع وقد تغطى بثوبه ، وابنا أخيه يلعبان بكعبين لهما ، إذ أختصما فى كعب ، فقال أحدهما : هذا كعبى أعطانيه أبى من الكبش الذى دفنوه ، وقالوا : إذا جاء مرقش أخبرناه أنه قبر أسماء . فكشف مرقش عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضنى ضنى شديداً ، فسأله عن الحديث . فأخبره بتزويج المردى أسماء . فدعا مرقش وليدة له ولها زوج من غفيلة ، وكان عسيفاً^(١) لمرقش ، فأمرها أن تدعوه له زوجها ، فدعته ، وكانت له رواحل ، فأمره بإحضارها ليطلب المردى . فأحضره إياها . فركبها ومضى فى طلبه ، فمرّض فى الطريق حتى ما يحمل إلا معروضا . وإنهما نزلا كهفاً بأسفل نجران ، وهى أرض مراد ، ومع العقيلي أمرأته وليدة مرقش ، فسمع مرقش زوج الوليدة يقول لها : اتزكيه فقد هلك سقماً وهلكنا معه ضراً وجوعاً . فجعلت الوليدة تبكى من ذلك . فقال لها زوجها : أظننى^(٢) فأتى تاركك وذهبت . وكان مرقش يكتب — كان أبوه دفعه وأخاه حرمة ، وكانا أحب ولده إليه ، إلى نصرانى من أهل الحيرة فعلمهما الخط — فلما سمع مرقش قول العقيلي كتب مرقش على مؤخرة الرّحل هذه الأبيات :

يا صاحبي تلبثا لا تعجّلا	إنّ الرّواح رهينُ ألا تفعلّا
ياراكباً إمّا عرضت فبلغا	أنس بن سعدٍ إن لقيت ^(٣) وحرّملا
لله درُّ كما ودرُّ أيبكا	أن يقلت الغفلي ^(٤) حتى يُقتلا
من مبلغُ الأقوام أن مرقشاً	أضحى على الأصحاب عبثاً مُثْقلا
وكأنما تردُّ السّباع بشلوه	إذ غاب جمعُ بنى ضبيعة منهلّا

(١) العسيف : الأجير .

(٢) فى الأغاني : « أظننى » .

(٣) أنس وسعد : أخوا المرقش .

(٤) فى المفضليات : « إن أفلت » . والرواية فى الأغاني : « إن أفلت العبدان » .

وانطلق الغفلى وامرأته حتى رجعا إلى أهلها، فقالا: مات المرقش. ونظر حرمله إلى الرجل فجعل يقلبه، فقرأ الأيات، فدعاهما وخوفهما وأمرهما أن يصدّقا، ففعلتا، فقتلهما. وقد كانا وصفا له الموضع. فركب في طلب المرقش حتى أتى المكان، فسأل عن خبره، فعرف أن مرقشاً كان في الكهف ولم يزل فيه، حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذى هو فيه، فأقبل راعيها إليها، فلما بصّر به قال له: من أنت؟ وما شأنك؟ فقال له المرقش: أنا رجل من مُراد، فراعى من أنت؟ قال: راعى فلان. فإذا هو راعى زوج أسماء. فقال له المرقش: أستطيع أن تُكلم أسماء امرأة صاحبك؟ قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جارتها كل ليلة فأحلب لها عزراً فتأتيها بلبنها. فقال له: خذ خاتمي هذا فإذا حلبت فألقه في اللبن، فإنها تعرفه، وإنك ستصيب به خيراً لم يصبه راعٍ قطّ إن أنت فعلت ذلك. فأخذ الراعى الخاتم. ولما راحت الجارية بالقَدَح وحلب لها العزّ طرَح لها الخاتم فيه. فأطلقت به الجارية وتركته بين يديها. فلما سكنت الرغوة أخذته فشربته. وكذلك كانت تفعل، فقرع الخاتم ثنيّتها. فأخذته وأستنضأت بالنار، فعرفته. فقالت للجارية: ما هذا؟ فقالت: ما لى به علم. فأرسلتها إلى مولاها فأقبل فزعاً، فقال: لم دعوتى؟ فقالت: أدع عبدك راعى غنمك. فدعاه. فقالت: سلّه أين وجد هذا الخاتم؟ فقال: وجدته مع رجل في موضع كذا، فقال: أطرحه في اللبن الذى تشربه أسماء، فإنك تُصيب به خيراً، وما أدري مَنْ هو، ولقد تركته بأخر رمق. فقال لها زوجها: وما هذا الخاتم؟ فقالت: خاتم مرقش، فأعجل الساعة في طلبه. فركب فرسه وسملها على فرس آخر حتى طرّقه من ليلتهما، فأحتملاه إلى أهلها، فمات عند أسماء. وقال قبل موته:

سَرَى نَحْوَى^(١) خِيَالُ مِنْ سُلَيْمَى
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ
حَوَالَيْهَا مَهًا بَيْضُ التَّرَاقِي
نَوَاعِمُ لَا تُعَالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ
يَرُخُنُ مَعًا بِطَاءَ الْمَشَى^(٢) رُودًا
سَكَنَ بِلْدَةٍ وَسَكَنَتْ أُخْرَى
فَمَا بَالِي أُنَى وَيُخَانُ عَهْدِي
وَرُبَّ أَسِيلَةٍ الْخَذِينَ بِكُرٍ
وَذَوِ أُشْرٍ^(٣) شَتِيَتْ النَّبْتُ عَذْبُ
لَهْوَتْ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِي
أُنَاسٌ كَمَا أُخْلِفْتُ وَصَلًا
وَالشَّعْرُ الَّذِي فِيهِ الْغِنَاءُ، وَأَفْتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَ الْمُرْقُشِ الْأَكْبَرِ، هُوَ:
النَّشْرُ مَسْكُ وَالْوُجُوهُ دَنَا نِيرُ وَأَطْرَافُ الْأَكُفِّ عَنَمُ
وَالدَّارُ وَحَشٌّ وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَشَ فِي ظَهْرِ الْأَدِيمِ قَلَمُ
فهذه أخبار المرقش الأكبر.

الشعر الذى فيه
الغناء

فأما خبر الأصغر، وهو الذى تقدم ذكر نسبه، وهو ابن أخى الأكبر،
وعمّ طرفة بن العبد. وهو أشعر المرقشين وأطولها عمراً. وهو الذى عَشِقَ فاطمة
بنت الملك المنذر.

الأصغر وخبره مع
فاطمة

(١) فى الأغاني : « ليلا » مكان « نحوى » .
(٢) الأرطى : شجر ينبت بالرمل ، عصيا من أصل واحد ، ويطول قدر قامة .
(٣) تروح . من الرواح . وهو مع المشى . وتروود : تسعى طالبة باحثة . وكأنه جعله فى مقابل الرواح
نهاراً . أى لا يعنين أنفسهن مع الإساء والإصباح .
(٤) رودا : على مهل . وفى الأغاني : « يدا » أى كثيرات لحم الفخذين .
(٥) الأشر : تحرز فى الأسنان .

وخبره معها: أنه كانت فاطمة هذه لها وليدة يقال لها: بنت عجلان . وكان لها قصر بكاظمة وعليه حرس . وكان الحرسُ كُلَّ ليلة ينثرون التراب حول القصر الذى فيه فاطمةُ ويَجْرُونَ عليه ثوباً حتى يستوى، فلا يدخل عليها إلا ابنةُ عجلان . فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقاءة فينظرون أثر من دخل عليها ويعودون فيقولون : لم نر إلى ابنة عجلان .

وكان لبنت عجلان كلَّ عُشية رجل ممن يُعجبها يبيت معها . وكان مرقش ترعية^(١) لا يفارق إبله . فأقام يوماً، وترك إبله ظمأى . وكان من أجل الناس وجهاً وأحسنهم شعراً . وكانت فاطمة بنت المنذر تقعد فوق القصر تنظر إلى الناس . فجاء مرقش فبات عند ابنة العجلان ، حتى إذا كان الغد تجردت عند مولاتها ، فقالت : ما هذا بفخذيك ؟ فإذا نُكَّتْ كأنها آثار السَّياط من شدة حفزه إياها عند الجماع . فقالت : آثار رجل بات معي الليلة . وكانت فاطمة قالت لها : قد رأيتُ رجلاً جميلاً راح نحونا العشيّة لم أره قبل ذلك . قالت : فإنه فتى قعد عن إبله وكان يرهاها ، وهو الفتى الجميلُ الذى رأيته ، وهو الذى بات معي الليلة فأثر في هذه الآثار . فقالت لها فاطمة : إذا كان غدٌ وأتاك فقدّمى له مجزراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو ردّه فلا خير عنده ، وإن قعد على المِجمر أو ردّه فلا خير عنده . فأتته بالمِجمر فقالت : أجلس عليه . فأبى وقال : أدنيه منى ، فدخن لحيته ووجّهته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه وأستاك به . فأتت ابنة عجلان فاطمة بنت الملك فأخبرتها بما صنع . فأزدادت به عجباً وقالت : أثنى به . فتعلّقت به كما كانت تتعلّق . فمضى معها وحملته على ظهرها ، وحزمت على بطنها بثوب وأدخلته^(٢) إليها . فبات معها . فلما أصبح الملك بعث

(١) الترعية ، مثلثة التاء : الذى يحسن رعية الإبل .

(٢) الرواية فى الأغاني : « حملت بنت عجلان مرقشاً على ظهرها وحزمته إلى بطنها بثوب » .

بالقافة فنظروا ، ثم عادوا إليه فقالوا : رأينا آثار أبنة العجلان وهي مُثقلة . فكش
كذلك حيناً يدخل إليها . وكان عمرو بن جناب بن عوف بن مالك يرى ما يفعل
ولا يعرف مذهبه . فقال له : ألم تكن عاهدتني عهداً ألا تكتمني شيئاً
ولا أكتُمتك ولا تتكاذب ؟ فأخبره مرقش الخبر . فقال له : لا أرضى عنك
ولا أكلك أبداً أو تُدخلني عليها ، وحلف على ذلك . فأنطلق مرقش إلى المكان
الذي كان يواعد فيه أبنة عجلان ، فأجلسه فيه وأنصرف ، وأخبره كيف يصنع .
وكانا مُتشابهين ، غير أن عمراً كان أشعر . فأتته أبنة عجلان فأحتملته وأدخلته
إليها . وصنع ما أمره به مرقش . فلما أراد مُباشرتها وجدت مسّ شعر فخذه
وأستنكرته ، فإذا هو يُرعد . فدفعت صدره وقالت : قبح الله سرّاً عند المعيدى !
ودعت بنت عجلان ، فذهبت به . فلما رأى صاحبه أنه قد أسرع الكرة
ولم يلبث إلا قليلاً ، علم أنه قد أفتضح . فعضّ على إصبعه فقطعها . ثم أنطلق
إلى أهله وترك إبله التي كان مُقيماً فيها ، حياءً مما صنع ، وقال في ذلك قصيدة أولها :
ألا ياسلمى لا صُرّم لي اليوم فاطماً ولا أبداً ما دام وصلاًك دائماً

ومنها :

صحا قلبه عنها على أن ذكره إذا خطرت دارت به الأرض قائماً

ومنها :

وإني لأستحي فطيمة جائماً وخيصاً وأستحي فطيمة طاعماً
وإني وإن كَلَّتْ قُلُوصى لراجم بها وبنفسى يا فطيم المراجما

ومنها :

أفاطم لو أن النساء يلدن وأنت بأخرى لا بتغيتك هائماً
مق يشأ ذو الود يصرم خيله ويفضّ عليه لا محالة ظالماً

فمن يلق خيراً يحمد الناسُ أمره ومن يَغول لا يَعْدِم على النخى لائماً
 وآلى جناب حِلْفَةً فَأَطَعْتُهُ فففسك وَلَى اللّوَمَ إِن كنتَ ^(١) نادماً
 ألم تر أن الرء يجذم كنفه ويحشم من لؤم الصديق ^(٢) المباشماً
 أمن حلم أصبحت تنكت ^(٣) واجماً وقد تَعَتَرى الأحلام من كان نائماً
 ثم ذكر أبو الفرج وقعة «دُولاب» لتعلقها بشعر فيه الغناء، فذكرها مُختصرة .

(١) في بعض أصول الأغاني: «لائماً» .

(٢) يجذم : يقطع . ويحشم : يركب المكروه .

(٣) الواجم : الحزين المنغم ، وهو كثيراً ما ينكت الأرض ويخطط فيها بعود .

وقعة دواب

الخوارج

لما حَكَّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان الحكمين : أبا موسى الأشعريّ وعمرو بن العاص ، فارق عليّاً رضى الله عنه جماعة من أصحابه وأكفروه بسبب التحكيم ، وقالوا : إنه حَكَّم الرجال في دين الله ، ولا حَكَّم إلا الله عزّ وجلّ . فدعاهم ووعدهم ووَعظهم وأقام عليهم الحجة . فأصروا على ضلالهم وعنادهم . إلا فرقة عَرَفَت الحق ورجعت إليه . ثم قاتل عليّ رضى الله عنه من أَصَرَ على الخروج عليه بالنهروان فأبادهم . وهذه الفرقة هي المارقة الذين أخبر عنهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنهم يَمُرُقون من الدين كما يَمُرُق السهم من الرمية . ومَذْهَبهم تولى أبي بكر وعمر رضى الله عنهما خاصة ، والتّبري من عثمان وعليّ ، وطلحة ، والزبير ، وعائشة ، ومعاوية ، وأهل الشام والعراق ، وكل من لم يَقُلْ بقولهم . ويَكْفُرُونَ أهل دار الإسلام ، ويستبيحون الدماء والأموال . وكانوا مع ذلك يُظهرون التّعبد والتّقشّف . وسَمَّوا أنفسهم الشّراة ظناً منهم أنهم قد شَرَوْا أنفسهم لله وبذلوها في اتباع مَرْضاته . ومن هؤلاء القوم : عبدُ الرحمن بن ملجم ، قاتل عليّ رضى الله عنه .

نافع بن الأزرق
والحرب بينه وبين
أهل البصرة

ولما أفضت الخلافةُ إلى معاوية صار يخرج عليه منهم الطائفةُ بعد الطائفة . وظهر فيهم بعد موت معاوية وأبنة يزيد ، رجلٌ يقال له : نافع بن الأزرق ، فأحدث فيهم مقالةً لم تكن قبل ذلك ، وأباح قَتْل أطفال المُخالفين ، واحتجّ بقوله تعالى : (وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً كَفَّاراً) . وأتبعته طائفةٌ منهم يقال لهم الأزارقة ، نسبةً إليه . وخالفه في ذلك سائر الخوارج وتفرّقوا فرقةً كثيرةً ، تُذكر في كُتُب المقالات .

وكان أهل العراق لما مات يزيد بن معاوية قد أمروا على أنفسهم عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب المعروف ببَنَّة^(١). فقصد نافع بن الأزرق ومن معه من الخوارج العراق وبذلوا السيف وقتلوا الرجال والنساء والولدان . وكانوا كلما وطئوا بلداً فعلوا به هذا، فإن أجابهم أهل ذلك البلد إلى الدخول في ملتهم رفعوا السيف عنهم ووضعوا عليهم الجباية . فاشتدت شوكتهم ، وعظم أمرهم . فخرّض الأحنف بن قيس الناس بالبصرة على حربهم ، وطلب منه عبد الله بن الحارث أن يؤمّر أميراً ينهر الناس على فعالهم . فأمر مسلم بن عيسى بن كرز بن ربيعة ، وأجمع إليه عشرة آلاف ، وكان فارساً شجاعاً ديناً . فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال: إني ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة، وإني لأحارب قوماً إن ظفرت بهم فما وراءهم إلا سيوفهم أو رماحهم ، فمن كانت نيته الجهاد فلينهض ، ومن أحب الحياة فليرجع . فرجع نفر يسير ومضى الباقيون معه . وذلك في سنة خمس وستين . فلما صاروا بدولاب ، وهي قرية من قرى الأهواز بينها وبين الأهواز أربعة فراسخ ، خرج إليهم نافع ، فأقتلوا قتالاً شديداً حتى تكسرت الرماح ، وعقرت الخيل ، وكثرت الجراح والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعمد . فقتل في المعركة ابن عيسى أمير جيش البصرة ، ونافع بن الأزرق أمير الخوارج . وكانت الخوارج يومئذ نحو ستمائة رجل . فقام بأهل البصرة الربيع بن عمرو الغداني ، وقام بأمر الخوارج عبد الله بن بشر بن الماحوز—وكان الربيع يقال له: الأجدم ، لأن يده كانت أصيبت بكابل مع عبد الرحمن بن سمره—فبقيت الحرب بينهم نيفاً وعشرين يوماً ، فأصبح الربيع بن عمرو ذات يوم فقال لأصحابه : إني مقتول لا محالة . قالوا : وكيف ؟ قال : إني رأيت البارحة كأن يدي التي أصيبت بكابل انحطت من السماء ، فاستشلتني^(٢) . فلما كان من الغد قاتل إلى الليل ، ثم غاداهم

(١) لقب به لكثرة لحمه في صفه .

(٢) استشلتني : استنقذتني .

القتال . فقتل يومئذ . فقام بأمر أهل البصرة الحجاج بن باب الحميري . وقد أقتل
الناس يومئذ وقبلة يومين قتالاً شديداً ، لم يقتتلوا مثله ، تطاعنوا بالرماح حتى
تقصفت ، ثم تضاربوا بالسيف والعمد حتى لم يَبْقَ لأحد منهم قوة ، وحتى كان
الرجل يضرب الرجل فلا يُغنى شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامون بالحجارة
ويتكادمون ^(١) بالأفواه . وقاتل الحجاج بن باب قتالاً شديداً . ثم اختلف هو
وعمران بن الحارث الراسبي بضر بنين ، كل واحد منهما قتل صاحبه . ثم تهاجروا ،
وأصبح أهل البصرة وقد هرب عامتهم . وقام بأمر أهل البصرة حارثة بن بدر الغداني .
وجاء للخوارج مدد من اليمامة فقتلوا به ، وأنهزم حارثة بمن معه من أهل البصرة .
وتبعتهم الخوارج ، فالتقى أهل البصرة أنفسهم في دُجَيْل ، ففرق منهم خلق كثير ،
وسلمت بقيتهم . ففي ذلك يقول قطري بن الفجاء المازني من الخوارج — وقيل :
قائله صالح بن عبد الله العبشمي . وقيل : عمرو القنا . وقيل : حبيب بن سهم — وهو
الشعر الذي فيه الغناء وأُفتتح به أبو الفرج خبر وقعة دولاب ، وهو :

لعمرك إني في الحياة لزاهدٌ	وفي العيش ما لم ألق أم حَكِيم
من الخفريات البيض لم أر مثلهما	شفاء لذي بث ولا لسقيم
لعمرك إني يوم أضرب وجهها	على نائبات الدهر غير حليم
فلوشهدتني يوم دولاب أبصرت	طعان فتى في الحرب غير ^(٢) ذميم
غداة طفت علماء ^(٣) بكر بن وائل	وألفها من خير ^(٤) وسليم
ومال الحجازيون نحو بلادهم	ومجنا صدور الخيل نحو تميم
وكان لعبد القيس أول جدّها	وولت شيوخ الأزد فهي ^(٥) تعوم

(١) يتكادمون : يتعاضون .

(٢) في الأغاني : « لثيم » .

(٣) يريد : على الماء .

(٤) هو سليم بن منصور بن عكرمة ، بالتصغير ، وكبير للوزن .

(٥) في البيت إقواء .

ولم أريوما كان أكثر مُقَصَّصًا يَمُجُّ دَمًا من فائِظٍ^(١) وكَلِيمٍ
 وضاربةً خدًّا كريماً على قَتِيٍّ أغرَّ نَجِيبِ الأمهاتِ كَرِيمٍ
 فلو شَهِدْتُنَا يومَ ذاكِ وخيلُنَا تُبَيِّحُ من الكُفَّارِ كُلِّ^(٢) هَزِيمٍ
 رأتِ فِتْيَةً باغُوا الإلهَ نفوسَهُم بِجَنَّاتِ عَدْنٍ عنده ونَعِيمٍ
 وذُكِرَ أن أُم حَكِيمٍ التي عنها الشاعرُ كانت أُمراً من الخوارج مع قَطْرِيٍّ بن شَيْءٍ عن أُم حَكِيمٍ
 الفُجَاءةِ، وكانت من أشجعِ الناسِ وأجملهم وجهاً . فخطبها جماعةٌ منهم فردَّتْهم ولم
 تُجِبْهم إلى ذلك . فأخبر مَنْ شَهِدَها أنها كانت تحمل على الناسِ وترتجز :
 أحمل رأساً قد سُمْتُ حَمَلَهُ وقد مَلَأْتُ دَهْنَهُ وَغَسَلَهُ
 ألا فَتِيٌّ يَحْمِلُ عَنِّي ثِقَلَهُ

قال :

وهم يُفَكِّدُونَهَا بِالْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ . فما رأيت قبلها ولا بعدها مثلاً .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج عبد الله بن هارون العَرَوْضِيَّ . ولم يذكر له أخباراً . وشعره كلمة عن العروضي
 الذي فيه الغناء .

يأيها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ

لا تَعْتَبِنِ على الزَّمانِ ن فليس يُعْتَبِيكِ الزَّمانُ

ثم ذكر أبو الفرج جماعةً من المُعَنِّين وهم : سِيَّاطُ ، وَثْبِيه ، وَسُلَيْمٌ ، وَأَبْنُ عَبَّادٍ . بعض من ذكرهم
 ويحيى المَكِّيُّ . ولم أجد لهم شيئاً يُنْتَفَعُ بذكره ، إذ كان كل ما ذكر فيما يتعلق بالمُعَنِّين وأهلهم
 بأصوات الغناء والنغم والصناعة . وهذا الكتاب قد شرط فيه التَّجْرِيدُ من
 ذلك كُلِّهِ .

(١) المقصص : الذي طعن بالرمح فأت مكانه . والفائِظ : الميت . والكليم : الجريح .

(٢) في الأغاني : « حريم » مكان « هزيم » .

أخبار النميري

هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة بن ربيعة بن حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيظ بن جشم بن قسي، وهو ثقيف . شاعرٌ غزل . مولده ومنشؤه بالطائف . من شعراء الدولة الأموية . وكان يهوى زينب بنت يوسف ، أخت الحجاج بن يوسف ، أمير العراقين ، لأبيه وأمه . وله فيها أشعار كثيرة ينسب فيهاها . وأم زينب والحجاج الفارعة بنت همام بن عروة بن مسعود الثقفي . وكانت عند المغيرة بن شعبة ، فرآها المغيرة يوماً بكرةً وهي تتخلل ، فقال : والله لئن كان من غداء لقد أجشعت ! ^(١) وإن كان من عشاء لقد أنتنت ! ولفظها وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعل الحرة أنت ! والله ما هو إلا من شظية مسواك استمسكت بين أسناني .

نسبه ومنشؤه وهواه
بزينب

شيء عن الفارعة
أم زينب

وحكى مسلم بن جندب قال : إني لمع محمد بن عبد الله بن نمير بنعمان ، ^(٢) وغلام يشتد خلفه يشتمه أقبح الشتيمة . فقلت : من هذا ؟ فقال : هذا الحجاج ابن يوسف ، دعه فإني ذكرت أخته في شعري فأحفظه ذلك .

وقوع الحجاج
فيه وهو غلام
لذكره أخته

وحكى أنه ولدت الفارعة أم الحجاج من المغيرة بن شعبة بنتاً ، فماتت . فنزع الحجاج عروة بن المغيرة في ميراثها ، فأغلظ الحجاج لعروة ، فأمر به عبيد الله ابن زياد فضرب أسواطاً على رأسه وقال : الأبي عبد الله تقول هذه المقالة ! وكان الحجاج حاقداً على آل زياد وينفيهم عن آل أبي سفيان .

الحجاج في ميراث
لأخته مع عروة
عند ابن زياد

(١) المسموع فيه : جشع ، من باب فرح .

(٢) هو نعمان الأراك : واد بينه وبين مكة نصف ليلة .

وذكر أن الفارعة أم الحجاج كانت نذرت لئن عُوفى يوسف أبو الحجاج ، أول شعره في زينب ، وكان أعتل فطالت عِلته ، أن تَمْشى إلى الكعبة معه . فعُوفى ، فخرجت في نسوة فقطعن بطن وَجٍّ^(١) — وهو ثلثمائة ذراع — في يومٍ جعلته مرحلةً ، لثقل بدنهما ، ولم تقطع ما بين مكة والطائف إلا في شهر . فبينما هي تسير إذ لقيها إبراهيم بن عبد الله النُميرى ، أخو محمد بن عبد الله ، مُنصرفاً من العمرة ، فلما قدم الطائف أتى محمداً يُسلم عليه ، فقال : ألك علم بزَيْنَب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَمَاء^(٢) في بطن نَعْمَان . فقال : ما أحسبك إلا وقد قلت شيئاً ؟ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهة أن يَنْشَبَ بيننا وبين إخوتنا شرٌّ . فقال محمد هذه القصيدة ، وهى أول ما قاله :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ أَنْ مَشَتْ	به زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ
فَأَصْبَحَ مَا بَيْنَ الْهَمَاءِ ^(٣) وَجَذْوَةٍ	إِلَى الْمَاءِ مَاءِ الْجَزْعِ ^(٤) ذَى الْعُشْرَاتِ
لَهُ أَرْجٌ مِنْ نَجْمِ الْهِنْدِ سَاطِعٌ	تَطْلُعُ رِيَاءً مِنْ ^(٥) الْكَفِرَاتِ
تَهَادَيْنِ مَا بَيْنَ الْمُحَصَّبِ ^(٦) مِنْ مَنَى	وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْنًا وَلَا غَبِرَاتِ
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ ^(٧) بَيْتَهُ	مَوَاشِيََ بِالْطَحَاءِ ^(٨) مُؤْتَجِرَاتِ
مَرَرْنَ بِفَنَخٍ ثُمَّ رُحْنُ عَشِيَّةٍ	يُلْمِيْنَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ
يَخْمُرْنَ ^(٩) أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّقَى	وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ ^(١٠) مُعْتَجِرَاتِ

(١) واد بالطائف . وقد ساق أبو الفرج الحديث وجعل التي نذرت زينب . وعلى رواية ابن واصل فكان زينب في ركب أمها .

(٢) الهَمَاءُ : موضع بنعمان .

(٣) وفي رواية : « فحزوة » . وليس في معجم البلدان مكان بهذا الاسم أو ذاك . وفي رواية أخرى : « فصاعداً » .

(٤) العُشْرَاتِ : من كبار الشجر ، جمع عشر . (٥) الكفِرَاتِ : الجبال العظيمة .

(٦) المحصب : موضع قريب من منى ، بينه وبين مكة .

(٧) في الأغاني : « عرشه » مكان « بيته » .

(٨) مؤتجرات : طالبات للأجر . وفي رواية : « معتجرات » ، أى لابسات المعاجر ، وهى

أثواب تلفها النساء على رؤوسهن .

(٩) في الأغاني : « يخجن » .

(١٠) الرواية في الأغاني : ويقتلن بالأحياض مقتدرات .

تَقَسَّمْنَ لِيَّ يَوْمَ نَعْمَانِ إِنِّي رَأَيْتُ فَوَادِي عَارِمَ ^(١) النَّظَرَاتِ
 جَلَوْنَ وَجُوهًا لَمْ تَلُحْهَا سَمَائِمٌ حَرُورٌ وَلَمْ يُسْفَعْنَ ^(٢) بِالسَّبَرَاتِ
 قَلَّتْ يُعَافِرُ الطَّبَاءُ تَنَافُوتِ نِيَاعَ ^(٣) غُصُونِ الْمَرْدِ مُهْتَصِرَاتِ
 وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الثَّمِيرِ رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 فَأَذْنِينَ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى ^(٤) وَالْحَبَرَاتِ
 فَكِدْتُ أَشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً أَقْطَعُ ^(٥) نَفْسِي إِثْرَهَا حَسَرَاتِ
 فَرَاغْتُ نَفْسِي وَالْحَفِيزَةَ بَعْدَهَا بَلَلْتُ رِذَاءَ الْعَصَبِ ^(٦) بِالْعَبَرَاتِ

وذكر أن هذه القصيدة بلغت عبد الملك بن مروان ، فكتب إلى الحجاج
 ابن يوسف :

هو عبد الملك
 هو الحجاج في هذه
 القصيدة

قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فإله عنه وأعرض عن ذكره ، فإنك إن
 أدنيتَه أو عاتبته أطمعته ، وإن عاقبته صدقته .

وذكر أن الثميري هرب من الحجاج إلى عبد الملك بن مروان وأستجار به .
 فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلت في زينب . فأشده . فلما أنهى
 إلى قوله :

ولمَّا رَأَتْ رَكْبَ الثَّمِيرِ أَعْرَضْتُ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتِ
 فقال له عبد الملك : ما كان ركبك يا ثميري ! قال : أربعة أحمره لي كنتُ
 أجلبُ عليها القطران ، وثلاثة أحمره صُحْبَتِي تَحْمِلُ الْبَعْرَ . فضحك عبد الملك حتى
 استغرب ضحكا ، ثم قال : لقد عظم أمرُك وأمرُ ركبك ! وكتب إلى الحجاج :

(١) عارم : شارد .

(٢) السبرات : جمع سبرة ، وهي شدة البرد .

(٣) النياح : المائلة . والمرد : ناضج الأراك .

(٤) القسى : ثياب منسوبة إلى « قس » بلدة كانت بين العريش والفرما .

(٥) في رواية : « تقطع » .

(٦) العصب : ضرب من البرود .

لا سبيلَ لك عليه . فلما أتاه الكتابُ وضعه ولم يقرأه . ثم أقبل على يزيدَ بن أبي
مُسلم فقال له : أنا برىء من بيعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدنى ما قال فى زينب
لأتين على نفسه ، ولئن أنشدنى لأعفون عنه ، وهو إذا أنشدنى آمن . فقال له يزيد :
ويلك ! أنشده . فأنشده قوله :

تَضَوَّعَ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانُ أَنْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتٍ
فَقَالَ لَهُ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ ! مَا كَانَتْ تَعَطَّرُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ مَنْزِلِهَا . ثُمَّ أَنْشَدَهُ حَتَّى
بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ النُّمَيْرِ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقِيَنَّهُ حَذِرَاتٍ
فَقَالَ : يَحْقُ لَهَا أَنْ تَرْتَاعَ لِأَنَّهَا مِنْ نِسْوَةِ خَفِرَاتٍ صَالِحَاتٍ . ثُمَّ أَنْشَدَهُ حَتَّى
بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ :

مَرَزْنَ بِفَخٍّ رَائِحَاتٍ عَشِيَّةً يُلْبِئِينَ لِلرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتٍ
فَقَالَ : صَدَقْتَ ! لَقَدْ كَانَتْ حِجَابَةَ صَوَامَةٍ مَا عَلِمْتُهَا . ثُمَّ أَنْشَدَهُ حَتَّى بَلَغَ
إِلَى قَوْلِهِ :

يَخْمُرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثَّقَى وَيَخْرُجْنَ جُنْحَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ
فَقَالَ لَهُ : صَدَقْتَ ! هَكَذَا تَفْعَلُ الْمَرْأَةُ الْحُرَّةُ الْمُسْلِمَةُ . ثُمَّ قَالَ لَهُ : وَيْحَكَ ! إِنِّى
أَرَى أُرْتِيَاعَكَ أُرْتِيَاعَ مُرِيبٍ ، وَقَوْلُكَ قَوْلَ بَرِئٍ ، وَقَدْ أَمْنْتُكَ . وَلَمْ يَعْرِضْ لَهُ .

ومما قاله النُميرى فى زينب أخت الحجاج :

من شعره فى زينب

طَرِبْتُ وَشَاقَتُكَ الْمَنَازِلُ مِنْ^(١) جَفْنٍ أَلَا رُبَّمَا يَعْتَادُكَ الشَّوْقُ بِالْحَزَنِ
نَظَرْتُ إِلَى أَظْغَانِ زَيْنَبَ بِاللَّوَى فَأَعْوَلْتُهَا^(٢) لَوْ كَانَ إِعْوَالُهَا يُغْنِى
فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَاكَ زَيْنَبُ مَا دَعْتُ مُطَوَّقَةً وَرَفَاهُ شَجْوًا عَلَى غُصْنِ

(١) جفن : واد بالطائف لثقيف

(٢) الإعوال : رفع الصوت بالبكاء .

وإن أحتال الحى يومَ تَحَمَّلُوا عَنَّاك وهل يَعْنِيكَ إلا الذى يَعْنَى
ومُرْسَلَةٍ فى السرِّ أن قد فَضَحْتَنى وصرَّحت بأسمى فى النَّسِيبِ فمَاتَكْنَى
وأثمتَ بى أهلى وجُلَّ عَشِيرَتى لِيَهْنُوكَ ما تَهَوَّاهُ إن كان ذا يَهْنَى
وقد لامننى فيها ابنُ عَمِّى ناصحاً فقلتُ له خذْ لى فُوَادَى أو دَعْنَى
ويقال : إنه بلغ زينبَ قوله هذا ، فبكت . فقالت لها خادمتها : ما يُبْكِيكَ ؟
فقلت : أخشى أن يَسمعَ بقوله هذا جاهلٌ لا يَعْرِفْنى ولا يَعْلَمُ مَذْهَبى
فيظنُّه حقاً .

ومما قاله فيها أيضاً ، وهو الشعر الذى فيه الغناء وأفتتح به أبو الفرج
أخبار الثميرى :

أهاجَتِكَ الظعائنُ يومَ بانُوا بذى الزِّىِّ الجميلِ من الأثاثِ
ظلعائنُ أسلكتُ نَقَبَ^(١) المُنَقَّى نُحْتُ إذا ونتِ أَى أَحْتاثِ
تُؤمِّلُ أن تُلَاقِ أَهْلَ بُصْرِى فىالك من لقاء^(٢) مُسْتَرَاثِ
كأنَّ على الحَدَائِجِ يومَ بانُوا نِعاَجاً تَرْتَعى بَقْلَ^(٣) البراثِ
يُهيِّجُنِى المِمامُ إذا تَداعى كما سَجَعَ النَّوَامِجُ فى^(٤) المرائى
كأنَّ عِيُونَهُنَّ من التَّبَكَّى فُصُوصُ الجَزَعِ أو يَنْعُ^(٥) الكَبَاثِ
أَلَاقٍ أنتِ فى الحِجَجِ البِوَاقِ كما لاقيتِ فى الحِجَجِ الثلاثِ

وذُكر أن عبد الملك بن مروان لما بعث الحجاج بن يوسف إلى حرب عبد الله

ما أخذه عبد الملك
على الحجاج بشأنه
حين بعثه لحرب
ابن الزبير

(١) نقب المتنق : بين مكة والطائف .

(٢) مسترث : بطى .

(٣) الحدائج : من مراكب النساء ، مثل الهودج . والنعاج : البقر الوحشى . والبراث :
الأماكن النهلة .

(٤) فى الأغاني : « بالمرائى » .

(٥) الجزع : الحرز فيه سواد وبياض . وينع : جمع يانع . والكباث : النضيج من ثمر الأراك .

أَبْنُ الزُّبَيْرِ قَامَ إِلَيْهِ يَوْسُفُ بْنُ الْحَكَمِ أَبُو الْحَجَّاجِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ غُلَامًا مِنَّا قَالَ فِي ابْنَتِي زَيْنَبَ مَا لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَقُولُ مِثْلَهُ فِي ابْنَةِ عَمِّهِ ، وَإِنْ هَذَا — يَعْنِي الْحَجَّاجَ — لَمْ يَزَلْ يَنْتَوِقُ إِلَيْهِ وَيَهْمُ بِهِ ، وَأَنْتَ الْآنَ تَبْعُهُ إِلَى مَا هُنَاكَ ، وَمَا أَمْنُهُ عَلَيْهِ . فَدَعَا عَبْدُ الْمَلِكِ الْحَجَّاجَ فَقَالَ لَهُ : إِنْ مُحَمَّدًا النُّمَيْرِي جَارِي وَلَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِ ، فَلَا تَعْرِضْ لَهُ .

وَذُكِرَ أَنَّ الْحَجَّاجَ كَانَ يَتَهَدَّدُ النُّمَيْرِي وَيَقُولُ : لَوْلَا أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ : صَدَقَ ، تَهْدِيْدُ الْحَجَّاجِ لَهُ وَهَرَبَهُ وَشَعْرَهُ فِي ذَلِكَ لَتَقَطَعْتُ لِسَانَهُ . فَهَرَبَ إِلَى الْيَمَنِ ثُمَّ رَكِبَ بَحْرَ عَدَنَ ، وَقَالَ فِي هَرَبِهِ :

أَتَنَنِي عَنْ الْحَجَّاجِ وَالْبَحْرُ بَيْنَنَا عَقَارِبُ تَسْرِي وَالْعُيُونُ هَوَاجِعُ
فَضِيقْتُ بِهَا ذَرْعًا وَأَجْهَشْتُ خِيفَةً وَلَمْ أَمْنِ الْحَجَّاجَ وَالْأَمْرُ فَاطِعُ
فَبِتُّ أُدِيرُ الْأَمْرَ وَالرَّأْيَ لِيَلْتِي وَقَدْ أَخْضَلْتُ خَدِّي الدَّمُوعُ التَّوَابِعُ
فَلَمْ أَرْخِيْراً لِي مِنَ الصَّبْرِ إِنَّهُ أَعْفٌ وَخَيْرٌ إِذْ عَرَتْنِي الْفَوَاجِعُ
وَمَا أُمِنْتُ نَفْسِي الَّذِي خِفْتُ شَرَّهُ وَلَا طَابَ لِي مِمَّا خَشِيتُ الْمَضَاجِعُ
إِلَى أَنْ بَدَأَ لِي رَأْسُ إِسْبِيلَ^(١) طَالِعاً وَإِسْبِيلٌ حَصْنٌ لَمْ تَنْلَهُ إِلَّا صَابِعُ
فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الْعَرَضِ عَنْكَ ابْنُ يَوْسُفَ إِذَا شِئْتُ مَنَآئِي لَا أَبَالَكَ وَاسِعُ
فَإِنْ نَلْتَنِي حَجَّاجٌ فَأَشْتَفِ جَاهِداً فَإِنَّ الَّذِي لَا يَحْفَظُ اللَّهَ ضَائِعُ
فَطَلَبَهُ الْحَجَّاجُ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ ، وَطَالَ عَلَى النُّمَيْرِي مَقَامُهُ هَارِبًا ، وَأَشْتَقَ إِلَى وَطَنِهِ ، فَجَاءَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ الْحَجَّاجِ . فَقَالَ لَهُ : إِلَيْهِ يَا نُمَيْرِي ! أَلَسْتُ الْقَائِلُ :

* فَإِنْ نَلْتَنِي حَجَّاجٌ فَأَشْتَفِ جَاهِداً *

فَقَالَ : بَلْ أَنَا الَّذِي أَقُولُ :

أَخَافُ مِنَ الْحَجَّاجِ مَا لَسْتُ خَائِفًا مِنَ الْأَسَدِ الْعَرَبِ بَاضٍ^(٢) لَمْ يَتْنَهْ دُعْرُ

(١) إِسْبِيلُ : جَبَلٌ فِي مَخْلَافِ ذِمَارِ .

(٢) الْعَرَبِ بَاضٍ : الْعَظِيمِ .

أَخَافُ يَدَيْهِ أَنْ تَنَالَا مَقَاتِلِي بِأَبْيَضَ عَضْبٍ لَيْسَ مِنْ دُونِهِ سِتْرُ
وَأَنَا الَّذِي أَقُولُ :

فَهَذَا طَوَّفْتُ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَأُبْتُ وَقَدْ دَوَّخْتُ^(١) كُلَّ مَكَانٍ
فَلَوْ كَانَتْ الْعَنْقَاءُ يَوْمًا تَطِيرُ بِي لَخَلَّتْكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي
فَتَبْسُمُ الْحَجَّاجَ وَأَمَّنَّهُ وَقَالَ لَهُ : لَا تُعَاوِدْ مَا تَعْلَمُ . وَخَلَّى سَبِيلَهُ .

وَذُكِرَ أَنَّ الْحَجَّاجَ عَرَضَ عَلَى زَيْنَبَ أُخْتِهِ أَنْ يُزَوِّجَهَا مُحَمَّدَ بْنَ الْقَاسِمِ بْنِ
مُحَمَّدَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ أَشْرَفُ
ثَقَفِي فِي زَمَانِهِ ؛ أَوِ الْحَكَمِ بْنِ أَيُّوبَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ أَبِي عَقِيلٍ ، وَهُوَ شَيْخٌ .
فَأَخْتَارَتْ الْحَكَمَ . فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ . فَلَمَّا وَلِيَ الْحَجَّاجَ الْعِرَاقَ اسْتَعْمَلَ الْحَكَمَ زَوْجَ
أُخْتِهِ زَيْنَبَ عَلَى الْبَصْرَةِ . فَلَمَّا خَرَجَ عَلَى الْحَجَّاجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَشْعَثِ
وَجَّهَ الْحَجَّاجُ زَيْنَبَ مَعَ حُرْمِهِ إِلَى الشَّامِ ، خَوْفًا عَلَيْهِنَ . فَلَمَّا قُتِلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ
كُتِبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِالْفَتْحِ ، وَكُتِبَ مَعَهُ كِتَابًا إِلَى زَيْنَبَ يُخْبِرُهَا
الْخَبَرَ . فَأَعْطَاهَا الرِّسُولُ الْكِتَابَ وَهِيَ رَاكِبَةٌ عَلَى بَغْلَةٍ فِي هَوْدَجٍ ، فَنَشَرَتْهُ تَقْرُؤُهُ ،
فَسَمِعَتْ الْبَغْلَةُ قَعْقَعَةَ الْكِتَابِ ، فَنفَرَتْ وَسَقَطَتْ زَيْنَبُ عَنْهَا ، فَأَنْدَقَ عَضْدُهَا
وَتَهَرَّأَ جَوْفُهَا ، فَمَاتَتْ . وَعَادَ إِلَيْهِ الرِّسُولُ ، الَّذِي نَفَذَ بِالْفَتْحِ ، بِوَفَاةِ زَيْنَبَ .
فَقَالَ النَّمِيرِيُّ يَرِثُهَا :

لَزَيْنَبَ طَيْفٌ تَعْتَرِينِي طَوَارِقُهُ هُدُوءًا إِذَا النَّجْمُ أُرْجِحَتْ^(٢) لَوَاحِقُهُ
سَيِّبُكَ مِرْنَانُ الْعَشَى يُجَيِّبُهُ لَطِيفُ بَنَانِ الْكَفِّ دُرْمٌ^(٣) مَرَّاقُهُ
إِذَا مَا بِسَاطُ اللَّهِ مُدٌّ وَأَلْقَيْتُ لِلذَّاتِ أَمْنًا طُهُ وَغَمَاقُهُ

(١) دوخت كل مكان : سرت فيه حتى عرفته فلم تخف على طرقة .

(٢) أرجحن النجم : مال إلى الغروب .

(٣) مرنان العشى : يريد الصنح ذا الأوتار . والدرم : التي لا حجم لعظامها ، الواحد : أدرم .

وذكر أن سعيد بن المسيب رحمه الله مرَّ في بعض أزقة مكة ، فسمع الأخضر أعجب ابن المسيب بشعره وزاد عليه
الحربى يتغنى في دار العاصم بن وائل :

تضوَّع مسكاً بطنُ نَعْمَانٍ أَن مَشَتْ به زينبُ في نسوة عَطِرَاتِ

فضرب سعيدٌ برجله وقال : هذا والله مما يلذُّ أَسْمَاعُهُ ! ثم قال :

ولست كأخرى أوسعت جيبَ درعها وأبدت بنان الكفِّ للجَمَرَاتِ
وعَلَّتْ بنان المسك وخفًّا^(١) مُرَجَّلاً على مثل بدرٍ لاحٍ في الظلمات
وقامت تراءى يومَ جَمْعٍ^(٢) فأفتنت برؤيتها من راح من عَرَافَاتِ

فكانوا يروون^(٣) هذا الشعر لسعيد بن المسيب .

وذكر أنه لما تأيَّمت عائشة بنت طلحة كانت تُقيم بمكة سنةً وبالمدينة سنةً ، استشهدته عائشة
وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك تتنزَّه فيه ، وتجلس بنت طلحة شعره في زينب
بالعشيات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فرَّ بها الثميري الشاعر . فسألت عنه
فُسِّب لها . فقالت : أئتوني به . فأتوها به . فقالت له : أنشدني ما قلت في زينب .
فأمتنع عليها ، وقال : بنت عمي قد صارت عظاماً باليةً . فقالت : أقسمت عليك
إلا فعلت . فأنشدها قوله : « تضوَّع مسكاً » الأبيات . فقالت : والله ما قلت
إلا جليلاً ، ولا ذكرت إلا كرمًا وطيباً ، ولا وصفت إلا ديناً وتقياً ! أعطوه ألف
درهم . فلما كانت الجمعة الأخرى تعرَّض لها . فقالت : علىَّ به . فأحضر . فقالت :
أنشدني من شعرك في زينب . فقال لها : أو أنشدك من شعر الحارث بن خالد^(٤)

(١) الوجد : الشعر الغزير . وبنان المسك : أصابعها المغمورة به ، فكانها هو . وعلت :
أى سقت بأصابعها شعرها الطيب مرةً ومرة . يشير إلى تكرار مرور الأصابع بالشعر .

(٢) جمع : المزدلفة .

(٣) في الأغاني : « يرون أن » .

(٤) سبقت ترجمته (ج ١ ص ١٢٩) .

فيك؟ فوثب موالها إليه . فقالت : دُعوه فإنه أراد أن يستقيد لأبنة عمه .
هات مما قال الحارث في . فأنشدها :

ظعن الأمير بأحسن الخلق وغدوا بلبك مطلع الشرق

فقالت : والله ما ذكر إلا جميلاً ، ذكر أني إذا صبحت زوجاً بوجهي غدا
بكوكب الطلق^(١) ، وأنى غدوت مع أمير تزوجني إلى الشرق ، وأنى أحسن
الخلق في البيت ذى الحسب الرفيع . أعطوه ألف درهم ، واكسوه حلتين ، ولا تعد
لأتياننا بعد هذا يا ثميري .

من شعره فزنب ومن شعر الثميري في زينب :

ألا من لقلبٍ مُعنى غزلٍ أحبَّ المحلة أخت المَحَلِّ
تراءت لنا يومَ فرغَ الـأرا ك بين العشي^(٢) وبين الأَصْل
كأنَّ القَرَنفُلَ والزَّنجبيلَ وريحَ الخزامى وذوَبَ القسَل
يُعلِّ به بَرْدُ أنيابها إذا النجمُ وسطَ السماء^(٣) أعتدل

وعنى الثميري « بالمحل » أخاها الحجاج ، وكان يُسمى^(٤) بذلك لإحلاله
الكعبة بمحاصرته ابن الزبير ورَميها بالجانيق . وكان أهل الشام يُسمون ابن
الزبير بذلك ، لأنه أحلَّ الكعبة بمقامه فيها .

(١) تشير إلى بيت الحارث فيها :

ما صبحت أحداً برؤيتها إلا غدا بكوكب الطلق

(٢) في رواية : « العشاء » .

(٣) ويروى العجز :

* إذا ما صفا الكوكب المعتدل *

(٤) في الأغاني : « وكان أهل الحجاز يسمونه بذلك » .

أخبار الوضاح

وهو عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال بن داذ بن أبي جحد .
اسمه ونسبه ولقبه .
وَأُخْتَلَفُوا فِي تَحْقِيقِ نَسَبِهِ ، فَقِيلَ : إِنَّهُ مِنْ أَوْلَادِ الْفُرْسِ الَّذِينَ قَدِمُوا مَعَ وَهْرَز
لنصرة سيف بن ذي يزن على الحبشة .

وقيل : إنه من آل خولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد
شمس بن وائل بن العوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهَمَيْسَعِ بن خَير
أبن سبأ بن يَشْجُبْ بن يَعْرُبْ بن قَحْطَانَ .

والوضاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه .

قيل : مات أبوه وهو طفل ، فَأَنْتَقَلَتْ أُمُّهُ إِلَى أَهْلِهَا ، وَأَنْقَضَتْ عِدَّتُهَا ،
وَتَزَوَّجَتْ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهَا مِنْ أَوْلَادِ الْفُرْسِ . وَشَبَّ وَضَّاحٌ فِي حِجْرِ زَوْجِ أُمِّهِ .
فَجَاءَ عَمُّهُ وَجَدَّتُهُ أُمُّ أَبِيهِ ، وَمَعَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ خَير ، ثُمَّ مِنْ آلِ ذِي
جَدَنَ ، يَطْلُبُونَهُ . فَأَدْعَى زَوْجُ أُمِّهِ أَنَّهُ وَلَدُهُ . فحَاكُمُوهُ فِيهِ ، وَأَقَامُوا الْبَيْنَةَ أَنَّهُ
وُلِدَ عَلَى فِرَاشِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ كَلَالٍ أَبِيهِ . فَحَكَمَ بِهِ الْحَاكِمُ لِلْحَمِيرِيِّينَ . وَمَسَحَ
عَلَى رَأْسِهِ وَأَعْجَبَهُ جَمَالُهُ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبَ فَأَنْتَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ ، لَا مِنْ أَتْبَاعِ ذِي
يَزْنَ — يَعْنِي الْفُرْسَ الَّذِينَ قَدِمُوا بِهِمْ أَبْنُ ذِي يَزْنَ لِنَصْرَتِهِ — فَعَلَقْتَ بِهِ هَذِهِ
الْكَلِمَةَ يَوْمَئِذٍ ، فَلَقَّبَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ .

هو والمقنع والطائي

وقيل :

كان وضاح اليماني والمقنع الكندي وأبو زيد الطائي يردون مواسم العرب
مُقَنَّمِينَ يَسْتُرُونَ وَجُوهَهُمْ خَوْفًا مِنَ الْعَيْنِ وَحَذَرًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ لِمُجَالَمِهِمْ .

هو روضة وشعره فيها
وذُكر أن وضاح اليمين كان يهوى امرأة يقال لها : روضة من أهل اليمين ،

ثم أصابها الجذام من بعد ذلك ، فأقطع ما بينهما . وفيها يقول :

يَارَوْضَةَ الْوَضَّاحِ قَدْ عَنَيْتِ وَضَّاحَ الْيَمَنِ
فَأَسْقِي خَلِيلَكَ مِنْ شَرَا بٍ لَمْ يُكَدِّرْهُ الدَّرَنِ
الرَّيْحُ رِيحُ سَفَرِ جُلٍ وَالطَّعْمُ طَعْمُ سُلَافِ دَنِ
إِنِّي تُهَيِّجُنِي إِلَيْكَ حَمَامَتَانِ عَلَى فَنَنِ

ومن هذه القصيدة :

دَسَّتُ حُبِّيئَةً مَوْهِنًا إِنِّي وَعَيْشِكَ يَا سَكَنَ
أُبْلَغْتُ عَنْكَ تَبْدُلًا وَأَتَى بِذَلِكَ مُؤْتَمِنَ
وظننتُ أنك قد فعلت فكِدْتُ مِنْ حَزَنِ أَجَنَ
ذَرَفْتُ دُمُوعِي ثُمَّ قَدْ تَبَمَّنَ يُبَادِلُنَا ^(١) بَمَنَ

ومنها :

أَبْغَضْتُ فِيهِ أَحَبِّي وَقَلَيْتُ أَهْلِي وَالْوَطَنَ
أَتْرَكْتَنِي حَتَّى إِذَا عُلِّقْتُ أَيْضًا كَالشَّطَنِ
أَنْشَأْتُ تَطْلُبُ وَصْلَنَا فِي الصَّيْفِ ضَيِّعَتِ ^(٢) اللَّبَنَ
لَوْ قِيلَ يَا وَضَّاحُ قُمْ فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ أَوْ تَمَنَ
لَمْ أَغْدِ رَوْضَةً وَالَّذِي سَاقَ الْحَجِيجُ لَهُ الْبُدْنَ

وله فيها أشعار كثيرة . وما قاله فيها قصيدته التي أولها :

يَا لِقَوْمِي لَكثَرَةُ الْعُدَّالِ وَلِطَيْفٍ مَرَى مَلِيحِ الدَّلَالِ

(١) في رواية : « يبادلني » .

(٢) هذا مثل . وأصله أن امرأة كانت تحت شيخ كبير موسر فكرهته ، فطلقها . فتزوجها فتى جميل خلق . فبعثت إلى الأول تستميه . فقال ذلك المثل .

زائر في قصور صنعاء يطوى^(١) كل أرض مخوفة وجبال
ومنها:

يَقْطَعُ الْحَزْنَ وَالْمَهَامَةَ وَالْبَيْدَ دُونَ ثَمَانِ لَيْالٍ
عَاتِبٌ فِي الْمَنَامِ أَحْبَبُ بَعْثًا هَإِلَيْنَا وَقَوْلِهِ مِنْ مَقَالٍ
قَلْتُ أَهْلًا وَمَرْحَبًا عَدَدَ الْقَطَا رَسَهْلًا بِطَيْفِ هَذَا الْخِيَالِ
حَبْدًا مَنْ إِذَا خَلُونَا نَجِيًّا قَالَ: أَهْلِي لَكَ الْفِدَاءُ وَمَالِي
فَهِيَ الْهَمُّ وَالْمَنَى وَهَوَى النَّفَّةِ سَإِذَا أُعْتِلَ ذَوْهُوَى بِأُعْتِلَالِ
لَمْ أَجِدْ حُبًّا يُشَاكِلُهُ الْخَلَا بَإِذَا وَجَدْنَا كَوْجِدَ الرَّجَالِ
كُلَّ حَبٍّ إِذَا أُسْتَطَالَ سَيْبِلِي وَهَوَى رَوْضَةِ الْمُنَى غَيْرُ بَالِي
ومنها:

كَيْفَ عَذَلْنِي عَلَى الَّتِي هِيَ مِنِّي بِمَكَانِ الْيَمِينِ أُخْتُ الشَّمَالِ
وَالَّذِي أَحْرَمُوا لَهُ وَأَحْلَوْا بِمَنْى صُبْحَ عَاشِرَاتِ^(٢) اللَّيَالِ
مَا مَلَكَتُ الْهَوَى وَلَا النَّفْسَ مِنِّي مُنْذُ عَلَّقْتُهَا وَكَيْفَ^(٣) أُحْتَالِي
إِنْ نَأَتْ كَانَ نَائِيهَا الْمَوْتَ صِرْفًا أَوْ بَدَتْ^(٤) لِي فَمَنْ يَبْدُو خِيَالِي

ثم هوى وضاح اليمين أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك بن مروان، وأكثر من التشبيب بها. وكان سبب حبه لها أنها استأذنت زوجها الوليد بن عبد الملك في الحج، فأذن لها، وهو يومئذ خليفة. فقدمت مكة ومعها من الجوارى مالم ير مثله حسنا وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحد منهم أو ذكر أحداً من تبعها. فقدمت، فترأت للناس. وتصدى لها أهل الغزل والشعراء، ووقعت عينها على وضاح اليمين فهو يته.

(١) في رواية: «يسرى».

(٢) أي جمع الليلة العاشرة من ذي الحجة.

(٣) في رواية: «احتياي».

(٤) في رواية: «أو دنت».

وقيل: إنها بعثت إلى كثير والى وضاح: أن أنسبا بى. فأما وضاح فإنه ذكرها
 وصرح في النسب. وأما كثير فعديل عن ذكرها ونسب بحاريتها غاضرة.
 وقيل: مدح وضاح اليمين الوليد بن عبد الملك، ووعدته أم البنين أن ترفده^(١)
 عنده وتقوى أمره - فقدم عليه وضاح اليمين، فأنشده قوله فيه:

أم البنين وكثير
 ووضاح

أعانت أم البنين
 عند الوليد بن
 عبد الملك

صبا قلبي ومال إليك ميلا وأرقتي خيالك يا أنيلا
 يمانية تلم بنا فتبدي دقيق محاسن وتجن^(٢) غيلا
 دعينا ما أمنا^(٣) بنات نعش من الطيف الذي ينتاب ليلا
 ولكن إن أردت فصبحينا إذا رمقت بأعينها^(٤) سهيلا
 فإنك لورأيت الخليل تعدو عوايس^(٥) يتخذن النقع ذيلا
 إذا لرأيت فوق الخليل أسدا تفيد مغانما وتفتي نيلا
 إذا سار الوليد بنا وسرنا إلى خيل نلف بهن خيلا
 وندخل بالشرور ديار قوم ونعقب آخرين أذى وويلا
 فأحسن الوليد رفده وأعظم جائزته.

ومدحه بعد ذلك بقصائد. ثم نعى إليه أنه يشب بزوجه أم البنين.
 فجاءه وأمر بأن يحجب عنه ودبر في قتله. فمدحه بقوله:

نكاية الوليد به

ما بال عيئك لا تنام كأنما طلب الطيب بها قذى فأصله
 أم ما لقلبك لا يزال كأنه نشوان أنهل النديم وعله
 ما كنت أحسب أن أبيت ببلدة وأخي بأخري لا أحل محلّه

(١) ترفده: تعينه.

(٢) الغيل: الساعد الريان.

(٣) بنات نعش: من الكواكب الشامية، وكان غزوه نحو الروم، وفي رواية «ما أمت»

(٤) ويروى:

ولكن إن أردت فصبحينا إذا أمت ركائبنا سهيلا

(٥) في رواية: «سراعا» مكان «عوايس».

كُنَّا لَعَمْرُكَ نَاعِمِينَ بَغِيطَةٍ
مَعَ مَنْ نَحْبُ مَيْتَةٍ وَمَظَلَّةٍ
يقول فيها :

وَأَلَقَ ابْنُ مَرْوَانَ الَّذِي قَدْ هَزَّهْ
وَأَشْكُ الَّذِي لَا قِيَتَهُ مِنْ (١) جَفْوَةٍ
فَعَلَى ابْنِ مَرْوَانَ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِي
فَالْيَا لَيْكَ أَعْمَلْتُ الْمَطَايَا ضُمْرًا
عِرْقُ الْكَارِمِ وَالنَّدَى فَأَقْلَهُ
وَأُنْشُرُ إِلَيْهِ دَاءَ قَلْبِكَ كُلَّهُ
أَمْسَى يَذُوقُ مِنَ الرُّقَادِ أَقْلَهُ
وَقَطَعْتُ أَرْوَاحَ الشَّتَاءِ (٢) وَظَلَّهُ

وقيل :

حكاية مقتله

لَمَّا عَزَمَ الْوَلِيدُ عَلَى قَتْلِ الْوَضَّاحِ ، قَالَ لَهُ ابْنُهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ الْوَلِيدِ
— وَأُمُّهُ أُمُّ الْبَنِينَ — : لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَتُحَقِّقَ قَوْلَهُ ، وَلَكِنْ أَفْعَلْ بِهِ كَمَا
فَعَلَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ بِأَبِي دَهْبَلٍ ، فَإِنَّهُ لَمَّا شَبَّ بِأَبْنَتِهِ شَكَاهُ يَزِيدُ ابْنَهُ
وَسَأَلَهُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَقَالَ : إِذَا تَحَقَّقَ قَوْلُهُ ، وَلَكِنْ تَبَرَّهْ وَتُحْسِنْ إِلَيْهِ فَيَسْتَحْيَ وَيَكْتُمُ
وَيُكَذِّبُ نَفْسَهُ . فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ، وَجَعَلَهُ فِي صُنْدُوقٍ وَدَفَنَهُ حَيًّا .

وحكى ابن الكلبي قال :

عَشَقْتُ أُمَّ الْبَنِينَ وَضَّاحَ الْيَمَنِ ، فَكَانَتْ تُرْسَلُ إِلَيْهِ فَيَدْخُلُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ
مَعَهَا ، فَإِذَا خَافَتْ وَارْتَهَ فِي صُنْدُوقٍ عِنْدَهَا وَأَقْفَلَتْ عَلَيْهِ . فَأُهْدَى لِلْوَلِيدِ جَوْهَرُ لَهُ
قِيَمَةٌ ، فَأَعْجَبَهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ ، فَدَعَا خَادِمًا لَهُ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى أُمِّ الْبَنِينَ وَقَالَ : قُلْ لَهَا :
إِنَّ هَذَا الْجَوْهَرَ أَعْجَبَنِي فَأَتَرْتُكَ بِهِ . فَدَخَلَ الْخَادِمُ عَلَيْهَا مُفَاجَأَةً وَوَضَّاحَ الْيَمَنِ
عِنْدَهَا ، فَأَدْخَلَتْهُ الصُّنْدُوقَ وَهُوَ يَرَى ، فَأَدَّى إِلَيْهَا رِسَالَةَ الْوَلِيدِ وَدَفَعَ إِلَيْهَا الْجَوْهَرَ
وَقَالَ لَهَا : يَا مَوْلَاتِي ، هَبِي لِي مِنْهُ حَبْرًا . فَقَالَتْ : لَا يَا بَنَ الْإِخْنَاءِ وَلَا كِرَامَةً !
فَرَجَعَ إِلَى الْوَلِيدِ فَأَخْبَرَهُ . فَقَالَ : كَذَبَتْ يَا بَنَ الْإِخْنَاءِ . وَأَمَرَ بِهِ فُوجِئَتْ عَنْقُهُ .

(١) في رواية : « من دونه » .

(٢) في رواية : « وظله » .

ثم لبس ثعلبه فدخل على أم البنين وهى جالسة فى ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذى أدخلته فيه . فجلس عليه ثم قال لها : يا أم البنين . ما أحب إليك هذا البيت من بين البيوت ! فلم تختارينه ؟ فقالت : أجلس فيه وأختاره لأنه يجمع حوائجى كلها فأتناولها منه كما أريد من قرب . فقال لها : هبى لى صندوقاً من هذه الصناديق . فقالت : كلها لك يا أمير المؤمنين . فقال : ما أريد كلها إنما أريد منها واحداً . قالت : خذ أيها شئت . قال : هذا الذى جلست عليه . قالت : خذ غيره ، فإن لى فيه أشياء أحتاج إليها . قال : ما أريد غيره . قالت : خذه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخدم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه ، فوضعه فيه . ثم دعا بعبيد له عجم فأمرهم بحفر بئر فى المجلس عميقة ، فنجى البساط وحفرت إلى الماء ، ثم دعا بالصندوق فوضع على شفير البئر ، ودنا منه وقال : يا صاحب الصندوق ، إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد كفيناك ودفنناك ودفننا أترك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فإنما دفننا الخشب ، وما أهون ذلك . ثم قذف به إلى البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض ، ورد البساط إلى حاله وجلس عليه . ثم ما رأتى لوضاح بعد ذلك أثر فى الدنيا إلى هذا اليوم ، وما رأت أم البنين لذلك أثراً فى وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

قلت : وقد ذكر أبو الفرج عن خالد بن كلثوم أن هذه الحكاية وضعها بعض الشعوية لما تلاهى هو وبعض ولد الوليد . وأن الحق هو الرواية الأولى . والله أعلم أى ذلك كان .

تكاية الوليد به
للتشبيه فاطمة
أخته

وقد ذكر أن الوليد كان قد أمسك عن قتل وضاح اليمين على غيظ وحق ، لما نهاه أبنة عبد العزيز عن قتله خوف الفضيحة ، حتى بلغه أنه تعدى أم البنين إلى أخته فاطمة بنت عبد الملك ، وكانت زوجة ابن عمه عمر بن عبد العزيز ، رضى الله عنه ، وقال فيها :

بنتُ الخليفة والخليفة جدُّها أختُ الخليفة والخليفةُ بعلُّها
فرحتُ قَوالِها بها وتباشرتُ وكذلك كانوا في المَسرةِ أهلُها
فأختلط وأشدتْ غيظهُ ودَفَنه حياً .

وذُكر أن أم البنين مَرِضَتْ ، ووضَّاح مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً بها ، وله في أم البنين
وقد اعتلت
فقال في علَّتِها :

حَتَّامَ نَسَكُمُ حُزُنًا ^(١) حَتَّامًا وإِلَامَ نَسْتَبْقِي الدُّمُوعَ ^(٢) إِلَامًا
إِنَّ الَّذِي بِي قَدْ تَفَاقَمَ وَأَعْتَلَى وَنَمَّا وَزَادَ وَأَوْزَثَ الْأَسْقَامَا
قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْبَنِينَ مَرِيضَةً نَخْشَى وَنُشْفِقُ أَنْ يَكُونَ حِمَامَا
يَا رَبِّ أَمْتَعْنَا بِطُولِ بَقَائِهَا وَأُجْبِرْ بِهِ الْأَرْمَالَ وَالْأَيْتَامَا
وَأُجْبِرْهَا الرَّجُلَ الْغَرِيبَ بِأَرْضِهَا قَدْ فَارَقَ الْأَخْوََالَ وَالْأَعْمَامَا
كَمْ رَاغِبِينَ وَرَاهِبِينَ وَبُؤْسَ عَصَمُوا بِقُرْبِ جَنَابِهَا إِعْصَامَا
بِجَنَابِ ظَاهِرَةِ الشَّنَا مَحْمُودَةٍ لَا يُسْتَطَاعُ كَلَامُهَا إِعْظَامَا

والشعر الذي فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار وضاح اليمين ، هو :
الشعر الذي فيه
الغناء
يَا قَلْبُ وَيْحَكَ لَا يَذْهَبُ بِكَ الْخُرْقُ إِنَّ الْأَلَى كُنْتَ تَهْوَاهُمْ قَدْ أَنْطَلَقُوا
مَا بَالُهُمْ لَمْ يَبَالُوا إِذْ هَجَرْتَهُمْ وَأَنْتِ مِنْ هَجَرِهِمْ قَدْ كِدْتَ تَحْتَرِقُ

(١) في التجريد : « حينا » .

(٢) في بعض أصول الأغاني : « وعلام تستبق الدموع علاما » .

خبر شار مع عبده

لبشار في عبدة قد تقدّمت أخبار بشار ، وذكر أبو الفرج هنا شعراً لبشار يُغنى فيه ممّا قاله في

عبدة ، فأقتضى ذلك أن نذكر خبر بشار مع عبدة خاصّة . والشعر هو :

ألا طرد الهوى عني رُقادي تحسبي ما لقيت من الشهاد
لعبدة إن عبدة تيمّنتني وحلت من فؤادي في السّواد

روايته بينه وبينها

وذكر هشام بن الأحنف رواية بشار قال :

إني عند بشار ذات يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك
السلام وتقول لك : قد اشتد شوقنا إليك ولم نترك منذ أيام . فقال : عن غير
مقلية كان . ثم قال : اكتب عني ما أقول . وأملى عليه :

عبدَ إني إليك بالأشواق لتلاق وكيف لي بالتلاق
أنا والله أشتهى سحر عيني لك وأخشى مصارع العشاق
وأخاف الحرسي^(١) مُحْتَسِبُ الْجَنَّةِ سد يلف البريء بالفساق

من شعره فيها

ومن قوله فيها :

يا عبدَ إني قد ظلمت وإنتي مُبدِ مقالةً راغبٍ أوراغبِ
وأُتوب مما تكرهين لتقبلي والله يقبل حسن فعل التائب

ومن قوله :

يا عبدَ زوريني تكن منّة لله عندي يوم ألقاك
والله ثم الله فاستيقني إني لأرجوك وأخشاك

(١) الحرسي ، بالتحريك : حرس السلطان ، وسكن الضرورة .

يَا عَبْدُ إِنِّي هَالِكٌ مُدْنَفٌ إِن لَّمْ أَذُقْ بَرْدَ ثَنَائِكَ
فَلَا تَرُدِّيْ عَاشِقًا مُدْنَفًا يَرْضَى بِهَذَا الْقَدْرِ^(١) عَنْ ذَاكَ

وكان أول أمره معها أن النساء كن يحضرن مجلسه ، إذ سمع كلام عبدة هذه حديث حبه عبدة فعشقتها ، فدعا غلامه فقال : إِنِّي قَدْ عَلَّقْتُ أَمْرًا ، فَإِذَا تَكَلَّمْتُ عَرَفْتُكَ ، وَأَنْظُرْ مَنْ هِيَ فَأَعْرِفَهَا ، فَإِذَا أَنْقَضَى الْمَجْلِسُ وَأَنْصَرَفَ أَهْلُهُ فَاتَّبِعْهَا وَكَلِّمْهَا وَأَعْلَمْهَا أَنَّني مُحِبٌّ لَهَا ، وَأَنْشِدْهَا هَذِهِ الْأَبْيَاتَ ، وَعَرَفَهَا أَنَّي قَلَّتْهَا فِيهَا :

قَالُوا بَيْنَ لَا تَرَى تَهْزِي قَلَّتْ لَمْ الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تُوْفِي الْقَلْبَ مَا كَانَا
مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَشْغُوفٍ بِجَارِيَةٍ يَلْقَى بَلْقِيَانَهُمَا رَوْحًا وَرَيْنَانَا
يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعْشُقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
فَأَبْلَغَهَا الْغَلَامُ الْأَبْيَاتَ . فَهَشَّتْ لَهَا ، وَزَارَتْ بِشَارًا فِي نِسْوَةٍ ، فَأَكَلْنَ عَنْده
وَشَرِبْنَ ، وَلَمْ تُطْعَمْ فِي نَفْسِهَا . وَأَكْثَرَ مِنْ قَوْلِ الْغَزَلِ فِيهَا .

(١) في التجريد : « القول » .

أخبار الأحوص مع أم جعفر

قد تقدّم أيضاً نسب الأحوص الأنصارى وأخباره . وذكر أبو الفرج هنا خبره مع أم جعفر خاصة ، بقوله فيها مما يُغنى به :

شعره فيها الذي
يغنى به

أرسلت أم جعفر: ^(١) لا تزرنّا ليت شعري بالغيّب من ذا دهاها
أأتاهّا محرّشٌ بَمِيمٍ كاذبٍ ما أراد إلاّ رداها
وأم جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خطّمة .

وذكر أن الأحوص لما أكثر التشيّب بأم جعفر وشاع شعره فيها أوعده
أخوها أيمن وتهدّده ، فلم يَنْتَه . فأستعدي عليه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .
فربطهما في حبل ودفع إليهما سوطين ، وقال لهما : تجالدا . فغلب أخوها .

هو وأخوها وعمر بن
عبد العزيز

وقيل : إن الأحوص سلّح في ثيابه وهرب ، وتبعه أخوها حتى فاته الأحوص
هرباً ، وقد كان الأحوص قال فيها :

لقد منعتُ معروفها أم جعفر وإنّي إلى معروفها لفَقِيرُ
وقد انكرتُ بعد اعترافٍ زيارتي وقد وُغرتُ فيها على صُدُورِ
أدُور ولولا أن أرى أم جعفر بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدُور
أزور البيوتَ اللاصقات بيوتها وقلبي بالبيت ^(٢) الذي لا أزور
وما كنت زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يزُرْ لأبد أن سيزور

وقال السائب بن عمرو بن عوف يُعيره بفراره ويُعارضه في هذه الأبيات :
لقد منع المعروف من أم جعفر أخو ثقةٍ عند الجلالاد صبورُ

للسائب يعيره
بفراره وردّه عليه

(١) في رواية: « لاتزور »

(٢) في الأغاني : « قلبي إلى البيت » .

عَلَانِ بَمَنْ السَّوْطِ حَتَّى اتَّقَيْتَهُ بِأَصْفَرٍ مِنْ مَاءِ الصَّفْقِ (١) يَفُورُ

رد الأحوص

وقال الأحوص :

إِذَا أَنَا لَمْ أَغْفِرْ لِأَيِّمٍ ذَنْبَهُ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْفُو لَهُ ذَنْبَهُ بَعْدِي
أُرِيدُ أَنْتِقَامَ الذَّنْبِ ثُمَّ تَرَدُّنِي يَدُهُ لِأَدَانِيهِ مُبَارَكَةٌ عِنْدِي

اقتداء عمر بعثمان
فبما فعل

وإنما أعطاهما عمر رحمه الله السَّوْطَيْنِ وأمرهما أَنْ يَتَضَارَبَا بِهِمَا لِإِقْتِدَاءِ بَعْثَانِ بْنِ
عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَهَاجَى سَالِمُ بْنُ دَارَةَ وَمُرَّةُ الْغَطَفَانِي لَزَّهَا عُمَانُ بِحَبْلٍ
وَأَعْطَاهَا سَوَّطَيْنِ ، فَتَجَالَدَا بِهِمَا .

من شعره في
أم جعفر

ومما قاله الأحوص في أم جعفر هذه :

وَإِنِّي لَيَدْعُونِي هَوًى أُمِّ جَعْفَرٍ وَجَارَاتِهَا مِنْ سَاعَةٍ فَأُجِيبُ
وَإِنِّي لَأَتِي الْبَيْتَ مَا إِنْ أَحْبَبْتُهُ وَأَكْثَرُ هَجَرَ الْبَيْتِ وَهُوَ حَبِيبُ
وَأُغْضِي عَلَى أَشْيَاءٍ مِنْكُمْ تَسُوءُنِي وَأُدْعَى إِلَى مَا سَرَّكُمْ فَأُجِيبُ
هَبِيبِي أَمْرًا إِمَّا بِرِيثًا ظَلَمْتُهُ وَإِمَّا مُسِيئًا مُذْنِبًا فَيَتُوبُ
أَبُتُّكَ مَا أَلْتِي وَفِي الْقَلْبِ حَاجَةٌ لَهَا يَنْ جِدِي وَالْعِظَامُ دَرِيْبُ
لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُنًى بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُتِيبُ
وَأَخْذُ مَا أُعْطِيتَ صَفْوًا (٢) وَإِنِّي لَأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبُ
وَلَا تَتْرَكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا مِنْ الْحُزْنِ قَدْ كَادَتْ عَلَيْكَ تَذُوبُ

هو وأم جعفر وقد
جاءته منتقبة

وذكر أن الأحوص لما أكثر من ذكر أم جعفر جاءت مُتَنَقِّبَةً فَوَقَفَتْ
عَلَيْهِ فِي مَجْلِسِ قَوْمِهِ ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا ، وَكَانَتْ أَمْرًا عَفِيفَةً ، فَقَالَتْ : أَقْضَى مَنَ
الْقَمَمِ الَّتِي أَبْتَعْتَهَا مِنِّي . فَقَالَ لَهَا : مَا أَبْتَعْتُ مِنْكَ شَيْئًا . فَأَظْهَرَتْ كِتَابًا قَدْ وَضَعَتْهُ
عَلَيْهِ وَبَكَتْ وَشَكَتْ حَاجَةً وَضُرًّا وَفَاقَةً وَقَالَتْ : يَا قَوْمُ ، كَلِّمُوهُ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ

(١) الصفاق : جمع صفق . وهو الجلد الجديد يصب عليه الماء فيخرج أصفر .

(٢) في رواية : « عفو » .

وقالوا له : أقض المرأة حَقَّها . فجعل يحلف أنه ما يعرفها ولا رآها قط . فكشفت وجهها وقالت : وَيْلَكَ ! ما تعرفني ؟ فجعل يحلف مُجْتَهِداً أنه ما رآها قط ولا يعرفها ، حتى أَسْتَفَاضَ قولها وقوله ، وأَجْتَمَعَ الناسُ وكَثُرُوا وسمِعُوا ما دار بينهم وكثُرَ لَغَطُهُمْ . ثم قامت وقالت : يا عدو الله ! صدقت ، والله مالى حق ولا تعرفني ، وقد حلفت على ذلك ، وأنا أم جعفر ، وأنت تقول : قلت لأُم جعفر ، وقالت لى أم جعفر ، فى شعرك . فجعل الأحوصُ وأنكسر عن ذلك ، وبرئت أم جعفر عنهم^(١) .

(١) ثم ساق أبو الفرج أيضاً شيئاً من أخبار عاتكة بنت شهدة . وهى مغنية لها الحان . فربها ابن واصل ولم يجرد لها ، للسبب الذى ذكره قبل فى هذا الجزء .

أخبار أبي ذؤيب الهذلي

هو خويلد بن خالد بن مُحَرَّث بن زُبَيْد بن حَزُوم بن صاهلة بن كاهل بن
الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار .
وهو أحد المخضرمين ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحسن إسلامه .
وكان من فحول الشعراء ، فصيحاً كثير الغريب ، متمكناً في الشعر .
ويقال : إن أبا ذؤيب تقدّم على جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي
يرثي بها بنيّه ، وأولها :

أَمِنَ الْمَنُونُ وَرَبِّه تَتَوَجَّعُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ يَجْزَعُ
يقول فيها :

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً منذ أبتذلت ومثل مالك ينفع
أُم ما لجنبك لا يلائم مضجعاً إلّا أقصَّ عليك ذاك المضع
فأجبتها أن ما بجسمي أنه أوذى بني من البلاد فودّعوا
وهذه يقولها في بنين له خمسة أصيبوا في عام واحد بالطاعون .

وذكر أنه خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له حتى قدّموا على عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ، فقال له : أي العمل أفضل ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله .
قال : قد فعلت ، فأيه أفضل بعده ؟ قال : الجهاد في سبيل الله . فقال : ذلك كان
عليّ وإني لا أرجو جنة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرض الرّوم مع المسلمين في
جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، أحد بني عامر بن لؤي ، وذلك في سنة ست
وعشرين ، في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ففتح الله عليهم إفريقية .

حكى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، وكان في ذلك الجيش وعمره ست
عشر سنة حديث ابن الزبير في هذه الحرب

خروجه مع عبد
الله بن سعد لغزو
إفريقية ثم عودته
وموته بمصر

وعشرون سنة — وقيل : أربع وعشرون سنة — قال : أحاط صاحبُ إفريقية ، وهو ملك إفرنجة ، بنا في مائة ألف وعشرين ألفاً ، ونحن في عشرين ألفاً ، فضاقت المسلمون من ذلك واختلفوا في الرأي . فدخل عبد الله بن سعد فسطاطه يخلو فيه ويفكر . قال عبدُ الله بن الزُّبير : فرأيت عورة من صاحب إفريقية ، والناس على مصافهم ، رأيته على برذون أشهب خلف أصحابه مُنقطعاً عنهم ، ومعه جاريتان تُظللان عليه من الشمس بريش الطَّواويس . فجئتُ فسطاط عبد الله بن سعد فطلبتُ الإذن عليه من حاجبه . فقال : إنه في شأنكم وقد أمرني أن أمسك الناس عنه . قال : فدرتُ فأتيتُ مؤخرَ فسطاطه فرفعته ، فإذا هو مُستلقٍ على فراشه . ففرزع وقال : ما أدخلك عليّ يا ابن الزُّبير ؟ فقلت : إني رأيتُ عورة من عدوِّنا فرجوتُ الفرصة فيها وخشيتُ فواتها ، فاندب الناسَ إليّ . فقال : وما هي ؟ فأخبرته . فخرج فقال : أيها الناس ، اتدبوا مع ابن الزُّبير إلى عدوكم . فأخترتُ ثلاثين فارساً ، فقلت : إني حاملٌ فأضربوا عن ظهري ، فإني سأُكفيكم من ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه ، فحملوا فذبُّوا عني حتى خرقتُ صفوفهم إلى أرض خالية . وتبينتُهُ فصمدتُ صمده . فوالله ما حسب إلا أني رسولٌ ، ولا ظنُّ أكثرُ أصحابه إلا ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنى برذونه هارباً ، فأدركتُهُ فطعنتُهُ فسقط ، ورميتُ بنفسى عليه ، وأتقتُ جاريته عنه السيفَ فقطعتُ يداً إحداها . وأجهزتُ عليه . ثم رفعتُ رأسه في رُحى ، وجال أصحابه وسمل المسلمون في ناحيتي وكبَّروا ، فقتلوا كيف شاءوا وكانت الهزيمة . فقال لي عبدُ الله بن سعد : ما أجد أحداً أحقَّ بالبشارة منك . فبعثني إلى عثمان . وقَدِمَ مروان^(١) بعدى على عثمان حين أطمأنوا وابعأوا المغنم وقسموه . ووضع عثمان عن مروان خمسمائة ألف ، كان أشتري بها خمس المغنم . وكان ذلك مما تكلم الناس في عثمان بسببه .

(١) هو مروان بن الحكم بن أبي العاص .

فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليل ، أخو صفوان بن أمية بن خلف الجمحي لأمه ، يذكر ما نقم به علي عثمان ، رضي الله عنه :

أحلف بالله جهد اليمية ن ما ترك الله شيئاً سدى
ولكن خلقت لنا فتنةً لكي تُبتلى فيك أو تُبتلى
دعوت الطريد (١) فأذنبته خلافاً لسنة من قد مضى
وأعطيت مروان خمس العيا د ظلماً لهم وحجت الحمى
ومالاً أتاك به الأشعرى من الفء أعطيته من دنا
وإنّ الأمين قد بينا منار الطريق عليه الهدى
فأخذوا درهماً غيلةً ولا قسماً درهماً في هوى

والمال ، الذي ذكر أن الأشعرى جاء به ، مال كان أبو موسى قدم به من العراق على عثمان ، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العيص منه مائة ألف درهم — وقيل : ثلثمائة ألف درهم — فأنكر الناس ذلك .

وذكر أن عبد الله بن الزبير لما قدم بالبشارة في هذه السنة — أعنى سنة ست وعشرين — بشر عند مقدمه بأبنة خبيب بن عبد الله ، وبأخيه عروة بن الزبير . وخبيب أكبرها .

وذكر أن عبد الله بن سعد لما بعث ابن الزبير بخبر البشارة بعث معه أبا ذؤيب الهذلي في جماعة ، فلما قدموا مصر مات أبو ذؤيب بها — وقيل : بل مات أبو ذؤيب بإفريقية ، وأنه أخذ الموت لما قفل المسلمون من العزاة — فأراد أبنة وابن أخيه أن يتخلفا عليه جميعاً ، فمنعهم صاحب الساقة وقال : ليتخلف عليه أحدكما وليعلم أنه مقتول . فكلأها أراد أن يتخلف عليه . فقال لهما أبو ذؤيب :

(١) الطريد: هو الحكم بن العاص بن أمية، وكان يفشى سر النبي صلى الله عليه وسلم فنفاه عن المدينة، فنزل الطائف فلم يزل به حتى رده عثمان .

أَقْتَرَا . فوقعت القرعة على ابن أخيه ، فتخلف عليه ، ومضى أبنته مع الناس .
 فكان أبو عبيد ، ابن أخيه يحدث ، قال : قال لي أبو ذؤيب : أحفر ذلك الجرف
 برمحك ، ثم أعصد^(١) من الشجر سيفك ، ثم أجرزني إلى هذا النهر فإنك لا تفرغ
 حتى أفرغ ، فأغسلني وكفني بكفني ، ثم أجعلني في حفرتي وأنثل^(٢) على
 الجرف برمحك ، وألق على الغصون والحجارة ، ثم أتبع الناس فإن لهم رهجة^(٣)
 تراها في الأفق إذا أمسيت كأنها جهامة .^(٤) قال : فما أخطأ مما قال شيئاً . ولولا
 نعتي لم أهد لأثر الجيش .

وقال وهو يجود بنفسه :

شعره في موته

أبا عبيد رُفِعَ الْكِتَابُ وَأَقْتَرَبَ الْمَوْعِدُ وَالْحِسَابُ
 وَعِنْدَ رَحْلِي جَمَلٌ مُجَابٍ أَحْمَرُ فِي حَارِكِهِ^(٥) أَنْصَابُ
 ثم مضيت حتى لحقت الناس . فكان يقال : إن أهل الإسلام أبعدا الأثر في
 بلد الرثوم ، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبر يعلم لأحد من المسلمين .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج حكم الوادي ، وهو الحكم بن ميمون ، مولى الوليد بن
 يزيد بن عبد الملك ، وعاش إلى أيام الرشيد . ولم أخترم أخباره شيئاً .

شيء عن حكم
الوادي

(١) عضد : قطع .

(٢) أنثل على الجرف ، أي أخرج ترابه فأهله على .

(٣) الرهجة : ما أثير من الغبار .

(٤) الجهامة : السحابة لا ماء فيها . والعبارة في أصول الأغاني : « إذا مشيت كأنها جهامة »

(٥) الحارك : أعلى الكاهل .

أخبار ابن جامع

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطلب بن أبي وداعة بن
ضُبيرة بن سُعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هُصيص بن كعب بن لُؤى
ابن غالب بن فهر .

وكان أبو وداعة بن أبي ضُبيرة أسيراً كافرًا يوم بدر ، وفداه أبْنُه المطلب .
وكان المطلب بن أبي وداعة رجلَ صدق . وروى عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحديث .

ويكنى أبْن جامع أبا القاسم . وأمه امرأة من سهم ، وتزوجت بعد أبيه رجلاً
من أهل اليمن ، فذكر أنها أتت معن بن زائدة الشَّيباني ، وأبْن جامع معها وهو
صغير يتبعها ويطأ ذيلها ، ومعن يومئذ على اليمن ، فقالت : أصلح الله الأمير ، إن
عمى زوجنى زوجاً ليس بكفء ، ففرق بينى وبينه . فقال : ومن هو ؟ قالت : أبْنُ
ذى مُنَاجِب . قال : علىَّ به . فدخل أقبح من خلق الله تعالى وأشوهه خلقاً .
فقال : من هذه منك ؟ قال : امرأتى . قال : خلَّ سبيلها . ففعل . فأطرق معنُ
ساعةً ثم رفع رأسه ، فقال :

ولاحسن في عَيْنها ذا مُنَاجِبِ	لعمري لقد أصبحتَ غيرَ مُحِبِّ
وعيناه حَوْصاء من تحت حاجب	فالمُتَمَّا لما تَبَيَّنَتْ وجهه
على حِلْيَةِ عَصْلَاء ^(١) شابت وشارب	وأنفًا كأنف البكر يقطر دائبًا

(١) عَصْلَاء : معوجة .

أتيتَ بها مثل المَهْمَاة ^(١) تسومها فيا حُسْنُ مجلوب ويا قُبْحُ جالب

وأمر لها بمائتي دينار وقال : تجهّزي بها إلى بلادك .

وكان ابنُ جامع من المغنين المجيدين، وكان من أحفظ خلق الله لكتاب الله تعالى ، وأعلمه بما يحتاج إليه ، وكان يخرج من منزله مع الفجر يوم الجمعة فيصلي الصُّبح ثم يُصَفِّ قَدَميه حتى تَطْلُع الشمس ، ولا يُصلي الناسُ الجمعة حتى يحتم القرآن ، ثم ينصرف إلى منزله .

من ورعه

قيل : وكان ابن جامع حسنَ السمّت كثيرَ الصلاة ، قد أخذ السجودُ جِهَتَه . وكان يَعْتَمُ بِعِمَامَةٍ سوداء على قَلَنْسُوءٍ ويلبس لباسَ الفقهاء ^(٢) وعليه زىُّ أهل الحجاز . فقدمَ قَدَمَهُ من مكة على الرشيد . فبينما هو واقفٌ على باب يحيى بن خالد يلتبس الإذن عليه ، فوقف على ما كان يقفُ الناسُ عليه في القديم حتى يأذن لهم أو يصرفهم . فأقبل أبو يوسف القاضي صاحب أبو حنيفة رحمهما الله بأصحابه أهل القلانس . فلما هجم على الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحدثه ، فوقعت عينه على ابن جامع ، فرأى سَمْتَهُ وحلاوة هَيْئَتِهِ . فجاء أبو يوسف فوقف إلى جانبه ثم قال : أمتع الله بك ، توَسَّمتُ فيك الحجازيّة والقُرَشِيّة . قال : أصبت . قال : فمن أي قُرَيْش أنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأى الحرّمين منزلك ؟ قال : مكة . قال : فمن لقيت من فقهاءهم ؟ قال : سل عَمَّنْ شئت . ففأتمحه الفقه والحديث فوجد عنده ما أحب ، فأعجب به . ونظر الناس إليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنّي ! وأبو يوسف لا يعلم أنه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ! ثم قالوا : لا ، لعله لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم ، فلم نَعْمُهُ . فلما كان الإذن الثاني ليحيى ، غدا عليه الناسُ

مع أبي يوسف
القاضي بباب الرشيد

(١) في الأغاني : « تسوقها » .

(٢) العبارة في الأغاني : « ويركب حماراً مريسيا في زى أهل الحجاز » .

وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه ، فحدثه كما فعل . فلما أنصرف قال له بعضُ أصحابه : أيها القاضي ، أتعرف هذا الذي تواقف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجل من قُرَيْش من أهل مكة من الفقهاء . فقالوا : هذا ابن جامع المغنى . قال : إنا لله ! قالوا : إن الناس قد شهروك بمواقفته ، فأنكروا ذلك من فعلك . فلما كان الإذن الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتكبه ، وعرف ابنُ جامع أنه قد أُنذِر به ، فجاء حتى وقف ، فسلم عليه . فردَّ عليه السلام بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ، ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القصة . وكان ابنُ جامع جهوريًّا ، فرفع صوته ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عني ! أي شيء أنكرت ؟ قالوا ، لك : ابنُ جامع المغنى فكرهتَ موافقتي ! أسألك عن مسألة ثم أضنع ما شئت . ومال الناسُ فأقبلوا نحوها يسمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أن أعرابياً جلفاً وقف بين يديك فأنشدك نجفاءً وغلظة من لسانه فقال :

يا دارمية بالعلباء فالسند أقوت و طال عليها سالف الأبد

أكنت ترى بذلك بأساً ؟ فقال : لا ، قد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع الشعر - وروى في الحديث - قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم أندفع يتغنى فيه حتى أتى عليه ، ثم قال : يا أبا يوسف ، هل رأيتني زدْتُ فيه أو نقصْتُ منه ؟ قال : عافاك الله ! أعفنا من هذا . فقال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتْيَا ، ما زدْتُهُ على أن حسنتُهُ بالفاظي فحسنُ في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحى عنه ابن جامع .

وذكر أن ابن جامع والحراني^(١) كانا مُتقطعَيْن إلى موسى الهادي في أيام أبيه

جاء به ابن
الربيع لما ولى
الهادي

(١) هو إبراهيم الخرافي ، كان من ندماء الهادي وقيمه على خزائن الأموال .

المهدى ، وكره المهدى انقطاعهما إلى ابنه فضر بهما وطردهما . فلما أفضت الخلافة إلى الهادى أعطى الفضل بن الربيع لبريد له دنانير ، وقال : الحق بمكة فأتني بأبن جامع وأحمله فى قبة ولا تعلمن به أحداً . ففعل ذلك وحمله إليه . فأنزله الفضل بن الربيع وأشتري له جارية . وكان ابن جامع صاحب نساء . فذكره موسى الهادى ذات ليلة فقال لجلسائه : أما فيكم أحد يرسل إلى ابن جامع ، وقد عرقم موقعه منى ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندى يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت الذى أردت . فبعث إليه فأتى به فى الليل . فوصل الفضل فى تلك الليلة بعشرة آلاف دينار ، وولاه حجابته .

وحكى إسماعيل بن جامع قال :

أطرب الرشيد
بصوت أخذه عن
سوداء فأجازه

بينما أنا بغرفة لى باليمن وأنا مشرف على مشرعة^(١) إذ أقبلت أمة سوداء على ظهرها قرية ، فلأتها ووضعنها عند المشرعة لتستريح ، وجلست فغنت :

فردى مُصاب القلب أنتِ قتلته ولا تبعدى فيما تجشمتِ كلثما
إلى الله أشكوا بخُلها وسماحتى لها عسل منى وتبذل علقما
أبى الله أن أمسى ولا تذكرينى وعيناي من ذكر الك قد ذرفت دما
أبيتُ فما تنفك لى منك حاجة رعى الله بالحب الذى كان أظما

قال : ثم أخذت قربتها لتمضى ، فاستفزنى من شهوة الصوت مالا قوام لى به ، فنزلت إليها وقلت لها : أعيديه . فقالت : أنا عنك فى شغل بخراجى . قلت : وكم هو ؟ قالت : درهم فى كل يوم . فقلت : هذان درهمان ، وردّيه على حتى أخذه منك . فأعطيتها درهمين . فقالت : أما الآن فنعم ، فلم تبرح حتى أخذه منها . وأنصرفت فلهوت به يومى . وأصبحت من غد لا أذكر منه حرفاً ، فإذا

(١) المشرعة : مورد الشاربة .

أنا بالسوداء قد طلعت ففعلت كفعلاها بالأمس ، فلما وضعت القربة تغنت غيره .
فغدوت في إثرها ، فقلت : يا جارية ، بحق عليك ردّي على الصوت فقد ذهبت
عني منه نعمة . قالت : لا والله ، ما مثلك تذهب عنه نعمة ، أنت تقيس أوله على
آخره ، ولكنك أنسيته ، ولست أفعل إلا بدرهمين آخرين . فدفعتهما إليهما ،
فأعادته عليّ حتى أخذته ثانية . فقالت : إنك تستكثر أربعة دراهم ، وكأني بك قد
أصبت به أربعة آلاف دينار .

فكنت عند هارون الرشيد يوماً ، وهو على سريرته ، فقال : من غناني
فأطربني فله ألف دينار . وقُدّامه أكياس في كل كيس ألف دينار . فغنى القوم
وغنيت ، فلم يطرب . حتى دار الغناء إلى ثانية ، فغنيت صوت السوداء ، فرمى إلى
بكيس وقال : أعدّه . ففعلت . فرمى إلى بثان ، ثم قال : أعدّه . فأعدته . فرمى
إلى بثالث ، وأمسك . فضحكت . فقال : ما يضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت
حديث عجيب يا أمير المؤمنين . فحدثته به وقصصت عليه القصة . فرمى إلى برابع ،
وقال : لا تكذب قولها .

قلت : وذكر أبو الفرج من الشعر الذي لأبن جامع فيه صنعة ، شعر
السموئل بن عاديا الغساني اليهودي ، صاحب تيماء ،^(١) بالحصن المعروف بالأبلق
— وقيل : إن الشعر لأبنة شريح — وهو :

تعيّرنا أنا قليل عديدا	فقلت لها إن الكرام قليل
وما ضررنا أنا قليل وجارنا	عزيز وجارنا أكثرين ذليل
وإنا لقوم لا نرى القتل سبباً	إذا ما رأته عامر وسلول

(١) تيماء : بلدة في أطراف الشام .

شعر السموئل فيه
لابن جامع غناء

يُقَرَّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا وَتَكَرَّهَهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
فَأَقْتَضَى ذَلِكَ ذِكْرَ خَيْرِ السَّمْوَلِ وَأَبْنِهِ شُرَيْحٍ ، فَنَذْكُرُهُ :

خير السموئل
وابنه شريح

كان السموئل من يهود يَثْرَبَ ، وهو الذي يُضْرَبُ به المثل في الوفاء . وخبره :
أن أُمراً القيس بن حُجْر الكِنْدِيِّ أودع السموئل أدرعا ، فأتاه الحارثُ بن
ظالم — وقيل : الحارث بن أبي شَمْر الغَسَّانِي — ليأخذها منه ، فتحصن منه
السموئل ، فأخذ أبناه غلاماً وناداه : إِمَّا أَنْ تُسَلِّمَ الْأَدْرَاعَ وَإِمَّا أَنْ أُقْتَلَ
أَبْنُكَ . فَأَبَى السموئلُ أَنْ يُسَلِّمَ الْأَدْرَاعَ إِلَيْهِ . فَضْرَبَ الحارثُ وَسَطَ الغلامِ
بالسيف فَمَقَّطَعَهُ بِنَصْفَيْنِ . فَقَالَ السموئلُ فِي ذَلِكَ :

وَفِيَتْ بِأَدْرُعِ الْكِنْدِيِّ إِنِّي إِذَا مَا ذُمُّ (١) أَقْوَامٌ وَفِيَتْ
وَأَوْصَى عَادِيًا يَوْمًا بَأَلَا تُهْدَمُ يَا سَمْوَلُ مَا بَنَيْتَ
بَنَى لِي عَادِيًا حِصْنًا حَصِينًا وَمَاءُ (٢) كَلَامٍ شِئْتُ أُسْتَقِيَتْ
ومنها :

أَعَاذَتْنِي أَلَا لَا تَعَذِّلْنِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلَهُ عَصِيَتْ
دَعَيْنِي وَأَرْشُدِي إِنْ كُنْتُ أُغْوَى وَلَا تَغْوَى زَعَمْتُ كَمَا غَوَيْتَ
أَعَاذَلْتُ قَدْ طَلَبْتُ اللَّوْمَ (٣) حَتَّى لَوْ أُنِّي مُنْتَهَى لَقَدْ أَنْتَهَيْتَ
وَصَفَرَاءِ الْمَعَاصِمِ قَدْ دَعَنْتَنِي إِلَى وَصْلٍ فَقُلْتُ لَهَا أَيْتَ
وَزِقِّ قَدْ جَرَرْتُ إِلَى النَّدَامَى وَزِقِّ قَدْ شَرَبْتُ وَقَدَسَقَيْتَ
وَحَتَّى لَوْ يَكُونُ فَتَى أَنْاسٍ بَكِي مِنْ عَذَلٍ عَاذَلَهُ بَكَيْتَ

وَذَكَرَ أَنَّ الْأَعَشَى هَجَا رَجُلًا مِنْ كَلْبٍ ، فَقَالَ :

أسر الأعشى
وشفاعه شريح فيه

(١) فِي الْأَغَانِي : « مَا خَانَ » .

(٢) وَيُرْوَى : « عَيْنًا » وَ « بُرًّا » .

(٣) طَلَبْتُ اللَّوْمَ ، أَيْ جَعَلْتُهُ شَغْلًا وَكَثُرَتْ فِيهِ .

بنو الشهر الحرام فلست منهم ولست من الكرام بنى عبيد
ولا من رهط جبار بن قرط ولا من رهط حارثة بن زيد

وهؤلاء كلهم من كلب . فقال الكلبي : أنا ، لا أبالك ! أشرف من هؤلاء . فسبه الناس بعد بهجاء الأعشى . وكان متعيطاً عليه . فأغار الكلبي على قوم قد بات بهم الأعشى ، فأسر منهم نفرًا ، وأسر الأعشى وهو لا يعرفه . فجاء حتى نزل بشرئح بن السمّول بن عادِياء الغساني ، صاحب تيماء ، بحصنه الذي يقال له : الأبلق ، فمر شرئح بالأعشى . فنادى به الأعشى بقوله :

شُرَيْحُ لَا تَتَرَكْنِي بَعْدَ مَا عَلِقْتُ حِبَالَكَ الْيَوْمَ بَعْدَ الْقَدِّ^(١) أَظْفَارِي
قَدْ جُلْتُ مَا بَيْنَ بَانِقِيَا^(٢) إِلَى عَدَنٍ وَطَالَ فِي الْعُجْمِ تَكَرَّرِي^(٣) وَتَسْيَارِي
وَكَانَ أَكْرَمَهُمْ عَهْدًا وَأَوْثَقَهُمْ عَقْدًا أَبُوكَ بَعْرِفَ غَيْرِ انْكَارِ
كَالغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ وَفِي الشَّدَائِدِ كَالْمُسْتَأْسَدِ الضَّارِي
كُنْ كَالسَّمَّوَلِ إِذَا طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ
إِذَا سَامَهُ خُطَّتِي خَسَفٍ فَقَالَ لَهُ قُلْ مَا تَشَاءُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ
فَقَالَ غَدْرٌ وَكُلُّهُ أَنْتَ بَيْنَهُمَا فَأَخْتَرْتُ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ
فَشَكَّ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ أَقْتُلْ أَسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
وَسَوْفَ يُعْقِبُنِي إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ رَبُّ كَرِيمٍ وَبَيْضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ
لَا يَسْرُهِنَّ لَدَيْنَا ذَاهِبٌ هَدْرًا وَحَافِظَاتٌ إِذَا اسْتَوْدَعْنَ أَسْرَارِي
فَأَخْتَارَ أَدْرَاعَهُ كَيْ لَا يُسَبَّ بِهَا وَلَمْ يَكُنْ وَعْدُهُ فِيهَا^(٤) بَحْتَارِ

(١) القد : القيد .

(٢) بانقيا : ناحية بالكوفة .

(٣) في الديوان : « تردادي » .

(٤) المختار : الغادر .

قال : فجاء شُرَيْح إلى الكَلْبى فقال له : هَب لى هذا الأَسير المَغرور .^(١)
 فقال : هو لك . فأطلقه وقال له : أقم عندى حتى أُكرمك وأُحبوك . فقال له
 الأعشى : إن من تمام صَنِيعتك أن تُعطينى ناقةً ناجيةً^(٢) وتُحلِّينى الساعة .
 فأعطاه ناقةً فركبها ومضى من ساعته . وبلغ الكَلْبى أن الذى وهب لشُرَيْح هو
 الأَعشى ، فأرسل إلى شُرَيْح : أبعث لى بالأَسير الذى وهبتُ لك حتى أُحبوه
 وأُعطيه . فقال : قد مضى . فأرسل الكَلْبى فى طلبه ، فلم يَلحقه .

(١) فى الأغاني : « المَغرور » . وصححها الشنقيطى بقلمه : « المَغرور » .

(٢) ناجية : سريعة .

أخبار أبي سفيان بن حرب

هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن
كلاب بن مرة .

وأم حرب بنت أبي كهمة بن عبد العزى بن عامر بن عميرة بن وداعة بن
الحارث بن فهر .

وأم أبي سفيان صفية بنت حزن بن بجير بن الهزم بن ربيعة بن عبد الله بن
هلال بن عامر بن صعصعة . وهي عمة أم المؤمنين ميمونة . وأختها أم الفضل أم
بني العباس بن عبد المطلب .

وكان حرب بن أمية قائد بني أمية في الجاهلية .

شيء عن حرب
وفاته

وذُكر أن سبب وفاة حرب بن أمية أنه لما أنصرف هو وإخوته من حرب
عكاظ مرّ بالقرية ^(١) - وهي إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام - فقال له مرداس
ابن أبي عامر: أما ترى هذا الموضع؟ قال: بلى . فما له؟ قال: نعم المزدرع هو!
فهل لك أن نكون شريكين فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نذرعه بعد ذلك؟
قال: نعم . فأضرم النار في الغيضة . فلما أشتطارت وعلا لهبها سُمع من الغيضة أنينٌ
وضجيجٌ كثير . ثم ظهرت حياتٌ بيضٌ تطير حتى قطعنها وخرجت منها .
فقال مرداس بن أبي عامر في ذلك :

إني أُنخبتُ لها حرباً وإخوته إني بحبلٍ وثيقٍ العهد ^(٢) دَسَّسُ
إني أقومُ قبل الأمر حُجَّتَه كما يقال وليُّ الأمر مرداسُ

(١) القرية : موضع في ديار بني سليم . (٢) في الأغاني : « العقد » .

قيل : وَسَمِعُوا هَاتِفًا يَقُولُ لَمَّا أَحْتَرَقَتِ الْغَيْضَةُ :

وَيْلٌ لِحَرْبٍ فَارِسًا مُطَاعِنًا مُخَالِسًا

وَيْلٌ لِعَمْرٍو فَارِسًا إِذْ لَبَسُوا ^(١) الْقَلَانِسَا

لَنَقْتُلَنَّ بِقَتْلِهِ جَحَاجِحًا عَنَابِسَا

فَلَمْ يَلْبَثْ حَرْبٌ وَمَرْدَاسٌ أَنْ مَاتَا .

وكان أبو سفيان بن حرب سيِّداً من سادات قُرَيش في الجاهليَّة ، ورأساً من رءوس الأحزاب على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قبل إسلامه . وهو صاحب العير يوم بدر ، وقائد المشركين يوم أحد والخندق ، وأسلم يوم فتح مكة ، وشهد مع النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم حُنين والمُشاهد كُلِّها بعده . وفُتِّمَتْ عَيْنُهُ يوم الطائف ، فلم يَزَلْ أعور إلى يوم اليرموك ، ففُتِّمَتْ عَيْنُهُ الأخرى يومئذ فعمى .

مكانته في قریش
وفقه عينيه

وكانت أبنته أم حبيبة إحدى أزواج النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأبو سفيان يومئذ مُشْرِكٌ يُحَارِبُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقيل له : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ نَكَحَ ابْنَتَكَ . فقال : ذَاكَ الْفَحْلُ الَّذِي لَا يُقْدَعُ أَنْفُهُ .

فوله في زواج ابنته
أم حبيبة من النبي
صلی الله عليه وسلم

واسم أم حبيبة رَمْلَةٌ . وقيل : هند . والأول أصح .

وذكر أنه بعد إسلامه سُمِعَ يُمَارِحُ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم في بيت أبنته أم حبيبة ويقول : إِنْ هُوَ إِلَّا أَنْ تَرَكْتُكَ فَتَرَكْتُكَ الْعَرَبُ ، فَمَا أَتَنَطَّحَتْ جِئَاءَ ^(٢) وَلَا ذَاتُ قَرْنٍ . ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يَضْحَكُ ويقول له : أَنْتَ تَقُولُ ذَلِكَ يَا أَبَا حَنْظَلَةَ !

وقيل : أذن رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوماً للناس ، وكان آخر مَنْ دَخَلَ

هو النبي صلی الله
عليه وسلم وقد
أبطأ إذنه

(١) في رواية : « القوانسا » : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

(٢) الجماء : الشاة لا قرن لها .

عليه أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا رسول الله ، لقد أذنت للناس قبلي حتى ظننتُ أن حِجَارَةَ الخَنْدَمَةِ ^(١) ليؤذن لها قبلي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والله إنك والناس لكما قال الأول : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا ^(٢) . أي كل شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لك وحدك مثله .

وحدث ابن عباس قال : حدثني أبو سفيان قال :

هو وهرقل عن
النبي صلى الله عليه
وسلم

كُنَّا قَوْمًا تَجَارًا ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حصرتنا حتى نهكت أموالنا . فلما كانت المَدَنَةُ ، هُدَنَةُ الحُدَيْبِيَّةِ ، بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجتُ في نفر من قُرَيْشٍ إلى الشام ، وكان وجهُ مَتَجَرْنَا غَزَّةَ ، فَقَدِمْنَاهَا حين ظهر هِرَقْلُ على من كان في بلاده من الفُرسِ ، فأخرجهم منها ورَدَّ عليه صليبه الأعظم ، وقد كانوا أَسْتَلْبُوهُ إِيَّاهُ . فلما بلغه ذلك ، وكان منزله بِمَحْمُصٍ من أرض الشام ، خرج منها يَمْشِي إلى بيت المقدس ليصلي فيه شكرًا لله ، تَبَسَّطَ لَهُ البُسْطُ وَيُطْرَحُ لَهُ عَلَيْهَا الرِّيَاحِينَ ، حتى أَتَتْهُ إلى إِيلِيَاءَ فَصَلَّى بِهَا . فأصبح ذات غَدَاة وهو مَهْمُومٌ يُقَلِّبُ طَرَفَهُ إِلَى السَّمَاءِ . فقالت بطارقتها : أيها الملك ، لقد أصبحتَ مَهْمُومًا . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ قال : أُرِيتُ في هذه اللَّيْلَةِ أَنَّ مُلْكَ الْخِتَانِ ظَاهِرٌ . فقالوا : فوالله ما نعلم أمةً من الأمم تَخْتَنُ إِلَّا الْيَهُودَ ، وهم تحت يدِكَ وسلطانِكَ ، فإن كان قد وَقَعَ هذا في نَفْسِكَ منهم فأبعث في مَمْلَكَتِكَ كُلِّهَا وَلَا يَبْقِ يَهُودِيٌّ إِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ ، فتستريح من هذا الهم . فَإِنَّهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ رَأْيِهِمْ يُدَبِّرُونَهُ إِذْ أَتَاهُمْ رَسُولُ صَاحِبِ بَصْرَى بِرَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ قَدْ وَقَعَ إِلَيْهِمْ . فقال : أيها الملك ، إن هذا رجل من أهل العرب من أهل

(١) الخندمة : جبل بمكة .

(٢) الفراء : الحمار الوحشي .

الشاء والإبل يحدثك عن حَدَثٍ كان في بلاده ، فأسأله عنه . فلما أُنْتَهَى قال لَتَرْجُمَانَهُ : سَأَلَهُ ما هذا الخبر الذى كان في بلاده ؟ فسأله . فقال : رجلٌ من العرب من قُرَيْشٍ خرج يزعم أنه نبيٌّ ، وقد أتبعه أقوامٌ وخالفه آخرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمٌ في مواطن كثيرة ، فخرجتُ من بلادى وهم على ذلك . فلما أخبره الخبر قال : جَرَّدُوهُ ، فإذا هو تحتون . فقال : هذا والله الذى أُرِيت لا ما يقولون . أعطوه ثوبه . أنطلق لشأنك . ثم دعا صاحب شُرطته فقال له : اقلب لى الشام ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا أسأله عن شأنه .

قال أبو سفيان : فوالله إني وأصحابي لبغزة إذ هجم علينا صاحبُ شرطته فسالنا : من أنتم ؟ فأخبرناه . فسالنا إليه جميعاً . قال أبو سفيان : فوالله ما رأيت رجلاً قطُّ أزعَمُ أنه كان أدهى من ذلك الأقف - يُريد هرقل - فلما أتهينا إليه قال : أيكم أمس به رحماً ؟ فقلت : أنا . فقال : أدنوه مني . فأجلسني بين يديه ، ثم أمر أصحابي فأجلسهم خلفي ، وقال : إن كذب فردُّوا عليه . قال أبو سفيان : فلقد عرفتُ أن لو كذبت ما ردُّوا علىّ ، ولكن كنتُ أمراً سيِّداً أتكرم^(١) وأستحي من الكذب ، وعرفتُ أن أدنى ما يكون في ذلك أن يرُدُّوا علىّ ثم يتحدثوا عني بمكة ، فلم أكذب . فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذى خرج فيكم . فزهدت له شأنه وصغرت له أمره ، فوالله ما ألتفت إلى ذلك مني وقال : أخبرني عما أسألك عنه من أمره . فقلت : سلني عما بدا لك . فقال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت محضٌ ، من أوسطنا نسباً . قال : فأخبرني هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله فيتشبه به ؟ فقلت : لا . قال : فأخبرني هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه مُلكه ؟ فقلت : لا . قال : أخبرني عن أتباعه منكم من هم ؟ قلت : الضعفاء والمساكين والأحداث من الغلمان والنساء ، فأما ذوو الأسنان

(١) في الأغاني : « أتبرم عن الكذب » .

من الأشراف من قومه فلم يتبعه منهم أحد . قال : فأخبرني مَنْ يصحبه : أيحبه ويلزمه أم يقلّيه ويفارقه ؟ قلت : قلما صحّبه رجلٌ فقارقه . قال : فأخبرني عن الحرب بينكم وبينه . فقلت : سجال ، يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني : هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً أغتمز فيه إلاهي ، فقلت : لا ، ونحن منه في هُدنة ^(١) لا نأمن غدره . قال : فوالله ما ألتفت إليهم . فأعاد عليّ الحديث ، فقال : زعمت أنه من أمحضكم نسباً ، وكذلك يأخذ الله النّبيّ ، لا يأخذه إلا من أوسط قومه . وسألتك : هل كان من أهل بيته أحد يقول مثل قوله يتشبه به ؟ فقلت : لا . وسألتك : هل كان له مُلك فاستلبتموه إياه فجاء بهذا الحديث لتردّوا عليه ملكه ؟ فقلت : لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الأحداث والمساكين والضعفاء ، وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان . وسألتك عن من يتبعه : أيحبه ويلزمه أم يقلّيه ويفارقه ؟ فزعمت أنه قلٌّ من يصحبه فيفارقه ، وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك كيف الحرب بينكم ؟ فزعمت أنها سجال يُدال عليكم وتُدالون عليه . وكذلك تكون حروب الأنبياء ولهم العاقبة . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أنه لا يغدر . ولئن صدقتني ليغلبني على ما تحت قدمي ، ولوددتُ أني عنده فأغسل قدميه . الحقّ بشأنك . فقمّت وأنا أضرب بإحدى يدي على الأخرى وأقول : عباد الله ، لقد أمر أمرُ ابن أبي كبشة ! ^(٢) أصبح ملوك بني الأصفر يخافونه في سلطانهم .

(١) يريد هُدنة الحديبية ، وفي الأغاني : « في مدة »

(٢) أمر : عظم . وابن أبي كبشة : رجل خالف قريشاً في عبادة الأوثان فسموا النّبيّ صلى الله عليه وسلم باسمه لخروجه عليهم .

إسلام أبي سفيان

روى ابن عباس قال :

لما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة خرج لعشر مضين من شهر رمضان — قلت : يعني سنة ثمان من الهجرة — فصام وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد أفطر . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل مرَّ الظهران ^(١) في عشرة آلاف من المسلمين ، وقد عميت الأخبار عن قريش ، ولا يأتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يدرون ماهو فاعل . فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتجسسون وينظرون هل يجدون خبراً ، أو يسمعونه .

قال العباس : فقلت : واصباح قريش ! لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوا إليه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال العباس : فركبت بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء فخرجتُ عليها حتى جئت الأراك ، ^(٢) أقول : لعلِّي أرى بعض الخطابة ، أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتيهم فيُخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فوالله إني لأسير عليها وألتمس ما خرجتُ له إذ سمعتُ كلام أبي سفيان ، وحكيم بن حزام وبديل بن رقاء ، يتجسسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمعنا أبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قطُّ ولا عسكراً ! قال : فعرفتُ صوت أبي سفيان . فقلت : أبا حنظلة ! عرف صوتي فقال : أبا الفضل ! قلت : نعم . قال : مالك ؟ فذاك أبي وأمي ! قلت : ويلك ! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش ! فقال : ما ترى ؟ فقلت : تركب عَجُز هذه البغلة فاستأمن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله لئن ظفر بك ليضربنَّ

(١) من الظهران : واد قرب مكة .

(٢) الأراك : قرب مكة .

عُنُقِكَ . فَرَدَّ فَنِي . فَخَرَجْتُ بِهِ أَرْكُضُ بَغْلَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَكَلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ فَتَنَظَرُوا إِلَيَّ
قَالُوا : عَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ . فَقَالَ : أَبُو سُفْيَانُ ! الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَمَكَّنَ مِنْكَ
بَغِيرَ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ . ثُمَّ أَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَرَكُضْتُ الْبَغْلَةَ
حَتَّى أَقْتَحَمْتُ عَلَى بَابِ الْقُبَّةِ ، وَسَبَقْتُ عُمَرَ بِمَا تَسْبِقُ بِهِ الدَّابَّةُ الْبُطَيْئَةُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ .
فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانٍ
أَمَكَّنَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ بَغِيرَ عَقْدٍ وَلَا عَهْدٍ ، فَدَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ
اللَّهِ ، إِنِّي قَدْ أَجْرْتُهُ . ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ
وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا يُنَاجِيهِ الْيَوْمَ أَحَدٌ دُونِي . فَلَمَّا أَكْثَرَ فِيهِ عُمَرُ قُلْتُ : مَهْلًا يَا عُمَرُ ،
فَوَاللَّهِ مَا تَصْنَعُ هَذَا إِلَّا لِأَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، وَلَوْ كَانَ مِنْ بَنِي عَدِيٍّ بَن
كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا ! فَقَالَ : مَهْلًا يَا عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ
إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، لِأَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ إِسْلَامَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَذْهَبُ
فَقَدْ أَمَّنَاهُ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى الْغَدَاةِ . فَرَجَعْتُ بِهِ إِلَى مَنْزِلِي . فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا بِهِ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانُ ! أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ
تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ قَالَ : بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ !
وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا . فَقَالَ :
وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانُ ! أَمَا أَنْ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ،
مَا أَوْصَلَكَ وَأَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ ! أَمَّا هَذِهِ فَإِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا شَيْئًا . قَالَ الْعَبَّاسُ :
فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ ! تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ قَبْلَ أَنْ تُضْرِبَ عُنُقَكَ . قَالَ : قَتَشْهَدُ . فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ حِينَ تَشْهَدُ أَبُو سُفْيَانُ : أَنْصَرَفَ يَا عَبَّاسُ

فأجسه عند خَطَمِ الجبل بِمَضِيقِ الوادى ، حتى تَمُرَّ عليه جُنُودُ الله عزَّ وجل .
 فقلت : يا رسول الله ، إن أبا سفيان يُحِبُّ الفَخْرَ فَأَجْعَلْ لَهُ شَيْئًا . فقال : نعم ،
 مَنْ دَخَلَ دارَ أبى سفيان فهو آمِنٌ ، ومن دَخَلَ المَسْجِدَ فهو آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ عليه
 بابه فهو آمِنٌ . فخرَجْتُ حتى أَجْلَسْتُهُ عند خَطَمِ الجبل بِمَضِيقِ الوادى . فمرتْ عليه
 القبائلُ ، فجعل يقول : من هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سُلَيْمٌ . فيقول : مالى ولِسُلَيْمٍ !
 فتمرُّ به قبيلةٌ ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أَسْلَمٌ . فيقول : مالى ولَأَسْلَمٍ ! وتَمُرُّ
 جُهينةٌ . فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : جهينةٌ : فيقول : مالى ولْجُهينة ! حتى مرَّ رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فى الخُضراءِ ، كَتَبَتْهُ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من المهاجرين
 والأَنْصارِ ، فى الحديد لا يُرى منهم إلا الحَدَقُ . فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟
 فقلت : هذا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فى المهاجرين والأَنْصارِ . فقال : يا أبا الفضل ،
 لقد أصبحَ مُلْكُ ابنِ أَخِيكَ عَظِيمًا . فقلت : ويحك ! إنها النبوةُ . فقال : نعم .
 فقلت : الحقُّ الآنَ بقومِكَ فخذْهُمْ . فخرَجَ سريعًا حتى أتى مكةَ ، فصَرَخَ فى
 المَسْجِدِ : هذا مُحَمَّدٌ قد جاءكم بِمَلاَئِكَةٍ قَبْلَ لَكُمْ به . قالوا : قَمَّة ! قال : فمَنْ دَخَلَ دارى
 فهو آمِنٌ . فقالوا : ويحك ! ما تُفْنِي دارَكَ عنا ! قال : ومن دَخَلَ المَسْجِدَ فهو آمِنٌ ،
 ومن أَغْلَقَ عليه بابه فهو آمِنٌ .

وتحدَّثَ عبدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ قال :

أبوسفيان يوم
اليرموك

لما كان يومَ اليرموك خَلَفَنِى أبى ، فأخذتُ فرسَالَهُ وخرَجْتُ ، فرأيتُ جماعةً
 من الطُّلُقَاءِ ، منهم أبو سفيان بن حرب ، فكانتِ الرُّومُ إذا هَزَمَتِ المُسلمينَ
 قال أبو سفيان بن حرب : إيها بنى الأصفر ! فإذا كَشَفَهُمُ المُسلمونَ قال أبو سفيان :
 وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الرُّومِ ولم يَبْقَ منهم مذكُورٌ
 فلما فَتَحَ الله على المُسلمينَ حَدَّثْتُ أبى فقال : قاتله الله ! أبى إِلَّا نِفَاقًا ،
 أو لَسْنَا خَيْرًا لَهُ من بنى الأصفر ! ثم كان يأخذ بيدي فَيَطُوفُ بى على أصحابِ
 رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فيقول : حدِّثْهُمْ . فأحدِثَهُمْ . فيعجبون من نِفَاقِهِ .

وقيل : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وولى الخلافة أبو بكر الصديق هو وعلى لما ولى أبو بكر
رضى الله عنه ، جاء أبو سفيان بن حرب إلى علي بن طالب رضى الله عنه فقال :
يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلها ! فوالله لئن شئت لأملأتها
عليهم خيلاً ورجالاً . فقال علي رضى الله عنه : طالما عادت الله ورسوله والمؤمنين ،
فما ضرهم ذلك شيئاً ، إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

شعر له لما ولى
أبو بكر

وقال أبو سفيان ، لما ولى أبو بكر رضى الله عنه :
وأضحت قريشٌ بعد عزٍّ ومنعةٍ خضوعاً لتيمةٍ^(١) لا بضرب القواضبِ
فيا لهفٍ نَفْسِي للذي طَفَرْتُ به وما زال منها فائزاً بالرغائبِ
والشعر الذى فيه الغناء ، وأفتتح به أبو الفرج أخبار أبو سفيان ، هو أبيات قالها
في سلام بن مشكم اليهودي ، لما نزل عليه أبو سفيان في غزاة السويق ، وهى :
سَقَانِي فَرَوَانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلَى ظُلْمٍ مِنِّي سَلَامٌ مِنْ مِشْكَمِ
تَحَيَّرْتُهُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَاحِدًا سَوَاهِمِ فَلَمْ أُغْنِ وَلَمْ أَتَنَدَّمِ
فَلَمَّا تَقَصَّى اللَّيْلُ قُلْتُ وَلَمْ أَكُنْ لِأَفْرِحْهُ أَبْشَرَ بِعُرفٍ وَمَغْنَمِ
وَإِنَّ أَبَا غَنَمٍ يَجُودُ وَدَارُهُ يَيْثُرُ مَأْوَى كُلِّ أَيْيُضٍ^(٢) خَضْرَمِ

وذكر أنه لما أنقضت غزوة بدر نذر أبو سفيان ألا يمس رأسه مالا من
جنانة حتى يغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم . فخرج في مائتي فارس من قريش
ليبري يمينه ، فسلك النجدية حتى نزل بصدر قناة إلى جبل يُقال له تيب ،^(٣) من
المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من الليل حتى أتى بني النضير من اليهود ، تحت

(١) هو تيم بن مرة بن كعب . وإليه قبيلة أبي بكر .

(٢) الخضرم : الجواد الكثير العطية .

(٣) تيب ، بالتحريك والباء آخر ، ويقال فيه : تيت ، بسكون الياء ، وتشهدها مع
الفتح والكسر .

الليل، فَأَتَى حَيْثُ بْنُ أَخْطَبَ فَضَرَبَ عَلَيْهِ بَابَهُ، فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ وَخَافَهُ . فَمَضَى إِلَى سَلَامِ بْنِ مِشْكَمٍ، وَكَانَ سَيِّدُ بَنِي النَّضِيرِ فِي زَمَانِهِ ذَلِكَ وَصَاحِبُ كَنْزِهِمْ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ . فَأَذِنَ لَهُ . فَقَرَأَ وَسَقَاهُ الْخَمْرَ وَنَظَرَ لَهُ خَبَرَ النَّاسِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي عَقَبِ لَيْلَتِهِ حَتَّى جَاءَ أَصْحَابَهُ، فَبَعَثَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى الْمَدِينَةِ . فَأَتَوْا نَاحِيَةً مِنْهَا يُقَالُ لَهَا : الْعُرَيْضُ، فَخَرَقُوا فِي نَخْلٍ لَهَا، وَوَجَدُوا رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ وَحَافِيًا لَهُ فِي حَرْثٍ لَهَا، فَفَقَتُوهَا، ثُمَّ أَنْصَرَفُوا رَاجِعِينَ . وَنَذَرُوا بِهِمُ النَّاسَ . فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَلَبِهِمْ حَتَّى بَلَغَ قَرْقَرَةَ الْكُدُرِ^(١)، ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَاجِعًا لَمْ يَلْقَ كَيْدًا، وَقَدْ فَاتَهُ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، وَقَدْ رَأَوْا مِنْ مَزَاوِدِ الْقَوْمِ مَا قَدْ طَرَحُوهُ فِي الْحَرْثِ، يَتَخَفُّونَ بِهِ لِلنَّجَاةِ، وَفِيهَا سَوِيْقٌ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ الْغَزْوَةُ : غَزْوَةُ السَّوِيْقِ .

وَذَكَرَ أَبُو الْفَرَجِ أَنَّهَا إِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ قُرَيْشًا عَايَرَتْ أَبَا سَفْيَانَ بِكَوْنِهِ خَرَجَ فَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا، وَقَالُوا : إِنَّمَا خَرَجْتَ تَشْرِي بِنِ السَّوِيْقِ .

وَقَالَ الْمُسْلِمُونَ، حِينَ رَجَعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْظِمِعْ أَنْ تَكُونَ غَزْوَةً ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(١) على ستة أميال من خيبر .

أخبار الوليد بن يزيد

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية نسبه وكنيته ابن عبد شمس بن عبد مناف . ويكنى : أبا العباس .

وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي .
وهي بنت أخي الحجاج بن يوسف . وفيه يقول أبو نخيلة : (١)

بين أبي العاصي وبين الحجاج
يا لَكُمَا نُورًا سراج وهاج
عليه بعد عمّة عقد التاج

وأم يزيد بن عبد الملك بن مروان عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي
سفيان بن حرب بن أمية . وأُمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كريز بن
ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأم عبد الله بن عامر بن كريز أم حَكيم
البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك
يقول الوليد بن يزيد :

نبيُّ الهُدَى خالي ومن يكُ خاله
نبيُّ الهُدَى يَقْهَرُ به من يُفَاخِرُ

وكان الوليد بن يزيد من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشُعرائهم وأجوادهم
وأشدائهم ، وكان مع ذلك خليعاً منهمكاً في الشرب واللهو وسَماع الغناء ،
وولى الخلافة بعد عمّه هشام بن عبد الملك بن مروان بعهد من أبيه يزيد بن
عبد الملك .

ذُكر أنه لما خرج بالعراق يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدى على يزيد
هشام وطمع هشام
في خلعه
(١) ستائق ترجمته .

ابن عبد الملك بن مروان ، ووجهه يزيد بن عبد الملك الجيوش لقتاله ، وعقد لأخيه مسلمة بن عبد الملك على الجيش ، وبعث ابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك وعقد له على أهل دمشق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إن أهل العراق أهل غدر وإرجاف ، وقد وجهتنا محاريب والأحداث تحدث ، ولا آمن أن يُرَجَفَ أهل العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهد ، فيفت ذلك في أعضاد أهل الشام . فلو عهدت عهداً إلى عبد العزيز بن الوليد ؟ فقال : غدا . وبلغ ذلك مسلمة بن عبد الملك ، فأتى يزيد فقال : يا أمير المؤمنين ، أيما أحب إليك : ولد عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولد عبد الملك . فقال له : فأخوك أحق بالخلافة أم ابن أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخى أحق من ابن أخى . قال : فأبنتك لم يبلغ ، فبايع هشام ثم لأبنتك بعد هشام . والوليد بن يزيد يومئذ ابن إحدى عشرة سنة . قال : غدا أبايع . فلما أصبح فعل ذلك وبايع لأخيه هشام بن عبد الملك بولاية العهد وبعده لأبنة الوليد . وأخذ على هشام ألا يخلع الوليد بعده ، ولا يغير عهده ، ولا يحتال عليه . فلما بلغ الوليد بن يزيد ندم أبوه على تقديم هشام عليه ، فكان يقول : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . ثم توفي يزيد بن عبد الملك سنة خمس ومائة ، وعمر الوليد أبنة خمس عشرة سنة . وولى الخلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ، والوليد ولي عهده ، فلم يزل الوليد مكرماً عند عمه هشام رفيع المنزلة مدة ، ثم طمع هشام في خلع الوليد وعقد العهد بعده لأبنة مسلمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليد بن يزيد وتهشكه وإدمانه على الشراب ، ويظهر ذلك في مجلسه ، ويقوم به ويقعد . وولاه الحج ليظهر ذلك منه بالحرمين فيسقط . فحج فظهر منه فعل كثير مذموم ، وتشاغل بالغنين والشراب ، وأمر مولاه فحج بالناس . فلما رجع طالبه هشام بأن يخلع نفسه ، فأبى ذلك ، فخرمه العطاء وحرّم سائر مواليه وأسبابه وجفاه جفاء شديداً . فخرج متبدياً .^(١)

(١) خرج متبدياً ، أى إلى البادية .

وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشام الناس إلى خلع الوليد والبيعة لأبنة مسلمة .

— وأُمُّهُ أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاصي . وكان يُكنى : أباشاكر . كُنِيَ بذلك لمولى كان لمروان يكنى : أباشاكر . وكان ذارأى وفضل ، وكانوا يُعظمونه ويتبركون به —

فأجابه إلى خلع الوليد والبيعة لمسلمة بن هشام : محمد ، وإبراهيم — أبنا هشام بن إسماعيل المحرومي — وعبد العزيز ، وخالد ، والوليد ، بنو القَعْقَاع بن خويلد العبسي ، وغيرهم من خاصة هشام . وكتب هشام إلى الوليد : ما تدع شيئاً من المنكر إلا أرتكبته ، فليت شعري ما دينك ؟ فما أدري أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نحن على دين أبي شاكِرٍ
نَشْرِبُهَا صِرَافًا وَمَمْرُوجَةً بالسُّخْنِ أحيانًا وبالْفَاتِرِ

فغضب هشام على أبنة مسلمة وقال : يُعَيِّرُنِي بك الوليد وأنا أُرَشِّحُكَ للخلافة ! فألزم الأدب وأحضر الصلوات . وولاه الموسم سنة سبع عشرة ومائة . فأظهر النُسك وقسم بمكة والمدينة أموالاً . فقال رجلٌ من أهل المدينة :

يَا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ دِينِنَا نحن على دين أبي شاكِرٍ
الْوَاهِبِ الْبَزْلُ^(١) بِأَرْسَانِهَا ليس بزنديقي ولا كافرٍ

يُعرَضُ بالوليد .

وبلغ خالد بن عبد الله القسري ما عزم عليه هشام ، فأباه وقال : أنا بريء . إياه خالد القسري
بيعة مسلمة من خليفة يكنى : أباشاكر . فبلغت هشاماً عنه . فكان ذلك سبب إيقاعه به .

وذكر أن الوليد بن يزيد دخل يوماً على مجلس هشام ، وقد كان في ذكره قبل أن يدخل . فحمقه من حضر من بني أمية . فلما جلس قال له العباس بن
الوليد والعباس في مجلس هشام

(١) البزل من الإبل : التي استكلت الثالثة وطعنت في التاسعة و الواحد : بازل . والأرسان :

الحبال تقاد بها الإبل ؛ الواحد : رسن .

الوليد بن عبد الملك ، وعمر بن الوليد : كيف حُبَّكَ يا وليد للروميات ، فإن
أباك كان يُحِبُّهن وكان بهنَّ مشغولاً ؟ قال : إني لأُحِبُّهنَّ ، وكيف لا أُحِبُّهنَّ
ولن تزال الواحدة منهنَّ قد جاءت بالمجنون مثلك . وكانت أم العباس رومية .
فقال : أَسَكْتُ ! فلست ^(١) الفحل يأتى عَسْبُهُ ^(٢) بمثل . فقال له الوليد : أَسَكْتُ ،
يا ابن البظراء ! فقال : أَتَفْخِرُ عَلَيَّ بما قُطِعَ من بَطَرِ أُمِّكَ . وأقبل هشام على الوليد
فقال له : ما شرابك ؟ قال : شرابك يا أمير المؤمنين ، وقام مُقَضَّباً فخرج .
فقال هشام : أهذا الذى تَزْعُمُونَ أنه أحق ! ما هو أحق ، ولكنى
ما أظنُّه على الملة .

وذكر أنه دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلس هشام بن عبد الملك ، وفيه سعيد
ابن هشام بن عبد الملك ، وإبراهيم بن هشام بن إسماعيل الحزومي ، وأبو الزبير ،
مولى مروان ، وليس هشام حاضراً . فجلس الوليد مجلس هشام . ثم أقبل على سعيد
ابن هشام ، فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف . قال : سعيد ، ابن أمير المؤمنين .
قال : مرحباً بك . ثم أقبل على أبي الزبير فقال : من أنت ؟ فقال : أبو الزبير
مولدك أيها الأمير . فقال : مرحباً بك . ثم أقبل على إبراهيم بن هشام فقال : من
أنت ؟ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال : من إسماعيل ؟ فقال : إسماعيل
ابن هشام بن الوليد بن المغيرة . فقال : من الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذى لم يكن
جَدُّكَ يُرَى أنه فى شيء حتى زَوَّجه أبى ، وهو بعض ولدِ أبنته . فقال : يا ابن
الآخنة ! أتقول هذا ! واتخذنا ^(٣) . وأقبل هشام ، فقبل لها : قد جاء أمير
المؤمنين . فجلسا وكفا . فما كاد الوليد يتنحى عن صدر مجلسه ، إلا أنه زَحَلَ له
قليلاً . فجلس هشام فقال : كيف أنت يا وليد ؟ فقال : صالح . قال : ما فعلت

هو سعيد بن هشام
وإبراهيم الحزومي
فى مجلس هشام

(١) فى الأغاني : « فليس » .

(٢) العسب : ماء الفحل .

(٣) اتخذنا : تصارعا .

برابطك^(١). قال مُعَمَّلَةٌ. قال : فما فعل نُدْمَاؤُك ؟ قال : صالحون ، ولعنهم الله إن كانوا شرًّا ممن يحضرك . فقال هشام : يا بن الأخنأ ! جَوُّوا عُنْقَه . فلم يفعلوا ودفعوه رويداً . فقال الوليد :

أنا ابن أبي العاصي وثمانُ والدي ومروانُ جدِّي ذو الفَعَالِ وعامرُ
أنا ابنُ عَظِيمِ القَرَيْتَيْنِ وعِزُّهَا ثَقِيفٌ وفِهْرٌ والعُصَاةُ الأَكْبَرُ
نبيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خَالُه نبيُّ الهُدَى يَفْخَرُ بِهِ^(٢) وَيُكَاثِرُ

شعره لهشام
أراد خلع

وقيل : لما أراد هشام بن عبد الملك أن يخلع الوليد بن يزيد من ولاية عهده ، قال الوليد يُؤنبه ويذكر إحسان والده إليه ويحذره سوء عاقبة فعله :

كفرتَ يدًا من مُنْعِمٍ لو شكرتَها جزاك بها الرحمنُ ذو الفضلِ والمنِّ
رأيتُكَ تَبْنِي جَاهِدًا في قَطيعي ولو كنتَ ذاحِزِم^(٣) لَهْدَمْتَ مَا تَبْنِي
أراك على الباقيَن تَجْنِي ضَغِينَه فيا وَيْهمُ إن مُتَّ من شرٍّ مَا تَجْنِي
كأنِّي بهم يومًا وأَكْثُرُ^(٤) قِيلِهِم أيا ليت أنا حين ياليت لا تُغْنِي

ذم هشاماً بشعر
لعبه بخاصته

وذكر أن هشام بن عبد الملك عبث^(٥) بالوليد بن يزيد وخاصته ، فخرج الوليد غي نَفَرٍ من أصحابه فنزل بالأبرق ، وخلف في الرُصافه كاتبه عِياض بن مُسَلِّم ، مولى عبد الملك ، ليُكاتبه بما يحدث . فقال الوليد لمُؤدِّبه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، وقد شربوا يوماً : قُلْ أَيْبَاتًا نُغْنِي فِيهَا . فقال أَيْبَاتًا وأمرُ عمر الوادي فغنى فيها ، وهي :

ألم ترَ للنَّجمِ إذ سَبَّعا^(٦) يُبادر في^(٧) بُرْجِه المَرَجِعا

(١) البرابط : جمع بربط ، وهو العود .

(٢) في الأغاني : « يقهر به ويفاخر » .

(٣) في الأصل : « أرب » مكان « حزم » .

(٤) في الأغاني : « قولهم » مكان « قبلهم » . (٥) في الأغاني : « عبث على الوليد »

(٦) سبع : أقام سبعا .

(٧) في الأصل : « عن » . مكان « في »

تَحَيَّرَ عَنْ قَصْدِ تَجَرَّاتِهِ إِلَى الْغَوَرِ وَالْتَمَسَ الْمَطْلَعَا
فَقُلْتُ وَأَعْجِبْنِي شَأْنَهُ وَقَدْ لَاحَ إِذْ لَاحَ لِي مُطْمِعَا
لَعَلَّ الْوَلِيدَ دَنَا مُلْكُهُ فَأَمْسَى إِلَيْهِ قَدْ اسْتَجْمَعَا
عَقَدْنَا لَهُ مُحْكَمَاتِ الْأُمُورِ رِطَاطًا وَكَانَ لَهَا مَوْضِعَا

فَرَوَى هَذَا الشَّعْرُ ، وَبَلَغَ هَشَامًا ، فَقَطَعَ عَنِ الْوَلِيدِ مَا كَانَ يُجْرَى عَلَيْهِ وَعَلَى
أَصْحَابِهِ وَحَرَمَهُمْ . وَكُتِبَ إِلَيْهِ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ قَدْ اتَّخَذْتَ عَبْدَ الصَّمَدِ خَدْنًا
وَمُحَدِّثًا وَنَدِيمًا ، وَقَدْ حَقَّقَ ذَلِكَ مَا بَلَّغْنِي عَنْكَ ، وَلَنْ أُبَرِّئَكَ مِنْ سُوءٍ ، فَأُخْرِجُ
عَبْدَ الصَّمَدِ مَذْمُومًا مَذْهُورًا . فَأَخْرَجَهُ الْوَلِيدُ وَقَالَ :

لَقَدْ قَذَفُوا أَبَا وَهْبٍ بِأَمْرِ كَبِيرٍ بَلْ يَزِيدُ عَلَى الْكَبِيرِ
فَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ شَهَادَةَ عَالِمٍ بِهِمْ خَبِيرِ

وَكُتِبَ الْوَلِيدُ إِلَى هَشَامَ بِأَنَّهُ قَدْ أَخْرَجَ عَبْدَ الصَّمَدِ ، وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ مِنْ مُنَادِمَتِهِ ،
وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذِنَ لِأَبْنِ سُهَيْلٍ فِي الْخُرُوجِ إِلَيْهِ . وَكَانَ مِنْ خَاصَّةِ الْوَلِيدِ . فَضَرَبَهُ هَشَامُ
وَنَفَاهُ وَسَيَّرَهُ . وَكَانَ أَبُو سُهَيْلٍ مِنْ أَهْلِ الشَّرَفِ وَالنَّبْلِ ، وَلِي دِمَشْقَ مَرَارًا ،
وَوَلِي غَيْرَهَا . وَأَخَذَ عِيَاضَ بْنَ مُسْلَمٍ ، كَاتِبَ الْوَلِيدِ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا مُبَرِّحًا ، وَأَلْبَسَهُ
الْمَسُوحَ وَقَيَّدَهُ وَحَبَسَهُ . فَعَمَّ ذَلِكَ الْوَلِيدَ وَقَالَ : مَنْ يَثِقُ بِالنَّاسِ ! وَمَنْ يَصْطَنِعُ
الْمَعْرُوفَ ! وَهَذَا الْأَحْوَلُ الْمَشْتُومُ قَدَّمَهُ أَبِي عَلَى وَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَأَوْلَادِهِ ، وَهُوَ
يَصْنَعُ مَا تَرَوْنَ ، وَلَا يَعْلَمُ أَنَّ لِي فِي أَحَدٍ هَوًى إِلَّا ضَرَبَهُ وَأَضْرَبَهُ . كُتِبَ إِلَى
بِأَنَّهُ أَخْرَجَ عَبْدَ الصَّمَدِ ، فَأَخْرَجَتْهُ . وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ فِي أَنْ يَأْذِنَ لِأَبْنِ سُهَيْلٍ فِي
الْخُرُوجِ إِلَيْهِ ، فَضَرَبَهُ وَطَرَدَهُ ، وَقَدْ عَلِمَ رَأْيِي فِيهِ . وَعَرَفَ مَكَانَ عِيَاضَ مِنِّي
وَأَنْقَطَاعَهُ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ وَحَبَسَهُ ، يُضَارِّئُنِي بِذَلِكَ . اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنْهُ . ثُمَّ
قَالَ الْوَلِيدُ :

أنا النذيرُ مُسَدِّي نِعْمَةٍ أَبَدًا
أَتَشْمَخُونَ مِنِّي رَأْسُ نِعْمَتِكُمْ
إِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ بِطَرُوقِ
أَنْظُرْ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مَثَلِ
بَيْنَا يُسَمِّئُهُ لِلصَّيْدِ صَاحِبُهُ
عَدَا عَلَيْهِ فَلَمْ تَضْرُرْهُ عَدَوْتُهُ

وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام :

أنا الوليدُ أبو العباسِ قد علمت
إِنِّي لِنَفِي الذَّرْوَةِ الْعُلْيَا إِذَا أَنْتَسَبُوا
بَنِي لِي الْمَجْدَ بَانَ لَمْ يَكُنْ وَكَلًّا
حَلَلْتُ مِنْ جَوْهَرِ الْأَعْيَاصِ قَدْ عَلِمُوا
صَعَبِ الْمَرَامِ يُسَامِي النَّجْمَ مَطْلَعُهُ
يَسْمُو إِلَى فَرْعِ طَوْدٍ شَامِخٍ سَامِي

وقيل : إن الوليد بعث براويته إلى هشام فأنشده هذه الأبيات . فقال : هشام :
والله ما علمتُ له مَعْدٌ كَرًّا وَلَا إِقْدَامًا ، إلا أَنَّهُ شَرِبَ مَرَّةً مَعَ عَمِّهِ بَكَارِ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ فَعَرَّبَ عَلَيْهِ وَعَلَى جَوَارِيهِ ، فَإِنْ كَانَ يَعْنِي ذَاكَ بَكَرَهُ وَإِقْدَامَهُ فَعَسَى .
وحكى أبو الزناد قال :

دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وعنده الزُّهْرِيُّ ، وهما يَعْيِيَانِ الْوَلِيدَ ، فَأَعْرَضْتُ
عَنْهُمَا ، وَلَمْ أَدْخُلْ فِي شَيْءٍ مِنْ ذِكْرِهِ . فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ أُسْتَوْذِنَ لِلْوَلِيدِ ، فَأَذِنَ لَهُ .
فَدَخَلَ وَهُوَ مُغْضَبٌ ، فَجَلَسَ قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضَ . فَلَمَّا مَاتَ هِشَامٌ وَوَلَّى الْوَلِيدُ كَتَبَ
إِلَى الْمَدِينَةِ فَحُمِلَتْ ، فَدَخَلَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : أَتَذْكُرُ قَوْلَ الْأَحْوَلِ وَالزُّهْرِيِّ ؟

(١) المقاريف : الأندال . (٢) المقابل : الكريم النسب من قبل أبويه .

(٣) الأعياص : العاص ، وأبو العاص ، والعيص ، وأبو العيص ، أولاد أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر . والقمقام : العدد الكثير .

شعره في الفخر
على هشام

هو وأبو الزناد في
حديث هشام بعد
موته

فقلت : نعم . وما عَرَضْتُ في شيء من أمرك . فقال : صدقت ، أتدري مَنْ أبلغني ذاك ؟ قلت : لا . قال الخادمُ الواقفُ على رأسه ، وأيم الله ، لو بقي الفاسقُ الزُّهري لقتلته — قيل : وكان الزُّهري أجمع على أن يدخل إلى بلاد الرُّوم إن ولى الوليد بن يزيد . فمات الزُّهري قبل ذلك — ثم قال الوليد : ذهب هشام بعمرى . فقلت : بل يُبقيك الله يا أمير المؤمنين . وقام فصلى العصر ثم جلس يتحدث إلى المغرب ، ثم صلى ودعا بالعشاء ، فتعشيتُ معه ثم جلس يتحدث حتى صلى العتمة ، ثم قال : أسقيني . فأتيته بإناء مُغطًى ، وجاء جوارقُمن بيني وبينه ، فشرب وأنصرف ، ومكث قليلاً ثم قال : أسقيني . ففعلن مثل ذلك . وما زال والله ذلك دأبه حتى طلع الفجر ، فأحصيتُ له سبعين قَدْحاً .

وقيل : بلغ الوليد أن ابن عمه العباس بن الوليد بن عبد الملك ، وغيره من بني مروان ، يعيونه بالشراب ، فلعنهم وقال : إنهم ليعييون على أمرٍ لو كانت لهم اللذة فيه لما تركوه ، وقال هذه الأبيات ، وهي من جيد شعره :

شعره في الرد على
من عابه بشرب
الخمير

ولقد قَضِيتُ وإن تَجَلَّلَ لِمَتِّي شَيْبٌ على رَغَمِ العِدَى لَدَائِي
مِنْ كَاعِبَاتِ كَالْدُمَى وَمَنَاصِفِ وَمَرَائِبِ لِلصَّيْدِ وَالنَّشَوَاتِ
فِي فِتْيَةٍ يَأْبَى الْمَهْوَانِ وَجُوهُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ جَجَاجِ سَادَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِتَرَاتِهِمْ يُعْطَوْا بِهَا أَوْ يُطْلَبُوا لَا يَذْرُكُوا بِتَرَاتِ

وذكر أن الوليد بن يزيد كتب إلى عمه هشام : بلغني الذي أحدث أمير المؤمنين من قطع ما قطع عني ، ونحو من محام من صحابتي ، وأنه حرمني وأهلي ، ولم أكن أخاف أن يبتلى الله عز وجل أمير المؤمنين بذلك في ، ولا ينالني مثله منه ، ولم يبلغ أستاذي لآبن سهيل ومسالتي في أمره أن يجري عليه ^(١) ماجرى ، فإن كان ابن سهيل على ما ذكر أمير المؤمنين فبحسب العير أن يقرب من الذئب ،

كتابه إلى هشام
وكتاب هشام إليه

وعلى ذلك فقد عقد الله جلّ وعزّ لي من العهد ، وكتب لي من العمر ، وسبّب لي من الرزق ، ما لا يقدر أحدٌ دونه — تبارك وتعالى — على قطعه عني دون مدّته ، ولا صرفه عن مواضعه المحتومة له . فقدّر الله يجرى على ما قدره فيما أحبّ الناسُ وكرهوا ، لا تعجيل لآجله ولا تأخير لعاجله ، والناسُ بعد ذلك يكتسبون ^(١) الأوزار ويقتربون الآثام على أنفسهم بما يستوجبون من الله عزّ وجلّ العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقّ بالنظر في ذلك والحفظ له . والله يُوفّق أمير المؤمنين لطاعته ، ويحسن القضاء له في الأمور بقدرته . وكتب في آخر كتابه :

أليس عظيماً أن أرى كلَّ وارِدٍ حياضك يوماً صادراً بالنوافل
وأرجعَ محدود الرجاء مُصرّداً بتحلّية عن ورد تلك المناهل
فأصبحتُ مما كنت أمل منكم وليس بلاقٍ مارجا كلُّ أمل
كمقتبض يوماً على عرض ^(٢) هبوةٍ يشدّ عليها كفه بالأنامل

فكتب إليه هشام بن عبد الملك : قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قطع ما قطع عنك وغير ذلك . وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يُجرى عليك ، ولا يتخوف على نفسه أقتراف المآثم في الذي أحدث من قطع ما قطع ، ونحو من نحو من صحابتك ، لأمرين : أما أحدهما فإن أمير المؤمنين يعلم مواضعك التي كنت تصرف إليها ما يُجرىه عليك . أما الآخر فإنيأت صحابتك وأرزاقهم دائرة عليهم لا ينالهم ما ينال المسلمين عند قطع البعوث عليهم ، وهم معك تجول بهم في سفهك . وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عزّ وجلّ عنه ما سلف من إعطائه إياك باستئنافه قطعه عنك . وأما ابنُ سهيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله تعالى لذلك أهلاً . وهل زاد ابن سهيل —

(١) في الأغاني : « يكتسبون » .

(٢) الهبوة : الغبرة .

لله أبوك — على أن كان ^(١) زفاناً مُغنياً قد بلغ من السَّفه غايته ، وليس مع ذلك
 ابن سُهَيْل بشرٍ من كنتَ تصحبه مع الأمور التي يُنزّه أمير المؤمنين نفسه عنها ،
 مما كنتَ لعمرى أهلاً للتَّوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ مما سبَّبه الله عزَّ وجلَّ لك ،
 فإن الله تبارك وتعالى قد أبتدأ أمير المؤمنين بذلك وأصطفاه له ، والله بالغ أمره .
 ولقد أصبح أمير المؤمنين ، وهو على اليقين من رأيه ، إلا أنه لا يملك لنفسه ،
 مع ما أعطاه الله من كرامته ، ضراً ولا نفعاً . وإن الله جلَّ وعزَّ ولَّى ذلك منه ،
 وإنه لا بدُّ له من مفارقتِهِ . وإن الله أرأف بالعباد وأرحم من أن يُولِّي أمرهم من
 لا يرتضيه لهم منهم . وإن أمير المؤمنين مع حُسن ظنه برَّبه لعلَى أفضل الرِّجاء
 لأن يولِّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضى به لهم . فإن بلاء الله عند أمير المؤمنين
 لأعظم من أن يبلغه ذِكْرُهُ ، أو يوازِيه شُكْرُهُ ، إلا بعون منه . ولئن كان قدَّر الله
 لأمر المؤمنين تعجيل وفاةٍ ، فإن في الذي هو مُفضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله جلَّ
 وعزَّ نخلقاً من الدُّنيا . ولعمرى إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبتَ به لغير
 مُستنكر من سَفَهك وحُحك ، فأبق على نفسك ، وقصِّر من غلوائها ، وأربع على
 ظلمك ، فإن لله جلَّ وعزَّ سطواتٍ وغيراً يُصيب بها من يشاء من عباده . وأمير
 المؤمنين يسأل الله العِصمة والتَّوفيق لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في
 أسفل الكتاب .

إذا أنت ساحتَ الهوى قاذك الهوى إلى كل ما فيه عليك مقالٌ
 والسلام .

وحكى أبو الزُّبير المُنذر بن عمرو ، وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال :
 أرسل إلى الوليدُ صبيحةَ اليوم الذي أتمته فيه الخلافةُ ، فأتته . فقال :
 يا أبا الزُّبير ، ما أتتَ على ليلةٍ أطول من هذه الليلة ، عرضت لي أمورٌ وحدثتُ فيها

تبشيره بالخلافة
 بعد هشام

نفسى بأمور ، وهذا الرجلُ — يعنى هشام بن عبد الملك — قد أولع بى ، فأركب بنا تنفّس . فركب وسيرتُ معه ميلين ، ووقف على تلٍّ وجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رهجٍ قد أقبل ، وسمع قعقة البريد ، فتعوذ بالله من شرِّ هشام وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحيٍّ ^(١) أو بملك عاجلٍ . فقلت : لا يسوءك الله أيها الأمير بل يسركُ ويُبقيك أبداً . إذ بدا رجلان على البريد يُقبلان ، أحدهما مولى لآل أبي سفيان بن حرب . فلما قرُّا رأيا الوليدَ فنزلا يعدوان حتى دنوا ، فسأما عليه بالخلافة . فوجم . وجعل يكرّر أن التسليم عليه بالخلافة . فقال . ويحكما ! أمات هشام ؟ قالوا : نعم . قال : فرحباً بكما ، ما معكما ؟ قال : كتاب مولاك سالم ابن عبد الرحمن . فقرأ الكتاب . وأنصرفنا . وسأل عن عياض بن مُسلم كاتبه ، الذى كان هشام ضربه وحبسه . فقالوا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوباً حتى نزل بهشام أمرُ الله . فلما صار إلى حالٍ لا ترجى الحياة لثله معها أرسل عياضُ إلى الخزان : أحتفظوا بما فى أيديكم ولا يصلنَّ أحد إلى شىء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فمُنِعهُ . فقال : أرانا كُنَّا خزاناً للوليد ! وقضى من ساعته . فخرج عياضُ من السجن ساعةً قضى هشام ، فحتم الأبواب والخزائن ، وأمر بهشام فأنزل عن فراشه ، ومنعهم أن يُكفّنوه من الخزائن . فكفنه غالب مولى هشام . ولم يجدوا قُمُماً ^(٢) حتى استعاروه .

قلتُ : ذكر أن هشام بن عبد الملك كانت تحمل ثيابه على أربعائة ظهر ، لاتعقيب لابن وصل وأفضى الحال عند موته إلى أن لم يوجد له كفن حتى كفنه غالب ، هذا . فسبحان من لا يزول ملكه .

وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة . وكانت مدة خلافته نحواً من عشرين سنة .

(١) الوحي : السريع .

(٢) القمم : إناء من نحاس يسخن فيه الماء .

الوليد وابنا هشام
المخزومي

قال أبو الفرج :

وأمر الوليد بأخذ أبنى هشام بن إسماعيل المخزومي ، فأخذا بعد أن عاذ إبراهيم
ابن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك . فقال الوليد : ما أراه إلا قد نجا . فقال له يحيى
ابن عروة بن الزبير ، وأخوه عبد الله بن عروة : إن الله لم يجعل قبرَ أهلك معاذاً
لظالمين ، فخذْه بردّ ما في يده من مال الله تعالى . فقال : صدقت . فأخذها ،
فبعث بهما إلى يوسف بن عمر وإلى العراقيين وكتب إليهم بأن يبسط عليهما العذاب
حتى يتلقا . ففعل ذلك بهما ، وماتا جميعاً في العذاب ، بعد أن أقيم إبراهيم بن
هشام للناس حتى اقتضوا منه المظالم .

وذكر أنه لما نعى هشام إلى الوليد ، قال : والله لأتلقين هذه النعمة بسكرة
قبل الظهر ، ثم قال :

طاب يومى ولذَّ شربُ الشلافه إذ أتانا نعى من بالزُصافه
وأتانا البريدُ نعى هشاماً وأتانا بخاتم للخلافه
فأصطبحن من خمر عانة^(١) صرْفاً ولهونا بقينة عزافه

ثم حلف ألا يبرح موضعه حتى يُغنى في هذا الشعر . فغنى له فيه وشرب حتى
سكر ، ثم دخل فبُوع له .

قيل : وسمع صياحاً فسأل عنه ، فقيل : هذا من دار هشام تبكيه بناته . فقال :

إني سمعتُ بليلاً ورا المصلى برنه
إذا بناتُ هشام يندبن والدته
يندبن قرماً جليلاً قد كان يعصدهنه
أنا الحنثُ حقاً إن لم^(٢)

(١) عانة : بلد على الفرات مشهورة بالخمر .

(٢) مكان هذا النقط كلمة صريحة .

وقال الوليد أيضاً :

ليت هشاماً عاش حتى يرى مكيله الأوفر قد أثرعاً
كلناله الصاع التي كالمها وما ظلمناه بها أضوعاً
لم نأت ما جئناه ^(١) من بدعة أحله القرآن لي أجمعاً

من شعره المطرب

ومن شعر الوليد بن يزيد، وكان أبو غسان يكاد يرقص إذا أنشده :
أصدع نجيّ الهوم بالطرب وأنعم على الدهر بأبنة العنب
وأستقبل العيش في غضارته لا تقف منه آثاراً معتقب
من قهوة زانها تقادماًها فهي عجزوز تعلو على الحقب
أشهى إلى الشرب يوم جلوتها من الفتاة الكريمة النسب
فقد تجلّت وراق جوهرها حتى تبدّت في جوهر ^(٢) عجب
فهي بغير المزاج من شرر وهي لدى المزج سائل الذهب
كأنها في زجاجها قبسٌ تذكو ضياء لعين مرّ تقب
في فتية من بني أمية أه ليل المجد والمآثرات والحسب

وله أيضاً عندما
نمى هشام إليه

وقال الوليد أيضاً لما أتاه نعي هشام :

طال ليلى وبّت أسقى المداما إذ أتاني البريد ينعي هشاماً
وأتاني بحملة وقضيب وأتاني بخاتم ثم قاما
فجعلت الولي من بعد فقدى أفضل ^(٣) الناس ناشئاً وغلاما
ذلك أبني وذاك قرم قریش خير قرم وخيرهم أعماما

غناه عمر الوادي
بشعره في موت هشام

وحكى عمر الوادي قال :

(١) في الأغاني : « ماتأتيه » .

(٢) في الأغاني : « في منظر » .

(٣) في الأغاني : « يفضل » .

كنت يوماً عند الوليد إذ ذكر هشاماً ، فقال لى : غنى بهذه الأبيات . فقلت :
ما هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال :

هَلَكَ الْأَحْوَلُ الْمَشْوُ مُ فَقَدْ أُرْسِلَ الْمَظْرُ
ثُمَّتُ أَسْتُخْلَفُ الْوَلِيدَ دُ فَقَدْ أَوْرَقَ الشَّجَرُ

قال أبو الفرج :

ما أخذه أبو نواس
من معانيه

وللوليد فى ذكر الحمر وصفتها أشعار كثيرة ، قد أخذها الشعراء فأدخلوها فى
أشعارهم ، وسلخوا معانيها ، وخاصة أبو نواس فإنه سلخ معانيه كلها فجعلها فى شعره ،
وكررهما فى عدة مواضع . ومن جَيِّد شعره قوله :

إِذَا لَمْ يَكُنْ خَيْرٌ مَعَ الشَّرِّ لَمْ تَجِدْ نَصِيحاً وَلَا إِذَا حَاجَةً حِينَ تَفْزَعُ
وَكَانُوا إِذَا هُمُ أَوْ يَأْخُذُ هُنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لَهُمْ رَأْسِي وَلَا أَتَقَنَّعُ
ومن نادر شعره قوله يخاطب هشاماً :

من شعره فى هشام

فَإِنْ تَكُ قَدْ مَلَيْتَ الْقُرْبَ مِنِّي فَسَوْفَ تَرَى مُجَانِبَتِي وَبُعْدِي
وَسَوْفَ تَلُومُ نَفْسَكَ إِنْ بَقِينَا وَتَبْلُو النَّاسَ وَالْإِخْوَانَ ^(١) بَعْدِي
فَتَنُودُ فِي الذِّى فَرَطْتَ فِيهِ إِذَا قَايَسْتَ فِي ذِمِّي وَحَمْدِي
وحكى الهيثم بن عمران قال : لما بويج الوليد بن يزيد سمعته يقول على المنبر :
ضَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَعْقُنِي ^(٢) مَنِيَّتِي بَأَنْ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلَعُ
وقيل : إنه كتب بذلك إلى أهل المدينة ، وهذا من أبيات أولها :

شعره لما بويج

أَلَا أَيُّهَا الرِّكْبُ الْمُخْبُونَ أبلغوا سَلَاحِي سُكَّانَ الْبِلَادِ فَاسْمِعُوا
ومنها :

وَقُولُوا أَنَا كَمْ أَشْبَهُ النَّاسَ سَنَةً بِوَالِدِهِ فَاسْتَبَشِرُوا وَتَوَقَّعُوا
سَيُوشِكُ الْخَلْقُ بِكُمْ وَزِيَادَةٌ وَأَعْطِيَةٌ تَأْتِي تَبَاعاً فَتُشْفَعُ
وقيل : لما ولى الوليد الخلافة بعث إلى جماعة من أهله ، فلما حضروا قال : أتدرون

(١) فى الأغاني : « الأحوال »

(٢) فى الأغاني : « لم ترعنى » .

لم دعوتكم؟ قالوا: لا. قال: ليقبل قائلكم. فقال رجل منهم: أردت يا أمير المؤمنين أن ترينا ما جدد الله عز وجل لك من نعمه وإحسانه. فقال: نعم، ولكني: أشهد الله والملائكة الأبـ رار والعابدين أهل الصّلاح أني أشتهي السّماع وشرب الـ كأس والعصّ للخدود الملاح والنديم الكريم والخادم الفا ره يسعى إلى بالأقداح قوموا إذا شئتم.

من شعره

قلت: ومن شعره:

أشربُ الرّاح وأهوى كلّ مضفور الدّوّابة
أنا للنّاس إمامٌ غير أني ذو صباة

غنت جارية
فاشترأها

وذُكر أنه عرضت على الوليد بن يزيد جارية صفراء كوفيّة مولدة، يقال لها: سعاد. فقال لها: أي شيء تحسّنين؟ قالت: أنا مُغنية. فقال لها: غني. فغنت:
لولا الذي حُمِلْتُ من حُبِّكم لكان في إظهاره مخرَجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فُسحة أَجَلٌ ومن حَبَّتْ له مَذْج
لكنّ سباني منكم شادنٌ مُرَبَّبٌ ذو غَنَّةٍ أدعج
أغرُّ ممكورٌ هَضِيم الحَشَى قد ضاق عنه الحِجْلُ والدُّمْلُج
فطرب طرباً شديداً، وقال: يا غلام، أسقني. فسقاه عشرين قدحاً، وهو يستعيدّها. ثم قال لها: لمن هذا الشعر؟ فقالت: للحارث بن خالد. فقال: ومن أخذته؟ قالت: من حنين. فقال: وأين لقيته؟ قالت: رُبِّيت بالعراق وكان أهلي يحيئون به فيطارحني. فدعا صاحبه وقال: أذهب فابتنعها بما بلغت ولا تراجعي في ثمنها. ففعل. ولم تزل حظيّة عنده.

شرب هو ومحمد بن
سليمان بجرن

وذُكر أنه في أيام الدولة العباسيّة خرج عبدُ الوهاب بن إبراهيم الإمام بن محمد ابن عليّ بن عبد الله بن العباس يوماً إلى بعض الدّيارات، فنزل فيه، وهو والـ

على الرملة . فسأل صاحب الدّير : هل نزل بك أحد من بنى أمية ؟ قال : نعم ،
نزل بي الوليد بن يزيد ، ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأى شيء صنعا ؟
قال : شربا . قال : أين شربا ؟ قال : في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في
آبئتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلم نشرب بهذا الجرن ^(١) — وأوماً إلى
جرن عظيم من رخام — قال : أفعل . فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى
ثملا . فقال عبد الوهاب لمولى له أسود : هاته . قال الراوى : فلقد رأيته ، وكان
يُوصف بالشدة ، فذهب يحركه فلم يقدر . فقال له الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانه
وكل واحد منهما يملؤه لصاحبه ، فيرفعه ويشربه غير مكثر .

طلاقه سعدة وهيامه
بأختها سلمى

ذكر أنه كانت تحت الوليد بن يزيد أم عبد الملك ، وأسمها سعدة بنت سعيد
ابن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فمرض سعيد ، وكان ذلك في حياة يزيد
ابن عبد الملك . فأتاه الوليد عائداً فدخل فلاح سلمى بنت سعيد ، أخت زوجته
سعدة ، فسترها حواضنها وأختها ، وقامت ففرعتن طولاً ، فوَقعتْ بقلب الوليد .
فلما مات يزيد طلق أم عبد الملك زوجته ، وخطب سلمى إلى أبيها ، وكانت لها
أخت يقال لها : أم عثمان ، تحت هشام بن عبد الملك ، فبعثت إلى أبيها : أتريد أن
تستفحل الوليد لبناتك ، يُطلق هذه وينكح هذه — وقيل : الذى بعث بذلك إلى
أبيها هشام — فلم يزوجه سعيد وردّه أقبح رد . وهويها الوليد ورام الشلو عنها ،
وكان يقول : العجب لسعيد ! خطبتُ إليه فردّنى ، ولو مات هشام ووليتُ لزوّجنى ،
وهى طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ ، وإن كنت أهواها .

أشعب بينه وبين
سعدة

وقيل : إنه لما طلق سعدة ندم على ذلك وعَمّه ، وكان لها من قلبه محلٌّ ، ولم
تحصل له سلمى ، فاعتمَ لذلك وجزع وراسل سعدة ، وقد كانت تزوّجت غيره ،
فلم ينتفع بذلك . فذكر أنه بعث إلى أشعب بعدما طلق امرأته ، فقال : يا أشعب ،

(١) الجرن : حجر منقور يصب فيه الماء فيتوضأ به .

لك عندى عشرة آلاف درهم على أن تبليغ رسالتى سعدة . فقال : أحضر العشرة
الآلاف درهم ، حتى أنظر إليها . فأحضرها الوليد . فوضعها أشعبُ على عنقه وقال :
هاتِ رسالتك يا أمير المؤمنين . فقال : قل لها : يقول لك أمير المؤمنين :

أَسْعِدُهُ هَلْ إِلَيْكَ لَنَا سَبِيلٌ وهل حتى القيامة من تلاقٍ
فَأَصْبَحَ شَامِتًا وَتَقَرَّرَ عَيْنِي ويُجْمَعُ شَمْلُنَا بَعْدَ افْتِرَاقِ

فأتى أشعبُ البابَ ، فأخبرتُ بمكانه ، فأمرتُ بفرشٍ لها ففرشتُ ، وجلستُ ،
فأذنتُ له . فلما دخل أنشدها ما أمره به . فقالت لخدمها : خذوا الفاسق . فقال :
يا سيدي ، إنها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لا أقتلنك أو تبليغه كما بلغتني .
قال : وما تهبين لى ؟ قالت : بساطى الذى تحى . قال : قومي عنه . فقامت عنه ،
فطواه ، ثم قال : هاتى رسالتك ، جعلتُ فداك . قالت : قل له :

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فقد ذهبتُ لبْنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعبُ فدخل على الوليد ، فقال : إيه . فأنشده البيت . فقال : أوّه ،
تقتلتني يا بن الزانية ! اختر : إما أن أدليكَ على رأسك منكساً فى بئر ، أو أرمى
بك منكساً من فوق القصر ، أو أضرب رأسك بعمودى هذا ضربةً ، هذا الذى
أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع . قال : ما كنت لتفعل شيئاً من ذلك .
قال : ولم يا بن الزانية ؟ قال : ما كنت لتعذب عينيّن نظرتا إلى سعدة . قال :
صدقت والله ، أفلتَ والله بهذا منى يا بن الزانية ، أخرج عني .

حيلته لرؤيته سلمى
وشعره فى ذلك

وذكر أن الوليد بن يزيد خرج يوماً يتوقع أن يرى سلمى أخت سعدة .
فلقية زيات معه حمار عليه زيت . فقال : هل لك أن تأخذ فرسى هذا وتُعطينى
حمارك وما عليه ، وتأخذ ثيابى وتُعطينى ثيابك ؟ ففعل الزيات ذلك . وجاء الوليدُ
وعليه الثياب ، وبين يديه الحمار يسوقه متنكراً ، حتى دخل قصر سعيد ، فنادى :

مَنْ يَشْتَرِي الزَّيْتَ؟ فَاطَّلَعَ بَعْضُ الْجَوَارِي فَرَأَيْنَهُ، فَدَخَلْنَ إِلَى سَلَمَى فَقُلْنَ لَهَا:
إِنْ بِالْبَابِ زِيَّاتًا أَشْبَهَ النَّاسَ بِالْوَلِيدِ، فَأُخْرِجِي فَاَنْظُرِي إِلَيْهِ. فَخَرَجَتْ فَرَأَتْهُ وَرَأَاهَا،
فَرَجَعَتْ الْقَهْمَقَرَى وَقَالَتْ: هُوَ وَاللَّهِ الْفَاسِقُ الْوَلِيدُ! وَقَدْ رَأَيْتِي. فَقُلْنَ لَهُ: لَا حَاجَةَ
بِنَا إِلَى زَيْتِكَ. فَانصَرَفَ الْوَلِيدُ وَقَالَ:

إِنِّي أَبْصَرْتُ^(١) شَخْصًا حَسَنَ الْوَجْهِ مَلِيحٍ
وَلِبَاسِي ثَوْبٌ^(٢) شَيْخٍ مِنْ عَبَاءٍ وَمُسُوحٍ
وَأُيْسِعُ الزَّيْتَ بَيْعًا خَاسِرًا غَيْرَ رَيْحٍ
وَقَالَ أَيْضًا:

فَمَا مِسْكٌ يُعَلِّ بَزَنْجِيلٍ وَلَا عَسَلٌ بِالْبَلَانِ اللَّقَّاحِ
بِأَشْهَى مِنْ مُجَاجَةٍ رَيْقٍ سَلَمَى وَلَا مَافِي الزَّقَّاقِ مِنَ الْقَرَّاحِ
وَلَا وَاللَّهِ مَا أَنْسَى حَيَاتِي وَثَاقَ الْبَابِ دُونِي وَاطَّرَاحِي

فلما ولى الخِلافةَ أَحْضَرَ الْمُغْنِينَ، فَخَضَرُوهُ، وَفِيهِمْ مَعْبِدُ وَابْنُ عَائِشَةَ وَذَوُوهَا،
فَقَالَ لِأَبْنِ عَائِشَةَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنْ غَنَيْتَنِي صَوْتَيْنِ فِي نَفْسِي فَلَكَ عِنْدِي مِائَةُ أَلْفِ
دِرْهَمٍ. فَعَنَاهُ:

* إِنِّي أَبْصَرْتُ شَخْصًا *

وَعَنَاهُ:

* فَمَا مِسْكٌ يُعَلِّ بَزَنْجِيلٍ * الأبيات

فَقَالَ الْوَلِيدُ: وَاللَّهِ مَا عَدَوْتُ مَا فِي نَفْسِي، وَأَمْرٌ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ وَالْطَّافِ
وَالْخَلِيعِ، وَأَمْرٌ لِسَائِرِ الْمُغْنِينَ بِدُونِ ذَلِكَ.

(١) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي: «شَيْخًا» مَكَانَ «شَخْصًا»

(٢) فِي الْأَصْلِ: «سَوْءٌ» مَكَانَ «شَيْخٍ».

زواجه بسلي
وموتها وشعره في
رثائها

وذكر أنه لما طال بالوليد ما به ، كتب إلى أبيها سعيد :

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيب الرُّشد في صلتى هُدَيْتَا
فأشكر منك ما تُسدى^(١) وتُحيي أبا عثمان مَيْتَةً ومَيْتَا

فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولى الخلافة ، فلما وليها زوجه إياها . فلم تلبث معه إلا
مدة يسيرة حتى ماتت . وقال في ليلة زفافها إليه :

خف من دار جِرتي يا بن داود أنسُها
وهي طويّلة ، يقول فيها :

أولا تخرج العر وس فقد طال حبسُها
قد بدا الصبحُ أودنا وهى لم يُقْض لُبسُها
برزت كالهلّال في ليلة غاب نَحْسُها
بين خمس نواعيم أكرمُ الجنس^(٢) جنسُها

وقيل :

كانت مدة مقامها عنده أربعين يوماً ، ثم ماتت . فقال يرثيها :

ألمّا تعلمنا سألَى أقامت مُضْمَنَةً من الصِّحراء لَحْدَا
لعمرك يا وليدُ لقد أجنّوا بها حَسَبًا ومكرُمة ومجْدَا
ووجهًا كان يقصر عن مداه شعاع الشمس أهلاً أن يُفدَى
فلم أرَ مَيْتَةً أبكى^(٣) لعَيْنٍ وأكثَر جازعاً وأجلَّ فَقْدَا
وأجدر أن تُرى ملكاً^(٤) لديه يُريك جَلادَةً ويُسرَّ وَجْدَا

(١) في الأصل : « ما تهدي » مكان « ما تسدى » .

(٢) في الأغاني : « كواعب » أكرم الجنس .

(٣) في الأصل : « لعيني » .

(٤) في الأغاني : « وأجدر أن تكون لديه ملكاً » .

شعره في سلمى

وللوليد بن يزيد في سلمى هذه أشعار كثيرة ، منها قوله :

أَسْقِنِي يَا بْنَ سَلَمٍ قَدْ أَنَارَا كَوَكْبُ الصُّبْحِ وَأَنْجَلِي وَأَسْتَنَارَا
أَسْقِنِي مِنْ سُلَافِ رَيْقِ سُلَيْمِي وَأَسْقِ هَذَا النَّدِيمَ كَأَسَا عُقَارَا
وقوله :

قَدْ تَمَنَّى مَعَشَرٌ إِذْ أَطْرَبُوا مِنْ عُقَارٍ وَسَوَامٍ وَذَهَبٍ
ثُمَّ قَالُوا لِي تَمَنَّهُ ^(١) نَسْتَمِعُ كَيْفَ تَنْحُو فِي الْأَمَانِي وَالطَّلَبِ
فَتَمَنَيْتُ سُلَيْمِي إِنَّهَا بِنْتُ عَمِّي مِنْ لَهَا مِمِ الْعَرَبِ
وحكى أبو الفرج عن الوليد أنواعاً من السخف والتهتك ، فكرهت ذكره
لفرط قبحه ، والغالب على الظن عدم صحة أكثره .

من تهتكه

وحكى أنه واقع جارية من جواريه وهو سكران ، فلما فرغ منها آذنه المؤمن
بالصلاة ، فحلف ألا يصلى بالناس غيرها . فخرجت وهى متلثمة فصلت بالناس .

مع ابن الزندبود

وذكر أنه بعث الوليد بن يزيد إلى شراعة بن الزندبود ^(٢) . فلما قدم عليه
قال : يا شراعة ، إني لم أحضرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيك في الفقه ، ولا
لتحدثني ولا لتقرئني القرآن . فقال له شراعة : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه
حماراً . قال : كيف علمك بالفتوة ؟ قال : أبني بجدتها ، وعلى الخبير بها سقطت ،
فسل عما شئت . قال : كيف علمك بالأشربة ؟ قال : يسألني أمير المؤمنين عما أحب .
قال : ما قولك في الماء ؟ قال : هو الحياة ويشركني فيه الحمار . قال : فالبن ؟ قال :
ما رأيته قط إلا ذكرت أمي فاستحييت . قال : فالنحر ؟ قال : تلك السارة البارّة ،
وشراب أهل الجنة . قال : لله دَرُك ! قال : فأى شيء أحسن ما يشرب عليه ؟

(١) في الأغاني : « تمن واستمع » .

(٢) كان من المجان الندماء .

قال : عجبت لمن قدر أن يشرب على وجه السماء في كن من القر والحر كيف يختار عليها شيئاً !

وحكى أبو الفرج عنه ما لو صحَّ كان محكوماً بكفره . وغالب ظني عدم صحته ، هو والمصحف لكنه مشهور عند أهل الأخبار ، وهو :

أن الوليد دعا ذات ليلة بمُصحف ، فلما فتحه صادف ورقة فيها :
(وأستفتحوا وخاب كلُّ جبارٍ عنيد . من وراءه جهنم ويُسقى من ماء صديد .)

فقال : أسجعا ! سجعاً ! علَّقه . ثم أخذ القوس والنبل فرماه حتى مرَّقه ، ثم قال :

أتوعد كلَّ جبارٍ عنيد فهذا أنا ذاك جبارٍ عنيدُ
إذا ما جئتُ^(١) ربَّك يومَ حشرٍ قُلْ يا ربِّ^(٢) مرَّقي الوليدُ
وما لبث بعد ذلك إلا قليلاً حتى قُتل .

وذكر أن الوليد بن يزيد كان يُنادم رجلاً يقال له : القاسم بن الطويل هو والقاسم ابن الطويل العبادي ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه . فغناه معبد ذات يوم بشعر عدي بن زيد العبادي :

بكر العاذلون في وضح الصُّبح يقولون لي ألا تستفيقُ
فأستحسنه الوليد وأعجب به وطرب عليه ، وجعل يشرب إلى أن غلب عليه
السكر ، فنام في موضعه ، وأنصرف ابنُ الطويل . فلما أفاق الوليدُ سأل عنه ،
فعرَّف خبر أنصرافه . فغضب وقال وهو سكران لعلام كان واقفاً على رأسه ،

(١) في رواية : « لا قيت » .

(٢) في رواية : « لله » .

يقال له : سَبْرَةٌ : اثنتى برأسه . فمَضَى الغلامُ حتى ضَرَبَ عُنُقَهُ . وأتاه برأسه .
فجعله في طَسْتٍ بين يديه . فلما رآه أنكره ، وسأل عن الخبر فعرّفه ، فاسترجع
وندَمَ على ما فرط منه ، وجعل يُقَلِّبُ الرأسَ بيديه ويبيكي ، ثم قال يرثيه :

عَيْنِي لِلْحَدَثِ الْجَلِيلِ جُودًا بِأَرْبَعَةٍ ^(١) هُمُولِ
جُودًا بَدَمَعَ إِنَّهُ يَشْفِي الْقُوَادَ مِنَ الْغَلِيلِ
لِلَّهِ قَبْرٌ ضُمَّتْ فِيهِ عِظَامُ ابْنِ الطَّوِيلِ
مَاذَا تَضْمِنُ إِذْ تَوَى فِيهِ مِنَ اللَّبِّ الْأَصِيلِ
قَدْ كُنْتُ آوَى مِنْ هَوَا لَكَ إِلَى ذُرَى كَهْفٍ ظَلِيلِ
أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ وَاحِدًا فَرْدًا بِمَدْرَجَةِ السُّيُولِ

ثم دخل على جواريه فقال : ما أبالي متى جاءني الموت بعد ابن الطويل .
فيقال : إنه لم يعش بعده إلا مُدِيْدَةً ، ثم قُتِلَ .

ذكر مقتل الوليد بن يزيد

لما أعلن الوليد بالفسق والفجور ، وبالغ في التهتك وزاد على من تقدمه في ذلك ،
وباع لولديه عُثْمَانَ والحكم بولاية العهد بعده ، ولم يبلغا الحُلُمَ ، وبَسَطَ المَكْرُوهَ
على أولاد عمّيه : الوليد ، وهشام ، أبني عبد الملك ، وأفرط في ضلاله وغيّه ، ملّه
الناسُ عامةً ، وبنو أمية خاصة ، وكرهوا دولته وسئموا أيامه ، فمَشَى بعضهم إلى
بعض في خلعه . وكان أقواهم في ذلك يزيدُ الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن
مروان ، فمَشَى إلى أخيه العباس بن الوليد ، وكان أصرأ صدق ، ولم يكن في
بنى أمية مثله ، فشكا إليه ما يجري على الناس من الوليد . فقال له : يا أخي ، إن
الناس قد ملّوا بني مروان ، فإن مَشَى بعضكم في أمر بعض أكلتم ، وللرجل أجلٌ

يزيد الناقص
والعباس بن الوليد
في شأنه

(١) يعني : الحافظين والموقنين .

لا بُدَّ أن يبلغه ، فانتظره . فخرج من عنده ومشي إلى غيره ، فبايعه جماعة من
اليمانية الوجوه . فعاد إلى أخيه العباس وأعاد عليه القول ، وعرض له بأنه قد دُعي
له بالخلافة . فقال : والله لولا أنني لا آمنه عليك ، لما أعلمه من تخليطه ^(١) ،
لوجهتك الساعة إليه مشدوداً ، فنشدتك الله ألا تسعى في شيء من هذا .
فأنصرف من عنده وجعل يدعو الناس إلى نفسه .

وذكر أن يزيد بن الوليد الناقص دخل هو وأخوه بشر على أخيهما العباس
ابن الوليد ، وأخذوا يقعان في الوليد ويحرّضان أحاهما العباس في خلعه ، فأبى ذلك
عليهما وقال : يا بني مروان ، أظن أن الله جلّ وعزّ قد أذن في هلاككم ،
ثم قال :

إني أعيدكم بالله من فتنٍ مثل الجبال تسامى ثم تندفعُ
إنّ البرية قد ملّت سياستكم فأستمسكوا بعمود الدين وأرندعوا
لا تلحمن ^(٢) ذئاب الناس أنفسكم إن الذئاب إذا ما ألحمت رنعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فتمّ لا حيلة ^(٣) تُغني ولا جزع

اجتماع الأمر
ليزيد الناقص

فلما استجمع يزيد الناقص أمره ، وهو مُتَبَدِّ ، أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه
الذي كان فيه وبين دمشق أربع ليالٍ ، فأقبل متنكراً في سبعة أنفس على حُرٍّ ،
وقد بايع له أكثر أهل دمشق وبايع له أهل المزة .

فذكر مولى لعباد بن زياد ، قال : إني لبيجروود ، وبين جرود ودمشق
مرحلة ، إذ طلع علينا سبعة مُعْتَمُون على حُرٍّ ، فنزلوا ، وفيهم رجلٌ طويل
جسيم ، فرمى بنفسه فنام ، فألقوا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء تشتريه

(١) في الأغاني : « لا آمنه عليك من تحامله » .

(٢) أي لا تطعن لحكم ذئاب الناس .

(٣) في الأغاني : « لا فدية » .

من الطعام ؟ فقلت : أما بيعٌ فلا ، وعندى من قِراكم ما يُشبعكم . قالوا : عجّله . فذبحتُ لهم دجاجاً وفِراخاً ، وأتيتهم بما حَضَر من عَسَل و سَمْن ، وقلتُ لهم : أيقظوا صاحبكم للغداء . فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل . فسَفَرُوا للغداء ، فعرفتُ بعضهم ، وسَفَرَ النَّائِم ، فإذا هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فعرفته ، فلم يكلمنى . ومضوا فى نَفَر من أصحابهم مُشاةً إلى معاوية بن مَصاد ، وهو بالزَّوْء ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطرٌ شديد ، فأتوا منزلَ معاوية بن مَصاد ، فضرَبوا بابَهُ وقالوا : يزيد بن الوليد . فدخلوا . فقال معاوية : الفِراش ، ادخل أصلحك الله . فقال : فى رجلٍ طين وأخاف أن أفسد عليك بساطك . فقال : ما تُريدنى عليه أفسدُ . فمشى على البساط وجلس على الفراش . ثم كَلَّمَ معاويةَ بن مَصاد ، فباعه . ثم خرج يزيد إلى دمشق فدخلها ، ونَزَلَ دارَ ثابت بن سُلَيان الحِسنى ، وعلى دمشق ، من قبل الوليد بن يزيد عبدُ الملك ، محمدُ بن الحجاج بن يوسف ، وكان خرج منها خوفاً من الوباء فنزلَ قَطَنًا ، وأستخلف ابنه على دمشق . وعلى شَرَطته أبو العاج كثيرُ بن عبد الله السُّلمى . وأَجْمَعَ يزيد على الظُّهُور وقد تمَّ أمره . وقيل لعامل دمشق : إن يزيد خارج فلم يُصدق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ، من ليلة الجمعة من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فكَمَنُوا فى مِيضَاةٍ عند باب الفَراديس ، ^(١) حتى إذا أُذِنُوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد على الناس فصلُّوا ، وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلُوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ، فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحب المسجد الأبواب ، ودخل الدارَ من بابِ القَصُورة ، فدفع المفاتيح إلى من يحفظها ويخرج . فلما صَلَّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يُخرجونهم من باب ويدخلون من باب ، حتى لم يبق فى المسجد إلا الحرسُ وأصحاب يزيد ، فأخذوا

(١) من أبواب دمشق .

الحرس . ومضى يزيد بن عنبسة إلى يزيد الناقص فأخبره وأخذ بيده وقال : قُم يا أمير المؤمنين وأبشر بعون الله تعالى ونصره . فأقبل في أئني عشر رجلاً . فلما كانوا عند سوق القمح لحقهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضوا حتى دخلوا المسجد ، وأنوا باب المقصورة فقالوا : نحن رسل الوليد . ففتح لهم الخادم الباب ، فدخلوا وأخذوا الخادم ، فإذا أبو العاج خليفة عامل البلد سكران ، فأخذوه وأخذوا خزان بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كل من كان يحذره فأخذه ، وأرسل من ليلته إلى محمد بن عبيدة ، مولى سعيد بن العاص ، وهو والي بعلبك ، وإلى عبد الملك بن محمد ، عامل دمشق ، فأخذهما ، وبعث أصحابه إلى الخشبية^(١) فأتوه . وقال للبوابين : لا تفتحوا الباب غدوة إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا — للشعار الذى بينهم — فتركوا الأبواب فى السلاسل . وكان فى المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخزان قبضوه ، فأخذوه وأصبحوا ، وقد جاء أهل المزة مع حريث بن أبي الجهم ، فما أتتصف النهار حتى بايع الناس يزيد ، وهو يتمثل بقول النابغة :

إذا استنزُّوا عنهنَّ للطعن أرقلوا إلى الموت إرقالَ الجمال المصاعِبِ

فجعل أصحابه يتعجبون ويقولون : انظروا إلى هذا ، كان قبيل الصبح يُسبح ، وهو الآن يُنشد الشعر . ثم أمر يزيد الناقص ابن عمه عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك بن مروان ، فوقف بباب الجابية فنادى : ألا من كان له عطاء فليأت إلى عطائه ، ومن لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة . فبايع له الناس ، وأمر بالعطاء . ونَدب الناس إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، ونادى مُناديه : من سارع مع عبد العزيز فله ألفان . فأُتدب ألفا رجل . فأعطاهم

(١) أصحاب المختار بن أبي عبيد .

وقال : موعدكم ذنبه^(١) . فوافها ألف ومائتا رجل . فقال : ميعادكم مصنعة بالبرية ، وهي لبني عبد العزيز بن الوليد . فوافاه ثمانمائة رجل . فسار فوافاهم ثقل^(٢) الوليد فأخذوه . وتقدم عبد العزيز بن الحجاج فيمن معه حتى نزلوا قريباً من الوليد وهو بقصره ، بموضع يقال له : البخراء ، بالبرية . فقال الوليد : أخرجوا إلى سريراً . فأخرجوه ، فصعد عليه ، وأتاه خبر^(٣) العباس بن الوليد : إني أجيئك . وأتى الوليد بفرسين يقال لهما : الذائد والسندی . وقال : أعلّ يَتَوَاتِبُ الرجالُ وأنا أثب على الأسد وأعض^(٤) الأفاعي . وهم ينتظرون العباس أن يأتيهم . فلم يكن بينهم كبير قتال . فقتل عثمان الخشي^(٥) . وكان من أولاد الخشبية الذين كانوا مع المختار . وبلغ عبد العزيز بن الحجاج أن العباس بن الوليد يأتي الوليد ، فأرسل منصور بن جهمور في جريدة خيل ، فقال : إنكم تلقون العباس بن الوليد ، ومعه بنوه بالشعب ، فخذوه . فخرج منصور في تلك الخيل وتقدموا إلى الشعب ، فإذا العباس ومعه ثلاثون قد تقدموا أصحابه . فقالوا له : أعذل إلى عبد العزيز . فشتّمهم . فقال له منصور : والله لمن تقدمت لأنفذن حصينك^(٦) بالرّمح . فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايع لي زيد . فبايع ووقف ، ونصبت راية ، وقالوا : هذا العباس قد بايع . ونادى مُنادى عبد العزيز : مَنْ لَحِقَ بالعباس بن الوليد فهو آمِن . فقال العباس : خُدعة من خُدع الشيطان . إنا لله ! هلك والله بنو مروان : ففترّق الناس عن الوليد وأتوا العباس . وظاهر الوليد في

(١) من أعمال دمشق .

(٢) الثقل : المتاع .

(٣) في الأصل : « رسول » .

(٤) في الطبري : « أتخصر » . والتخصر : الإمساك بالمخصرة . وهي العصا . يريد أنه يقبض

عليها بيديه كما يقبض على المخصرة .

(٥) في الأصل : « يزيد بن عثمان » . « والتصويب من الطبري » .

(٦) يريد : درعه .

درعين وقتلهم ، ونادى الوليد : من جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم . فجاء جماعةٌ بعدة رءوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم . فقال له رجلٌ من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يُعمل ^(١) فيه بنسيئة . وناداهم رجالٌ : اقتلوا اللوطيَّ ، قتلة قوم لوط . فرمَوْه بالحجارة . فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق بابه ، وقال :

دَعُوا لِي سُلَيْمِي وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةَ وَكَأْسًا أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَالًا
إِذَا مَا صَفَا عَيْشُ بَرْمَلَةَ عَالِجٍ وَعَاقَتْ سَلَمَى لَا أُرِيدُ بَدَالًا
خُذُوا مُلْكَكُمْ لَا تَبْتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يُسَاوِي مَا حَيْثُ عَقَالًا

ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنني بهذا الشعر . فغناه به . وأحاط الجند بالقصر ، فقال لهم الوليد من وراء الباب : أما منكم رجلٌ شريفٌ له حسبٌ وحياءٌ أكلمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السكاسكي : كلمني . فقال الوليد : يا أخا السكاسك ، ما تنعمون مني ؟ ألم أزد في أعطياتكم وأعطية فقرائكم ، وأخدمتُ زَمَنًا كم ، ورَفَعْتُ ^(٢) عنكم المون ؟ قال : ما ننقم عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن ننقم عليك أنتهاك ما حرَّم الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أهلك ، وأستخفافك بأمر الله عز وجل . فقال : حسبك يا أخا السكاسك ، فلعمري لقد أغرقتَ وأكثرتَ ، وإن فيما أحل الله سبحانه لسعةً عما ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يوم كيوم عثمان . ونشر المصحف يقرأ . فعلاوا الحائط ، وكان أول من علاه يزيد بن عنبسة . فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه . فقال له يزيد : نَحَّ سيفك . فقال له الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غير هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامر فيه . فنزل من الحائط عشرةً ، منهم : منصور بن مَجْهُور ، وعبد الرحمن بن رواحة ^(٣) مولى يزيد بن عبد

(١) في الأغاني : « يعامل » .

(٢) في الأغاني : « دفع » .

(٣) في الطبري : « عبد الرحمن بن عجلان » . وفي الأغاني : « عبد الرحمن وقيس مولى ... الخ » .

الملك ، والسريّ بن زياد بن أبي كبشة . فضربه عبد الرحمن بن رواحة على رأسه ضربةً ، وضربه السريّ بن زياد على وجهه ضربة ، وجروّوه بين خمسة ليُخرجوه . فصاحت امرأة كانت في الدار ، فكفّوا عنه فلم يخرجوه . واحتز رأسه أبو علاقة القُضاعي ، وخاط الضربة التي في وجهه بالعقب ^(١) . وقدم بالرأس على يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وهو بدمشق ، رُوّح بن مُقبل ، فقال : أبشري يا أمير المؤمنين . بقتل الفاسق . فأحسن صلته .

ولما قُتل الوليدُ جعل أبو محجن ، مولى خالد القسريّ ، يُدخل سيفه في إستـ الوليد وهو مقتول . وجاء يزيد بن خالد القسريّ فضربه تسع ضربات وهو مقتول .

تمثيلهم به بعد موته

وحكى عمر الوادي قال :

عمر الوادي ساعة مقتله

كنت أغنى الوليد :

كذبتك عينك ^(٢) أم رأيتَ بواسطٍ غَلَسَ الظلام من الرباب خيالاً
فما أتممتُ الصوت حتى رأيتُ رأسه فارق جَسده .

قيل :

ابنا الوليد يزيد ابن هشام

وكان عثمان ، والحكم ، أبنا الوليد بن يزيد ، قد بايعهما الوليدُ بالعهد بعده . فلما قُتل الوليد وأفضت الخلافةُ إلى ابن عمّه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، أخذها فحبسهما في الخُضراء ^(٣) . فدَخَلَ عليهما يزيد بن هشام بن عبد الملك ، المعروف بالأفقم ، فجعل يشتمُ أباهما الوليد ، وكان قد ضربه وحلقه . فبكى الحكمُ . فقال له أخوه عثمان : أسكت يا أخي ، وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبي ! قال : نعم . قال :

(١) العقب : العصب تعمل منه الأوتار .

(٢) في الأغاني : « نفسك » . (٣) لعله : موضع بالشام .

لكني لا أشتم عمي هشاماً ، ووالله لو كنت من بني مروان ما شتمت أحداً منهم . فانظر إلى وجهك ، فإن كنت رأيت حكيمياً ^(١) يشبهك فأنت منهم . لا والله ، ما في الأرض حكيمٍ يشبهك .

وذكر أن أبنأ للغمر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال له : ممن أنت ؟ قال : من قريش . قال : من أيها ؟ فأمسك . قال : قل وأنت آمن ، ولو أنك مرواني . قال : أنا أبن الغمر بن يزيد . قال : رحم الله عمك ولعن يزيد الناقص وقتله عمك جميعاً ، فإنهم قتلوا خليفة مجمعا عليه ! أرفع إلى حوائجك ، ففضاها .

المهدي وابن علانة
في شأن الوليد
ابن يزيد

وذكر شيب بن شيبَةَ قال :

كنّا جلوساً عند المهديّ ، فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهدي : إني لأحسبه زنديقاً . فقال ابن علانة الفقيه : يا أمير المؤمنين ، الله أعظم وأجلُّ من أن يؤلّى خلافة النبوة وأمر الأمة من لا يؤمن به ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصلاته ، وحدثني أنه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مطيبة ومُصبغة ويتوضأ فيحسن الوضوء ، ويؤتي بثياب بيض نظاف من ثياب الخلافة ، فيصلّي فيها أحسن صلاة ، وأحسن سكوت وسكون ورُكوع وسُجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوهِ ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله تعالى ؟ فقال المهدي : صدقت ، بارك الله عليك يا ابن علانة .

قلت : إن ملك بني أمية اضطرب بقتل الوليد ، وإن يزيد لما بُوع له لم يلبث في الخلافة إلا ستة أشهر . وكان مروان بالجزيرة ، فعصى عليه ولم يُبايع له . وتوفي يزيد في هذه السنة - أعنى سنة سبع وعشرين ومائة - وكان يلقب بالناقص ،

(١) نسبة إلى حكم بن أبي العاص والد مروان ، رأس هذه الأسرة .

لأنه نَقَصَ الجند أعطيتهم فلقَّبَ بذلك . و بُويع بالخلافة أخوه إبراهيم بن الوليد ، وكان ضعيفاً ، تارةً يُسَلَّمُ عليه بالخلافة ، وتارةً بالإمرة ، وتارةً بأسمه . فمكث ثلاثة أشهر والدنيا مضطربة عليه . وقصده مروان بن محمد الملقَّبَ بالحمار ، وبعث إبراهيمُ ومن معه إلى الغُلامين - ولدى الوليد - من قتلها في الحبس . وفى ذلك يقول ابن أبي عَقب ، صاحب الملاحم :

إذا قُتِلَ الخَلَفُ المَدِيمُ لِسِكره بقفر من البَخْرَاءِ ^(١) أسَّسَ فى الرَّمْلِ
وسيق بلا جُرْمٍ إلى الخَنْفِ والرَّدَى بُنياء حتى يذُبَّحاً مَذْبَحِ ^(٢) السَّخْلِ
فويح ^(٣) بنى مروان مما أصابهم بأيدي بنى العباس بالأسروالقتل

ودخل مروان دمشق فبويع له بالخلافة ، وخلع إبراهيم ، وبقى إبراهيم إلى وقعة الزاب ففرق في الزاب لما أنهزم مروان من بنى العباس . وزال ملك بنى أمية ، وجرى عليهم من بنى العباس ما تقدم ذكره .

* * *

ثم ذكر أبو الفرج عُمر بن داود الوادى ، وهو من موالى عمرو بن عثمان بن عفان . ونسبته إلى وادى القرى . وكان مُحْتَصِماً بالوليد بن يزيد ، ولم يزل يُطْرِبُه ويُغْنِيهِ إلى أن قُتِلَ .

عمر الوادى

ثم ذكر أبا كامل المغنى . وأسمه الغزِيلُ ، مولى الوليد بن يزيد . وكان مُغْنِياً مُحْسِناً وطيباً مُضْحِكاً . لم يُسْمَعْ له بخبر بعد بنى أمية . ولعله مات فى أيامهم ، أو قُتِلَ معهم . ولم أختر لهذين خبراً فأذكره .

أبو كامل المغنى

(١) البخراء : بالشام .

(٢) السخل : جمع سخله ، وهى ولد الشاة ، من المعز والضأن ، ذكر أكان أو أنثى .

(٣) فى الأغاني : « فويل » .

أخبار يزيد بن ضبة

وأسم أبيه مقسم . وضبة أمه غلبت على نَسبه ، لأن أباه مات وخلفه صغيراً . نسبه وولاه . وكانت أمه تحضن أولاد المغيرة بن شعبة ، ثم أولاد ابنه عروة بن المغيرة ، فكان يُنسب إليها يزيد لشهرتها ، أيامئذ . وولاه لبني مالك بن حطيظ .

هو بين ولاية
هشام والوليد

وكان يزيد بن ضبة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه يزيد بن عبد الملك ، فلما أفضت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك دخل إليه يزيد بن ضبة مُهنئاً بالخلافة ، فلما أَسْتَقَرَّ به المجلس ، ووصلت إليه الوفود ، وقامت الخطباء تُثني عليه ، والشعراء تمدحه ، مثل يزيد بن ضبة بين السَّماطين فأستأذنه في الإنشاد . فلم يأذن له ، وقال : عليك بالوليد فأمدحه وأنشده . وأمر بإخراجه . فبلغ الوليد خبره ، فبعث إليه بخمسمائة دينار وقال له : لو أمنتُ عليك هشاماً لما فارقتني ، ولكن أخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ، فقد سوَّغتُك جميع غلَّتِه ، ومهما أحتجت إليه من شيء بعد ذلك فالتمسهُ مِنِّي . فخرج إلى الطائف ، فلم يزل مُقيماً بها إلى أن مات هشام ، وولى الوليد بن يزيد الخلافة ، فوفد عليه . فلما دخل عليه والناس بين يديه جلوسٌ ووقوفٌ على مراتبهم ، سلم عليه وهنَّاه بالخلافة . فأدناه الوليد وضَمَّه إليه ، وقبَّل ابنُ ضبة رجلَه والأرض بين يديه . فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحوال لصُحبته إياي ، وأقطعاه إلى . فأستأذنه يزيدُ في الإنشاد ، وقال : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذي أمرني ^(١) عمُّك هشام بالإنشاد فيه ، قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذن له . فأنشده قصيدةً ، أولها :

(١) في الأغاني : « نهاني »

سَلِمَى تِلْكَ فِي الْعِيرِ قَفِي أَخْبِرْكَ^(١) أَوْ سِيرِي
إِذَا مَا بِنْتٍ لَمْ تَأْوِي لَصَبَّ الْقَلْبَ مَغْمُورِ

يقول في مديحها :

وَيُعْطَى الذَّهَبَ الْأَحْمَرُ رَوْزَنَا بِالْقَنَاظِيرِ
بَلَوْنَاهُ فَأَحْمَدْنَا هَفِي عُسْرٍ وَمَيْسُورِ
كَرِيمُ الْعُودِ وَالْعُنْصِ رَعْمَرٌ غَيْرُ مَنُورِ
إِمَامٌ يُوضِحُ الْحَقَّ لَهُ نُورٌ عَلَى نُورِ
بِأَحْكَامٍ وَإِخْلَاصٍ وَتَقْهِيمٍ وَتَحْذِيرِ

فَأَمَرَ الْوَلِيدُ بَعْدَ آيَاتِ الْقَصِيدَةِ وَيُعْطَى لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ . فَكَانَتْ
خَمْسِينَ بَيْتًا ، فَأُعْطِيَ خَمْسِينَ أَلْفًا .

وَكَانَ أَوَّلَ خَلِيفَةِ عَدَا آيَاتِ الشَّعْرِ فَأُعْطِيَ عَلَى عَدْدِهَا بِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ ،
ثُمَّ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ بَعْدَهُ أَحَدٌ إِلَّا هَارُونَ الرَّشِيدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَهُ خَبْرُ يَزِيدَ بْنِ ضَبَّةَ مَعَ
الْوَلِيدِ ، فَأُعْطِيَ مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ وَمَنْصُورَ النَّمَرِيِّ ، لَمَّا مَدَحَاهُ وَهَجَّوْا آلَ
أَبِي طَالِبٍ ، لِكُلِّ بَيْتٍ أَلْفُ دِرْهَمٍ .

* * *

اسماعيل بن الهربذ ثم ذكر أبو الفرج: إسماعيل بن الهربذ ، مولى آل الزبير بن العوام ، وكان مُغَنِّيًا ،
غَنَّى الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ ، وَعُمَرَ إِلَى أَيَّامِ الرَّشِيدِ وَغَنَاهُ ، وَلَمْ أَخْتَرْ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِهِ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « أَسْأَلُكَ » .

أخبار نابغة بني شيبان

وهو عبد الله بن المخارق بن سليم بن حصرة بن قيس بن سنان بن حماد
ابن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن
صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعَمَى بن
جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار .

شاعر بدوي من شعراء الدولة الأموية . وكان يفد إلى الشام إلى خلفاء بني
أمية فيمدحهم ويُحزلون عطاءه .

قال أبو الفرج :
وكان فيما أرى نصرانيًا ، لأني وجدته في شعره يحلف بالإنجيل والرهبان
والإيمان التي يحلف بها النصارى .

ومدح عبد الملك بن مروان ، وولده ، وولد ولده ^(١) . وله في الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك مدائح كثيرة .

وذُكر أن عبد الملك بن مروان لما همَّ بخلع أخيه عبد العزيز من ولاية
عَهده ونقل ذلك إلى ولده الوليد بن عبد الملك ، وكان نابغة بني شيبان مداحًا
لعبد الملك ومتقطعًا إليه ، دخل إليه في يومٍ حَفَل بالناس والناسُ حواليه ، وولده
قُدَّامه ، فمثل بين يديه وأَشده قوله :

أَشْتَقَتْ وَأَهْلَ دَمْعُ عَيْنِكَ أَنْ أَضْحَى قِفَارًا مِنْ أَهْلِهِ ^(٢) طَلَحُ
أَزْحَتْ عَنَّا آلَ الزُّبَيْرِ فَلَوْ كَانُوا هُمُ الْمَالِكِينَ مَا صَلَّحُوا

(١) في الأغاني : « ومدح عبد الملك بن مروان ومن بعده من ولده » .

(٢) طلع : موضع دون الطائف .

إِنْ تَلَقَّ بَلَوَى فَأَنْتَ مُصْطَبِرٌ وَإِنْ تُلَاقِ النَّعْمَى فَلَا فَرَحَ
 أَلْ أَبَى الْعَاصِ أَهْلُ مَأْثَرَةٍ غُرَّتْ عِتَاقُهُ بِالْخَيْرِ قَدْ نَفَحُوا
 خَيْرُ قُرَيْشٍ وَهُمْ أَفْضَلُهَا فِي الْجِدِّ جِدٌّ وَإِنْ هُمْ مَرَحُوا
 أَرْحَبُهَا أَذْرُعًا وَأَصْبَرُهَا أَنْتُمْ إِذَا الْقَوْمُ فِي الْوَعَى كَلَّحُوا
 أَمَّا قُرَيْشٌ فَأَنْتَ وَارِثُهَا تَكْفٌ مِنْ شَغْبِهِمْ ^(١) إِذَا طَمَحُوا
 حَفِظْتَ مَا صَيَّعُوا وَزَنَدَهُمْ أَوْرَيْتَ إِنْ أَضْلَدُوا ^(٢) وَقَدْ قَدَحُوا
 آلَيْتُ جَهْدًا وَصَادِقٌ قَسَمِي بَرٌّ عَبْدٌ لِلَّهِ ^(٣) يَنْتَصِحُ
 لَأَبْنُكَ أَوْلَى بِمُلْكٍ وَاللَّهِ وَنَجْمٌ مِنْ قَدْ عَصَاكَ مُطَّرَحُ
 دَاوُدَ عَدْلٌ فَأَحْكَمْ بِسِيرَتِهِ ثُمَّ ابْنُ حَرْبٍ فَأَيُّهُمْ نَصَحُوا
 وَهُمْ خِيَارٌ فَأَعْمَلْ بِسُنَّتِهِمْ وَأَخَى بَخِيرٍ وَكَدَحٍ كَمَا كَدَحُوا
 فَتَبَسَّ عِبْدُ الْمَلِكِ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ بِإِقْرَارٍ ^(٤) وَلَا دَفْعٍ . فَعَلِمَ النَّاسُ أَنَّ رَأْيَهُ
 خَلَعَ عَبْدُ الْعَزِيزِ أَخِيهِ . وَبَلَغَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَوْلُ النَّابِغَةِ . فَقَالَ : أَدْخَلَ ابْنُ النَّصْرَانِيَّةِ
 نَفْسَهُ مُدْخَلًا ضَيِّقًا ، وَأَوْرَدَهَا مَوْرِدًا خَطِرًا ، وَلِلَّهِ عَلَىَّ إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ لِأَخْضِبَنَّ
 قَدَمَهُ بَدَمَهُ .

وَذُكِرَ أَنَّهُ لَمَّا قُتِلَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، الْخَارِجِيُّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ
 عَبْدِ الْمَلِكِ ، دَخَلَ النَّابِغَةُ الشَّيْبَانِيُّ عَلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ فِي
 تَهْنِئَتِهِ بِالْفَتْحِ :

أَلَا طَالَ التَّنْظُرُ وَالتَّوَاهُ وَجَاءَ الصَّيْفُ وَأَنكَشَفَ الْغِطَاءُ
 وَلَيْسَ يُقِيمُ ذُو شَجَنٍ مُقِيمٌ وَلَا يَمُضِي إِذَا أُبْتُغِيَ الْمَضَاءُ

(١) فِي الْأَغَانِي : « صَعِبِهِمْ » .

(٢) أَصْلَدُ الزَّنْدِ : قَدَحَهُ وَلَمْ يَوْر .

(٣) فِي الدِّيَوَانِ : « بَرٌّ عَبْدٌ تَجَنَّهُ الْكَرْحَ » . وَالْكَرْحُ : بَيُوتُ الرِّهَابِ .

(٤) فِي بَعْضِ أَصُولِ الْأَغَانِي : « بِإِنْذَارٍ » . وَفِي سَائِرِهَا : « بِإِقْدَارٍ » .

طَوَالَ الدَّهْرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ بِمَقْدَارٍ ^(١) يُوَاقِقُهُ الْقَضَاءُ
فَمَا يُعْطَى الْحَرِيسُ غِنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يَنْمَى لَذَى الْجُودِ الثَّرَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ ^(٢) بِقَوْمٍ سَيَتَّبِعُهَا إِذَا أَتَيْتِ الرِّخَاءُ
يقول فيها :

أَوْثُمُ فَتًى مِنَ الْأَعْيَاصِ مَلَكًا أَغَرَّ كَانَ غُرَّتَهُ ضِيَاءُ
لَا تُسَمِّعُهُ غَرِيبَ الشَّعْرِ مَدْحًا وَأُثْنِي حَيْثُ يَتَّصِلُ الثَّنَاءُ
يَزِيدُ الْخَيْرِ فَهُوَ يَزِيدُ خَيْرًا وَيَنْمَى كُلَّمَا ابْتَنَى النَّمَاءُ
فَضَضْتَ كِتَابَ الْأَزْدَى فَضًّا بَكْبَشِكَ حِينَ لَفَّهَا اللَّقَاءُ
سَمَكْتَ ^(٣) الْمَلِكُ مُقْتَبِلًا جَدِيدًا كَمَا سَمَكْتَ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءُ
نَزَجِي أَنْ تَدُومَ لَنَا إِمَامًا وَفِي مُلْكِ الْوَلِيدِ لَنَا رَجَاءُ
هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ
وهي طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب ، وأن تُوقَرُ بُرًّا وَزَيْبًا ، وكساه
وأجزل صلته .

ولما ولي الخلافة هشام بن عبد الملك وفد عليه ، فلما رآه قال : يا ماص . وفوده على الشام .
حين ولي هشام ما أبقت المواسي من بظر أمه ، ألسنت القائل :

هَشَامٌ وَالْوَلِيدُ وَكُلُّ نَفْسٍ تُرِيدُ لَكَ الْفَنَاءَ لَكَ الْفِدَاءُ
أَخْرَجُوهُ عَنِّي ، فَوَاللَّهِ لَا يَرَزُونِي ^(٤) شَيْئًا أَبَدًا . فلم يزل طول أيامه طريلاً
حتى ولي الوليد . فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

(١) في الأغاني : « ومقدار » .

(٢) في الأغاني : « بجى » مكان « يقوم » .

(٣) سمك : رفع .

(٤) أى لا يصيب مني شيئاً .

وشعر النابغة الذى فيه الغناء ، وأفتح به أبو الفرج أخباره ، هو :
 أيها الساقى سقته^(١) مُزنةً من ربيع ذى أهاضيب^(٢) وطش^(٣)
 أمدح الكأس ومن أعملها وأهج قوماً قتلونا بالعطش
 إنما الكأس ربيعٌ باكرٌ فإذا ما غاب عنا لم نعش
 وكأنَّ الشرب قومٌ موتوا من يقم منهم لأمر يرتعش
 خرُس الألسن مما نالهم بين مصروع وصاح مُنتعش
 من حمياً قرقف حصية^(٤) قهوة حولية^(٣) لم تمتحش
 ينفع الزكوم منها ريحها ثم تنفى داءه إن^(٤) لم تنش
 كل من يشربها يألؤها ينفق الأموال فيها كل هش
 وهى قصيدة طويلة .

(١) فى الأغاني : « سقتك » .

(٢) الربيع : المطر فى أول فصل الربيع . والأهاضيب : ما تحلب من القطر بعد القطر .

والطش : المطر الضعيف .

(٣) الحميا : ديبب الشراب . والقرقف . الخمر . والحصية : نسبة إلى الحص ، وهو الزعفران .

والحولية : التى مضى عليها حول . ولم تمتحش ، أى لم تصبها النار .

(٤) لم تنش ، أى لم تسكر .

أَخْبَرَنَا أَبُو دَهْبِل

وهو وَهَبُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ أَحِيحَةَ بْنِ خَلْفِ بْنِ وَهَبِ بْنِ خَدَافَةَ
ابْنِ جُمَحٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هُصَيْصِ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَى بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ .
وَأُمُّ أَبِي دَهْبِلٍ هُزَيْلَةُ بِنْتُ سَلَمَةَ ، مِنْ هُذَيْلٍ .

وكان أَبُو دَهْبِلٍ رجلاً جميلاً ، شاعراً ، وكانت له جُمَّةٌ يُرْسِلُهَا تَضْرِبُ مِنْ جِوَالِهِ وَأَوَّلُ
مَنْسَكِيهِ . وقال الشَّعْرُ في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه . ومَدَحُ مُعَاوِيَةَ
ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ ، وعَبَدَ الله بن جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . وولَّاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بعضَ
أَعْمَالِ الْيَمَنِ .

وقيل : كان أَبُو دَهْبِلٍ سَيِّدًا مِنْ سَادَاتِ بَنِي جُمَحٍ ، يَحْمِلُ الْحِمَالَاتِ ،
وَيُعْطِي الْفُقَرَاءَ ، وَيَقْرَى الضَّيْفَ . فَبُهِىَ أُمْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهِ يَقَالُ لَهَا : عَمْرُ . وكانت
جَزَلَةً يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا الرِّجَالُ لِلْمُحَادَثَةِ . فكان أَبُو دَهْبِلٍ لَا يَفَارِقُ مَجْلِسَهَا مَعَ كُلِّ
مَنْ يَجْتَمِعُ إِلَيْهَا ، وكانت هي أَيْضًا مُحَبَّةً لَهُ .

ذُكِرَ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا بَعْدَ ذَلِكَ . وقيل . لم يصل إليها . وكانت عَمْرُ تُوصِيهِ بِحِفْظِ
مَا بَيْنَهُمَا وَكِتْمَانِهِ . فَضَمَّنَ لَهَا ذَلِكَ . وَأَتَصَلَ مَا بَيْنَهُمَا ، فَوَقَفَتْ عَلَى ذَلِكَ زَوْجَتُهُ .
فَدَسَّتْ إِلَى عَمْرَةَ أُمْرَأَةً دَاهِيَةً مِنْ عَجَائِزِ أَهْلِهَا ، فَجَاءَتْهَا فَحَادَثَتْهَا طَوِيلًا . ثُمَّ قَالَتْ
لَهَا فِي غُرْضِ حَدِيثِهَا : إِنِّي لَأَعْجَبُ لَكَ كَيْفَ لَا تَتَزَوَّجِينَ أَبَا دَهْبِلٍ مَعَ مَا بَيْنَكُمَا !
قَالَتْ : وَأَيُّ شَيْءٍ بَيْنَ مِثْلِي وَبَيْنَ مِثْلِ أَبِي دَهْبِلٍ ! فَتَضَاحَكْتَ وَقَالَتْ : أُنْصَرِّقُ
عَنْ شَيْئٍ قَدْ تَحَدَّثْتُ بِهِ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهَا . وَسُوقَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ فِي
أَسْوَاقِهَا ، وَالسُّقَاةُ فِي مَوَارِدِهَا ! فَمَا يَتَدَافَعُ أَثْنَانُ فِي أَنَّهُ يَهُوَاكُ وَتَهْوِينُهُ . فَوُثِّقَتْ

عن مجلسها وأحتجبت ومنعت كل من يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو ذهبل على عادته . فحجبت ، وأرسلت إليه بما يكره . ففي ذلك يقول :

تطاول هذا الليل ما يتلجج وأعيت غواشي عيرتي ما تفرج
وبت كئيباً ما أنام كأنما خلال ضلوعي جمره تتوهج
فطوراً أمني النفس من عمرة المني وطوراً إذا ما لجج بي الحزن أنشج
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يوصل الجبل أحوج
هم منعونا ما نحب وأوقدوا علينا وشبوا نار صرم تأجج
ولو تركونا لا هدى الله (١) أمرهم ولم يلجموا قولاً من الشر يندسج
لأوشك صرّف الدهر يفرق بيننا ولا يستقيم الدهر والدهر أعوج
عسى كربة أمست فيها مقيمة يكون لنا منها نجاة وتخرج
فيكبت أعداء ويحذل ألف له كبد من لوعة الحب تلعب
وإني لمدعور (٢) عشية زرتها وكنت إذا ما جئها لا أعرج
أخطط في ظهر الحصير كأنني أسير يخاف القتل لهفان (٣) ملفج
وأشفق قلبي من فراق خريدة لها نسب في فرع فهز متوج
يجول وشاحاها ويفتص (٤) حجلها ويشبع منها وقف عاج (٥) ودملج
فلما التقينا جلجت في حديثها ومن آية الصّد الحديث المملج
وقال فيها أيضاً :

يلومونني في غير ذنب جنيته وغيري بالذنب الذي كان ألوم

(١) في الأغاني : « سعيهم » مكان « أمرهم » .

(٢) في الأغاني : « لمحزون » . مكان « لمدعور » .

(٣) في الأغاني : « ولهان » مكان « لهفان » . والملفج : الفقير المحتاج .

(٤) يفتص : يمتلي .

(٥) الوقف : السوار .

أَمَّا أَنَا كُنْتُ تَأْتِمِنُهُمْ فَزَادُوا عَلَيْنَا فِي الْحَدِيثِ ^(١) وَأَوْهَمُوا
 وَقَالُوا لَنَا مَا لَمْ نَقُلْ ثُمَّ كَثَرُوا عَلَيْنَا وَبَاخُوا بِالَّذِي كُنْتُ أَكْتُمُ
 وَقَدْ مُنَحْتُ عَيْنِي الْقَذَى لِفِرَاقِهِمْ وَعَادَ لَهَا تَهْتَانُهَا فَهِيَ تَسْجُمُ
 وَصَافِيَتْ نِسْوَانًا فَلَمْ أَرَ فِيهِمْ هَوَايَ وَلَا الْوُدَّ الَّذِي كُنْتُ أَعْلَمُ
 أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ نَكُونَ بِيَلَدٍ كَلَانَا بِهَا ثَاوٍ وَلَا نَتَكَلَّمُ

وذكر أن عاتكة بنت معاوية بن أبي سفيان حَبَّتْ فزَلَتْ من مكة
 بِذِي طَوًى . فبينما هي ذات يومٍ جالسةٌ ، وقد أَشْتَدَّ الحرُّ وأَقْطَعَ الطريقُ ،
 وذلك في وقت الهجرة ، فأمرت جواريتها فرفعن السَّترَ ، وهي جالسة في مجلسها ،
 عليها شُفوف لها ، تنظرُ إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دَهَيْلَ الجُمَحِيُّ ، وكان من
 أحسن الناس وجهًا ، وأجملهم منظرًا ، فوقف طويلًا ينظرُ إليها وإلى جمالها ، وهي
 غافلةٌ عنه . فلما فَطِنَتْ له سَتَرَتْ وجهها وأمرت بطَرْحِ السَّترِ وَشَتَمَتْهُ . فقال
 أبو دَهَيْلَ :

إِنِّي دَعَانِي الْحَيْنُ فَأَقْتَادَنِي حَتَّى رَأَيْتُ الظَّبْيَ بِالْبَابِ
 يَا حُسْنَهُ إِذْ سَبَّيْنِي مُدِيرًا مُسْتَتِرًا عَنِّي بِجِلْبَابِ
 سُبْحَانَ مَنْ وَقَفَهَا حَسْرَةً صُبَّتْ عَلَى الْقَلْبِ بِأَوْصَابِ
 يَذُودُ عَنْهَا إِنْ تَطَلَّبْتُهَا أَبُ لَهَا لَيْسَ بِوَهَابِ
 أَحَلَّهَا قَصْرًا مَنِيعَ الذُّرَى يُحْمَى بِأَبْوَابٍ وَحُجَابِ

وأنشد أبو دَهَيْلَ هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بِمَكَّةَ وشُهِرَتْ .
 وَغَنَّى فِيهَا الْمُغَنُّونَ حَتَّى سَمِعَتْهَا عَاتِكَةُ إِنْشَادًا وَغَنَاءً ، فَضَحَكَتْ وَأَعْجَبَتْهَا ، وَبَعَثَتْ
 إِلَيْهِ بِكُسُوةٍ . وَجَرَتْ الرُّسُلُ بَيْنَهُمَا ، فَلَمَّا صَدَرَتْ عَنْ مَكَّةَ خَرَجَ مَعَهَا إِلَى الشَّامِ ،

(١) أوهموا : نقصوا .

فَنَزَلَ قَرِيبًا مِّنْهَا . فَكَانَتْ تَعَاهِدُهُ بِالْبِرِّ وَاللَّطْفِ ، حَتَّى وَرَدَتْ دِمَشْقَ وَوَرَدَ مَعَهَا .
فَأَقْطَعَتْ عَنْ لِقَائِهِ وَعَجَزَ عَنْ أَنْ يَرَاهَا ، وَمَرِضَ بِدِمَشْقَ مَرَضًا طَوِيلًا ، فَقَالَ
فِي ذَلِكَ :

طَالَ لَيْلِي وَبَتُّ كَالْمَحْزُونِ	وَمَلَأْتُ الثَّوَاءَ فِي ^(١) جَيْرُونِ
وَأَطَلْتُ الْمَقَامَ بِالشَّامِ حَتَّى	ظَنَّ أَهْلِي مُرَجَّمَاتِ الظُّنُونِ
فَبَكَتْ خَشْيَةَ التَّفَرُّقِ جُلُ	كَبَكَاءِ الْقَرَيْنِ إِثْرَ الْقَرَيْنِ
وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي	وَتَقَلَّبْتُ لَيْلِي فِي فُنُونِ
لَيْتَ شِعْرِي أَعْنِ هَوَى طَارِنَوْمِي	أَمْ بَرَأْنِي الْبَارِي قَصِيرَ الْجُفُونِ
وَهِيَ زَهْرَاءُ مِثْلَ لَوْلَاةِ الْعَوَا	صِ مِيزَتْ مِنْ جَوْهَرِ مَكْنُونِ
وَإِذَا مَا نَسَبْتُهَا لَمْ تَجِدْهَا	فِي سَنَاءٍ مِنَ الْمَكَارِمِ دُونِ
تَجْعَلُ الْمِسْكَ وَالْأَلْوَةَ وَالنَّدَى صِلَاءً لَهَا ^(٢)	عَلَى الْكَانُونِ
ثُمَّ خَاصَرْتُهَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضِرَاءِ تَمَشَّى فِي مَرْمَرٍ ^(٣)	مَسْنُونِ
قُبَّةً مِنْ مَرَاجِلٍ ضَرَبُوهَا	عِنْدَ بَرْدِ الشِّتَاءِ فِي قَيْطُونِ
عَنْ يَسَارِي إِذَا دَخَلْتُ مِنَ الْبَابِ	بِوَإِنْ كُنْتُ خَارِجًا عَنْ يَمِينِي

هو ومعاوية وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاوية بن أبي سفيان ، فأمسك عنه ، حتى إذا كان
في يوم الجمعة دخل عليه الناس وفيهم أبو دهبيل ، فقال معاوية لحاجبه : إذا أراد
أبو دهبيل الخروج فأمنعه وأرذذه على . فجعل الناس يُسَلِّمون ويَنصَرِفون ، فقام
أبو دهبيل لينصرف ، فناداه معاوية : يا أبا دهبيل ، هلم إلى . فلما دنا منه أجلسه
حتى خلا به ، ثم قال له : ما ظننت أن في قریش أشعر منك ، حيث تقول :

* وَلَقَدْ قُلْتُ إِذْ تَطَاوَلَ سُقْمِي *

(١) جيرون : حصن بدمشق . وقيل : هو دمشق بعينها .

(٢) الألوة : العود . والندى في الأغاني : « وليلتجوج » . وهو عود البخور والصلاة : ما تصطلي به .

(٣) المسنون : ما كان على استواء .

وأشده هذا البيت والآيات الثلاثة بعده ، ثم قال : والله إن فتاةً أبوها معاوية ، وجدَّها أبو سفيان ، وجدَّتْها هند بنت عُتبة ، لكما ذكرت ، فأى شيء زدَّتْ في قدرها ! ولقد أسأت في قولك :

ثم خاصرتها إلى القبة الخضراء تمشي في ممر مَسْنُون

فقال : والله يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ هذا ، وإنما قيل على لسانى . فقال : أما من جهتي فلا خوف عليك ، لأننى أعلم صيانة أبنيتى نفسها ، وأعلم أن فتيان الشعراء لم يتركوا أن يقولوا فى النسب فى كل من جاز أن يقولوه فيه ، وكل من لم يحز ، وإنما أكره لك جوار يزيد وأخاف عليك وثباته ، فإن له سورة الشباب وأفة الملوك . وإنما أراد معاوية أن يهزب أبو دهب فتتقضى المقالة عن أبنته . فحذر أبو دهب وخرج إلى مكة هارباً على وجهه ، فكان يكتب عاتكة . فبينما معاوية ذات يوم فى مجلسه ، إذ جاءه خصي له ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد سقط اليوم إلى عاتكة كتاب ، فلما قرأته بكيت ، ثم أخذته فوضعت تحت مصلّاها ، وما زالت خائرة النفس منذ اليوم . فقال له : أذهب فالطف لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فأطلق الخصي فلم يزل حتى أصاب منها غيرة ، فأخذ الكتاب فأقبل به على معاوية ، فإذا فيه :

أَعَاتِكَ هَلَا إِذْ بَحَلْتُ فَلَا تَرَى	لَذَى صَبَوَةٍ زُلْفَى لَدَيْكَ وَلَا حَقًّا
رَدَدْتَ فَوَادًا قَدْ تَوَلَّى بِهِ الْهَوَى	وَسَكَنْتِ عَيْنًا لَا تَمَلُّ وَلَا تَرْفَا
وَلَكِنْ خَلَبْتَ الْقَلْبَ بِالْوَعْدِ وَالْمَنَى	وَلَمْ أَرِ يَوْمًا مِنْكَ جُودًا وَلَا صِدْقًا
أَتَنْسِينَ أَيَّامِي بِرَبْعِكَ مُدْنَفًا	صَرِيحًا بِأَرْضِ الشَّامِ ذَا سَقَمٍ مُلْقَى
وَلَيْسَ صَدِيقٌ يُرْتَضَى لَوْصِيَّةً	وَأَدْعُو لِدَائِي بِالشَّرَابِ فَلَا أَسْقَى
فَوَا كَبِدِي إِذْ لَيْسَ لِي مِنْكَ مَجْلِسٌ	فَأَشْكُو الَّذِي بِي مِنْ هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى
رَأَيْتُكَ تَزَادِينِ لِلصَّبِّ غِلْظَةً	فِيَزِدَادِ قَلْبِي كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ عِشْقًا

فلما قرأ معاوية الشعر بعث إلى ابنه يزيد . فأتاه فدخل عليه ، فوجد معاوية مطرقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمر الذى شجأك ؟ قال : أمر أمرضى وأقلقنى منذ اليوم ، وما أدرى ما أعمل فى شأنه . قال : وما هو ؟ قال : هذا الفاسق أبو دهب ، كتب بهذه الآيات إلى أختك فلم تزل باكية إلى اليوم ، وقد أفسدها ، فما ترى فيه ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين إن الشأن فى أمره لهين . قال : وما هو ؟ قال : عبد من عبيدك يَكْمُنُ له فى بعض أزقة مكة فيُرِيحُنَا منه . فقال معاوية : والله إن امرأاً يُريد بك ما يُريد ، ويسمو بك إلى ما يسمو ، لغير ذى رأى ! وأنت قد ضاق ذرعك بكلمة وقصُر فيها بأعك حتى أردت أن تقتل رجلاً من قریش ، أو ما تعلم أنك إذا ما فعلت ذلك صدقت قوله ، وجعلتنا أحدىة أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه قال قصيدة أخرى تناشدها أهل مكة . قال : وما هى ؟ قال : قال :

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل	وما كل من يلحى مُحِبّاً له عَقْلُ
لقد كان فى حوَلَيْنِ حالاً فلم أزر	هَوَاىَ وإن خُوِّتْ عن حُبِّها شغل
حَتَّى المَلَكُ الجَبَّار عَنَّى لقاءها	فَمِنْ دُونِهَا تُخَشَى المِتَالِفُ والقَتْلُ
فلا خيرَ فى حُبِّ يُخَافُ وَبَالُهُ	ولا فى حَبِيبٍ لا يكون له وَصْلُ
فواكبدي إني شُهرتُ بِحُبِّها	ولم يك فيما بيننا ساعةً بَدَلُ
ويا عجباً إني أَكْتَمْتُ حُبَّها	وقد شاع حتى قَطَعَتْ دُونُهَا الشُّبْلُ

فقال معاوية : قد والله رَفِهَتْ عَنِّي ، فوالله ما كنتُ آمنُ أن يكون قد وصل إليها ، فأما الآن وهو يشكو أنه لم يكن بينهما وصل ولا بَدَلُ ، فالخطبُ يسير . قُم . فقام يزيد فأنصرف . وحج معاوية فى تلك السنة ، فلما أُنْقَضَتْ أيام الحج كتب أسماء وجوه قریش وأشرافهم وشُعرائهم ، وكتب فيهم أسم أبى دهب ، ثم دعاهم ، ففرّق فى جميعهم صلاتٍ سنّية وأجازهم جوائز كثيرة . فلما قبض

أبو دهب جائزته وقام لينصرف ، دعا به معاوية فرجع إليه . فقال له : يا أبا دهب ، ما بالي رأيت أبا خالد يزيد ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قوارص تأتيه عنك ، وشعر لا تزال قد نطقت به وأنفذته إلى خصمائنا ومواليها ، لا تعرض لأبي خالد . فجعل يعتذر إليه ويحلف أنه مكذوب عليه . فقال له معاوية : لا بأس عليك ، وما يضرُّك هذا عندنا . هل تأهلت ؟ قال : لا . قال : فأى بنات عمك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة . قال : قد زوّجكها أمير المؤمنين وأصدقها ألفي دينار ، وأمر لك بألف دينار . فلما قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفوني عما مضى ، فإن نطقتُ ببيت في معنى ما بلغه وسبق متى فقد أبحث به دمي ، وفلانة التي قد زوّجنيها أمير المؤمنين طالق البتة . فسُر بذلك معاوية وضمن له رضا يزيد عنه ، ووعد به بإدرا ما وصله في كل سنة ، وأنصرف إلى دمشق ، ولم يحج معاوية في تلك السنة إلا من أجل أبي دهب .

وذكر أن أبا دهب خرج يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً عفيفاً ، وكان هو وشامية تزوجها جميلة ، فلما كان يجيرون جاءته امرأة فأعطته كتاباً وقالت له : اقرأ هذا الكتاب . فقرأها لها . ثم ذهبت فدخلت قصرًا ، ثم خرجت إليه وقالت : لو بلغت القصر فقرأت الكتاب على امرأة كان لك فيه خير كثير ، فإنه من غائب لها يعنيها أمره . فبلغ معها القصر ، فلما دخل إذا فيه جوارٍ كثيرة ، فأغلقت القصر عليه ، وإذا امرأة وضيئة الوجه ، فدعته إلى نفسها ، فأبى ، فأمرت به فحبس في بيت في القصر ، وأطعم وسقى قليلاً قليلاً ، حتى ضعف وكاد يموت ، ثم دعته إلى نفسها ، فقال : أما حراماً فلا يكون ذاك أبداً ، ولكن أتزوجك . قالت : نعم . فتزوّجها . فأمرت به فأحسن إليه حتى رجعت نفسه إليه . فأقام معها زماناً طويلاً لم تدعه يخرج ، حتى أيس منه أهله وولده ، وتزوج بنوه وبناته ، وأقسموا ماله ، وأقامت زوجته تبكي عليه حتى عمشت ، ولم تقاسمهم ماله . ثم قال لأمراته التي

هو عندها : قد أَثِمْتُ فِي وَفَى وَلَدِي وَأَهْلِي ، فَأَذْنِي لِي أَطْلِعِهِمْ وَأَعُودَ إِلَيْكَ .
فَأَخَذَتْ عَلَيْهِ أَيْمَانًا أَلَّا يَقِيمَ إِلَّا سَنَةً ثُمَّ يَعُودُ إِلَيْهَا : فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا يَقْطَعُ
الْبِلَادَ^(١) ، حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ ، فَرَأَى حَالِ امْرَأَتِهِ وَمَا صَارَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ . وَجَاءَ إِلَيْهِ وَلَدُهُ ،
فَقَالَ لَهُمْ : لَا وَاللَّهِ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ عَمَلٌ ، أَنْتُمْ قَدْ وَرَثْتُمُونِي وَأَنَا حَيٌّ ، وَاللَّهِ لَا يَشْرِكُ
رَوْحِي فِيمَا قَدِمْتُ بِهِ أَحَدٌ . وَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ بِهِ فَهُوَ لَكَ كُلُّهُ . وَقَالَ قَصِيدَتَهُ
النُّونِيَّةُ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا . فَلَمَّا جَاءَ الْأَجَلَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى امْرَأَتِهِ الَّتِي تَزَوَّجَهَا
بِالشَّامِ ، فَجَاءَهُ خَبَرُ مَوْتِهَا ، فَأَقَامَ .

من شعره في مدح
ابن الأزرق

وَمِنْ جَيْدِ شَعْرِ أَبِي دَهَبِلَ قَوْلُهُ فِي ابْنِ الْأَزْرَقِ ، وَهُوَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
ابْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْخَزْزَمِيِّ ، يَمْدَحُهُ فِي أَيْيَاتٍ :
لَنْ كَفَرْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ إِنِّي لَنِي اللَّوْمُ أَحْظَى مِنْكَ^(٢) بِالْكَرَمِ
وَكَيْفَ أَنْسَاكَ لَا نِعْمَاكَ وَاحِدَةً عِنْدِي وَلَا بِالَّذِي أَسْدَيْتَ مِنْ قَدَمٍ

وَكَانَ ابْنُ الْأَزْرَقِ هَذَا قَدْ وَلَّاهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ بَعْضَ أَعْمَالِ الْيَمَنِ ، فَدَّيَّ يَدِهِ فِي
أُمُومَالِهَا وَأَعْطَى عَطَايَا سَنِيَّةً ، وَبَثَّ فِي قُرَيْشٍ مِنْهَا أَشْيَاءَ جَزِيلَةً ، فَتَهَافَتَتْ قُرَيْشٌ
عَلَيْهِ ، وَوَفَدُوا إِلَيْهِ ، فَأَسْنَى لَهُمُ الْعَطَايَا . وَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَعَزَلَهُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ
ابْنِ أَبِي وَقَّاصٍ . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ أَرَادَ أَنْ يُحَاسِبَهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَالِكَ عِنْدِي حِسَابٌ ،
وَلَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَمَلٌ . فَخَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُفْتَشَّهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَوْ يَكْشِفَهُ ، فَلَبَسَتْ
السَّلَاحَ وَخَرَجَتْ إِلَيْهِ لَتَمْنَعَهُ . فَلَمَّا لَقِيَهُمْ نَزَلَتْ قُرَيْشٌ فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ ، وَبَسَطَتْ لَهُ
أَرْدِيَّتَهَا ، وَتَلَقَّتْهُ إِمَاؤُهُمْ وَوَلَانْدُهُمْ بِمَجَامِرِ الْأَلْوَةِ وَالْعُودِ الْمُنْدَلِيِّ يُبَخَّرُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، وَهُمْ بِهِ

(١) فِي الْأَغَانِي : « يَجْرُ الدُّنْيَا » . يُرِيدُ أَنَّهُ خَرَجَ بِخَيْرٍ كَثِيرٍ .

(٢) رَوَايَةُ هَذَا الْبَيْتِ فِي الْأَغَانِي :

مَاذَا رَزَيْنَا غَدَاةَ الْخَلِّ مِنْ رَمْعٍ عِنْدَ التَّفَرُّقِ مِنْ خَيْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ
(وَالْخَلِّ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ فِي وَادِي رَمْعٍ) .

يُطِفُون . فَعَلِمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ، فَمَا عَرَضَ لَهُ وَلَا صَرَّحَ لَهُ بِشَيْءٍ .
وَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ . فَقَالَ أَبُو دَهَبٍ :

فَمَنْ يَكُ شَانِ الْعَزْلِ أَوْ هَدَّ رُكْنَهُ
لَأَعْدَائِهِ يَوْمًا فَمَا شَانَكَ الْعَزْلُ
وَمَا أَصْبَحْتَ مِنْ نِعْمَةٍ مُسْتَفَادَةٍ
وَلَا رَحِمٍ إِلَّا عَلَيْهَا لَكَ الْفَضْلُ
وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

عُقِمَ النِّسَاءُ فَلَمْ يَلِدْنَ شَبِيهَهُ
إِنَّ النِّسَاءَ بِمَثَلِهِ عُقِمُ
مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمٍ بَلَا مُتَبَاعِدُ
سَيِّانٌ مِنْهُ الْوَفْرُ وَالْعُدْمُ
نَزَرَ الْكَلَامَ مِنَ الْحَيَاءِ تَحَالَهُ
ضَمِنًا^(١) وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمُ

من جيد شعره

وَمِنْ جَيِّدِ شِعْرِ أَبِي دَهَبٍ :

أَتَرُكَ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا
سِوَى لَيْلَى إِنْ إِذَا لَصَبُورُ
وَهَذَا الْبَيْتُ مِنْ أَيْيَاتِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَنُسِبَتْ إِلَى الْمَجْنُونِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا
لَأَبِي دَهَبٍ .

(١) الضمن : المريض .

أخبار الحسين بن الضحّاك

قيل: إنه باهليّ صليّة^(١). وقيل: بل مولى باهلة.

نسبه

قال أبو الفرج: وهو الأصح.

وهو بصريّ المولد والنشأ. من شعراء الدولة العباسية، وأحد ندماء الخلفاء من بني العباس، وأول من جالس منهم محمد الأمين بن زبيده. وهو شاعر أديب ظريف مطبوع غزل، حسن التصرّف في الشعر، حلو المذهب، لشعره قبول ورونق صافي.

منشؤه وشعره

وكان أبو نؤاس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته الناس إلى أبي نؤاس.

انتفاع أبي نؤاس
بمعانيه

وكان يلقّب بالخلّيع والأشقر. وعمر عمرًا طويلاً حتى قارب المائة سنة، ومات في خلافة المستعين، أو المنتصر.

لقبه وموته

وحكى الحسين بن الضحّاك الخليّيع قال: أنشدت أبا نؤاس لما حججت قصيدتي التي قلّتها في الخمر، وهي:

هو وأبو نؤاس

بُدِّلْتُ مِنْ نَفَحَاتِ الْوَرْدِ بِالْآءِ
وَمِنْ صَبُوحِكَ دَرَّ الْإِبِلُ وَالشَّاءُ
حَتَّى أَتَمَّيْتُ إِلَى قَوْلِي:

حَتَّى إِذَا أُسْنَدْتُ فِي الْبَيْتِ وَاحْتَضَرْتُ
عِنْدَ الصَّبَاحِ^(٣) يَسْتَامِينَ أَكْفَاءَ
فَضَّتْ خَوَاتِمَهُمَا فِي نَعْتٍ وَاصِفَهَا
عَنْ مِثْلِ رَقْرَاقَةٍ فِي جَفْنٍ^(٢) مَرْهَاءَ

(١) صليّة: خالص النسب.

(٢) في الأغاني: «الصبوح».

(٣) الرقراقة: الدمعة تترقق في العين ولا تسيل. والمرهء: المرأة لم تكتحل.

قال : فصَعِقَ صَعَقَةً أَفْزَعَتْنِي ، وقال : أحسنت والله يا أشقر ! فقلت : ويليكَ يا حسن ! لقد أَفْزَعَتْنِي والله . فقال : بل أنت والله أَفْزَعَتْنِي ورُعَتْنِي ، هذا معنِي من المعاني التي كان فِكْرِي لا بُدَّ أن يَنْتَهِي إليها وَيَعُوضَ عليها ، وقد سَبَقَتْنِي إليه وأَخْتَلَسْتُهُ مِنِّي ، وستَعلم لمن يُرَوِّى : إلى أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يروِيها له .

وقيل :

كان الحسين الخَلِيعُ مُنْقَطِعاً إلى محمد الأمين ، فلما قُبِلَ محمد الأمين وأفضت الخلافةُ إلى أخيه المأمون ، وقَدِمَ بغدادَ من خُرَاسان أمر أن يُسَمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليُجالسوه ويُسامروه . فدُكِرَ له جماعةٌ منهم الحسين بن الضحَّاك الخَلِيعُ ، فقرأ أسماءهم حتى بلغ اسمَ حسين . فقال : أليس هو الذي يقول في محمد :

هَلَّا بَقِيَتْ لَسَدٌ فَاقَتْنَا أَبَدًا وَكَانَ لَغِيرِكَ التَّلَفُ

فَلَقَدْ خَلَفْتَ خَلَاثَةً سَلَفُوا وَلَسَوْفَ يُعَوِّزُ بَعْدَكَ الْخَلَفُ

لا حاجةَ لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلا في طريق . ولم يعاقبه على ما كان من هجائه له وتعريضه به . فأُنحدر الحسين إلى البصرة وأقام بها طول أيام المأمون .

وحكى صالح بن الرَّشيد قال :

دخلتُ على المأمون ومعِي بِنْتَانِ لِلْحُسَيْنِ الضَّحَّاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تَسْمَعَ مِنِّي بيتين ، قال : أنشدهما . فأنشدته :

حَمِدْنَا اللَّهَ شُكْرًا إِذْ حَبَانَا بَنَصْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

فَأَنْتَ خَلِيفَةُ الرَّحْمَنِ حَقًّا جَمَعْتَ سَمَاحَةً وَجَمَعْتَ دِينَا

فقال : لمن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين

مع المأمون
بعد الأمين

صالح ابن الرشيد
والمأمون في أمره

ابن الضحَّاك . فقال : قد أحسن ! فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا .
قال : وما هو ؟ فأنشدته قوله :

أَيَبْخَلُ فَرَدُّ الْحُسْنِ فَرَدُّ صِفَاتِهِ عَلَى وَقْدِ أَفْرَدَتْهُ بِهِوَى فَرَدِّ
رَأَى اللَّهَ عَبْدَ اللَّهِ خَيْرَ عِبَادِهِ فَمَلَّكَهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَبْدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تطيب نفسي له بخير بعد ما قاله في أخي محمد
وقاله في .

وحكى أن صالح بن الرِّشيد قال لعمر بن بانة يوماً ، وهو عنده : لست
تطرح على جوارى وغلمانى ما أستجیده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ! أبعث
إلى منزلى فجئ بـالدَّفَاقِرِ التي فيها الغناء وأختر منها ما شئت حتى ألقيه عليهم .
فبعث إلى منزله فجئ بـدقائق الغناء ، فأخذ منها دفترًا ليتخير ممَّا فيه ، فمرَّ به شعرُ
الحُسين بن الضحَّاك يَرثى محمدًا الأمين ويهجو المأمون ، وهو :

أَطْلُ جَزَعًا وَأَبْكِ الْإِمَامَ مُحَمَّدًا بِحُزْنٍ وَإِنْ خِفْتَ الْحُسَامَ الْمُهَنْدَا
فَلَا تَمَتَّ الْأَشْيَاءَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَلَا زَالَ شَمْلُ الْمَلِكِ فِيهِ مُبَدَّدَا
وَلَا فَرَحَ الْمَأْمُونُ بِالْمَلِكِ بَعْدَهُ وَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا طَرِيدَا مُشَرَّدَا

قال عمرو بن بانة : فقال لى صالح : أنت تعلم أن المأمون يجيء إلى في كل
ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تراه يكون فاعلاً ؟ ثم دعا بسكّين وجعل يحكّه ، وصعد
المأمون من الدَّرَجَةِ ورعى صالح بالدَّفَاقِرِ . فقال المأمون : يا غلام ، الدفتر . فأثني به ،
فنظر فيه ووقف على الحكّ وقال : إن قلت لكم ما كنتم فيه تصدقوني ؟ قلنا :
نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعث فجئ بـدقائق لتتخير ما نطرحه
على الجوارى . فوقف على هذا الشعر فكّره أن أراه ، فأمر بحكّه . قلنا : كذا
كان . قال : غنه يا عمرو . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضحَّاك

وقوف المأمون
على شعره غنى
به ابن بانة عند
صالح بن الرشيد

والغناء لسعيد بن جابر . قال : وما يكون ! غنه . فغنيته . قال : أرُدُّده . فرددته ثلاث مرات . وأمر لي بثلاثين ألف درهم وقال : حتى تعلم أنه لم يضرك عندى . قيل :

حزنه على الأمين
ومن مراثيه فيه

وكان الحسين بن الضحاک كثير المراثى فى محمد الأمين ، شديد الجزع عليه . وكان لفرط محبته وجزعه لقتله أنه خولط فى عقله ، فكان ينكر قتله ، ويدفعه ويقول : إنه مُستتر ، وإنه قد بث دُعاته فى الأمصار يدعون إلى مُراجعة أمره . فكان يطمع فى عوده إلى ملكه والأجتماع به . ومن جيد مراثيه فيه :

سألونا أن كيف نحن قتلنا مَنْ هَوَى نجمه فكيف يكون
نحن قومٌ أصابنا حدثُ الدهر رفظلنا لربيبه نستكين
نتمنى من الأمين إياباً لهفَ نفسى وأين منّا الأمين
ومن جيد مراثيه فيه قوله :

أعزى يا محمد عنك نفسى معاذ الله والأيدى الحسام
فهلاً مات قومٌ لم يموتوا ودُفع عنك لى يومٍ الحمام
كأن الموت صادف منك غنماً أو أستشفى بقربك من مقام

وذكر^(١) أنه لما أفتتح المعتصم بن الرشيد عمورية من بلاد الروم أمتدحه الشعراء بذلك وذكروا حسن فعله ، وكان أحسن ما مدح به يومئذ ، وما قدّمه أهل العلم على سائر ما قاله الشعراء قول ، الحسين بن الضحاک :

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى متعسفين تعسف المُرّاق
إنى أحذركم بوادر صيغم درِبٍ بحطّم موائل الأعناق
متأهبٍ لا يستغز جنانه زجلُ الرعود ولا معُ الإبراق
لم يبق من متعرمين^(٢) توثبوا بالشام غيرُ جماجِمِ أفلاق

(١) ساق أبو الفرج هذا الخبر فى ولاية المعتصم و تهنئة الشعراء له بها

(٢) المتعرمون : ذوا العرامة والشراسة .

تهنئة المعتصم بفتنة
عمورية

من بين مُنجدل تَمَجَّ عروقه علق الأُخادع أو أُسِيرَ وثاق
وثني الخيول إلى معاقل قيصِر تحتال بين أسنة^(١) وراق
يحملن كلَّ مُشمرٍ مُتَغَشِّمٍ ليثٍ هزبرٍ أهرت^(٢) الأشداق
حتى إذا أمَّ الحصون مُنازلاً والموتُ بين ترائبٍ وترافق
هرت بطارقها هريز قساوِر بدهت بأكره منظرٍ ومذاق
ثم أَسكَانَتُ للحصار ملوكها ذلاً وناط حلوقةً باخناق
هرت وأسلمت الصليب^(٣) حُماها لم يبق غير حُشاشة الأرماق

فأمر له المعتصم لكل بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أن
هذا أكثر ما مدحني به مادح في دولتنا . فقبل الأرض بين يديه وشكره ،
وحمل المال معه .

وقيل : وكان الرياشي يستجيد قول الحسين بن الضحاك في الخمر : استجاد الرياشي
شعراً له في الخمر

إذا ما الماء أمكني وصفو سلافة العنب
صببت الفضة البيضاء فوق قراضة الذهب

وحكى الحسين بن الضحاك قال : أنشدت أبا نواس قصيدتي التي أولها : أخذ أبو نواس
معنى له في الخمر
وشاطري اللسان مُحتلق التكر ريه شاب المجون بالنسك
حتى بلغت إلى قولي :

كأنما نُصب كاسه قـر يكرع في بعض أنجم الفلك
قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيام لنفسه :

إذا عب فيها شاربُ القوم خلته يقبل في داجٍ من الليل كوكبا

(١) كذا في التجريد : يريد الرماح والسيوف . والذي في بعض أصول الأغاني : « أحره »
وفسروها فقالوا : الغليظ من الأرض . كما فسروا « الرقاق » بالمستوية منها .

(٢) المتغشم : الغضوب . وأهرت الأشداق : واسعها .

(٣) في الأغاني : « عشية » مكان « جهاتها » .

فقلت له : يا أبا عليّ ، هذه مُصالّةٌ ^(١) . قال : فقال : أتظنّ أنه يروى لك في الخمر معنى جيد وأنا حيّ !

قلتُ : وبيت أبي نواس ، وإن كان معناه مسروقاً من الحسين ، أحسنُ ، فإن لفظ « يُقبل » ألطف من لفظ « يكرع » .

وقيل :

لما توفّي المعتصم ، وولى أبنه الواثقُ الخلافةَ ، دخل عليه الحسين بن الضحّاك وأنشده قصيدته التي أولها :

ألم يرع الإسلامَ موتُ نصيره	بلى حقّ أن يرتاع من مات ناصره
هو الملكُ المَجبولُ نفساً على التقيّ	مُسَلِّمةٌ من كلّ سوءٍ عساكره
سيُسلِّكُ عمّاتِ دولةٍ مُفضِّلِ	أوائلهُ محمودةٌ وأواخـره
ثنى اللهَ عِظْفِيهَ وألفَ شخصه	على البرِّ مُدْ شُدَّتْ عليه مآزره
يَصَّبُ ^(٢) ببذلِ المالِ حتى كأنما	يرى بذلهُ للمالِ نهباً يُبادره
فما قدّم الرّحمٰنُ إلّا مُقدّما	مواردهُ محمودةٌ ومصادره

فقال الواثق : إن كان الحسين لينطق عن صحّة طويّة ، ويمدح بخلوص نية . ثم أمر بأن يُعطى لكل بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . وأعجبتّه هذه الأبيات حتى أمر فصنع فيها عدة ألحان .

وحكى الحسين بن الضحّاك قال :

دخلتُ على الواثق ذاتَ يوم وفي السماء كَطُخْ غَيْم ^(٣) . فقال : يا حسين ، ما الرأيُ عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حكم به وأشار إليه

(١) المصالّة : أن يأخذ الشاعر البيت لغيره لفظاً ومعنى .

(٢) يصب : يولع .

(٣) أى قليل غيم .

تهنئة الواثق
بالخلافة

أنشد الواثق في
يوم غيم

قبلي أحمد بن يوسف ، فإنه أشار بصواب لا يُرد ، وجعله في شعر لا يعارض .
قال : وما قال ؟ قلت : قال :

أرى غيماً تُؤلفه جنوبٌ وأحسبه سيأتينا بهطل
فعينُ الرأى أن تدعو برطلٍ فتشربه وتدعولي برطل
فقال : أصبتما ، ودعا بالطعام والشراب والمُغنين والجلساء وأصطبحنا .

وقيل :

كان الحسين بن الضحاك ليلةً عند الواثق ، وقد شربوا إلى أن مضى ثلث
الليل ، فأمر أن يبيت مكانه . فلما أصبح خرج إلى الندماء وهم مُقيمون ، فقال
لحسين : هل وصفت ليلتنا الماضية وطيبها ؟ فقال : لم يَمْضِ شيء ، وأنا أقول
الساعة . وفكر هنيهة ، ثم قال :

حَثَّ صَبُوحِي فَكَاهَهُ اللَّهُي وطاب يَوْمِي بِقُرْبِ أَشْبَاهِي
فَأَمْتَرِ اللَّهُوَ مِنْ مَكَامِنِهِ مِنْ قَبْلِ يَوْمٍ مُنْغَصِّ نَاهِي
بِأَبْنَةِ كَرَمٍ مِنْ كَفِّ^(١) مُنْتَطِقِ مُؤْتَزِرٍ بِالْمُجُونِ تِيَاهِ
يَسْقِيكَ مِنْ طَرْفِهِ وَمِنْ يَدِهِ سَقَى لَطِيفٍ مُجَرَّبٍ دَاهِي
كَأْسًا فَكَأْسًا كَانَ شَارِبَهَا حَيْرَانُ بَيْنَ الذِّكُورِ وَالسَّاهِي

فأمر الواثق برد المجلس كهيئته ، وأصطحب يومه ذلك معهم ، وقال : نُحَقِّقْ
قولك يا حسين ونَقْضِ لَكَ كُلَّ أَرْبِ وَحَاجَةٍ .

وحكى حسين بن الضحاك قال :

هو وجارية للواثق
غضبت عليه

كانت لي نوبة في دار الواثق أحضرها ، جلس أو لم يجلس . فبينما أنا نائم
ذات ليلة في حُجرتي إذ جاءني خادم من خدام الحرم فقال لي : قُمْ فَإِنَّ أَمِيرَ
المؤمنين يدعوك . فقلت له : ما الخبر ! فقال : كان نائماً وإلى جنبه حظية له ،

(١) المنتطق : الذي شد وسطه بمنطقة .

فقام وهو يظنها نائمة ، فلم يجاريه أخرى له ، ولم تكن ليلة نوبتها ، وعاد إلى فراشه . فغضبت حظيته وتركته حتى نام ، ثم قامت ودخلت حُجرتها ، فانتبه وهو يظنها عنده ، فلم يجدها ، فقال : اختلست عزيزتي ، ويحكم ! أين هي ؟ فأخبرناه الخبر وأنها غضبت ودخلت حُجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريق :

غضبت أن زُرتُ أخرى خِلْسَةً فلها العُتْبَى لَدِينَا وَالرِّضَا
يا فدَتِكَ النَّفْسُ كَانَتْ هَفْوَةً فأغفريها وأصْفَحِي عَمَّا مَضَى
وَأَتْرُكِي الْعَدَلَ عَلَى مَنْ قَالَهُ وَأَنْسِي جَوْرِي إِلَى حُكْمِ الْقَضَا
فَلَقَدْ تَبَهَّتَنِي مِنْ رَقْدَتِي وَعَلَى قَلْبِي كَثِيرَانِ الْغَضَا

فلما جئته خبرني بالقصة وقال لي : قل في هذا شيئاً . ففكرت هنيهة كَأَنِّي أقول شعراً ، وأنشدته الأبيات . فقال : أحسنت وحياتي ! أعددها يا حسين . فأعدتها عليه حتى حفظها ، وأمر لي بخمسمائة دينار ، وقام ، فمضى إلى الجارية . وخرجت أنا إلى حُجرتي .

وحكى حسين الضحاك قال :

كان الواصل يتحظى بجارية فماتت فجزع عليها جَزَعاً شديداً ، وترك الشرب أياماً ، ثم تسلاها وعاد إلى حاله . فدعاني ليلة وقال لي : يا حسين ، رأيت فلانة في النوم ، فليت نومي كان قد طال لأتمتع ببقائها ، فقل في هذا شيئاً . فقلت :

لَيْتَ عَيْنَ الدَّهْرِ عَنَّا غَفَلَتْ وَرَقِيبَ اللَّيْلِ عَنَّا رَقَدَا
وَأَقَامَ النَّوْمُ فِي مُدَّتِهِ كَالَّذِي كَانَ وَكُنَّا أَبَدَا
بَابِي زَوْرٌ^(١) تَلَفْتُ لَهُ فَتَنَفَّسْتُ إِلَيْهِ الصَّعْدَا
بَيْنَمَا أَصْحَكُ مَسْرُوراً بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَمَدَا

فقال الواصل : أحسنت ! ولكنك وصفت رقيب الليل فشكوته ولا ذنب له : وإنما رأيت الزُّوْيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقد .

(١) الزور : خيال يرى في النوم

بينه وبين ابن
المهدي وكان عرب
عليه

وحكى أن الحسين بن الضحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت
بينهما ملاحاةٌ في أمر الدين والمذهب ، فدعا له إبراهيم بنطع وسيف ، وقد أخذ
منه الشراب . فأصرف الحسين وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر ويسأله
أن يجيئه . فكتب إليه :

نديمى غير منسوبٍ إلى شيء من الخيفِ
سقانى مثل ما يشر بـفعل الضيف بالضيف
فلما دارت الكأسُ دعا بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف

فلم يعد إلى منادمته مدةً . ثم إن إبراهيم تحمّل عليه ^(١) ووصّله . فعاد
إلى منادمته .

وذكر أنه لما أعيت الحسين بن الضحّاك الحيلة في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره
إلى عمرو بن مسعدة وكتب إليه :

توصله بـابن سعدة
ليشفع له عند
المأمون

أنت طوّدى من بين هذى الهضابِ وشهابى من دون كلّ شهابِ
أنت يا عمرو قوتى وحياتى وليسانى وأنت ظفرى ونابى
أترانى أنسى أياديك البيض إذ أسود نائل الأصحاب
أين عطف الكرام في مأقط ^(٢) الحاة يحمون حوزة الآداب
أين أخلاقك الرضية حالت في أم أين رقة الكتاب
أنا في ذمة السحاب وأظما إن هذا لوصمة في السحاب
قم إلى سيّد البرية عني قومة تستجرّ حُسن خطاب
فلعلّ الإله يُطفيء عني بك ناراً على ذات التهاب

(١) تحمل عليه : ترضاه . (٢) المأقط : به الضيق .

بينه وبين المأمون
في شعر قاله في
رثاء الأمين

فلم يزل عمرو بن مسعدة يتلطّف للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ عليه أرزاقه .
وذكر أنه لما دخل على المأمون ، قال له : أخبرني عنك : هل عرفتَ يوم
قتل أخى محمد هاشميّة قُتِلت أو هُتِكت ؟ قال : لا . قال : فما معنى قولك :
(١) ومما شجّأ قلبي وكفّف عِبرتي محارمُ من آل النبيّ أُسْتُحِلَّتْ
ومنهوكة بالخلد عنها سُجُوفُهَا كعاب كقرن الشّمس حين تَبَدَّتْ
إذ حَفَرْتَهَا لوعةٌ من منازع لها الفُرط عاذت بالخشوع وزنّت
وسرب طباء من ذُؤابه هاشمٍ هَتَفْنَ بدَعوى خير حيٍّ وميّتٍ
أردّ يداً منى إذا ما ذكرته على كبدٍ حرّى وقلبٍ مُفَتّتٍ
فلا بات ليلُ الشامتين بَغِيْطَةً ولا بلغت آمالهم ما تَمَنّتْ
فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمةٌ سُلِبَتْها (٢) بعد
أن غمّرتني ؛ وإحسانٌ شُكِرْتُهُ فَأَنطَقَنِي ، وسيّد فقدتُهُ فَأَقْلَقَنِي ؛ فإن عاقبتَ
فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك . فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك
وأمرتُ بإدراج رِزْقِكَ عليك ، وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك
أمتناعي من استخدامك .

وحكى عمرو بن بانة قال :

شعره في غلام
لصالح بن الرشيد
غنى فيه عمرو بن بانة

كُنّا عند صالح بن الرشيد ليلة ، ومعنا حسين بن الضحّاك ، وذلك في خلافة
المأمون ، وكان صالح يهوى خادمًا له ، فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه ، وكان
جالسًا في صحنٍ حوله نرجس كثير ، في قمر طالع حسن . فقال للحسين : قل في مجلسنا
هذا وما نحن فيه أيّاتًا يغني فيها عمرو بن بانة . فقال حسين :
وصف البدرُ حُسن وجهك حتّى خِلْتُ أنّي وما أراك أراكَ

(١) لم ترد الأبيات الثلاثة الأولى في الأغاني .

(٢) في الأغاني : « فقدتها » .

وَإِذَا مَا تَنْفَسُ النَّرَجُوسُ الْغَضُّ تَوَهَّمَتْهُ نَسِيمَ شَذَاكَ
خَدَعُ لَهْنِي تُلَلَّتِي فَيَضُكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَبِهَجَّةٍ^(١) ذَاكَ
لَأَدُومِنَ يَا خَلِيلِي عَلَى الْعَهْدِ لَهَذَا وَذَلِكَ إِذْ حَكَاكَ
فَقَالَ لِي صَالِحٌ : تَغَنٍّ فِيهَا . فَغَنَيْتُ فِيهَا مِنْ سَاعَتِي .

هو والمتوكل وشفيع
خادمه

وَحُكِيَ أَنَّ الْمُتَوَكِّلَ عَلَى اللَّهِ أَحَبَّ أَنْ يُنَادِمَهُ حُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ ، وَأَحَبُّ
أَنْ يَرَى مَا بَقِيَ مِنْ ظَرْفِهِ وَشَهْوَتِهِ ، لَمَّا كَانَ عَلَيْهِ ، وَكَانَ قَدْ كَبِرَ وَضَعُفَ ، فَسَقَاهُ
حَتَّى سَكَرَ ، وَقَالَ لَخَادِمِهِ شَفِيعٍ : أَسْقِهِ . فَسَقَاهُ وَحَيَّاهُ بَوْرْدَةٍ ، وَكَانَتْ عَلَى شَفِيعٍ
ثِيَابٌ مُورَدَةٌ . فَمَدَّ الْحُسَيْنُ يَدَهُ إِلَى ذِرَاعِ شَفِيعٍ . فَقَالَ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ : وَيَحْكُ يَا حُسَيْنُ !
أَتُجَمِّسُ أَخْصَ خَدْمِي عِنْدِي بِمُحْضَرَّتِي ، فَكَيْفَ لَوْ خَلَوْتَ ! مَا أَحْوَجُكَ إِلَى أَدَبٍ !
وَقَدْ كَانَ الْمُتَوَكِّلُ غَمَزَ شَفِيعًا عَلَى الْعَبَثِ بِهِ : فَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضُّحَّاكِ : يَا سَيِّدِي ،
أُرِيدُ دَوَاءً وَقِرْطَاسًا . فَأَمَرَ لَهُ بِذَلِكَ . فَكَتَبَ بِحُطَّةٍ :

وَكَالْوَرْدَةِ الْحَمْرَاءَ حَيًّا^(٣) بَوْرْدَةٍ مِنْ الْوَرْدِ يَمْشِي فِي قِرَاطِقٍ^(٤) كَالْوَرْدِ
لَهُ عَبَثَاتٌ عِنْدَ كُلِّ نَحْيَةٍ بِكَفِّهِ تَسْتَدْعِي الْحَلِيمَ إِلَى الْوَجْدِ
تَمَنِّيْتُ أَنْ أُسْقَى بِكَفِّهِ شَرْبَةً تُذَكِّرُنِي مَا قَدْ نَسِيتُ مِنَ الْعَهْدِ
سَقَى اللَّهُ عَيْشًا لَمْ أَبْتَ فِيهِ لَيْلَةً مِنْ الدَّهْرِ إِلَّا^(٥) مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدِ

ثُمَّ دَفَعَ الرُّقْعَةَ إِلَى شَفِيعٍ وَقَالَ لَهُ : أَدْفَعْهَا إِلَى مَوْلَاكَ . فَلَمَّا قَرَأَهَا أَسْتَمْلَحُهَا وَقَالَ :
أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ يَا حُسَيْنُ ! وَلَوْ كَانَ شَفِيعٌ مِمَّنْ تَجُوزُ هَبْتُهُ لَوْهَبْتُهُ لَكَ . وَلَكِنْ
بِحَيَاتِي يَا شَفِيعُ إِلَّا كُنْتُ سَاقِيَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ هَذَا ، وَأَخْدُمُهُ كَمَا تَخْدُمُنِي . وَأَمْرُهُ بِمَالٍ
كَثِيرٍ . مُخْمَلٌ مَعَهُ لَمَّا أَنْصَرَفَ .

(١) فِي الْأَغَانِي : « وَنَفْحَةٌ » . (٢) فِي الْأَغَانِي : « لِأَقِيمِينَ مَا حَيَّيْتُ عَلَى الشُّكْرِ » .

(٣) فِي الْأَغَانِي : « بِأَحْمَرٍ » مَكَانَ « بَوْرْدَةٍ » .

(٤) الْقِرَاطِقُ : جَمْعُ قِرْطَقٍ . وَهُوَ قَبَاءٌ ذُو طَاقٍ وَاحِدٌ .

(٥) فِي الْأَغَانِي : « سَقَى اللَّهُ دَهْرًا . . . : خَلِيًّا وَلَكِنْ » .

وحكى أن الحسين بن الضحّاك مرّ به يوماً غلامٌ حسن الصورة، فقال له بعضُ أصحابه : أُنحِبُه ؟ قال : نعم ، والله . قال : فأعلمه . قال : هو أعلم بحبِّي له مني به . ثم قال :

عالمٌ بحبِّيهِ	مُطَرِّقٌ من التَّيِّهِ
يوسفُ الجلالِ وفِر	عونُ في تَعَدِّيهِ
لا وحقّ ما أنا مِن	عَطْفِهِ أَرْجِيهِ
ما الحياةُ نافعةٌ	لى على تَأْيِيهِ
النَّعيمُ يَشْغله	والجمالُ يُطْفِئِهِ
فهو غيرُ مُكْتَرِثٍ	للَّذى أَلَاقِيهِ
تائهٌ تَرْهُّده	فى رَغْبَتِي فِيهِ

وحكى أن صالح بن الرّشيد كان يتعشّق يُسرّاً خادمَ أخيه أبى عيسى بن هو وصالح بن الرّشيد وغلام أخيه يسر الرّشيد ، وكان يُراوده عن نفسه ، فيعده ولا يبقى له . فأرسله أبو عيسى يوماً إلى أخيه فى السّحر يقول له : يا أخى ، إنّى قد أشتهيت اليوم أن أصطبح ، فبجأتى لما ساعدتني وصرت إلى نصطبح اليوم جميعاً . فسار يسر إلى صالح وهو مُنْتَشٍ ، وقد شرب فى السحر ، فأبلغه الرّسالة . فقال : نعم وكرامةً ، أجلس أولاً . فجلس . فقال : يا غلام ، أحضرني عشرة آلاف درهم . فأحضرها . فقال له : يا يسر ، دَعْنِي من مواعيدك ومُطْلَك ، هذه عشرة آلاف درهم تُفْذِّها وأقض حاجتى ، وإلا فليس ها هنا إلا الغُصْب . فقال له : يا سيدى ، أنا أقضى الحاجة ولا آخذ المال . ثم فعل ما أَرَادَه وطاوَعَه . فقضى حاجته . وأمر صالحُ بحمل العشرة الآلاف معه . ثم خرج صالحٌ من خَلوته فقال للحُسين بن الضحّاك : يا حسين ، قد رأيتَ ما كُنّا فيه ، فإن حَضَرَكَ شَيْءٌ فَقُل . فقال :

أيا من طرفه سحرُ ومن ريقته خمرُ
تجاسرتُ فكاشفة تَك لما غلب الصبرُ
وما أحسنَ في مثلي ك أن ينهتك^(١) السَّترُ
وإن لأمي الناس في وجهك لي عذرُ
فدعني من مواعيد ك إذ حيَّيك الدهرُ
فلا والله لا أبرح أو ينفصل^(٢) الأمرُ
فإما العصب والدم وإما البذل والشكر
فلو شئت تيسرت كما سُميت يا يسر
فكن كاسمك لا تمذمك النخوة والكبر
فلا فزتُ بحظي من ك إن ذاع له ذكرُ

فضحك صالح وقال: لعمرى لقد تيسر يسر كما قلت. فقال الحسين: نعم،
ومن لا يتيسر بعد أخذ الدية! ولو أردتني أنا أيضاً لتيسرت. فضحك ثم قال:
نُعطيك يا حسين الدية لحضورك ومساعدتك، ولا نريدك لما أردنا له يسرا،
فبُست المطية أنت!

شعره في تهنة الواثق
بالخلافة

وذكر أنه لما ولى الواثق الخلافة جلس للناس ودخل إليه المهثون والشعراء،
فمدحوه وهنَّوه، ثم أستاذن الحسين بن الضحَّاك في الإنشاد، وكان من الجلَّساء
فترفع عن الإنشاد مع الشعراء، فأذن له. فأنشده قصيدته التي أولها:

أكاتمُ وجدى فما ينكم بمن لو شكوتُ إليه رَحِمُ
وإني على حُسن ظني به لأحذر إن بُحت أن يَحْتشم
ولى عند نظرتة^(٣) روعة مُحقق ما قاله^(٤) المتهم

(١) في بعض أصول الأغاني: «ينتهك».

(٢) في الأغاني: «فلا والله لا أبرح * ح أو يتقضى».

(٣) في الأغاني: «لحظة».

(٤) في الأغاني: «ما ظنه».

وقد علم الناس أنّي له محبٌّ وأحسبه قد علم
وإني لمُغضٍ على لوعةٍ من الشوق في كبدي تضطرم
يقول في مديحه :

يَضِيقُ الفضا به إن غدا بطوَدَيَ أعاريه والعجم
ترى النصرَ يقدّمُ راياته إذا ما خَفَقْنَ أمامَ العلم
وفي الله دَوّخَ أعداءه وجرّدَ فيهم سيوفَ النقم
وفي الله يَكْظُمُ من غَيْظه وفي الله يَصْفَحُ عمن ظلم
رأى شِيمَةَ الجودِ محمودَةً وما شِيمَ الجُدِّ (١) إلّا قِسَمَ
فراح على « نَعَم » وأغتنى كأنّ ليس يُحَسِّنُ إلّا نَعَمَ
فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتصلت أيامه معه بعد ذلك ، ولم يزل
في نُدْمائه .

وحكى الحسين بن الضحّاك قال :

بينه وبين أحد جند
الشام

كان يألّفني إنسان من جُند الشام عَجِيب الخِلقة والزّي والشكل ، غَلِظَ
جِلْفٌ ، فكنت أحتمل ذلك له ، ويكون حظّي التعجبَ به . وكان يأتيني
بكتب من عشيقه له ما رأيت كُتُباً أحلى ولا أظرف منها ، ولا أبلغ ولا أشكل
من معانيها ، ويسألني أن أُجيب عنها ، فأجهد نفسي في الجوابات وأصرف عنايتي
إليها ، على علم بأن الشامي يجهله ، لا يُميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين
الأبتداء والجواب . فلما طال ذلك على حسدته وتنبّهت إلى إفساد حاله عندها .
فسألته عن أسمها ، فقال : بَصْبص . فكتبتُ إليها عنه في جواب كتابٍ منها كان
جاءني به :

(١) في الأغاني : « الجود » .

أَرْقِصْنِي حُبَّكَ يَا بَصْبُصْ وَالْحَبَّ يَا سَيْدَتِي يُرْقِصُ
أَرْمَضْتَ أَجْفَانِي بِطُولِ الْبُكَاءِ فَمَا لِأَجْفَانِكَ لَا تَرْمَضُ
وَا بَابِي وَجْهَكَ ذَاكَ الَّذِي كَأَنَّهُ مِنْ حُسْنِهِ عَضَعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال : يا أبا علي ، جعلني الله فداك ، ما كان ذنبي إليك ، وما أردت بما صنعت ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ عافاك الله ! قال : ما هو إلا أن وصل إليها ذلك الكتاب حتى بعثت إلي : إني مُشتاقة إليك ، والكتاب لا ينوب عن الرؤية . فتعال إلى الروشن^(١) الذي بالقرب من بابنا قف بجياله حتى أراك . فتزيت بأحسن ما قدرت عليه وصرت إلى الموضع . فبينما أنا واقف أنتظر مكلماً لي أو مشيراً إليّ إذا شيء قد صب عليّ فلأني من قرني إلى قدمي ، فأفسد ثيابي وسرّجتي وصيّرتني وجميع ما عليّ ودابتي في نهاية السواد والنتن والقذر ، وإذا هو ماء قد خلط ببول وسواد وسرجين^(٢) . فأنصرفت بحزني . وكان مامراً بي من الصبيان وسائر من مررت به من الضحك والطنز^(٣) والصياح بي أغلظ مما جرى لي ، ولحقتني من أهلي ومن في منزلي شرٌّ من ذلك ، وأوجع وأعظم من ذلك أن رُسُلها أُنقطعت عني جملةً .

قال : فجعلتُ أعتذر إليه وأقول له : إن الآفة أنهما لم تعلم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأنا أحمد الله تعالى على ما قاله ، وأسرُّ السماتة به .

وذكر أن محمداً الأمين غنّاه بعضُ المغنّين بشعر الحسين بن الضحّاك ، وهو
شعر له أعجب بن
الأمين لما غنى به
غائب عن مجلسه ، وهو :

أَلَسْتَ تَرَى دِيْمَةً تَهْطِلُ وَهَذَا صَبَاحُكَ مُسْتَقْبِلُ

(١) الروشن : النافذة .

(٢) السرجين : الزبل .

(٣) الطنز : السخرية .

وهذي العُقار وقد راعنا بطلعته الشادنُ الأكل
فعاد بنا وبه سكرةٌ تُهَوِّنُ مكروه^(١) ما ينزل
فإني رأيتُ له نظرةً تُخَبِّرُنَا أَنَّهُ يَفْعَل
فطرب محمدٌ وأمر بإحضار الحسين ، فحضر .

وذكر أنه كان الحسين بن الضحّاك يتعشّق خادماً من خدام أبي أحمد
هو و غلام أبي أحمد
بن الرشيد ، فعمل فيه شعراً وغنى فيه عمرو بن بانة . فغضب الخادم وعاتب
الحسين على قول ذلك الشعر . فقال الحسين :

فدّيتُ مَنْ قال لي على خَفَرِهِ وَغَضَّ جَفَنًا لَهُ عَلَى حَوَرِهِ
سَمِعَ بِي شِعْرُكَ المَلِيحَ فَمَا يَنْفَكُ شَادِيهِ عَلَى وَتَرِهِ
فَقُلْتُ يَا مُسْتَعِيرَ سَالِفَةِ الخِشْفِ وَحُسْنِ الْفُتُورِ مَنْ نَظَرَهُ
لَا تُشْكِرَنَّ الحَنِينَ مِنْ طَرَبٍ عَاوَدَ قَلْبِي^(٢) الصَّبَا عَلَى كِبَرِهِ
وحكى أبو العيّن قال :

وقف علينا حسين بن الضحّاك يوماً ، ومعنا فتى جالسٌ من أولاد الموالى ،
جميل الوجه ، فحدثنا طويلاً وجعل يُقبل على الفتى بحديثه ، والفتى مُعرض عنه ،
حتى طال ذلك . ثم أقبل عليه حسين فقال :

تَنِيهِ عَلَيْنَا أَنْ رُزِقْتَ مِلَاحَةً فَمَهْلًا عَلَيْنَا بَعْضَ تِهْكِ يَا بَدْرُ
لَقَدْ طَالَمَا كُنَّا مِلَاحًا وَرَبَّمَا صَدَدْنَا وَتَهْنَأُ ثُمَّ غَيَّرْنَا الدَّهْرُ
فَقَامَ وَأَنْصَرَفَ .

وحكى الحسين بن الضحّاك قال :

لم يرث الأمين
استبأعاً لأبي العتاهية

(١) في الأغاني : « ما تسأل » مكان « ما ينزل » .

(٢) في الأغاني : « فيك » مكان « قلبي » .

كنت عازماً على أن أرى محمداً الأمين بلساني كله ، وأشفى لوعتي ، فلقيني
أبو العتاهية فقال لي : يا حسين ، أنا إليك مائل ولك محب ، وقد علمتُ بمكانك
من الأمين ، وأنت حقيق بأن ترثيه ، إلا أنك قد أطلقت لسانك في التلهف
عليه والتوجع له بما صار هجاءً لغيره ، وثلباً له ، وتحريضاً عليه . وهذا المأمون
مُنصبٌ إلى العراق قد أقبل عليك ، فأبق على نفسك . ويحك يا حسين ! أَلَمْ تُسِرْ
على أن تقول :

تركوا حريمَ أيهم^(١) نفلاً والمُخصناتُ صوارخُ هُتَفُ
هيئاتَ بعدك أن يدوم لهم عزٌّ وأن يبقَى لهم شَرَفُ
أكفُ لسانك ، واطوِ ما قد انتشر عنك ، وتلافَ ما فرط منك . فعلتُ
أنه قد نصح لي ، فغزيتُه الخير، وقطعتُ القول . فنجوتُ برأيه ، وما كدت أن أنجو .

وحكى علي بن يحيى قال :

هو وعلى بن يحيى
وقد سأله عن أمسه

جاءني يوماً الحسين بن الضحَّاك ، فقلت له : أى شيء كان خبرك أمس ،
فقال لي : أسمعُه شعراً ولا أزيدك على ذلك . فقلت : هات يا سيدي . فقال :

زائرةٌ زارت على غفلة يا حبذا الزَّوْرَةُ والزَّائِرَةُ
فلم أزل أخذعها ليلتي خديعة السَّاحِرِ للسَّاحِرِ
حتى إذا ما أذعنت بالرضا وأنعمت دارت بها الدائرة
بتُّ إلى الصُّبْحِ بها ساهراً وباتت الجوزاءُ بي ساهره
أفعل ما شئتُ بها ليلتي ومِلْ عيني نعمةً ظاهره
فلم نَمِ إلا على تسعة من غُلْمَةٍ بي وبها ثائره

سَقِيًّا لَهَا لَا لِأَخِي شِعْرَةٍ شِعْرَتُهُ كَالشَّعْرَةِ الْوَافِرَةِ
وَبَيْنَ رِجْلَيْهِ لَهُ حَرَبَةٌ مَشْهُورَةٌ فِي حَقِّهِ شَاهِرَةٌ
وَفِي غَدٍّ تَتْبَعُهَا حَيَّةٌ تُلْحَقُهُ بِالكَرَّةِ الْخَاسِرَةِ

قال : فقلت له : زينتَ يعلم الله إن كنت صادقاً . فقال : قل أنت ما شئت .
وذكر أن الحسين بن الضحاك حجَّ فمرَّ في مُنصرفه بموضع يُعرف بالقريتين ،
فإذا جارية تَطَّلَعُ في ثيابها وتَنْظُرُ في حِرِّها وتقول : ما أضيعني وأضيعك !
فأنشأ يقول :

مررتُ بالقرَّيتين مُنصرفاً من حيث يقضي ذوو النُّسكِ
إذا فتاةٌ كأنها قمرٌ لائمٌ لما توسَّطَ الفلكا
واضعةٌ كفَّها على حِرِّها تقول وضيعي وضيعتك
فلما سمعتُ قوله ضحكت وغطَّت وجهها ، وقالت : وافضيتاه ! أوقد سمعتُ
ما قلتُ !

وحكى ميمون بن هارون قال :

هو وشفيع خادم
المتوكل

كان حسين بن الضحاك صديقاً لأبي ، فكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت
نفسه قد تَتَبَّعت شفيعاً خادم المتوكل بعد أنصرفه من مجلسه ! فأنشدنا لنفسه فيه :
وَأَبْيَضُ فِي حُمْرِ الثِّيَابِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ نِسْرِينَةً ^(١) فِي شَقَائِقِ
سَقَانِي بِكَفِّهِ رَحِيْقًا وَسَامِنِي فُسُوقًا بَعِيْنِهِ وَلَسْتُ بِفَاسِقِ
وَأَقْسَمُ لَوْلَا خَشْيَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ وَمَنْ لَا أَسْمَى كُنْتُ أَوَّلَ عَاشِقِ
وَإِنِّي لَمَعْدُورٌ عَلَى وَجَنَاتِهِ وَإِنْ وَسَمْتَنِي شَيْبَةٌ فِي الْمَفَارِقِ

(١) النسرين : ضرب من الرياحين .

ولا عِشْقَ لِي أَوْ يُحْدِثَ الدَّهْرُ شِرَّةً تَعُودُ بَعَادَاتِ السَّوَادِ ^(١) الْفَارِقِ
وَلَوْ كُنْتُ شَكْلًا لِلصَّبَا لَا تَبَعْتُهُ وَلَكِنْ سَنَى بِالصَّبَا غَيْرُ لَائِقِ

وذكر أنه كان للحسين الضحاك ابن يسمي محمد، له أرزاق، فمات فقطعت أرزاقه . فقال يُخَاطَبُ المتوكل ويسأله أن يجعل رِزق ابنه المتوفى لزوجته وأولاده :
له يسأل المتوكل رِزق ابن له مات

إِنِّي أَتَيْتُكَ شَافِعًا بُولَى عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ
وَشَيْهِيكَ الْمَعْتَزَّ أَوْ جِهَ شَافِعٍ فِي الْعَالَمِينَ
يَا بْنَ الْخِلاَئِفِ الْأَوَّلِ مِنْ وَيَا أَبَا الْمُنَآخِرِينَ
إِنْ ابْنَ عَبْدِكَ مَاتَ وَإِذَا أَيَّامُ تَخْتَرِقُ الْقَرِينَا
وَمَضَى وَخَلَفَ صِيبِيَّةً بِعِرَاصِهِ ^(٢) مُتَلَدِّدِينَ
وَمُهْمِيزَةً عَنِّي خِلَا فَ أَقَارِبِ مُسْتَعْبِرِينَ
أَصْبَحْنَا فِي رَيْبِ الْحَوَا دُثَّ يُحْسِنُونَ بِكَ الظُّنُونَا
قَطَعَ الْوُلَاةُ جِرَايَةً كَانُوا بِهَا ^(٣) مُتَمَسِّكِينَ
فَأَمْنُنْ بَرْدَ جَمِيعِ مَا قَطَعُوهُ غَيْرَ مُرَاقِبِينَ
أَعْطَاكَ أَفْضَلَ مَا تُؤَمِّلُ أَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلِينَ

فأمر له المتوكل بما سأل . فقال يشكره :

يَا خَيْرَ مُسْتَخْلَفٍ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ إِسْلَمَ فَلَيْسَ عَلَى الْإِيَّامِ مِنْ بَاسٍ
أَحْيَيْتَ مِنْ أَمَلِي نِضْوًا تَعَاوَرَهُ تَعَاقَبُ الْيَأْسِ حَتَّى مَاتَ بِالْيَاسِ
وَحَكِيَ الْحُسَيْنُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ :

من ضربه من
الخلفاء

(١) في الأغاني : « الشباب » .

(٢) المتلدد : المتحير .

(٣) في الأغاني : « متمسكين » .

صَرَبْنِي الرَّشِيدُ فِي خِلَافَتِهِ لَصُحْبَتِي وَلَدَهُ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي مُحَمَّدُ الْأَمِينُ لِمُيَايَلَةِ ابْنِهِ
عَبْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْمَأْمُونُ لِمِيلِي إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْمُعْتَصِمُ لِمُودَةِ كَانَتْ
بَيْنِي وَبَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ الْمَأْمُونِ ، ثُمَّ ضَرَبَنِي الْوَاقِقُ لَشَيْءٍ بَلَغَهُ مِنْ ذَهَابِي إِلَى
الْمُتَوَكِّلِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَجْرِي يَجْرِي الْوَلَعُ بِي وَالتَّحْذِيرُ لِي . ثُمَّ أَحْضَرَنِي الْمُتَوَكِّلُ
يُرِيدُ أَنْ يَضْرِبَنِي ، وَأَمَرَ شَفِيعًا بِالْوَلَعِ بِي ، فَتَغَاضَبَ الْمُتَوَكِّلُ عَلَيَّ . فَقُلْتُ لَهُ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنْ كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تَضْرِبَنِي كَمَا ضَرَبَنِي أَبَاؤُكَ فَأَعْلَمْ أَنَّ آخِرَ
ضَرْبٍ ضَرَبْتُهُ بِسَبَبِكَ . فَضَحَكَ وَقَالَ : بَلْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ يَا حُسَيْنُ وَأَصُونَكَ
وَأَكْرَمَكَ .

وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ مَرْوَانَ الْأَبْزَارِيَّ قَالَ :

دَخَلْتُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ فَقُلْتُ لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! هُوَ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ
فَبَكَا ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَحْتُ مِنْ أَسْرَاءِ اللَّهِ مُحْتَبَسًا فِي الْأَرْضِ نَحْوَ قَضَاءِ اللَّهِ وَالْقَدَرِ
إِنَّ الثَّمَانِينَ إِذْ وَفَيْتُ عِدَّتَهَا لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً مِنِّي وَلَمْ تَذَرِ

وَالشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ ، وَافْتَتَحَ بِهِ أَبُو الْفَرَجِ أَخْبَارَ الْحُسَيْنِ بْنِ الضَّحَّاكِ ، هُوَ : الشَّعْرَ الَّذِي فِيهِ الْغَنَاءُ

أَلَا أَيُّهَا الشَّادِنُ الْأَكْلُ إِلَى كَمْ تَقُولُ وَلَا تَفْعَلُ
إِلَى كَمْ تَجُودُ بِمَا لَا تُرِيدُ مِنْكَ وَتَمْنَعُ مَا نَسْأَلُ

أَبُو زَكَارِ الْأَعْمَى

ثم ذكر أبو الفرج أبا زكار الأعْمى ، وهو رجلٌ من قَدَماءُ المَغْنين ، وكان
مُنْقَطَعاً إلى آلِ بَرْمَك .

من قلماء المغنين

وذكر مَسْرُور الكبير قال :

في مقتل جعفر
ابن يحيى

لما أمرني الرَّشيدُ بِمَقْتَلِ جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ أَبُو زَكَارِ الْأَعْمَى
الطُّنْبُورِيُّ يُغْنِيهِ :

وَلَا تَبْعِدْ فَكُلَّ فِتْنَى سَيَاتِي . عَلَيْهِ الْمَوْتُ يَطْرُقُ أَوْ يَغَادِي

فَقُلْتُ : فِي هَذَا وَاللَّهِ أَتَيْتُكَ . ثُمَّ أَخَذْتُ يَدَهُ وَأَقَمْتُهُ وَضَرَبْتُ عُنُقَهُ . فَقَالَ
أَبُو زَكَارٍ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ إِلَّا أَحَقَّتْ بِي . فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا رَغِبْتُكَ فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَ :
إِنَّهُ أَغْنَانِي عَنْ سِوَاهُ بِإِحْسَانِهِ ، فَمَا أَحَبُّ أَنْ أَبْقَى بَعْدَهُ . فَقُلْتُ : أَسْتَأْمِرُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ . فَلَمَّا أَتَيْتُ الرَّشِيدَ بِرَأْسِ جَعْفَرٍ أَخْبَرْتُهُ بِقِصَّةِ أَبِي زَكَارٍ ،
فَقَالَ : هَذَا رَجُلٌ فِيهِ مُصْطَنَعٌ ، فَاضْمُمْهُ إِلَيْكَ ، وَانْظُرْ مَا كَانَ جَعْفَرٌ يُجْرِيهِ عَلَيْهِ
فَأَتَمَّهُ لَهُ .

أخبار السيد الحميري

هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري ، المعروف بأبن مفرغ ،
نسبه والسيد ، لقبه غلب عليه .

ويزيد بن مفرغ جدّه ، هو الذي كان يهجو آل زياد وينفيهم عن آل
حرب . وحبسه عبيد الله بن زياد من أجل ذلك ، ثم أطلقه معاوية بن أبي سفيان .
وسندكر ذلك في أخباره إن شاء الله تعالى .
وقال ابن عائشة :

مفرغ ، هو ربيعة نفسه ، لقب بذلك لأنه راهن أن يفرغ عسًا من ابن ،
فشربه حتى فرغه ، فلقب مفرغا . وكان شعاباً^(١) بسيالة^(٢) ، ثم انتقل
إلى البصرة .

قال : ومن قال : يزيد بن ربيعة بن مفرغ ، فقد أخطأ .

ويكنى السيد أبا هاشم . وأمه امرأة من الأزد .
وكان شاعراً مطبوعاً كثيراً . ويقال : إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية
والإسلام بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد . فإنه لا يعلم أن أحداً قدّر على جمع شعر
واحدٍ منهم حتى يستوعبه كله .

وإنما مات شعره ، وهجر الناس ذكره ، لإفراطه في سب أصحاب رسول الله
صلّى عليه وسلم وبعض أزواجه — رضى الله عنهم ، ولعن سائهم وقاذفهم والطاعن
عليهم — فتحاكي الرواة شعره ، وهجروه لهذا خوفاً وتحوباً^(٣) وليس له شيء .

(١) الشعاب : مصلح الشعب ، وهو الصدع ، يكون في الإناء .

(٢) بسيالة : أول مرحلة لإهل المدينة إذا أرادوا مكة .

(٣) التحوب : التأثم

من الشعر ، على كثرة تصرّفه فيه وقوله له ، إلا وهو موصول بَدَح أهل البيت عليهم السلام وذمّ غيرهم من السلف .

وذكر أن أبوى السيّد كانا إباضيين — والإباضية : فرقة من الخوارج — وكان منزلها بالبصرة في غرفة بنى ضبّة ، فكان يقول : طالما سُب أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام في هذه الغرفة . فإذا سئل عن التشيع : من أين له ، قال : غاصت على الرحمة غوصاً .

تأبواه

وحكى السيّد أن أبويه لما علما بمذهبه هما بقتله ، فأتى عُقبة بن سلم الهنائي فأخبره بذلك . فقال : ألزمني ولا تقربهما . وأعطاه منزلاً وهبه له ، فكان فيه حتى ماتا ، فورثهما .

مذهبه

وذكر أن السيّد كان يقول بمذهب الكيسانية — ومذهبهم أن الإمامة صارت بعد الحسين بن علي عليهما السلام إلى أخيهما محمد بن الحنفية ، وأنه حتى منتظر لا يموت ، حتى يظهر فيملا الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً — وله في ذلك شعر كثير .

وروى بعض من لا تصح روايته أنه رجع عن مذهبه ، وأنه لقي جعفر بن محمد الصادق ، فقال بإمامته ، ورجع عن مذهب الكيسانية ، ورووا في ذلك أشعاراً منها :

تجعفرتُ بأسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أن الله يعفو ويعفو
قال أبو الفرج :

ولم نجد ذلك في رواية صحيحة ولا قول محض ، وإن القضاة التي نقلت عنه في ذلك لا تناسب في جزائها أشعاره التي فيها الكيسانية .

وذكر أن السيّد كان أسمر ، تامّ القامة ، أشنب ، ذا وفرة ، حسن الألفاظ ، جميل الخطاب ، إذا تحدّث في مجلس قوم أعطى كلّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه .

من وصفه

وقيل : إنه كان أشدَّ الناسَ نَتَنَ إِبْطَيْنِ ، لا يكاد أحدٌ يقدر على الجلوس معه لنتن رَأْتَمَهما .

وحكى^(١) التَّهْدِي قال : رأى معي الأصمعيُّ دَفْتَرًا فيه شعر السَّيِّدِ الحميري ، فقال : رأى الأصمعيُّ فيه ما هذا ؟ فسترتُه عنه لِعَلِّمِي بما عنده . فَأَقْسَمَ عَلَيَّ أَنْ أَخْبِرَهُ ، فَأَخْبَرْتُهُ . فقال : أَنشدني قصيدةً منه . فَأَنشدته قصيدةً ، ثم أخرى ، وهو يَسْتَزِيدُنِي . ثم قال : ما أَسْلَكَكَ لطريق الفُحُول ! لولا مَذْهَبُهُ ولولا ما في شعره ما قدَّمت عليه أحدًا من طبقتِهِ .

وقيل : إنه لما أَفضت الخِلافةُ إلى بني العباس قام السَّيِّدُ إلى السَّفَاحِ مدح السفاح فحكاه أبا العباس ، حين نَزَلَ مِنَ المنبر ، فقال :

دُونَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ فُجِدُّوْا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِ سَا
دُونَكُمْوَهَا لَا عِلَاقَ لَكَبُ مِنْ كَانَ عَلَيْكُمْ مُلْكُهَا نَافِيسَا
دُونَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا لَا تَعْدَ مَوَاسِمَكُمْ لَهُ لَا بِيسَا
قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً لَمْ يَتْرَكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا
لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِ فُرْسَانَهُ مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسَا
فَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا إِلَى مَهْبُطِ عَيْسَى فِيكُمْ آيسَا
فَسُرَّ أَبُو الْعَبَّاسِ ، وَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا إِسْمَاعِيلُ ! سَلْنِي حَوَائِجَكَ .

وحكى بعضهم قال :

أنشد جعفر بن محمد فأبكاها

كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد ، عليهما السلام ، إِذَا سَأَذَنْ آذَنَهُ
للسيد ، فَأَمَرَ بِإِصْصَالِهِ وَأَقْعَدَ حُرْمَهُ خَلْفَ سِتْرٍ ، وَدَخَلَ ، فَسَلَّمَ وَجَلَسَ . فَأَسْتَنَشَدَهُ ،
فَأَنشَدَهُ قَوْلَهُ :

أَمُرُّ عَلَى جَدِّ الْحَسَنِ نَ وَقُلْ لِأَعْظَمِهِ الرَّكِيَّةِ

(١) في الأغاني : « التوزي » .

يَا أَغْظَاً لَا زِلْتَ مِنْ وَطْفَاءٍ ^(١) سَاكِبَةٍ رَوِيَّةٍ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَطْلُ بِهِ وَقِفِ الْمَطِيَّةِ
وَأَبْكِ الْمُطَهَّرَ لِلْمُطَهَّرِ وَالْمُطَهَّرَةَ التَّقِيَّةِ
كُبُكَاءَ مُعَوَّلَةٍ أَتَتْ يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمَنِيَّةِ

قال : فرأيتُ دُمُوعَ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ تَنْجَدِرُ عَلَى خَدَّيْهِ وَلِحْيَتَيْهِ ، وَأُرْتَفَعُ الصَّرَاحُ
وَالْبُكَاءُ مِنْ دَارِهِ ، حَتَّى أَمَرَهُ بِالْإِمْسَاكِ ، فَأَمْسَكَ .

قيل :

هو رجل سأل عمار

يلين به

وَكَانَ السَّيِّدُ يَدِينُ بِالرَّجْعَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : بَلَّغْنِي أَنَّكَ تَقُولُ بِالرَّجْعَةِ ؟
فَقَالَ : صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَكَ ، وَهَذَا دِينِي . قَالَ : فَتُعْطِنِي دِينَارًا بِمِائَةِ دِينَارٍ إِلَى
الرَّجْعَةِ ؟ قَالَ السَّيِّدُ : نَعَمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ إِنْ وَثَّقْتَ لِي بِأَنَّكَ تَرْجِعُ إِنْسَانًا .
قَالَ : وَأَيَّ شَيْءٍ أَرْجِعُ ؟ قَالَ : أَخْشَى أَنْ تَرْجِعَ كَلْبًا أَوْ خِزِيرًا فَيَذْهَبَ
مَالِي . فَأَخْفَمَهُ .

شعر نسب لولكثير

وَالسَّيِّدُ هُوَ الَّذِي يَقُولُ فِي إِمَامَةِ ابْنِ الْحَنْفِيَّةِ — وَرَوَى لِكَثِيرٍ ، عَزَّهْ ،
وَكَانَ أَيْضًا كَيْسَانِيًّا — :

أَلَا إِنْ الْأَنْثَمَةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَلَوْلَا الْحَقُّ أَرْبَعَةٌ سَوَاءُ
عَلَى ثَلَاثَةٍ مِنْ بَنِيهِ هُمْ أَسْبَاطُهُ وَالْأَوْلِيَاءُ
فَأَنَّى فِي وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ يَكُونُ الشُّكُّ مِنَّا وَالْمِرَاءُ
بِهِ أَوْصَاهُمْ ، وَدَعَا إِلَيْهِ جَمِيعَ الْخَلْقِ لَوْ سَمِعَ الدُّعَاءُ
فَسَبَّطُ سَبَّطِ إِيْمَانٍ وَحِلْمٍ وَسَبَّطُ غَيْبَتِهِ ^(٢) كَرَّ بَلَاءُ
وَسَبَّطُ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى يَقُودَ الْخَلِيلَ يَقْدُمُهَا ^(٣) اللَّوَاءُ

وَحِكْيَ أَنْ الْعُتْبَى قَالَ يَوْمًا :

استجد العتي

قصيدته اللامية

(١) الوطفاء : السحابة الثقيلة بما تحمل . (٢) سبط الايمان : الحسن بن علي . والسبط الذي
غيبته كربلاء : الحسين بن علي وقد قتل بكر بلاء بالعراق . (٣) هو محمد بن الحنفية .

ليس فى عصرنا هذا أحسن مذهباً فى شعره ، ولا أنقى ألفاظاً ، من السيد .
ثم قال لبعض من حضر : أنشدنا قصيدته اللامية التى أنشدتناها اليوم . فأنشده :

هل عند من أحببت تنوِيلُ	أم لا فإن اللوم تضليلُ
أم فى الحشى منك جوى باطنُ	ليس تداويه الأباطيل
علقت يا مغرورُ خداعةً	بالوعد منها لك تخييل
يشفيك منها حين تخلو بها	ضمٌ إلى التصر وتقبيل
ودوق ريق طيب طعمه	كأنه بالمسك معلول
فى نسوةٍ مثل المأخرِ	تضيقُ عنهن الخلايل
أقسم بالله وآلائه	والمره عما قال مسؤل
إن على بن أبى طالبٍ	على التقي والبر مجبول

فقال العتي :

أحسن والله ما شاء ! هذا والله الشعر الذى يهجم على القلوب بلا حجاب .

جمعه لفضائل على
تكرم الله وجهه
وشعره فى حادثة
العقاب

وذُكر أن السيد كان يأتى الأعمش فيكتب عنه فضائل على بن أبى طالب
رضى الله عنه ، ويخرج من عنده ويقول فى تلك المعانى شعراً . فخرج ذات يوم
من عند بعض أمراء الكوفة ، وقد حمله على فرس وخلع عليه خيلة ، فوقف
بالكناسة ^(١) ثم قال : يا معشر الكوفيين ، من جاءنى منكم بفضيلة لعلى بن
أبى طالب رضى الله عنه لم أقل فيها شعراً فله فرسى هذا وما على . فجعلوا يحدثونه
ويؤشدهم ، حتى أتاه رجل فقال : إن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه
عزم على الركوب ، فلبس ثيابه وأراد لبس الخف ، فلبس أحد خفيه ثم أهوى
إلى الآخر ليأخذه ، فأنقض عقاب من السماء فخلق به ثم ألماه فسقط منه أسود ،
فأنساب فدخل جحراً . فلبس على رضى الله عنه الخف . ولم يكن قال السيد فى
ذلك شيئاً ، ففكر هنيئة ثم قال : قد قلت :

(١) الكناسة : محلة بالكوفة .

أَلَا يَا قَوْمَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ نُخَفَّ أَبِي الْحُسَيْنِ ^(١) وَلِلْعُجَابِ
 أَتَى خُفَّاهُ فَأَنْسَابَ فِيهِ لِيَنْهَشَ رِجْلَهُ مِنْهُ بَنَابِ
 فَخَرَّ مِنَ السَّمَاءِ لَهُ عُقَابٌ مِنْ الْعِقْبَانِ أَوْ شَبَهُ الْعُقَابِ
 فَطَارَ بِهِ فَخَلَّقَ ثُمَّ أَهْوَى بِهِ لِلْأَرْضِ مِنْ دُونَ السَّحَابِ
 إِلَى جُحْرِ لَهُ وَأَنْسَابَ فِيهِ بَعِيدِ الْقَعْرِ لَمْ يُرْتَجِ يَبَابِ
 كَرِيهِهُ الْوَجْهَ أَسْوَدُ ذُو بَصِيصٍ حَدِيدُ النَّابِ أَزْرَقُ ذُو لُعَابِ
 وَدُورِغَ عَنْ أَبِي حَسَنِ عَلِيٍّ تَقِيْعُ سِمَامِهِ بَعْدَ أَنْسَابِ
 ثُمَّ حَرَّكَ فَرْسَهُ وَمَضَى ، وَجَعَلَ تَشْيِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ :

صَبَوْتُ إِلَى سُلَيْمَى وَالرَّابِّابِ وَمَا لِأَخِي الْمَشِيبِ وَلِلتَّصَابِ
 قَالَ أَبُو الْفَرَجِ :

مثله مما روى عن
النبي صلى الله عليه
وسلم

وَقَدْ رَوَى مِثْلَ ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رَوَى ابْنُ
 عَبَّاسٍ قَالَ :

كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ حَاجَةً تَبَاعَدَ حَتَّى لَا يَرَاهُ أَحَدٌ ، فَنَزَعَ
 خُفَّهُ فَإِذَا عَقَابٌ قَدْ تَدَلَّى فَرَفَعَهُ ، فَسَقَطَ مِنْهُ أَسْوَدُ سَالِحٍ . فَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا
 يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، وَمِنْ شَرِّ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ .

وَقِيلَ :

سَمِعَ السَّيِّدُ الْحَمِيرِيُّ مُحَدَّثًا يُحَدِّثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ سَاجِدًا ،
 فَركب الحسن والحسين عليهما السلام ظَهْرَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : نَعَمْ الْمَطِيُّ
 مَطِيْعًا ! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نَعَمْ الرَّاكِبانِ هَا ! فَأَنْصَرَفَ السَّيِّدُ مِنْ
 فَوْرِهِ فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

شعره في تدليل
رسول الله صلى الله
عليه وسلم للحسن
والحسين

أتى حسناً والحسينَ النبيُّ وقد جلساً حَجْرَةً^(١) يَلْعَبَانِ
فقدَاهُمَا ثم حَيَّاهَا وكانا لديه بذلك المَكَانَ
فَرَاخاً وتحتهما عاتقاه فنِعْمَ المَطِيَّةُ والزَّاكِبَانِ
وليدانِ أُمهما بَرَّةٌ حَصَانٌ مُطَهَّرَةٌ للحَصَانِ
وشيخهما أبن أبى طالبٍ فنِعْمَ الوليدانِ والوالدانِ

وذُكِرَ أن أبا جعفر المنصور جلس بالجسر الأكبر، حين عُقِدَ له على دجلة عارضة سوار وهو
البصرة،^(٢) وسوار بن عبد الله قاضى البصرة جالس عنده، والسيد الحميرى ينشد المنصور
بين يديه يُنشدُه قوله :

إنَّ الإلهَ الذى لا شىء يُشَبِّهه أعطاكمُ الملكُ للدُّنْيَا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلْكاً لا زوالَ له حتَّى يُقَادَ إليكمُ صاحبُ الصِّينِ
وصاحبُ الهندِ مأخوذاً بِرُمَّتِه وصاحبُ التُّركِ محبوباً على هُونِ

والمنصورُ يضحك مسروراً بما ينشده . فحانت منه التفتاةُ فرأى وجه سوار
يتربَّد غيظاً ويسودَّ حنقاً، ويدلُّك إحدى يديه بالأخرى ويتحرَّق . فقال له
المنصورُ : مالك ! أرا بك شىء ؟ فقال : نعم ، هذا الرجل يُعطيك بلسانه ما ليس
فى قلبه ! والله يا أمير المؤمنين ما صدقتك عمّا فى نفسه ، إن الذين يواليهم غيرُكم .
فقال له المنصور : مهلاً ، هذا شاعرنا وولينا ، وما أعرف منه إلّا الصدق والمحبة
والإخلاص فى الطاعة . فقال له السيد : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مشهوراً والله
بمؤالاتكم فى أيام عدوكم ، ولكنَّ هذا وأهلوه أعداء الله ورسوله قديماً ، والذين
نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات^(٣) ، فنزل فيهم القرآن (إن
أكثرهم لا يَمْلُكون) . وقال السيد قصيدته ، التى أولها :

قِفْ بنا يا صاح وأربَعْ بالمغانى الموحشاتِ

(١) حجرة : ناحية .

(٢) العبارة فى الأغاني : « وهو بالجسر وهو قاعد مع جماعة على دجلة البصرة » .

(٣) معنى وفد تسم

ومنها:

يا أمين الله يا مَنْ صورُ يا خيرَ الوِلاَةِ
 إن سوار بن عبد الله من شرِّ القضاةِ
 نَفْسِي^(١) جَمَلِي^(٢) لكمُ غيرُ مُواثي
 جدُّه سارقُ^(٣) عَزِيْ فَجَرَةٌ من فَجَرَاتِ
 لرسولِ الله والقا ذِفِه بالْمُنْكَرَاتِ
 وأبنُ من كان يُنادى من وراء الحُجَرَاتِ
 يا هناةُ أخرجُ إلينا إننا أهلُ هَنَاتِ
 مَدَحْنَا المدْحُ وَمَنْ نَزَّ م يُصَبُّ^(٤) بالفاقراتِ
 فاكْفِنَاهُ^(٥) لا كَفَاهُ الله شرَّ الطارقاتِ

فشكاه سوار إلى المنصور، فأمره بأن يصير إليه مُعتذراً، فصار إليه فلم

يَعْذِرُهُ . فقال :

أتيتُ دَعَى بنى العنبر أرومُ أعتذاراً فلم يُعْذِرِ
 فقلتُ لنفسي وعاتبْتُها على اللُّؤْمِ في فعلها أقصرى
 أيعتذرُ الحُرُّ ممَّا أتى إلى رُجُلٍ من بنى العنبرِ
 أبوك ابنُ سارقِ عَزِزِ النَبِيِّ وأُمك بنتُ أبى جَعْدِرِ
 ونحنُ على رَغْمِكَ الرافضو ن لأهل الضلالة والمُنْكَرِ

وذكر أن السيد تقدّم إلى سوار القاضي ليشهد عنده ، وقد كان دافع المشهود

هو وسوار وقد طلب
إلى شهادة عنده

(١) نعتلى : نسبة إلى نعتلى ، يهودى من أهل المدينة . وقيل : هو رجل طويل اللحية من أهل مصر ، كان يشبه به عثمان . رضى الله عنه إذا قيل منه . وجهلى : نسبة إلى وقعة الجمل .
 (٢) يعنى : جدّه : عزة بن نقب . وكان يقال له : سارق العز . وكانت لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٣) فى الأغاني : « بالزفرات » مكان « بالفاقرات » . والفاقرات : الدواهي .
 (٤) فى الأغاني : « فاكفنيه » .

له بذلك ، وقال : أَعَفَنِي مِنَ الشَّهَادَةِ عِنْدَ سَوَّارٍ ! وَبَذَلَ لَهُ مَالًا ، فَلَمْ يُعَقِّهِ . فَلَمَّا تَقَدَّمَ إِلَى سَوَّارٍ فَشَهِدَ ، قَالَ لَهُ : أَلَسْتَ الْمَعْرُوفَ بِالسَّيِّدِ ! قَالَ : بَلَى . قَالَ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْ ذَنْبِ تَجَرَّأَتِ بِهِ عَلَى الشَّهَادَةِ عِنْدِي ، قُمْ لَا أَرْضَى بِكَ . فِقَامَ مُغَضِبًا مِنْ مَجْلِسِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى سَوَّارٍ رُقْعَةً ، فِيهَا يَقُولُ :

إِنَّ سَوَّارَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ الْقَضَاءِ

فَلَمَّا قَرَأَهَا سَوَّارٌ وَثَبَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَصَدَ أَبَا جَعْفَرٍ الْمَنْصُورَ ، وَهُوَ عَلَى الْجَسْرِ ، وَسَبَقَهُ السَّيِّدُ إِلَيْهِ فَأَنشَدَهُ :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي يُنَجِّي بَطَاعَتَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ مُجْبُوحةِ النَّارِ
لَا تَسْتَعِينَنَّ جَزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةً يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حُكْمِ سَوَّارٍ
لَا تَسْتَعِينَنَّ بَوَاهِي الرَّأْيِ ^(١) ذِي صَلَفٍ جَمَّ الْعُيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جَبَّارٍ
تُضْحِي الْخُصُومَ لَدَيْهِ مِنْ تَجَبُّرِهِ لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ لَحْظَ أَبْصَارٍ
تِيهًا وَكِبَرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ مِنْ ضَبْعِهِ ^(٢) كَانَ عَيْنَ الْجَائِعِ الْعَارِي
وَدَخَلَ سَوَّارٌ ، فَلَمَّا رَأَاهُ الْمَنْصُورُ تَبَسَّمَ وَقَالَ : أَمَا بَلَغَكَ خَبَرُ إِيَّاسَ بْنِ مَعَاوِيَةَ
حِينَ قَبْلَ شَهَادَةِ الْفَرَزْدَقِ ^(٣) وَأُسْتَزَادَ مِنَ الشُّهُودِ ، فَمَا أَحْوَجَكَ إِلَى التَّعَرُّضِ إِلَى
السَّيِّدِ وَلِسَانِهِ ! ثُمَّ أَمَرَ السَّيِّدَ بِمَصَالِحَتِهِ .

وَذَكَرَ أَنَّ السَّيِّدَ بَلَغَهُ أَنَّ سَوَّارًا الْقَاضِيَّ قَدْ لَفَّقَ جَمَاعَةً يَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالسَّرْقِ ^{منع المنصور سواراً أن يحكم له أو عليه} أَنْ لِيَقْطَعَهُ . فَشَكَاهُ إِلَى الْمَنْصُورِ . فَدَعَا سَوَّارًا وَقَالَ : قَدْ عَزَلْتُكَ عَنِ الْحُكْمِ لِلْسَّيِّدِ أَوْ عَلَيْهِ ، أَوِ النَّظَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ ، فَلَا تَعْرِضْ لَهُ بِسُوءٍ . فَلَمْ يَعْضُدْ لَهُ سَوَّارٌ شَيْءً حَتَّى مَاتَ .

وَحَكَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ السَّاحِرِ قَالَ :

هو وامرأة إباحية تزوجها

(١) فِي الْأَغَانِي : « لَا تَسْتَعِينَنَّ بِخَيْثِ الرَّأْيِ » . (٢) الضَّبْعُ : الْعَضْدُ . وَرَفَعَ بِضَبْعِهِ ، أَيْ نَوَّهَ بِاسْمِهِ .

(٣) يُشِيرُ إِلَى رَفَقِ إِيَّاسَ فِي رَفْضِ شَهَادَةِ الْفَرَزْدَقِ فَلَمْ يَفْنِ بِهَا وَطَلَ شَهِيدًا . وَسَيَأْتِي خَبَرُ ذَلِكَ .

خرجتُ من منزل نصر بن مسعود ، أنا وكاتب عُبقة بن سَلَم والسيد ، ونحن
سكارى ! فلما كُنَّا بَزْهَران لقيتُنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قطري بن الفُجاءة ،
وكانت امرأة بَرَزَة حسناء فصيحةً ، فواقفها السيد وتخطب عليها ، وأُشدها
شعراً من شعره بتجميش . فأعجب كل واحد منهما صاحبه . ثم خطبها ، فقالت :
كيف يكون هذا ونحن على ظَهر الطريق ؟ قال : يكون كَنكاح أم خَارجة ،
إن قيل لها : خَِطَب . قالت : نَكُح . فاستضحكت وقالت : ننظر في هذا ، وعلى
ذلك فمن أنت ؟ فقال :

إن تسأليني بقومي تسألني رجلاً	في ذِرْوَة العِز من أحياء ذي يَمَن
حوَلي بها ذو كَلالِعٍ في مَنازلها	وذو رُعَيْنٍ وهَمْدانٌ وذو يَزَن
والأزْدُ أزدُ عُمَمان الأكرمون إذا	عُدَّت مآثرهم في سائر ^(١) الزَّمن
بانت كَرِيمَتُهُم عني فدارُهُم	داري وفي الرِّحَب من أوطانهم ووطني
لي مَنزلان بِلَحَجٍ منزلٌ وَسَطٌ	منها ولي منزلٌ في العِز من ^(٢) عَدَن
ثم السَّولاء الذي أرجو النجاة به	من كَبَّة النار للهادي أبي حَسَن

فقالت : قد عرفناك ، ولا شيء أعجبُ من ذلك : يَمَمان وتيميَّة ، ورافِضِيَّة
وإِباحيَّة ، فكيف يجتمعان ! فقال : بحُسن رأيك في تَسخو نفسُك ، ولا يذكُر
أحدُنا سَلَفاً ولا مَذهبا . قالت : أفليس التزويجُ إذا تجلَّى أنكشف معه المستور ،
وظهرت خَفِيَّات الأُمور . قال : فأنا أعرض عليك أخرى . قالت : وما هي ؟
قال : المَتعة ^(٣) التي لا يَعلم بها أحد . قالت : تلك أخت الزَّنا . قال : أُعيدك بالله

(١) في الأغاني : « سالف » .

(٢) في الأغاني : « ولي منزل للعز في عدن » .

(٣) المتعة : أن يتزوج الرجل امرأة على شرط بأجل معلوم ، ثم يخلِّي سبيلها ، من غير
تزويج ولا طلاق . وكانت مباحة صدر الإسلام ثم حُرمت . وهي مباحة جائزة عند الشيعة .

أن تكفرى بالقرآن بعد الإيمان ! قالت : فكيف ؟ قال : قال الله تعالى : (فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ) . فقالت : أستخير الله وأقلدك أن كنت صاحب قِياس . ففعلت . وأنصرفت معه وبات مُعْرِسًا بها . وبلغ أمرُها أهلها من الخوارج ، فتوَعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوجت بكافر ! فحدث ذلك . ولم يعلموا بالمُتعة . فكانت مدةً تختلف إليه على هذه السبيل ويواصلها ^(١) حتى افترقا .

وحكى أبو داود وإسماعيل بن الساجر أنهما حضرا السيد عند وفاته بواسط ، في مرضه وقد أصابه شَرٌّ ^(٢) وكرب . فجلس ثم قال : اللهم هذا كان جزائى فى حُب آل محمد ! فكانها كانت ناراً فطُفئت عنه .
وذُكر أن أبا جعفر المنصور قال :

المنصور وقد بلغه موته

بلغنى أنَّ السيد مات بواسط فلم يدفنه ، والله لئن كان هذا حقاً لأحرقنها .
وحكى عباد بن صُهيب ، قال :

جعفر بن محمد وقد بلغه موته

كنت عند جعفر بن محمد ، وأتاه نعى السيد ، فدعا له . فقال له رجل : يا بن رسول الله ، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمن بالرجعة ! فقال : حدثني أبي عن جدِّي : أن محبِّي آل محمد لا يموتون إلا تائبين ، وقد تاب . ورفع مصلى كان تحته ، فأخرج كتاباً من السيد يُعرفه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له :

موته

وقيل :

مات فى خلافة الرشيد .

حديث تسكينه

وحكى بشير بن عمار قال :

(١) فى الأغاني : « وتواصله » .

(٢) الشرى : داء يأخذ فى الجلد أحمر على هيئة الدراهم .

حضرت وفاة السيد فى الرملة ببغداد ، فوجه رسولا إلى صف الخرازين ^(١) الكوفيين ، يعلمهم بحاله ووفاته . فغلط الرسول فذهب إلى صف السفوسيين ، فشتموه ولعنوه . فلم أنه قد غلط ، فعاد إلى الكوفيين . فوافاه سبعون رجلا معهم سبعون كفنا . قال : وحضرناه جميعا ، وإنه ليتحسر تحسرا شديدا ، وإن وجهه لأسود وما يتكلم ، إلى أن أفاق إفاقة ، وفتح عينيه ونظر إلى ناحية القبلة وقال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بوليك ! قالها ثلاث مرات ، مرة بعد أخرى . قال : فتجلى والله فى وجهه ^(٢) عرق بياض ، فما زال يتسع ويلبس وجهه حتى صار كله كالبدر . وتوفى . وقمنا فأخذنا فى جهازه ، فدفناه فى الجنيحة ببغداد ، وذلك فى خلافة الرشيد .

قلت :

اطراح ابن واصل
لبعض شعره

وقد ذكر أبو الفرج أشعارا وأخبارا فيها تعريض بالسلف رضى الله عنهم ، فطرحتها تنزيها للكتاب عنها ، وإن كان حاكي الكفر ليس بكافر .

والشعر الذى فيه الغناء وأفتتح به أبو الفرج أخبار السيد هو :

شعره الذى فيه الغناء

ما جرت خطرة على القلب منى	فيك إلا أستترت عن أصحابي
من دموع تجرى فإن كنت وحدى	خاليا أسعدت دموعي أنتجاني
إن حبي إياك قد سلّ جسمي	ورماني بالشيب قبل الشباب
أرحى اليوم هائما بك ^(٣) صبا	هائم القلب قد توى فى التراب

(١) فى الأغاني : « الخرازين »

(٢) فى الأغاني : « فى جبينه »

(٣) فى الأغاني : « لومنحت اللقا شفى بك »

(١) ثم ذكر أبو الفرج البردان ، وهو مغنٍ من أهل المدينة ، ولم أختَر من أخباره شيئاً .

(١) ليس هذا مكان البردان فيما هو بين أيدينا من أصول الأغاني المطبوع منها والمخطوط وظاهر من هذا وما سبق من خلاف بين التجريد وأصول الأغاني في ترتيب التراجم ان ابن واصل كان يعتمد على أصل آخر يختلف عن هذه الأصول .

انتهى الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغاني

ويليه الجزء الثالث من القسم الأول وأوله

أخبار عبد الله بن علقمة

فهرست أول

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغاني

٥٩٧ - ٦٠٤	ابراهيم بن هرمة = ابن هرمة ابراهيم .
٦٧٣ - ٦٤٨	ابراهيم الموصلى
٥١٥ - ٥٠٩	ابن أبى الصلت = أمية بن أبى الصلت
٧٩٧ - ٧٩٠	ابن جامع اسماعيل
٦٠٦ - ٦٠٥	ابن رهيمه
٦٣٣ - ٦٢٦	ابن قيس الرقيات
٧٥١ - ٧٤٤	ابن هرمة ابراهيم
٧٨٩ - ٧٨٦	أبو ذؤيب الهذلى
٨٧٢	أبو زكار
٥٨٤ - ٥٨١	أبو سعيد (مولى فائد)
٨٠٩ - ٧٩٨	أبو سفيان
٥٠٤ - ٤٦١	أبو العتاهية
٥٦٦ - ٥٥٥	الأحوص عبد الله
٧١٤ - ٦٧٤	اسحاق بن ابراهيم الموصلى
٧٩٦ - ٧٨٩	اسماعيل بن جامع = ابن جامع اسماعيل
٥٠٤ - ٤٦٢	اسماعيل بن القاسم = أبو العتاهية
٦١٢ - ٦٠٧	اسماعيل بن يسار
٧٣٥ - ٧٢٤	عيسى همدان

أمية بن أبي الصلت	٥٠٩ - ٥١٥
البردان	٨٨٥
بشار بن برد	٧٨٠ - ٧٨٢
حسان بن ثابت	٥١٦ - ٥٣١
الحسين بن الضحاك	٨٥٢ - ٨٧١
حماد الراوية	٧٣٧ - ٧٤٤
حميد بن ثور	٥٩٢ - ٥٩٣
داود بن سلم	٧١٨ - ٧٢٠
دحمان عبد الرحمن بن عمرو	٧٢١ - ٧٢٣
الدلال	٥٦٧ - ٥٧١
السيد الحميري	٨٧٢ - ٨٨٥
الصمة القشيري	٧١٥ - ٧١٧
طريح بن اسماعيل	٥٧٢ - ٥٨٠
عبد الرحمن بن عمرو = دحمان	٧٢١ - ٧٢٣
عبيد الله بن قيس الرقيات = ابن قيس الرقيات	٦٢٦ - ٦٣٣
فريدة	٥٠٥ - ٥٠٨
فليح بن أبي العوراء (١)	٥٩٤ - ٥٩٦
مالك بن أبي السمح	٦٣٤ - ٦٣٦
المرقشان	٧٥٢ - ٧٥٩
الناطقة الجعدي	٦١٣ - ٦١٩
ناطقة بني شيبان	٨٣٩
ناقد = الدلال	٥٦٧ - ٥٧١
النميري محمد بن عبد الله	٧٦٤ - ٧٧٢
النهدى	٧٣٧ - ٦٣٩
الوضاح عبد الرحمن	٧٧٧ - ٧٧٩
الوليد بن عقبة	٦٣٩ - ٦٤٧
الوليد بن يزيد	٨٠٧ - ٨٣٦
يزيد بن ضبة	٨٣٧ - ٨٣٨
يونس الكاتب	٦٠٥

(١) ذكر خطأ باسم : فليح بن العوراء

فهرست نامة

لتراجم الجزء الثانى

من القسم الأول من تجريد الأغاني

أخبار أبى العتاهية - اسمه ولقبه وكنيته ٤٦١ : ١ - ٦؛ نشأته ومنزلته
فى الشعر وشئ عنه ٤٦١ : ٧ - ١٣؛ أبوه وشعره فيه ٤٦١ : ١٤ - ١٦؛
عقيدته وما كان بينه وبين ثمامة فى حضرة المأمون ٤٦١ : ١٧ - ٤٦٢ : ١٢؛
لبعضهم فيه حين أخذ نفسه بالحجامة ٤٦٢ : ١٣ - ١٥؛ من وصفه وشئ من
صناعته ٤٦٢ : ١٦ - ١٩؛ رأى مصعب فى شعره ٤٦٢ : ١٦ - ٤٦٣ : ٦؛
للأصمعى فى شعره ٤٦٣ : ٧ - ٩، ٤٦٧ : ١١ - ١٦؛ بين الشهر زورى
وسلم فى شعره ٤٦٣ : ١٠ - ١٧؛ رأى ابن رزين فيه ٤٦٣ : ١٨ - ١٩؛
له فى قوله الشعر ٤٦٣ : ٢٠ - ٤٦٤ : ١؛ هو وبشار وأشجع فى حضرة
المهدى ٤٦٤ : ٢ - ٤٦٥ : ٢؛ شعره فى التوحيد وقد اتهم بالزندقة ٤٦٥ :
٣ - ٩؛ مزدوجة له ٤٦٥ : ١٠ - ٤٦٦ : ١٤؛ هو ورجل سأل ما ينقشه
على خاتمه ٤٦٦ : ١٥ - ١٨؛ ابن العلاء وبعض من عاب عليه صلته أبا العتاهية
٤٦٦ : ١٩ - ٤٦٧ : ١٠؛ بين ابن الأعرابى وبعضهم فى شعره ٤٦٨ : ١ -
٤٦٩ : ٥؛ بينه وبين ثمامة فى البخل ٤٦٩ : ٦ - ٤٧٠ : ١؛ هو
وسائل ٤٧٠ : ٢ - ١٧؛ وداعه لأبى غزية ٤٧٠ : ١٨ - ٤٧١ : ١؛ بينه
وبين غلام لبعض التجار طالبه بمال ٤٧١ : ٢ - ١٣؛ شعره لابن مسعدة
وكان قد حجب عنه ٤٧١ : ١٤ - ٤٧٢ : ٦؛ هجاؤه جارية كان يهواها
٤٧٢ : ٧ - ١٥؛ هجاؤه لابن معن ٤٧٢ : ١٦ - ٤٧٥ : ١٠؛ تمثل الرشيد
ببيت له عند رؤيته ابن معن ٤٧٥ : ١١ - ١٢؛ بينه وبين مسلم بن الوليد
٤٧٥ : ١٣ - ٤٧٦ : ٩؛ بينه وبين بشار ٤٧٦ : ١٠ - ١٩؛ بينه وبين

الرشيد وقد وجد عليه ٤٧٦ : ٢٠ - ٤٧٧ : ١٠ ؛ بينه وبين عبد الله بن الحسن
 ٤٧٧ : ١١ - ٢١ ؛ صلة الرشيد له من بين الشغراء ٤٧٨ : ١ - ٦ ؛ رثاؤه
 لابن ثابت ٤٧٨ : ٧ - ٤٧٩ : ٨ ؛ هو وفتيان قامرهم على قول الشعر ٤٧٩ :
 ٩ - ٤٨٠ : ١ ؛ جائزة المأمون له على بيتين ٤٨٠ : ٢ - ٩ ؛ أطلقه الرشيد
 من الحبس لشعر سمعه له ٤٨٠ : ١٠ - ١٦ ؛ اجابته لبعضهم وقد سألته
 عن أحسن ما قال ٤٨٠ : ١٧ - ٢٠ ؛ شعر له في الموت أنشده المأمون ٤٨١ :
 ١ - ١٥ ؛ أخذ عليه المأمون معنى فعاد فأجاده فأجازه ٤٨١ : ١٦ - ٤٨٢ : ٧ ؛
 لم يبعث اليه المأمون على هديته فكتب اليه شعرا ٤٨٢ : ٨ - ١٤ ؛ تهنئته
 الهادي بمولود ٤٨٢ : ١٥ - ٤٨٣ : ٥ ؛ تعقيب لابن واصل في عهد المهدي
 لأولاده ٤٨٣ : ٦ - ١١ ؛ أنشد المهدي في غضبه على أبي عبيد الله ٤٨٣ :
 ١٢ - ٤٨٤ : ٥ ؛ تعقيب لابن واصل عن أبي عبيد الله وموته ٤٨٤ : ٦ - ١١ ؛
 تفضيل ابن منذر له ٤٨٤ : ١٢ - ٤٨٥ : ١٥ ؛ تمثل الفضل بشعر له
 ٤٨٥ : ١٦ - ٤٨٦ : ٧ ؛ تنسك فحبسه الرشيد ثم أطلقه ٤٨٦ : ٨ - ٤٨٧ :
 ٥ ؛ اجازة الرشيد والفضل له ٤٨٧ : ٦ - ٤٨٨ : ٣ ؛ حبس الرشيد له
 لامتناعه عن قول الغزل ثم اطلاقه اياه ٤٨٨ : ٤ - ١٧ ؛ هو وابن أبي الأبيض
 وأبو نواس ٤٨٨ : ١٨ - ٤٩٠ : ٥ ؛ هو والمهدي وقد ماتت له بنت ٤٩٠ :
 ٦ - ١٨ ؛ شعر له في سلم سمعه المأمون ٤٩٠ : ١٩ - ٤٩١ : ٦ ؛ هو
 والجماز في حضرة قثم ٤٩١ : ٧ - ١٩ ؛ أهدى الفضل نعلا فأهداها للأمين
 فأجازه ٤٩٢ : ١ - ١٣ ؛ شعره الى ابن المعتز في حبسه ٤٩٢ : ١٤ - ١٧ ؛
 هو وأعرابي مر به في الحج ٤٩٢ : ١٨ - ٤٩٣ : ٧ ؛ اعجابه بشعر ابن أبي
 أمية ٤٩٣ : ٨ - ١٨ ؛ بنتاه واباؤه تزويج احدهما لابن المهدي ٤٩٣ :
 ١٩ - ٤٩٤ : ٣ ؛ ابنه محمد ٤٩٤ : ٤ - ٧ ؛ استنشد ابن الحسن الكاتب
 ٤٩٤ : ٨ - ١٣ ؛ أنشد الفضل في البرامكة فتغير له ٤٩٤ : ١٤ - ٤٩٥ :
 ١١ ؛ تعقيب لابن واصل عن الفضل بن الربيع ٤٩٥ : ١٢ - ١٧ ؛ مع داعية
 عيسى بن زيد في السجن ٤٩٥ : ١٨ - ٤٩٦ : ٢١ ؛ تمثل المعتصم ببيتين
 له ٤٩٧ : ١ - ٥ ؛ فضله أبو تمام بخمسة أبيات ٤٩٧ : ٦ - ١٦ ؛ عزاه
 لبغدادى في أخيه ٤٩٧ : ١٧ - ٤٩٨ : ١ ؛ جائزة ابن مزيد له وقد أنشده
 ٤٩٨ : ٢ - ١٠ ؛ راهب يعظه بشعره ٤٩٨ : ١١ - ١٥ ؛ بينه وبين ابراهيم

ابن المهدي وقد رماه بالزندقة ٤٩٨ : ١٦ - ٤٩٩ : ٥ ؛ شعره الذي غنى فيه الملاحون الرشيد ٤٩٩ : ٦ - ٥٠٠ : ١٢ ؛ شعره حين عقد الرشيد ولاية العهد لأبنائه ٥٠٠ : ١٣ - ٥٠١ : ٤ ؛ تعقيب لابن واصل في ولاية عهد الرشيد ٥٠١ : ٥ - ١٣ ؛ طلب ملك الروم له ٥٠١ : ١٤ - ٢٢ ؛ بينه وبين الرشيد بعد ما أطلقه ٥٠٢ : ١ - ١٢ ؛ بينه وبين الرشيد وقد استوعظه ٥٠٢ : ١٣ - ٥٠٣ : ١ ؛ سئل عند الموت عما يشتهي فاجاب ٥٠٣ : ٢ - ٥ ؛ شعره في مرضه الأخير ٥٠٣ : ٦ - ١٤ ؛ شعره الذي نددته به ابنته ٥٠٣ : ١٥ - ١٩ ؛ ما أمر أن يكتب به على قبره من شعره ٥٠٤ : ١ - ٦ ؛ رثاء ابنه له ٥٠٤ : ٧ - ٨ ؛ أبياته التي فيها الغناء ٥٠٤ : ٩ - ١٥

أخبار فريدة - الكبرى والصغرى ٥٠٥ : ٢ - ٧ ؛ حديث ابن الحارث عن قصتها مع الواصل وغيرته من المتوكل ٥٠٥ : ٨ - ٥٠٨ : ٦

أخبار أمية بن أبي الصلت - نسبه ٥٠٩ : ٢ - ٤ ؛ شيء عن أبي الصلت ٥٠٩ : ٥ - ٧ ؛ منزلة أمية في الشعر وشيء عنه ٥٠٩ : ٨ - ١٧ ؛ شعره في رثاء مشركي بدر ٥٠٩ : ١٨ - ٥١٠ : ٣ ؛ طمعه في النبوة ٥١٠ : ٤ - ٥١١ : ٦ ؛ زعمه في شاة ثغت ٥١٠ : ٧ - ١٢ ؛ حديث توقيه من عظامه ٥١١ : ١٣ - ٥١٢ : ١٩ ؛ حديث شق صدره ٥١٢ : ٢٠ - ٥١٤ : ٢ ؛ للنبي صلى الله عليه وسلم حين أنشد من شعره ٥١٤ : ٣ - ١٠ ؛ شعره يعتب على ابن له ٥١٤ : ١١ - ٥١٥ : ٢ ؛ حديث موته ٥١٥ : ٣ - ١٤ .

أخبار حسان - نسبه ٥١٦ : ٢ - ١٣ ؛ فحل من المعمرين ٥١٦ : ١٤ - ١٦ ؛ عمره ٥١٦ : ١٧ - ٥١٧ : ٦ ؛ خضابه ٥١٧ : ٧ ؛ فضله على الشعراء ٥١٧ : ٨ - ٩ ؛ استشهاده بأبي هريرة ٥١٧ : ١٠ - ١٣ ؛ من الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش ٥١٧ : ١٤ - ٥١٨ : ٩ ؛ استثنائه النبي صلى الله عليه وسلم في هجائه أبا سفيان ٥١٨ : ١٠ - ٥٢٠ : ٦ ؛ من هجائه لأبي سفيان بن الحارث ٥٢٠ : ٧ - ١٤ ؛ حداؤه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٢١ : ١ - ٦ ؛ مجاوبته شاعر وفد تميم ٥٢١ : ٧ - ٥٢٥ : ٢ ؛ ما كان بين جهجاه وفتية من الأنصار وشعر حسان ٥٢٥ : ٣ - ٥٢٦ : ١٢ ؛ تعقيب لابن واصل عن الافك ٥٢٦ : ١٣ - ٥٢٧ : ٣ ؛ غضب الرسول على

حسان ثم رضاؤه عنه ٥٢٧ : ٤ - ٥٢٨ : ٧ ؛ تعقيب لابن واصل ٥٢٨ : ٨ -
١٠ ؛ لعائشة عن صفوان ٥٢٨ : ١١ - ١٣ ؛ لحسان يعتذر عن قوله في
عائشة ٥٢٨ : ١٤ - ١٨ ؛ بين عروة وعائشة وقد مرت جنازة حسان ٥٢٨ :
١٩ - ٥٢٩ : ٤ ؛ صفية وحسان في يهودى أطاف بالحصن ٥٢٩ : ٥ - ٥٣٠ :
٣ ؛ ابن الزبير وابن أبي سلمة يوم الخندق ٥٣٠ : ٤ - ٦ ؛ تعقيب لابن
واصل ٥٣٠ : ٧ - ١٥ ؛ ضحك الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنشده
حسان ٥٣٠ : ١٦ - ٥٣١ : ٢ ؛ بين الحطيئة وحسان ٥٣١ : ٣ - ٨ ؛ شعر
حسان الذى فيه الغناء ٥٢١ : ٩ - ٢٠ .

غزوة بدر - ٥٣٢ : ١ - ٥٥٣ : ٢٠ ؛ هند والخنساء ٥٥٤ : ١ - ١٩
أخبار الأحوص - نسبه ولقبه ٥٥٥ : ٢ - ٤ ؛ خبر جده عاصم ٥٥٥ : ٥ -
٦ ؛ ذكر مقتل عاصم ٥٥٥ : ٧ - ٥٥٦ : ١٦ ؛ مقتل خبيب ٥٥٦ : ١٧ -
٥٥٧ : ١٦ ؛ مقتل ابن الدثنة ٥٥٧ : ١٧ - ٥٥٨ : ٤ ؛ كنية الأحوص
واسم أمه ٥٥٨ : ٥ - ٧ ؛ منزلته في الشعر ٥٥٨ : ٨ - ١٢ ؛ مفاخرته
سكينة ٥٥٨ : ١٣ - ٢١ ؛ جلد الوليد له وسبب ذلك ٥٥٩ : ١ - ٢٠ ؛
نفاه سليمان الى دهلك ولم يرد عمر ثم رده يزيد ٥٦٠ : ١ - ٥٦٢ : ١١ ؛
مدحه ليزيد ٥٦٢ : ١٢ - ٢٠ ؛ تمثل عبد الملك بشعره حين خطب أهل
المدينة ٥٦٣ : ١ - ١١ ؛ للفرزدق وجريير وقد سئلا عنه ٥٦٣ : ١٢ - ٥٦٤ :
٤ ؛ أبو عبيدة بن عمار وقد سمع شعره ٥٦٤ : ٥ - ١٣ ؛ طرب المخزومي
بشعره ٥٦٤ : ١٤ - ٥٦٥ : ٧ ؛ سؤال المهدي عن أنسب بيت ورضاؤه عن
بيت الأحوص ٥٦٥ : ٨ - ٥٦٦ : ٩

أخبار الدلال - اسمه وولاه ٥٦٧ : ٢ ؛ شئ عنه ٥٦٧ : ٣ - ١٠ ؛ سبب
خصائه ٥٦٧ : ١١ - ٥٦٨ : ١٥ ؛ حديث هربه من المدينة الى مكة ٥٦٨ :
١٦ - ٥٦٩ : ٧ ؛ هو والوالى وقد وجد سكران مع غلام ٥٦٩ : ٨ - ١١ ؛
غنى نائلة فأجازته ٥٦٩ : ١٢ - ٥٧٠ : ١٩ ؛ سبب تركه الخمر ٥٧٠ :
٢٠ - ٥٧١ : ١٥ .

أخبار طريح - نسبه ٥٧٢ : ٢ - ٧ ؛ الحجاج ونسب ثقيف ٥٧٢ :
٨ - ١٣ ؛ أمه ٥٧٢ : ١٤ - ١٥ ؛ كنيته وشئ عنه ٥٧٢ : ١٦ - ١٩ ؛ رضى

الوليد بن يزيد عنه بعد غضب ٥٧٣: ١ - ٥٧٥: ١٧؛ أجازته الوليد في مدحه له
 ٥٧٥: ١٨ - ٥٧٦: ١٠؛ بينه وبين المنصور في مدحه للوليد ٥٧٦: ١١ -
 ١٧؛ من جيد مدحه في الوليد ٥٧٧: ١ - ٥٧٨: ٤؛ هو وأبو ورقاء في
 سفر ٥٧٨: ٥ - ٥٨٠: ٥

أخبار أبي سعيد - اسمه وولاه ٥٨١: ٣ - ٤؛ شيء عنه ٥٨١: ٥ -
 ٨؛ هو والمهدي وقد أراد على الغناء ٥٨١: ٩ - ٥٨٢: ١٥؛ شيء عن عبد الله
 المخزومي ٥٨٢: ١٦ - ٥٨٣: ٣؛ سأل إبراهيم بن المهدي أن يغنيه في
 المسجد ٥٨٣: ٤ - ٥٨٤: ١٨

خبر مقتل بنى أمية - تمهيد لابن واصل عن عبد شمس وهاشم ٥٨٥: ٢ -
 ٥٨٦: ٩؛ مقتل مروان ٥٨٦: ١٠ - ١٥؛ عبد الله بن علي وابن مسلمة
 في الحرب ٥٨٦: ١٦ - ٥٨٧: ٣؛ شعر سديف يغري العباس ببنى أمية
 ٥٨٧: ٤ - ٥٨٨: ١٣؛ السفاح بعد قتله بنى أمية ٥٨٨: ١٤ - ٥٨٩: ٢؛
 لسديف يحرض السفاح ٥٨٩: ٣ - ١١؛ قتل سليمان بن علي لجماعة من
 الأمويين ٥٨٩: ١٢ - ١٧؛ وفود عمرو بن معاوية على سليمان ٥٨٩: ١٨ -
 ٥٩٠: ١٨؛ من شعر سديف في تحريض السفاح ٥٩٠: ١٩ - ٥٩١: ١؛
 لرجل من الشيعة في مثله ٥٩١: ٢ - ٨

خبر حميد بن ثور - نسبه ٥٩٢: ٢ - ٤؛ مخضرم ٥٩٢: ٥؛ شعره
 بعد نهى عمر عن النسيب ٥٩٣: ٦ - ١٣؛ وفوده على بعض الخلفاء ٥٩٢: ١٤ -
 ٥٩٣: ٤

أخبار فليح بن أبي العوراء - ٥٩٤: ٢ - ٣؛ محله في الغناء ٥٩٤: ٤ - ٥؛
 منزلته عند المهدي ٥٩٤: ٦ - ١٥؛ صلته بمحمد بن سليمان ٥٩٤: ١٦ -
 ٥٩٥: ١٦؛ هو وقتي عاشق ٥٩٥: ١٧ - ٥٩٦: ٩

أخبار ابن هرمة - نسبه ٥٩٧: ٢ - ١١؛ عتابه بنى الحارث ٥٩٧: ١٢ -
 ١٤؛ وصفه نفسه باللؤم ٥٩٧: ١٥ - ١٦؛ حديثه مع أسلمي ٥٩٧: ١٧ -
 ١٧: ١٧؛ لم يرض من المنصور إلا اباحة الشرب له ٥٩٨: ١٨ -
 ٥٩٩: ٤؛ هو بين إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة ٥٩٩: ٥ - ٦٠٠: ٦

٣ ؛ مدحه للسرى ٦٠٠ : ٤ - ٦٠١ : ٣ ؛ بينه وبين رجل سألته عن بيتين
٦٠١ : ٤ - ٩ ؛ تعقيب لابن واصل فى بطش المنصور بالعلوين ٦٠١ : ١٠
١٣ - ؛ نزوله برجل يقود على ابنتيه ٦٠١ : ١٤ - ٦٠٢ : ٤ ؛ هو وابن عمران
وأبو ثابت ٦٠٢ : ٥ - ٩ ؛ ليم فى مدحه أبا الحكم ٦٠٢ : ١٠ - ١٧ ؛ سبب
هجائه لعبد العزيز بن المطلب ٦٠٢ : ١٨ - ٦٠٣ : ٩ ؛ أغراء قوم بالحكم
فسأله فأجابه ٦٠٣ : ١٠ - ٦٠٤ : ٢ ؛ هو وجيرانه وقد أفرط فى السكر
٦٠٤ : ٣ - ٨ ؛ شعر له صدقته جنازته ٦٠٤ : ٩ - ١٣ ؛ شعره الذى فيه
الغناء ٦٠٤ : ١٤ - ١٨

أخبار يونس الكاتب وابن رهيمة - نسب يونس ٦٠٥ : ٣ - ٥ ؛ أسانذته
فى الغناء ٦٠٥ : ٦ - ٧ ؛ ابن رهيمة وتشبيهه بزئب ٦٠٥ : ٨ - ٦٠٦ : ٢١
أخبار اسماعيل بن يسار النسائي - انقطاعه الى آل الزبير ومدحه
تحلفاء بنى أمية ٦٠٧ : ٣ - ٦ ؛ نادته وسبب تسمية أبيه بالنسائي ٦٠٧ :
٧ - ٩ ؛ أصله وشعره فى شعوبيته ٦٠٧ : ١٠ - ٦٠٨ : ١١ ؛ هو وأشعب
فى بيت له ٦٠٨ : ١٢ - ١٥ ؛ افتخر بقومه عند هشام فعذبه ونفاه ٦٠٨ :
١٦ - ٦٠٩ : ١٤ ؛ استقدمه الوليد فأنشده فأجازه ٦٠٩ : ١٥ - ٦١٠ : ١٨ ؛
أنشد عبد الملك بعد مقتل ابن الزبير فأجازه ٦١١ : ١ - ٦١٢ : ٦

أخبار النابغة الجعدي - ٦١٣ : ٢ - ٥ ؛ تسميته بالنابغة ٦١٣ : ٦ - ٧ ؛
عمره ٦١٣ : ٨ - ٦١٥ : ٢ ؛ هاجى ابن مغراء فغلبه ٦١٥ : ٣ - ٤ ؛ قدومه
على النبى صلى الله عليه وسلم ٦١٥ : ٥ - ١٣ ؛ فى جاهليته ٦١٥ : ١٤ ؛
استئذانه عثمان فى سكنى البادية ٦١٥ : ١٥ - ٦١٦ : ٦ ؛ شهد صفين مع
على ٦١٦ : ٧ ؛ مهاجراته أوس بن مغراء ولىلى ٦١٦ : ٨ - ١٩ ؛ وفوده على
ابن الزبير ٦١٧ : ١ - ١٤ ؛ مع على ومعاوية ٦١٧ : ١٥ - ٦١٩ : ١ ؛ شعره
الذى فيه الغناء ٦١٩ : ٢ - ١٠

ذكر حرب البسوس - سببها ٦٢٠ : ٢ - ٦٢١ : ١٧ ؛ همام وجساس
بعد مقتل كليب ٦٢١ : ١٨ - ٦٢٢ : ٢ ؛ جساس وأبوه مرة ٦٢٢ : ٣ - ٥ ؛
بنو تغلب ومرة بن ذهل ٦٢٢ : ٦ - ١٧ ؛ كلمة الحارث بن عباد ٦٢٢ : ١٨ -
١٩ ؛ الحرب بين الحنين ٦٢٢ : ٢٠ - ٦٢٣ : ٣ ؛ مقتل همام ٦٢٣ : ٤ -

٨ ؛ مشاركة الحارث بن عباد ٦٢٣ : ٩ - ١٧ ؛ أسر الحارث لمهلل ٦٢٣ :
١٨ - ٦٢٤ : ٤ ؛ خروج مهلهل واكراهه على تزويج ابنته ٦٢٤ : ٥ - ١٢ ؛
ترحيل جلييلة عن ماتم كليب ٦٢٤ : ١٣ - ٦٢٥ : ٢٠

أخبار ابن قيس الرقيات - نسبه ٦٢٦ : ٢ - ٣ ؛ أمه ولقبه ٦٢٦ : ٤ -
٧ ؛ وفوده على عبد الملك بعد مقتل مصعب الزبيرى ٦٢٦ : ٨ - ٦٢٩ : ٩ ؛
مدح ابن جعفر على احسانه اليه ٦٢٩ : ١٠ - ٦٣٠ : ١٣ ؛ بين ابن المسيب
ونوفل فى المفاضلة بينه وبين ابن أبى ربيعة ٦٣٠ : ١٤ - ٦٣١ : ١٢ ؛
فضله ابن أبى عتيق هو وابن أبى ربيعة على كثير ٦٣١ : ١٣ - ٦٣٢ : ١١ ؛
شعره الذى فيه الغناء ٦٣٢ : ١٢ - ١٧ ؛ خبر مصعب بن عبد الرحمن على
المدينة ٦٣٢ : ١٨ - ٦٣٣ : ١٤ ؛ استشهاد للمؤلف بشعر لأبى نواس ٦٣٣ :
١٥ - ٢٠

أخبار مالك بن أبى السمح - اسمه وكنيته وشيء من صفاته ٦٣٤ : ٢ -
٦ ؛ عمن أخذ الغناء وعمره ٦٣٤ : ٧ - ٩ ؛ شعر للحسين بن عبيد الله فيه
٦٣٤ : ١٠ - ١٨ ؛ غنى للوليد فلم يطرب ثم غناه ثانية فطرب ٦٣٥ : ١ -
٢٠ ؛ بين ابن عائشة وابن أبى السمح فى مقتل الوليد ٦٣٦ : ١ - ٥

أخبار النهدي والوليد بن عقبة بن أبى معيط - حديث ايغار زهير صدر
الحارث الغسانى على النهديين ٦٣٧ : ٣ - ١٦ ؛ حديث مقتل رزاح ٦٣٨ :
١ - ٦٣٩ : ٢

وأما الوليد بن عقبة : نسبه ٦٣٩ : ٣ - ٥ ؛ توليه الكوفة ٦٣٩ : ٦ -
١٨ ؛ سيرته فى الكوفة ٦٣٩ : ١٩ - ٦٤٠ : ١٦ ؛ شعر الحطيئة فى شربه
الخمير ٦٤٠ : ١٧ - ٦٤١ : ٤ ؛ حده وحديث ذلك ٦٤١ : ٥ - ١٨ ؛ شعر
أبى زبيد فى هذا ٦٤١ : ١٩ - ٦٤٢ : ١٢ ؛ مثل من تقريبه لأبى زبيد ٦٤٢ :
١٣ - ١٦ ؛ ما نزل فيه من القرآن ٦٤٢ : ١٧ - ٦٤٣ : ٤ ؛ الرسول صلى الله
عليه وسلم بينه وبين امرأته ٦٤٣ : ٥ - ١١ ؛ قدوم أمه به على النبى صلى الله عليه
وسلم وهو صبى ٦٤٣ : ١٢ - ١٦ ؛ حديثه مع جندب حين قتل الساحر ٦٤٣ :
١٧ - ٦٤٤ : ٩ ؛ ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم لابن صوحان وجندب
٦٤٤ : ١٠ - ٢١ ؛ ابن العاص بن أمية بعد الوليد على الكوفة ٦٤٥ : ١ - ٧ ؛

شعر الوليد في مقتل عثمان والنعي على علي فيما أخذ ٦٤٥ : ٨ - ١٨ ؛
للفضل في الرد عليه ٦٤٦ : ١ - ٣ ؛ شعر الوليد في التحريض على الأخذ
بثأر عثمان ٦٤٦ : ٤ - ٧ ؛ لأشجع السلمى فيه وفي أبي زبيد وقد مر
بقبريهما ٦٤٦ : ٨ - ١١ ؛ الأمين في آخر عهده ٦٤٦ : ١٢ - ٦٤٧ : ١٥

أخبار ابراهيم الموصلي - نسبه وأصله ٦٤٨ : ٢ - ٦ ؛ أمه ٦٤٨ : ٧ -
٩ ؛ مولده ووفاته ٦٤٨ : ١٠ - ١١ ؛ سبب تلقيبه بالموصلي ٦٤٨ : ١٢ -
١٥ ؛ أول من صحب وغنى عنده ٦٤٨ : ١٦ - ١٨ ؛ حبس المهدي له في
شربه الخمر ومنعه إياه من الدخول على ابنه ٦٤٩ : ١ - ٦٥٠ : ١١ ؛ طلب
الهادي له ٦٥٠ : ١٢ - ١٩ ؛ حديث حماد عن ثراء ابراهيم وكرمه ٦٥٠ :
٢٠ - ٦٥١ : ١٣ ؛ حديث الجارية التي اشتراها منه الرشيد ٦٥١ : ١٤ -
٦٥٢ : ٩ ؛ أخرجه الرشيد من الحبس فغناه فوصله ٦٥٢ : ١٠ - ١٨ ؛ ثني
بيتا أنشده يحيى وغناه فيه فأجازه ٦٥٢ : ١٩ - ٦٥٣ : ١٧ ؛ شيء عنه ٦٥٣ :
١٨ - ٢٠ ؛ شعر أبي العتاهية له في حبسه ٦٥٤ : ١ - ١٠ ؛ هو ومخارق
وأخذهما دراهم من يحيى البرمكي وأولاده ٦٥٤ : ١١ - ٦٥٨ : ١٩ ؛ أعطاه
الفضل بن يحيى بعد أن حبس الخليفة عنه يده ٦٥٨ : ٢٠ - ٦٦٠ : ١٣ ؛
هو ومحمد بن يحيى في يوم مهرجان ٦٦٠ : ١٤ - ٦٦١ : ٤ ؛ هو والرشيد
في ليلة بلغه فيها ما أغضبه فغناه حتى سرى عنه ٦٦١ : ٥ - ٦٦٢ : ١٢ ؛
حديثه مع الرشيد في جارية عرض بها في مجلسه ٦٦٢ : ١٣ - ٦٦٤ : ٤ ؛
هو وإبليس ٦٦٤ : ٥ - ٦٦٦ : ١٨ ؛ حديث اختصاصه بشعر ذي الرمة يغنى
فيه الرشيد ٦٦٧ : ١ - ٦٦٨ : ٣ ؛ ترضى الرشيد ماردة بشعر غناه هو فيه
٦٦٨ : ٤ - ١١ ؛ أول جائزة خرجت من الرشيد لشاعر كانت له ٦٦٨ :
١٢ - ١٧ ؛ هو والرشيد وقصة الزنبيل ٦٦٨ : ١٨ - ٦٧١ : ١٠ ؛ شعره
في مرضه ٦٧١ : ١١ - ١٦ ؛ زيارة الرشيد له في علة الموت ٦٧١ : ١٧ -
٢٠ ؛ تقديم المأمون لابن الأحنف عليه في الصلاة عليهما ٦٧٢ : ١ - ١٦ ؛
شعر أبي اسحاق في رثائه ٦٧٢ : ١٧ - ٦٧٣ : ٨ ؛ الرشيد يعزى اسحاق
ابنه فيه ويصله ٦٧٣ : ٩ - ١٨

أخبار اسحاق بن ابراهيم الموصلي - كنيته ٦٧٤ : ٢ - ٣ ؛ منزلته في
العلم والغناء ٦٧٤ : ٤ - ٩ ؛ تمناه المأمون للقضاء ٦٧٤ : ١٠ - ١٢ ؛

مشايخه فى الحديث ٦٧٤ : ١٣ - ١٥ ؛ ضنه بالغناء وما أحدثه فيه ٦٧٤ :
 ١٦ - ١٨ ؛ أمه ٦٧٤ : ١٩ ؛ نهجه فى يومه ٦٧٥ : ١ - ٦ ؛ رأى الواصل فيه
 ٦٧٥ : ٧ - ١٢ ؛ هو والمأمون وقد سأله الدخول مع العلماء ثم مع الفقهاء
 ٦٧٥ : ١٣ - ٦٧٦ : ٢ ؛ شأنه بين المغنين فى حضرة الواصل ٦٧٦ : ٣ - ٨ ؛
 غنى المأمون فى شعر لذى الرمة فأجازه وحديث ذلك ٦٧٦ : ٩ - ١٧ ؛ هو
 وابراهيم بن المهدي فى صوت غناه عند الرشيد ٦٧٦ : ١٨ - ٦٧٩ : ١٠ ؛
 صنع فى بيتين ودع بهما الفضل بن يحيى غناء فأجازه ٦٧٩ : ١١ - ٢٠ ؛
 أنشد المعتصم يهنئه بالخلافة فأجازه ٦٨٠ : ١ - ١٦ ؛ هو وعلويه فى مجلس
 الفضل بن الربيع ٦٨٠ : ١٧ - ٦٨٤ : ٢٠ ؛ ذكره الواصل بالشيب فبكى
 وقال شعرا غنى فيه ٦٨٤ : ٢١ - ٦٨٥ : ٦ ؛ غير الأصمعى رأيه فى شعر علم
 أنه له ٦٨٥ : ٧ - ١٣ ؛ بينه وبين على بن يحيى فى معنى كان يستجيده
 ٦٨٥ : ١٤ - ٦٨٦ : ٧ ؛ نال جائزة الرشيد دون الأصمعى ٦٨٦ : ٨ - ٦٨٧ :
 ٤ ؛ حضر عند الفضل دخول ابن ابنه عبد الله عليه فقال شعرا سره به
 ٦٨٧ : ٥ - ١٤ ؛ غضب عليه الفضل بسبب ابن دهمان فترضاه بشعر ٦٨٧ :
 ١٥ - ٦٨٨ : ٧ ؛ هو وجعفر بن يحيى وغلظه نافذ وقد حجه ٦٨٨ : ٨ -
 ١٧ ؛ شعره فى غلام قبيح للمصعبى أبى القدر منه ٦٨٨ : ١٨ - ٦٨٩ : ٧ ؛
 هو وطلحة بعد وقعة الشراة وجوائزهم اليه ٦٨٩ : ٨ - ٦٩٠ : ١٧ ؛ شكا
 اليه المأمون أصحابه ثم غناه فأجازه ٦٩٠ : ١٨ - ٦٩١ : ١٣ ؛ صلة الواصل
 له وقد خرج معه الى النجف ٦٩١ : ١٤ - ٦٩٢ : ١٦ ؛ صنع الواصل لحنا
 وصنع هو خيرا منه ٦٩٢ : ١٧ - ٦٩٤ : ١٩ ؛ غنى الأمين بشعر مدحه به
 فأجازه ٦٩٤ : ٢٠ - ٦٩٥ : ٣ ؛ أنشد مروان بن أبى حفصة فشغله عن حديث
 له ٦٩٥ : ٤ - ٩ ؛ طرب لشعر أعرابى وسكر عليه ٦٩٥ : ١٠ - ١٧ ؛ من
 شعره فى الواصل ٦٩٥ : ١٨ - ٦٩٦ : ١٢ ؛ قصة خروجه الى تل عراز ٦٩٦ :
 ١٣ - ٦٩٧ : ١٤ ؛ جفا المأمون قدس عليه علويه فغناه فرضى عنه ٦٩٧ :
 ١٥ - ٦٩٨ : ١١ ؛ فساد ما بينه وبين الأصمعى وحديث ذلك ٦٩٨ : ١٢ -
 ٦٩٩ : ٨ ؛ بينه وبين غلامه فتح ٦٩٩ : ٩ - ١٣ ؛ سأله الفضل أن يغنيه وكان
 الرشيد نهاه وقصة ذلك ٦٩٩ : ١٤ - ٧٠٠ : ٨ ؛ بينه وبين أعرابى أنشده
 شعره ٧٠٠ : ١ - ٧٠١ : ٧ ؛ ذكره الفضل بن الربيع بالشيب فقال شعرا

٧٠١ : ٨ - ١٣ ؛ حدث عن غائب في مجلس المعتصم فأجازه ٧٠١ : ١٤ -
 ٧٠٢ : ٨ ؛ أجازه المخلوع على أبيات في سفينة له ٧٠٢ : ٩ - ١٦ ؛ حديث
 دخول عبد الملك بن صالح على جعفر بن يحيى وهو ينادمه ٧٠٢ : ١٧ - ٧٠٤ :
 ١٨ ؛ شعر كتب به وهو معتل الى هشام ٧٠٤ : ١٩ - ٧٠٥ : ١ ؛ شعر له
 في خرجته الأولى الى البصرة ٧٠٥ : ٢ - ٨ ؛ هو وجماعة من المغنين عند
 اسحاق المصعبي ٧٠٥ : ٩ - ٧٠٦ : ١١ ؛ خروجه مع الرشيد الى الرقة وقصته
 بدير القائم وتل عزاز ٧٠٦ : ١٢ - ٧٠٧ : ١٢ ؛ دخل على الرشيد مغنيا
 فأجازه ٧٠٧ : ١٣ - ٧٠٨ : ٢ ؛ اغتم لصوت أخذه عنه أحد العامة ٧٠٨ : ٣ -
 ١٥ ؛ دخوله بيتا متطفلا ٧٠٨ : ١٦ - ٧١١ : ٦ ؛ هو والواثق في دير مارت
 مريم ٧١١ : ٧ - ١٤ ؛ غنى عبد الله بن طاهر فوصله ٧١١ : ١٥ - ٧١٢ : ١١ ؛
 هو بعد أن كف في حضرة المتوكل ٧١٢ : ١٢ - ٧١٣ : ١١ ؛ مرضه وموته
 ٧١٣ : ١٢ - ١٦ ؛ حزن المتوكل عليه وعلى أحمد بن عيسى ٧١٣ : ١٧ -
 ٧١٤ : ٣ ؛ لبغضهم عن وفاته ٧١٤ : ٤ - ٧ ؛ شعر أحمد بن ابراهيم في رثائه
 ٧١٤ : ٨ - ١٢

أخبار الصمة القشيري - نسبه ٧١٥ : ٢ - ٥ ؛ طبقته ٧١٥ : ٦ ؛ شيء
 عن جده ٧١٥ : ٧ - ٨ ؛ حديث حبه وزواجه ٧١٥ : ٩ - ٧١٦ : ٣ ؛ موته
 بطبرستان ٧١٦ : ٤ - ١٢ ؛ أبيات له كان يستحسنها ابن الأعرابي ٧١٦ :
 ١٣ - ٧١٧ : ٣ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٧١٧ : ٤ - ٦

أخبار داود بن سلم - ولاؤه ونسبه ٧١٨ : ٢ - ٥ ؛ طبقته ٧١٨ : ٦ ؛
 سبب كنيته بالأدلم ٧١٨ : ٧ ؛ شيء عن بخله ٧١٨ : ٨ - ١٤ ؛ شعره يمدح
 قثم بن العباس ٧١٨ : ١٥ - ٧١٩ : ٤ ؛ شعره في جارية هويها قثم وفاته
 شراؤها ٧١٩ : ٥ - ١٢ ؛ مدح حرب بن خالد فأجازه ٧١٩ : ١٣ - ٧٢٠ : ٣ ؛
 من جيد شعره ٧٢٠ : ٤ - ١١ ؛ شعره الذي فيه الغناء ٧٢٠ : ١٢ - ١٦

أخبار دحمان - اسمه وولاؤه وشيء عنه ٧٢١ : ٢ - ٤ ؛ ما أفاده من
 المهدي مرة ٧٢١ : ٥ - ٧ ؛ هو والمهدي وضيعتان وهبهما له ٧٢١ : ٨ - ١٤ ؛
 حديثه مع الوليد في جارية اشتراها منه ثم ردها اليه ٧١٢ : ١٥ - ٧٢٣ : ١٩

أخبار أعشى همدان - اسمه ٧٢٤ : ٢ - ٥ ؛ كنيته ٧٢٤ : ٦ ؛ طبقته
 وشيء عنه ٧٢٤ : ٧ - ٩ ؛ رؤيا أولها له الشعبي ٧٢٤ : ١٠ - ١٣ ؛ أسره

وحديثه مع بنت الملك ۷۲۴ : ۱۴ - ۷۲۶ : ۱۵ ؛ مدح النعمان بن بشير
لوساطته في عطاءه ۷۲۶ : ۱۶ - ۷۲۷ : ۱۰ ؛ طلق زوجة وتزوج أخرى
۷۲۷ : ۱۱ - ۷۲۸ : ۹ ؛ أملق فمدح ابن عتاب فأجازته ۷۲۹ : ۱۰ - ۱۶ ؛
أنشد سابق لعمر بن عبد العزيز من شعره فأبكاها ۷۳۰ : ۱ - ۱۰ ؛ مقتله
۷۳۰ : ۱۱ - ۷۳۲ : ۳ ؛ هو والحجاج ومقتله ۷۳۲ : ۴ - ۷۳۴ : ۱۵ ؛
مصير ابن الأشعث ۷۳۴ : ۱۶ - ۷۳۵ : ۴

أخبار حماد الرواية - نسبه وولائه ۷۳۶ : ۲ ؛ علمه وصلة بنى أمية
له عليه ۷۳۶ : ۳ - ۵ ؛ بينه وبين الوليد بن يزيد وقد سأله عن لقبه ۷۳۶ :
۶ - ۱۵ ؛ الحمادون الثلاثة ۷۳۶ : ۱۶ - ۲۰ ؛ وفوده الى هشام بن عبد الملك
۷۳۷ : ۱ - ۷۳۹ : ۹ ؛ توسط مطيع له عند جعفر وسوء حظه ۷۳۹ : ۱۰ -
۷۴۰ : ۱۱ ؛ طلب من بعض الرؤساء حاجة فقضاها له ۷۴۰ : ۱۲ - ۷۴۱ :
۱ ؛ بدء حياته ۷۴۱ : ۲ - ۵ ؛ رأى المفضل فيه ۷۴۱ : ۶ - ۱۲ ؛ رأى المهدي
فيه وفي المفضل ۷۴۱ : ۱۳ - ۷۴۳ : ۳ ؛ الشعر الذي فيه الغناء ۷۴۳ :
۴ - ۶ الصوت الذي فيه غناء عبادل ۷۴۳ : ۷ - ۱۳ ؛ قصيدة طريح ۷۴۳ :
۱۴ - ۷۴۴ : ۸

رجع الى أخبار ابن هرمة - ابن هرمة والعباس بن الوليد ۷۴۴ : ۱۰ -
۷۴۵ : ۱ ؛ ابن هرمة وعبد الواحد بن سليمان ۷۴۵ : ۵ - ۷۴۷ : ۱۳ ؛ بين
الجمحي وبينه في مدحه عبد الواحد ۷۴۷ : ۱۴ - ۷۴۹ : ۳ ؛ بين المهدي وأبيه
المنصور وقد قصر في جائزته ۷۴۹ : ۴ - ۷۵۰ : ۴ ؛ هو ورسول المنصور
وقد دسه عليه ۷۵۰ : ۵ - ۷۵۱ : ۴

أخبار المرقشين الأكبر والأصغر - الأكبر وشيء عنه ۷۵۲ : ۲ - ۷ ؛
الأصغر وشيء عنه ۷۵۲ : ۸ - ۱۰ ؛ من شجاعتها ۷۵۲ : ۱۱ - ۱۲ ؛ عم
الأكبر وشيء من شجاعته ۷۵۲ : ۱۳ - ۱۶ ؛ أخو الأكبر وشيء من شجاعته
۷۵۲ : ۱۷ - ۷۵۳ : ۱۳ ؛ تعشقه ابنة عمه وحديث زواجه وموته ۷۵۳ :
۱۴ - ۷۵۶ : ۱۲ ؛ الشعر الذي فيه الغناء ۷۵۶ : ۱۳ - ۱۶ ؛ الأصغر وخبره
مع فاطمة ۷۵۶ : ۱۷ - ۷۵۹ : ۵

وقعة دولاب - الخوارج ۷۶۰ : ۲ - ۱۴ ؛ نافع بن الأزرق والحرب بينه
وبين أهل البصرة ۷۶۰ : ۱۵ - ۷۶۳ : ۴ ؛ شيء عن أم حكيم ۷۶۳ : ۵ - ۱۱

العروضى - كلمة عن العروضى ٧٦٣ : ١٢ - ١٥

نفر من المغنين - بعض من ذكرهم الأصفهاني من المغنين وأهمهم ابن
واصل ٧٦٣ : ١٦ - ١٩

أخبار النميرى - نسبه ومنشؤه وهواه بزيب ٧٦٤ : ٢ - ٥ ؛ شىء عن
الفارعة أم زيب ٧٦٤ : ٦ - ١٠ ؛ وقوع الحجاج فيه وهو غلام لذكره أخته
٧٤٦ : ١١ - ١٣ ؛ الحجاج فى ميراث لأخته مع عروة عند ابن زياد ٧٦٤ :
١٤ - ١٧ ؛ أول شعره فى زيب ٧٦٥ : ١ - ٧٦٦ : ٧ ؛ هو وعبد الملك
والحجاج فى هذه القصيدة ٧٦٦ : ٨ - ٧٦٧ : ١٦ ؛ من شعره فى زيب
٧٦٧ : ١٧ - ٧٦٨ : ١٦ ؛ ما أخذه عبد الملك على الحجاج بشأنه حين بعثه
لحرب ابن الزبير ٧٦٨ : ١٧ - ٧٦٩ : ٥ ؛ تهديد الحجاج له وهربه وشعره
فى ذلك ٧٦٩ : ٦ - ٧٧٠ : ٥ ؛ شىء عن زواج زيب ثم وفاتها ورثاء النميرى
لها ٧٧٠ : ٦ - ١٩ ؛ أعجب ابن المسيب بشعر له وزاد عليه ٧٧١ : ١ - ٨ ؛
استنشده عائشة بنت طلحة شعره فى زيب ٧٧١ : ٩ - ٧٧٢ : ٧ ؛ من
شعره فى زيب ٧٧٢ : ٨ - ١٥

أخبار الوضاح - اسمه ونسبه ولقبه ٧٧٣ : ٢ - ١٦ ؛ هو والمقنع
والطائي ٧٧٣ : ١٧ - ١٩ ؛ هو وزوجته وشعره فيها ٧٧٤ : ١ - ٧٧٥ :
١٤ ؛ حبه لأم البنين ٧٧٥ : ١٥ - ٢٠ ؛ أم البنين وكثير ووضاح ٧٧٦ : ١ -
٢ ؛ أعانته أم البنين عند الوليد بن عبد الملك ٧٧٦ : ٣ - ١٣ ؛ نكايه الوليد
به ٧٧٦ : ١٤ - ٧٧٧ : ٦ ؛ حكاية مقتله ٧٧٧ : ٧ - ٧٧٨ : ١٥ ؛ نكايه
الوليد به لتشبيهه بفاطمة أخته ٧٧٨ : ١٦ - ٧٧٩ : ٣ ؛ وله فى أم البنين
وقد اعتلت ٧٧٩ : ٤ - ١٢ ؛ الشعر الذى فيه الغناء ٧٧٩ : ١٣ - ١٥
خبر بشار مع عبدة - لبشار فى عبدة ٧٨٠ : ٢ - ٥ ؛ روايته بينه
وبينها ٧٨٠ : ٦ - ١١ ؛ من شعره فيها ٧٨٠ : ١٢ - ٧٨١ : ٢ ؛ حديث
حبه عبدة ٧٨١ : ٣ - ١١

أخبار الأصوص مع أم جعفر - شعره الذى يغنى به ٧٨٢ : ٢ - ٦ ؛ هو
وأخوها وعمر بن عبد العزيز ٧٨٢ : ٧ - ١٦ ؛ للسائب يعيره بقراره ورده
عليه ٧٨٢ : ١٧ - ٧٨٣ : ١ ؛ رد الأصوص ٧٨٣ : ٢ - ٥ ؛ اقتداء عمر بعثمان

فيما فعل ٧٨٣ : ٦ - ٨ ؛ من شعره في أم جعفر ٧٨٣ : ٩ - ١٧ ؛ هو وأم جعفر وقد جاءتة متنقبة ٧٨٣ : ١٨ - ٧٨٤ : ٧

أخبار أبي ذؤيب الهذلي - نسبه ٧٨٥ : ٢ - ٣ ؛ طبقتة واسلامه ٧٨٥ : ٤ - ٥ ؛ تقدمه على الشعراء ٤٨٥ : ٦ - ١٣ ؛ خروجه مع عبد الله بن سعد لغزو افريقية ثم عودته وموته بمصر ٧٨٥ : ١٤ - ١٨ ؛ حديث ابن الزبير في هذه الحرب ٧٨٥ : ١٩ - ٧٨٧ : ١٥ ؛ خبر آخر في موته ٧٨٧ : ١٦ - ٧٨٨ : ٧ ؛ شعره في موته ٧٨٨ : ٨ - ١٢

حكم الوادي - شيء عنه ٧٨٨ : ١٣ - ١٤

أخبار ابن جامع - نسبه ٧٨٩ : ٢ - ٤ ؛ أبو وداعة والمطلب ابنه ٧٨٩ : ٥ - ٧ ؛ كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمه ٧٨٩ : ٨ - ٧٩٠ : ٢ ؛ من ورعه ٧٩٠ : ٣ - ٦ ؛ مع أبي يوسف القاضي بباب الرشيد ٧٩٠ : ٧ - ٧٩١ : ١٩ ؛ جاء به ابن الربيع لما ولي الهادي ٧٩١ : ٢٠ - ٧٩٢ : ٨ ؛ أطرب الرشيد بصوت أخذه عن سوداء فأجازه ٧٩٢ : ٩ - ٧٩٣ : ١٣ ؛ شعر للسموئل فيه لابن جامع غناء ٧٩٣ : ١٤ - ٧٩٤ : ٢ ؛ خبر السموئل وابنه شريح ٧٩٤ : ٣ - ١٨ ؛ أسره الأعشى وشفاعة شريح فيه ٧٩٤ : ١٩ - ٧٩٦ : ٦

أخبار أبي سفيان بن حرب - اسمه ٧٩٧ : ٢ - ٣ ؛ أم حرب ٧٩٧ : ٤ - ٥ ؛ أمه ٧٩٧ : ٦ - ٨ ؛ شيء عن حرب ووفاته ٧٩٧ : ٩ - ٧٩٨ : ٥ ؛ مكانته في قریش وفق عينية ٧٩٨ : ٦ - ١٠ ؛ قوله في زواج ابنته أم حبيبة من النبي صلى الله عليه وسلم ٧٩٨ : ١١ - ١٨ ؛ هو والنبي صلى الله عليه وسلم بوعد أبطأ أذنه ٧٩٨ : ١٩ - ٧٩٩ : ٤ ؛ هو وهرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم ٧٩٩ : ٥ - ٨٠١ : ١٦ ؛ اسلام أبي سفيان ٨٠٢ : ١ - ٨٠٤ : ١٥ ؛ أبو سفيان يوم اليرموك ٨٠٤ : ١٦ - ٢٣ ؛ هو وعلى لما ولي أبو بكر ٨٠٥ : ١ - ٥ ؛ شعر له لما ولي أبو بكر ٨٠٥ : ٦ - ١٤ ؛ هو في غزوة السويق ٨٠٥ : ١٥ - ٨٠٦ : ١٣

أخبار الوليد بن يزيد - نسبه وكنيته ٨٠٧ : ٢ - ٣ ؛ أمه ٨٠٧ : ٤ - ٧ ؛ أم يز ٨٠٧ : ٨ - ١٣ ؛ شيء عن الوليد وولايته الخلافة ٨٠٧ : ١٤ - ١٧ ؛ ولايته العهد بعد هشام وطمع هشام في خلعه ٨٠٧ : ١٨ - ٨٠٩ : ١٨ ؛

اباء خالد القسرى بيعة مسلمة ٨٠٩ : ١٩ - ٢٠ ؛ الوليد والعباس فى مجلس هشام ٨٠٩ : ٢١ - ٨١٠ : ٨ ؛ هو وسعيد بن هشام وابراهيم المخزومى فى مجلس هشام ٨١٠ : ٩ - ٨١١ : ٦ ؛ شعره لهشام لما أراد خلعه ٨١١ : ٧ - ١٢ ؛ ذم هشاما لعبته بخاصته ٨١١ : ١٣ - ٨١٣ : ٧ ؛ شعره فى الفخر على هشام ٨١٣ : ٨ - ١٥ ؛ هو وأبو الزناد فى حديث هشام بعد موته ٨١٣ : ١٦ - ٨١٤ : ٩ ؛ شعره فى الرد على من عابه بشرب الخمر ٨١٤ : ١٠ - ١٦ ؛ كتابه الى هشام وكتاب هشام اليه ٨١٤ : ١٧ - ٨١٦ : ١٨ ؛ تبشيريه بالخلافة بعد هشام ٨١٦ : ١٩ - ٨١٧ : ١٦ ؛ تعقيب لابن واصل ٨١٧ : ١٧ - ٢٠ ؛ الوليد وابنا هشام المخزومى ٨١٨ : ١ - ٨ ؛ شعر الوليد حين نعى اليه هشام ٨١٨ : ٩ - ٨١٩ : ٤ ؛ من شعره المطرب ٨١٩ : ٥ - ١٣ ؛ وله أيضا عندما نعى هشام اليه ٨١٩ : ١٤ - ١٨ ؛ غناه عمر الوادى بشعره فى موت هشام ٨١٩ : ١٩ - ٨٢٠ : ٤ ؛ ما أخذه أبو نواس من معانيه ٨٢٠ : ٥ - ١٠ ، من شعره فى هشام ٨٢٠ : ١١ - ١٤ ؛ شعره لما بويع ٨٢٠ : ١٥ - ٨٢١ : ٦ ؛ من شعره ٨٢١ : ٧ - ٩ ؛ غنت جارية فاشتراها ٨٢١ : ١٠ - ٢٠ ؛ شرب هو ومحمد بن سليمان بجرن ٨٢١ : ٢١ - ٨٢٢ : ٨ ؛ طلاقه سعدة وهيامه بأختها سلمى ٨٢٢ : ٩ - ١٨ ؛ أشعب بينه وبين سعدة ٨٢٢ : ١٩ - ٨٢٣ : ١٧ ؛ حيلته لرؤية سلمى وشعره فى ذلك ٨٢٣ : ١٨ - ٨٢٤ : ١٩ ؛ زواجه بسلمى وموتها وشعره فى رثائها ٨٢٥ : ١ - ٨٢٦ : ٩ ؛ من تهتكه ٨٢٦ : ١٠ - ١١ ؛ مع ابن الزندبوذ ٨٢٦ : ١٢ - ٨٢٧ : ٢ ؛ هو والمصحف ٨٢٧ : ٣ - ١٢ ؛ هو والقاسم بن الطويل ٨٢٧ : ١١ - ٨٢٨ : ١٢

ذكر مقتل الوليد بن يزيد - يزيد الناقص والعباس بن الوليد فى شأنه
 ٨٢٨ : ١٣ - ٨٢٩ : ١٣ ؛ اجتماع الأمر ليزيد الناقص ٨٢٩ : ١٤ - ٨٣٤ : ٦ ؛ تمثيلهم به بعد موته ٨٣٤ : ٧ - ٩ ؛ عمر الوادى ساعة مقتله ٨٣٤ : ١٠ - ١٣ ؛ ابنا الوليد ويزيد بن هشام ٨٣٤ : ١٤ - ٨٣٥ : ٣ ؛ الرشيد وابن الغمر بن يزيد ٨٣٥ : ٤ - ٧ ؛ المهدي وابن علاثة فى شأن الوليد ابن يزيد ٨٣٥ : ٨ - ١٧ ؛ تعقيب لابن واصل فى زوال ملك بنى أمية ٨٣٥ : ١٨ - ٨٣٦ : ١١

عمر الوادى - شىء عنه ٨٣٦ : ١٢ - ١٤

أبو كامل المغنى - شىء عنه ٨٣٦ : ١٥ - ١٧

أخبار يزيد بن ضبة - نسبه وولاه ٨٣٧ : ٢ - ٤ ؛ هو بين ولاية هشام

والوليد ٨٣٧ : ٥ - ٨٣٨ : ١٤

اسماعيل بن الهربذ - شىء عنه ٨٣٨ : ١٥ - ١٦

أخبار نابغة بنى شيبان - نسبه ٨٣٩ : ٢ - ٥ ؛ شاعر بدوى ٨٣٩ :

٦ - ٧ ؛ دينه ٨٣٩ : ٨ - ١٠ ؛ ممدوحه ٨٣٩ : ١١ - ١٢ ؛ مدحه لعبد الملك

عند همه بخلع ابنه وتولية ابنه ٨٣٩ : ١٣ - ٨٤٠ : ١٤ ؛ وله يهنى يزيد

بمقتل ابن المهلب ٨٤٠ : ١٥ - ٨٤١ : ١٣ ؛ وفوده على الشام حين ولى هشام

٨٤١ : ١٤ - ٨٤٢ : ١٠

أخبار أبى دهل - نسبه ٨٤٣ : ٢ - ٣ ؛ أمه ٨٤٣ : ٤ ؛ من جماله وأوله

قوله الشعر ٨٤٣ : ٥ - ٨ ؛ هو وعمرة ٨٤٣ : ٩ - ٨٤٥ : ٥ ؛ هو وعاتكة

٨٤٥ : ٦ - ٨٤٦ : ١٤ ؛ هو ومعاوية ٨٤٦ : ١٥ - ٨٤٩ : ١١ ؛ هو وشامية

تزوجها ٨٤٩ : ١٢ - ٨٥٠ : ٧ ؛ من شعره فى مدح ابن الأزرق ٨٥٠ : ٨ -

٨٥١ : ٨ ؛ من جيد شعره ٨٥١ : ٩ - ١٢

أخبار الحسين بن الضحاك - نسبه ٨٥٢ : ٢ - ٣ ؛ منشؤه وشعره ٨٥٢ :

٤ - ٧ ؛ انتفاع أبى نواس بمعاينه ٨٥٢ : ٨ - ٩ ؛ موته ٨٥٢ : ١٠ - ٨٥٣ :

٥ ؛ مع المأمون بعد الأمين ٨٥٣ : ٦ - ١٤ ؛ صالح بن الرشيد والمأمون فى

أمره ٨٥٣ : ١٥ - ٨٥٤ : ٦ ؛ وقوف المأمون على شعر له غنى به ابن بانه عند

صالح بن الرشيد ٨٥٤ : ٧ - ٨٥٥ : ٢ ؛ حزنه على الأمين ومن مرثيه فيه

٨٥٥ : ٣ - ١٤ ؛ تهنئته المعتصم بفتح عمورية ٨٥٥ : ١٥ - ٨٥٦ : ١٠ ؛

استجداد الرياشى شعرا له فى الخمر ٨٥٦ : ١١ - ١٣ ؛ أخذ أبو نواس معنى

له فى الخمر ٨٥٦ : ١٤ - ٨٥٧ : ٤ ؛ تهنئته الواثق بالخلافة ٨٥٧ : ٥ -

١٦ ؛ أنشد الواثق فى يوم غيم ٨٥٧ : ١٧ - ٨٥٨ : ٥ ؛ وصف ليلة مع

الواثق ٨٥٨ : ٦ - ١٧ ؛ هو وجارية للواثق غضبت عليه ٨٥٨ : ١٨ - ٨٥٩ :

١٢ ؛ شعره فى جارية للواثق ماتت فرآها فى النوم ٨٥٩ : ١٣ - ٢٢ ؛ بينه

وبين ابن المهدي وكان عربد عليه ٨٦٠ : ١ - ١٠ ؛ توسله باين مسعدة

ليشفع له عند المأمون ٨٦٠ : ١١ - ٨٦١ : ١ ؛ بينه وبين المأمون فى شعر
 قتاله فى رثاء الأمين ٨٦١ : ٢ - ١٤ ؛ شعر له فى غلام لصالح بن الرشيد
 غنى فيه عمرو بن بانة ٨٦١ : ١٥ - ٨٦٢ : ٤ ؛ هو والمتوكل وشفيق خادمه
 ٨٦٢ : ٥ - ١٩ ؛ شعره فى غلام ٨٦٣ : ١ - ١٠ ؛ هو وصالح بن
 الرشيد وغلام أخيه يسر ٨٦٣ : ١١ - ٨٦٤ : ١٤ ؛ شعره فى تهنئة الواثق
 بالخلافة ٨٦٤ : ١٥ - ٨٦٥ : ١١ ؛ بينه وبين أحد جند الشام ٨٦٥ : ١٢ -
 ٨٦٦ : ١٦ ؛ شعر له أعجب به الأمين لما غنى به ٨٦٦ : ١٧ - ٨٦٧ : ٤ ؛
 هو وغلام أبى أحمد بن الرشيد ٨٦٧ : ٥ - ١١ ؛ هو وغلام جميل ٨٦٧ :
 ١٢ - ١٨ ؛ لم يرث الأمين استماعا لأبى العتاهية ٨٦٧ : ١٩ - ٨٦٨ : ١٠ ؛
 هو وعلى بن يحيى وقد سأله عن أمه ٨٦٨ : ١١ - ٨٦٩ : ٤ ؛ هو وجارية
 تشكو ٨٦٩ : ٥ - ١٢ ؛ هو وشفيق خادم المتوكل ٨٦٩ : ١٣ - ٨٧٠ : ٢ ؛
 له يسأل المتوكل رزق ابن له مات ٨٧٠ : ٣ - ١٧ ؛ الذين ضربوه من الخلفاء
 ٨٧٠ : ١٨ - ٨٧١ : ٨ ؛ هو فى أواخر أيامه ٨٧١ : ٩ - ١٢ ؛ الشعر الذى
 فيه الغناء ٨٧١ : ١٣ - ١٥

أبو زكار الأعمى - من قدماء المغنين ٨٧٢ : ٢ - ٣ ؛ فى مقتل جعفر

ابن يحيى ٨٧٢ : ٤ - ١٣

أخبار السيد الحميرى - نسبه ٨٧٣ : ٢ - ٣ ؛ شئ عن جده ٨٧٣ :
 ٢ - ١١ ؛ كنيته وأمه ٨٧٣ : ١٢ ؛ قدره فى الشعر ٨٧٣ : ١٣ - ٥ ؛ هجران
 الناس شعره ٨٧٣ : ١٦ - ٨٧٤ : ٢ ؛ أبواه ٨٧٤ : ٣ - ٦ ؛ مذهبه
 ٨٧٤ : ٧ - ١٩ ؛ من وصفه ٨٧٤ : ٢٠ - ٨٧٥ : ٢ ؛ رأى الأصمعى فيه
 ٨٧٥ : ٣ - ٧ ؛ مدح السفاح فحكمه ٨٧٥ : ٨ - ١٦ ؛ أنشد جعفر بن محمد
 فابكاه ٨٧٥ : ١٧ - ٨٧٦ : ٦ ؛ هو ورجل سأله عما يدين به ٨٧٦ : ٧ -
 ١١ ؛ شعر نسب له ولكثير ٨٧٦ : ١٢ - ١٩ ؛ استجاد العتبى قصيدته
 اللامية ٨٧٦ : ٢٠ - ٨٧٧ : ١٠ ؛ جمعه لفضائل على كرم الله وجهه وشعره
 فى حادثة العقاب ٨٧٧ : ١١ - ٨٧٧ ، ٩ ؛ مثله مما روى عن النبى صلى الله
 عليه وسلم ٨٧٧ : ١٠ - ١٦ ؛ شعره فى تدليل رسول الله صلى الله عليه
 وسلم للحسن والحسين ٨٧٧ : ١٧ - ٨٧٩ : ٥ ؛ عارضه سوار وهو يتشد

المنصور فهجاه ٨٧٩ : ٦ - ٨٨٠ : ١٧ ؛ هو وسوار وقد طلب الى شهادة
 عنده ٨٨٠ : ١٨ - ٨٨١ : ١٥ ؛ منع المنصور سوارا أن يحكم له أو عليه
 ٨٨١ : ١٦ - ١٩ ؛ هو وامرأة اباضية تزوجها ٨٨١ : ٢٠ - ٨٨٣ : ٦ ؛ فى
 مرضه ٨٨٣ : ٧ - ٩ ؛ المنصور وقد بلغه موته ٨٨٣ : ١٠ - ١١ ؛ جعفر
 ابن محمد وقد بلغه موته ٨٨٣ : ١٢ - ١٦ ؛ موته ٨٨٣ : ١٧ - ١٨ ؛ حديث
 تكفينه ٨٨٣ : ١٩ - ٨٨٤ : ٩ ؛ اطراح ابن واصل لبعض شعره ٨٨٤ : ١٠ -
 ١٢ ؛ شعره الذى فيه الغناء ٨٨٤ : ١٣ - ٨
 البردان - شىء عنه ٨٨٥ : ١ - ٢
